بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تأصيل العلوم



تصدر في مركز تأصيل العلوم
بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - السودان
السنة الحادية عشرة - العدد التاسع عشر (ب)
محرم ١٤٤٢هـ
سبتمبر ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ

ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

الأنعام : 38

مجلة تأصيل العلوم

المشرف العام - مدير الجامعة

أ.د. أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم

رئيس هيئة التحرير

د. حامد إبراهيم علي محمد

مدير التحرير

د. فتح الرحمن عدلان موسى محمد

هيئة التحرير

١/ أ.د. محمد الفاتح زين العابدين أحمد
٢/ د. الهندي أحمد الشريف مختار
٣/ د. عائش علي عودة أبوعاذرة
٤/ د. حسن الفاتح الحسين محمد
٥/ د. صديق زين العابدين النور
٦/ د. مزمل حسن يوسف
٧/ د. معتصم عبدالكريم المطري
٨/ د. لؤي عبدالوهاب العوض الحسين
٩/ د. القاسم بابكر عبدالرازق
١٠/ د. محمد عبدالرحمن أبوالحسن

الهيئة الإستشارية

١/ أ.د. محمد الإمام إبراهيم الإمام
٢/ أ.د. محمد أحمد محمد أبارو
٣/ أ.د. آدم أبوالقاسم أحمد إسحق
٤/ أ.د. محمد حسب الله محمد علي
٥/ أ.د. عبده عبدالله حسن داؤود
٦/ أ.د علي العوض عبدالله الصاحب
٧/ أ.د. كمال عبدالله أحمد المهلاوي
٨/ أ.د. عبدالله محمد الأمين النعيم
٩/ أ.د. حمزة السر محجوب
١٠/ أ.د. عبدالرحيم محمد خير
١١/ أ.د. محمد أنور عيسى
١٢/ د. برير سعدالدين الشيخ السماني
١٣/ د. محمود مهدي الشريف خالد
١٤/ د. الطيب عبدالقادر عبدالماجد
١٥/ أ.د. إسماعيل صديق عثمان

التدقيق اللغوي

د. عبدالرحمن أبوعاقلة النعمة الأمين

الترجمـــــة

د. عبدالخالق عبدالله بابكر الحاج
أ. علي دوكة علي

مجلة تأصيل العلوم

أعضاء مجلس المجلات

١- مدير الجامعة	رئيساً
٢- نائب مدير الجامعة	رئيساً مناوباً
٣- وكيل الجامعة	عضواً
٤- أمين الشؤون العلمية	عضواً
٥- عميد كلية الدراسات العليا	عضواً
٦- عميد عمادة البحث العلمي	عضواً
٧- رئيس قسم البحث العلمي	عضواً
٨- رؤساء التحرير بالمجلات العلمية المحكمة	أعضاء

فهرسة المكتبة الوطنية – السودان
مجلة مركز تأصيل العلوم
ردمد: ISSN : 1858 - 6961
جمهورية السودان – ولاية الجزيرة – ود مدني

المراسـلات

ترسل الرسائل باسم السيد رئيس هيئة التحرير
مركز تأصيل العلوم – ود مدني – السودان – ص.ب: ٢٢٢
فاكس : 0511832715 تلفونات : 00249111191670 – 00249118009937
البريد الإلكتروني : E-mail:mtaaseel@gmail.com
الموقع الإلكتروني : Website: http://www.uofq.edu.sd

التصميم والإخراج الفني

محي الدين علي فضل الله أحمد
تلفونات : 0111123923 - 0922619996
E-mail:mohie62@gmail.com

الطابعون

مطابع الفرقان – الخرطوم
تلفونات : 0122631834 - 0122141712

قواعد النشر في المجلة

١- تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تتسم بالأصالة والمنهجية السليمة في مجالات المعرفة المختلفة من داخل السودان وخارجه.
٢- أن يخدم البحث قضايا التأصيل العلمي والمعرفي وفقاً لمنهج الإسلام.
٣- أن لا يكون البحث سبق نشره أو مقدماً للنشر لدى جهة أخرى.
٤- أن يمثل البحث إضافة أو مساهمة علمية جادة في العلم والمعرفة.
٥- يجب أن يتصدر البحث ملخصاً بعناصره المعروفة علمياً، لا تقل عن ١٥٠ كلمة ولا تزيد عن ٢٠٠ كلمة باللغتين (العربية دوماً، وبالإنجليزية أو لغة البحث).
٦- يقسم متن البحث تقسيماً واضحاً (مباحث أو مطالب ونحوهما) بالإضافة إلى الخاتمة بالنتائج والتوصيات.
٧- أن يكون التوثيق للمعلومات وفقاً للمنهج العلمي بأسفل الصفحة، وأن توضع قائمة المصادر والمراجع في ذيل البحث بدون تكرار مرتبة ترتيباً أبجدياً.
٨- يقدم البحث مطبوعاً علي برنامج (WORD) بخط Simplified Arabic بحجم الخط ١٤ لنص المتن، و١٢للتوثيق في الهامش مع مراعاة هوامش الصفحة ٢سم علوي وسفلي وأيسر، و٣سم أيمن، وإذا كان البحث باللغة الإنجليزية يكون بخط Times New Roman وبحجم ١٢ لنص المتن، و١٠للهامش.
٩- يسلم عدد ٣ نسخ ورقية (WORD) ونسخة الكترونية (WORD) وفقا لمواصفات البند (٨).
١٠- لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥صفحة A4، ولا تقل عن ١٥صفحة بما في ذلك الأشكال والملاحق.
١١- تسلم البحوث مباشرة إلى رئيس قسم التحرير والنشر وفي حالة الإرسال يرسل البحث برسم رئيس هيئة تحرير مجلة تأصيل العلوم عبر البريد الالكتروني (mtaaseel@gmail.com).
١٢- يخضع البحث للتحكيم المختص علمياً، وذلك بعد اجتياز البحث للفحص الأولي، وأن المجلة غير ملزمة برد البحث إلى صاحبه مطلقاً.
١٣- تؤول حقوق نشر البحوث والدراسات كاملة للمجلة.
١٤- تخضع أولويات نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية محضة ضمن اختصاصات هيئة التحرير.
١٥- يتحمل الباحث مسئولية إخلاله بالأمانة العلمية عن بحثه وما يترتب على ذلك.
١٦- يرفق الباحث أو الباحثون مع البحث نبذة تعريفية عن أنفسهم، تشمل: (التخصص الدقيق، والعنوان كاملاً، وأرقام الاتصالات السارية) بغرض التواصل معهم متى تطلب ذلك.

ملاحظة:

- يدفع الباحث أو الباحثون من داخل السودان مبلغ وقدره ٥٠٠جنيه سوداني ومن خارج السودان مبلغ ٥٠دولاراً أمريكياً.
- البحث المنشور بالمجلة يمثل رأي كاتبه، وليس بالضرورة أن يمثل رأي المركز.

محتويات العدد

اسم البحث	الباحث	الصفحة
كلمة العدد		ح
أركان قبول القراءة الصحيحة ووجه اعتبارها في قبول القراءة أو ردها	د. عبداللطيف عبدالله الحسن محمد	١
أثر ما قُرئ بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة ص	د. عبدالله بن موسى عبدالله الكثيري	٣١
منهج الإمام ابن سيده (ت: ٤٥٨ هـ) في التعامل مع القراءات في معجمه المحكم والمحيط الأعظم «دراسة قرائية لغوية»	د. عصام بن دخيل الله الحربي	٥٧
آيات الخفاء في القرآن الكريم	د. سمية حسين الفاضل الأمين	١٠١
مفهوم التقاعد عن الرواية وأسبابه عند المحدثين	د. سمية إبراهيم عبدالمعرف	١٤١
فيروس كورونا وأثره على أحكام الصلاة «دراسة فقهية»	د. فهد بن سريِّع بن عبد العزيز النغيمشي	١٦٥
دور العوامل التربوية والاقتصادية والاجتماعية في ظاهرة التسرب الدراسي (دراسة تطبيقية على مدارس حي الدباغة ـ محلية ودمدني الكبرى من وجهة نظر المعلمين)	د. خالد رحمة الله صالح عبد الله	٢٠٧
تدريب الدعاة الأفارقة على الخبرات والمهارات الدعوية المتقدمة	د. فاروق بابكر محمد د. محمد الطيب الصديق	٢٤٧
الريح والرياح في القرآن الكريم «دراسة دلالية»	د. حنان محمد أبوليدة	٢٧٥
تحقيق كتاب الزكاة من خلال فتاوى ابن نجيم	د. بلال محمد حمد	٣١٣
القيمة العلمية لمختصر جليل من كتاب معالم التنزيل للسيد محمد بن جرجيس القادري. ت ١٣٠٥هـ	الباحث / إبراهيم عزيز أحمد أحمد	٣٥١
إسهامات ودور الشيخ العبيد و الأسرة البدرية في تنمية مجتمع الطريقة بأم ضواً بان «دراسة اجتماعية وصفية تحليلية»	الباحث / محمد الطيب عبد المطلب	٤٠٣

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله وخاتم رسل الله أجمعين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه الكرام الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

أيها الباحثون الأماجد، والقراء الكرام .. تسعد أسرة مجلة تأصيل العلوم أن تزف إليكم العدد التاسع عشر (ب) ، وقد قررت هيئة تحرير المجلة اعتباراً من هذا العدد أن تكون جملة موضوعات المجلة اثني عشر بحثاً، وذلك بدلاً من عشر بحوث بالمجلة التي كان عليه سير المجلة سابقاً، كما خصصت المجلة المحور الأخير لبحوث الدراسات العليا التي تتفق مع شروط النشر بالمجلة. وهيئة تحرير المجلة تؤكد لكم كامل حرصها على المحافظة على جودة البحوث وصون سمعة المجلة وذلك بما يخدم رسالة التأصيل خاصة والبحث العلمي عامة، وفيما يلي إليكم بحوث العدد موزعة علي محاورها العلمية بالترتيب.

فجاء في **محور القرآن الكريم وعلومه** أربعة بحوث : فكان البحث الأول، بعنوان: (**أركان قبول القراءة الصحيحة ووجه اعتبارها في قبول القراءة أوردها**) كتبه **الدكتور/ عبد اللطيف عبد الله الحسن محمد**.

وكتب البحث الثاني **الدكتور /عبد الله بن موسى عبد الله الكثيري** بعنوان: (**أثر ماقُرئى بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى من أول سورة الأنبياء الي آخر سورة ص**).

والبحث الثالث في المحور بعنوان: (**منهج الإمام ابن سيده (ت: ٤٥٨ هـ) في التعامل مع القراءات في معجمه المحكم والمحيط الأعظم "دراسة قرائية لغوية"**) كتبه **الدكتور/ عصام بن دخيل الله الحربي**.

وأما البحث الرابع في المحور كتبته **الدكتورة / سمية حسين الفاضل الأمين** ، بعنوان: (**آيات الخفاء في القرآن الكريم**).

وجاء في **محور الحديث الشريف وعلومه**، بحث واحد تحت عنوان: (**مفهوم التقاعد عن الرواية وأسبابه عند المحدثين**) كتبته **الدكتورة/ سمية إبراهيم عبد المعروف**.

وكتب في **محور الفقه الإسلامي الدكتور/فهد بن سريع بن عبد العزيز النغيشي** بحثه بعنوان: (**فيروس كورونا وأثره على أحكام الصلاة "دراسة فقهية"**) .

وجاء في **محور العلوم التربوية** بحث واحد بعنوان: (**دور العوامل التربوية والاقتصادية والاجتماعية في ظاهرة التسرب الدراسي**) كتبه **الدكتور/ خالد رحمة الله صالح عبد الله**.

كما جاء في **محور الدعوة والتدريب** بحث واحد كتبه كل من **الدكتور/ فاروق بابكر محمد، والدكتور/ محمد الطيب الصديق** بعنوان: (**تدريب الدعاة الأفارقة على الخبرات والمهارات الدعوية المتقدمة**).

وكتب في **محور اللغة العربية الدكتورة/حنان أبو ليدة** تحت العنوان: (**الريح والرياح في القرآن الكريم"دراسة دلالية"**).

وجاء في **محور بحوث الدراسات العليا**، ثلاثة بحوث: حيث كتب البحث الأول **الباحث/ بلال محمد حمد** بعنوان: (**تحقيق كتاب الزكاة من خلال فتاوى ابن نجيم**).

وأما البحث الثاني كتبه **الباحث/ إبراهيم عزيز أحمد أحمد** بعنوان: (**القيمة العلمية لمختصر جليل من كتاب معالم التنزيل للسيد محمد جرجيس القادري"١٣٠٥هـ"**).

وأما البحث الثالث في المحور كتبه **الباحث/ محمد الطيب عبدالمطلب** ، تحت عنوان: (**إسهامات ودور الشيخ العبيد والأسرة البدرية في تنمية مجتمع الطريقة بأم ضوأبان "دراسة اجتماعية وصفية تحليلية"**).

وفي الختام يسعدني أن أشيد بمجهودات الباحثين الذين زينوا المجلة ببحوثهم القيمة كما يسعدني أن أهيب لرفدكم المجلة بالبحوث المؤصلة وأيضاً بآراء جميع الباحثين والقراء التي تساعد على التطوير المستمر للمجلة.

وختاماً تقبلوا تحياتي وتحيات هيئة التحرير وأسرة المجلة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

د. حامد إبراهيم علي محمد
عميد مركز تأصيل العلوم
رئيس هيئة تحرير المجلة

أركان قبول القراءة الصحيحة ووجه اعتبارها في قبول القراءة أو ردها

د. عبد اللطيف عبدالله الحسن محمد•

ملخـــــص

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على الضوابط التي وضعها علماء القراءات، فكانت ميزاناً يميز بين القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذة، وذلك ببيان حقيقة هذه الضوابط، ومرادهم منها، ثم بيان وجه اعتبارها في قبول القراءة، أو ردها، وبيان السبب الحامل لهم على عدم قبول القراءة إذا صح سندها لكنها خالفت خط المصحف، أو لم توافق وجهاً من وجوه اللغة العربية، وذلك لأهمية هذه الضوابط باعتبار أنها المقياس المعتبر في قبول القراءة، وبيان صحتها. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي، فكانت أهم من نتائج الدراسة التأكيد على حجية هذه الضوابط، واعتبارها في قبول القراءة، أو ردها، والوقوف على أسباب رد القراءة الصحيحة السند إذا خالفت خط المصحف، أو لم توافق وجهاً من وجوه اللغة العربية، كما أوصت الدراسة الباحثين، والمهتمين بالقراءات بدراسة تاريخ، ونشأة هذه الضوابط، والأطوار، والمراحل التاريخية التي مرت بها هذه الضوابط.

Abstract

This study aimed to find the rules set by the scholars of (alqira`at) recitation, the study was to distinguish between correct reading and abnormal reading, by stating the truth of these (rules); controls and explaining their consideration in accepting or rejecting the reading, and stating the reason for that If its (isnaad); chain of narrators is correct, but it violates the script of the Qur'an, or it does not agree with one of the aspects of the Arabic language, because of the importance of these controls as they are the considered criterion

• أستاذ مساعد بكلية القرآن الكريم – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

in accepting reading, and showing its validity. The study adopted the descriptive inductive method. The most important results of the study were: To confirm the authenticity of these controls, and consider them in accepting or rejecting the reading, and to find out the reasons for rejecting the correct reading of the(isnaad); chain of narrators if it contradicts the writing of the Qur'an, or does not agree with one of the aspects of the Arabic language. The study recommended to researchers and those who interested in the (alqira`at) recitation, readings to study the history and origins of these controls, phases, and the historical stages through which these controls went through.

مقدمـــــــة

الحمد لله الذي اختص هذه الأمة بإرسال خير رسله، وشرفها بإنزال أفضل كتبه، ثم الصلاة، والسلام على سيدنا محمد الرحمة المهداة، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإنّ هذا البحث عبارة عن دراسة لأركان القراءة الصحيحة، التي وضعها علماء القراءات، وجعلوها ضابطاً لقبول القراءة، وذلك لمعرفة وجه اعتبار هذه الأركان في قبول القراءة، أو ردها، ومدى هذا الاعتبار، حيث أصبحت تلك الأركان بعد أن اعتمدها العلماء ضابطاً، وميزاناً من خلاله تتميز القراءة الشاذة عن القراءة المتواترة، ويحكم على القراءة بالقبول، أو الرد، وبالصحة، أو الشذوذ.

وهذا البحث محاولة للإجابة عن بعض التساؤلات التي قد ترد على هذه الأركان، من حيث وجه اعتبارها، ومدى حجيتها، وما الحاجة لبقية الأركان الأخرى إذا ثبتت صحة القراءة.

أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق، والسداد، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من قرأه.

مشكلة البحث:

مشكلة البحث: أركان القراءة الصحيحة، ووجه اعتبارها في قبول القراءة، أو ردها.

أما حدود المشكلة فهي: ما وجه اعتبار هذه الأركان في قبول القراءة، وما وجه اعتبارها في رد القراءة.

أسئلة البحث:

يجيب هذا البحث عن السؤال التالي:

ما أركان القراءة الصحيحة وما وجه اعتبارها في قبول القراءة أو ردها؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما أركان القراءة الصحيحة؟
٢. ما وجه اعتبار هذه الأركان في قبول القراءة أو ردها؟
٣. ما وجه رد القراءة التي صح سندها إذا لم توافق القراءة الصحيحة الرسم أو وجهاً من وجوه العربية؟
٤. ما الفوائد والنتائج من هذه الدراسة؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة أركان القراءة الصحيحة، ووجه اعتبارها في قبول القراءة أو ردها، ويمكن تلخيص أهدافه في النقاط الآتية:

١- الوقوف على أركان القراءة الصحيحة.
٢- بيان وجه اعتبار هذه الأركان في قبول القراءة، أو ردها.

٣- وجه رد القراءة الصحيحة إذا لم توافق الرسم، أو وجه من وجوه العربية.

٤- استخلاص النتائج والفوائد من هذه الدراسة؛ للإفادة منها.

أهمية البحث:

تتلخص أهمية البحث في النقاط الآتية:

١- أركان القراءة الصحيحة هي الضابط والميزان الذي من خلاله تتميز القراءة الصحيحة عن القراءة الشاذة، وعلى أساسه تقبل القراءة أو ترد.

٢- البحث محاولة للإجابة عن بعض التساؤلات التي قد ترد على هذه الأركان، من حيث وجه اعتبارها، ومدى حجيتها، وما الحاجة لبقية الأركان الأخرى إذا ثبتت صحة سندها.

٣- يسهم البحث في تحقيق ضابط القراءة الصحيحة، وبيان أهميته.

أسباب اختيار البحث:

وتتخلص في النقاط الآتية :

١- أهمية أركان قبول القراءة الصحيحة باعتبار أن هذه الأركان هي الميزان والضابط في قبول القراءة أو ردها.

٢- دحض الشُّبه، وتوضيح بعض الإشكالات التي قد ترد على هذه الأركان.

٤- الإسهام في تحقيق ضابط القراءة الصحيحة، وبيان أهميته.

منهج البحث:

أولاً: المنهج العلمي :

يقوم الباحث في هذا البحث بدراسة أركان القراءة الصحيحة ووجه اعتبارها في قبول القراءة، أو ردها، بغية الوصول إلى النتائج، والفوائد من

هذه الدراسة، وقد اتبع الباحث فيه المنهج الوصفي والاستقرائي.

ثانياً: المنهج العملي:

اشتمل البحث على تمهيد ومقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تفاصيلها كما يلي :

تمهيد: وفيه بيان معنى الركن والشرط والضابط حسب اختلاف العلماء في مسمى مقياس القراءة، وبيان وجه كل تسمية من هذه التسميات، ثم توضيح المراد بمصطلح قبول القراءة عند القراء.

مقدمة: واشتملت على مشكلة البحث، وأسئلته، والموضوع، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: **وجاء بعنوان: المراد بأركان القراءة**، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني : **وعنوانه: نشأة هذه الأركان**، وفيه مطلبان.

المبحث الثالث: وهو بعنوان: **وجه اعتبار هذه الأركان في قبول القراءة أو ردها.**

الخاتمة: وشملت **النتائج والتوصيات.**

الدراسات السابقة:

أركان القراءة المقبولة د. أحمد محمد البريدي وفيه تناول الباحث أركان القراءة مبيناً المراد بها وأهميتها، أما هذه الدراسة فقد تفردت ببيان حجية ضوابط القراءة الصحيحة ووجه أو سبب اعتبارها في قبول القراءة أو ردها، إضافة إلى الوقوف على أسباب رد القراءة التي صح سندها ولم تستوف شرط موافقة المصحف أو شرط موافقة وجه من وجوه اللغة العربية.

تمهيـــــــد

وضع علماء القراءات أركاناً لقبول القراءة الصحيحة، ومن خلال تلك الأركان يتم التمييز بين القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذة، فهي بمثابة الضابط للقراءة المقبولة، والقراءة المردودة، وقد نظم ابن الجزري هذه الأركان بقوله:

١٤- فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْـهَ نَحْـوِ ،• وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

١٥- وَصَحَّ إِسْناداً هُوَ الْقُـرآنُ ،• فَهَـذِهِ الثَّلاَثَـةُ الأَرْكَـانُ

١٦- وَحَيثُمَا يَخْتَـلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ،• شُـذُوذَهُ لَوْ أَنَّـهُ فِي السَّبعَةِ[1]

فلا تقبل القراءة ولا تعتبر قراءة صحيحة إلا إذا توفر فيها هذا الضابط، وقد مر هذا الضابط بمراحل، وحصل حوله بعض الخلاف عبر أدوار التاريخ، حيث استقر الأمر أخيرا على أركان ثلاثة، اتفق على اثنين منها واختلف في الثالث، وسيأتي تفصيل هذا الخلاف لاحقاً في ثنايا هذا البحث، وهذه الأركان هي:

١- موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٢- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

٣- صحة السند[2].

وقد درج علماء القراءات على تسميتها ضوابط قبول القراءة، وبعضهم يسميها شروط، وبعضهم يطلق عليها أركان قبول القراءة.

معنى الركن لغة واصطلاحاً:

الركن في اللغة: من ركن، وركن كل شيء جانبه، وركن الإنسان قوته،

(١) متن طيبة النشر في القراءات العشر (ص: ٣٢)، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، تحقيق: محمد تميم الزغبي، الناشر: دار الهدى، جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات (ص٥١)، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

وشدته، وركن الرجل قومه وعشيرته[١].

والركن في الاصطلاح: الركن هو ما يتوقف عليه وجود الحكم، ويكون جزءًا في ماهيته، مثل القيام ركن في الصلاة[٢].

معنى الشرط لغة واصطلاحاً:

الشرط في اللغة: من الشرط وهو العلامة، وأشراط الساعة: علاماتها[٣]، والشرط في الاصطلاح: هو ما يتوقف وجود الحكم وجودًا شرعيًّا على وجوده، ويكون خارجًا عن حقيقته، ويلزم من عدمه عدم الحكم[٤].

معنى الضابط لغة واصطلاحاً:

الضابط لغة: اسم فاعلٍ من ضبط، وضبط الشيء: حفظه بالحزم. والرجلُ ضابطٌ، أي حازمٌ، والأَضْبَطُ: الذي يعمل بكِلْتا يديه[٥].

والضابط في الاصطلاح: الأمر الكلي ينطبق على جزئيات، مثل قولهم: كل أذون ولود، وكل صموخ[٦] بيوض[٧].

فمن سماها ضوابط فذلك باعتبار أنها قاعدة لقبول القراءة تتكون من شروط أو أركان، ومن سماها شروطاً أو أركاناً، فبالنظر إلى أن الركن

(١) لسان العرب (١٣/ ١٨٥)، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ ه،ـ الناشر: دار صادر – بيروت.

(٢) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (١/ ٤٠٤)، للأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا.

(٣) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٥٢٥)، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (١/ ٤٠٣) محمد مصطفى الزحيلي.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١١٣٩)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، لطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.

(٦) المراد به الصماخ، وهو خَرْقُ الأُذُن الباطِنُ الّذي يُفضي إلى الرأس، أي الأذن الوسطى.
انظر: تاج العروس من جواهر القَاموس(٧/ ٢٩٣)، محَمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٧) موسوعة القواعد الفقهية (١/ ٢٠)، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

والشرط يتفق كل منهما في أنه يتوقف عليه وجود الحكم أو عدمه، إلا أنّ الركن داخل في الماهية، والشرط خارج عن الماهية.

المراد بقبول القراءة:

المراد بقبول القراءة هنا هو: الحكم بقرآنيتها، وجواز القراءة بها في الصلاة وخارجها؛ لأنه قد يرد لفظ القبول في كلام الأئمة ولا يراد به ذلك، وإنما يعنون بقبول القراءة هو قبولها في تفسير النصوص، واستنباط الأحكام، والعمل بمدلولها، وقبولها أيضًا في القضايا اللُّغوية، لكنه لا يقرأ بها.

ويبين ذلك ما حكاه مكي بن أبي طالب حيث قال: (فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من القراءات الآن، فيقرأ به؟ وما الذي لا يقبل، ولا يقرأ به؟ وما الذي يقبل، ولا يقرأ به؟

فالجواب: إن جميع ما روي من القراءات على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال، وهي: أن ينقل عن الثقات إلى النبي "صلى الله عليه وسلم". ويكون وجهه في العربية، التي نزل بها القرآن شائعاً. ويكون موافقاً لخط المصحف.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قريء به، وقطع على مغيبه صحته وصدقه؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده.

والقسم الثاني: ما صح نقله في الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل، ولا يقرأ به لعلتين:

إحداهما: إنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والعلة الثانية: إنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، وبئس ما صنع إذ جحده.

والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف)[1].

المبحث الأول
المراد بأركان قبول القراءة
المطلب الأول
موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه

قال الإمام ابن الجزري موضحاً هذ الضابط: (وقولنا في الضابط ولو بوجه نريد به وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه، أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية)[2].

ويفهم من كلام ابن الجزري، الذي نقله عن المحققين من الأئمة، أنّه يكتفى في شرط موافقة اللغة العربية أن تكون القراءة موافقة لأيّ وجه من وجوه العربية، بحيث لا تخرج عما هو معروف من أساليب اللغة العربية، ولا تشذ عما هو مألوف منها شذوذاً بيناً واضحاً، حتى ولو كان هذا الوجه وجهاً ضعيفاً، فإنَّ الأصل في القراءة أن تكون حاكمة على قواعد اللُّغة، لا أن تكون قواعد اللغة حاكمة على القراءة، كما قال الإمام الداني: (وأئمة

(١) الإبانة عن معاني القراءات (ص: ٥٢)، مكي بن أبي طالب.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ١٠)، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصحّ في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة؛ لأن القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها)[1].

فكم من قراءة أنكرها بعض أهل اللغة، أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها[2].

قال أبو زهرة: (ليس معنى ذلك أن تكون أقوال النحويين حاكمة على القرآن بالصحة، فإنّه هو الحاكم عليهم، وهو أقوى حجج النحويين في إثبات ما يثبتونه ونفي ما ينفون، ولكن معنى ذلك ألا يكون فيه ما يخالف الأسلوب العربي في مفرداته، وفي جمله وتراكيبه)[3].

ذلك أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فيبعد أن يخالف أسلوبه ماهو معهود من أساليب العرب، ومناحيهم في بناء الكلام وصياغة الأسلوب، لكن الاختلاف في بعض الأوجه النحوية لا يضر إذا ثبت صحة سند لقراءة، فالمراد من اشتراط هذا الركن الاحتياط، والاستيثاق لقبول القراءة.

المطلب الثاني

موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً

والمقصود بذلك أن توافق القراءة ما كان ثابتاً في أحد المصاحف العثمانية دون بعضها، فلا يشترط الموافقة في جميع المصاحف، مثل قراءة عبدالله بن عامر في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدا سُبحَانَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ

(١) جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٨٦٠)، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ١٠) ابن الجزري.

(٣) المعجزة الكبرى القرآن (ص٤٧)، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، فإنّه قرأ: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾ بغير واو، فإن حذف الواو ثابت في المصحف الشامي، وموافقة القراءة لرسم المصحف قد تكون تحقيقاً، وهو الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديراً، وهو الموافقة احتمالاً، فالموافقة الصريحة نحو قوله تعالى: ﴿أنصار الله﴾ ، و﴿نادته الملائكة﴾ ، و﴿يغفر لكم﴾ ، و﴿يعلمون﴾ ، ﴿وهيت لك﴾ ، وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً، ويوافق بعضها تقديراً نحو: ﴿مالك يوم الدين﴾ ، فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً كما كتب ﴿ملك الناس﴾ ، وقراءة الألف محتمله تقديراً كما كتب ﴿مالك الملك﴾ فتكون الألف حذفت اختصاراً[1].

وأما ضابط المخالفة المعتبرة في رد القراءة، وعدم قبولها، فقد بين ذلك الإمام ابن الجزري بقوله: (واعلم أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك، لا يعد مخالفاً إذا أثبتت القراءة به ووردت مشهورة.

ألا ترى أنهم لا يعدون إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء ﴿تَسۡـَٔلۡنِي﴾ بالكهف، وقراءة ﴿وأكون من الصالحين﴾ ونحو ذلك من مخالفة الرسم المعهود؛ لرجوعه لمعنى واحد، وتمشية صحة القراءة وشهرتها بخلاف زيادة كلمة أو نقصانها وتقديمها وتأخيرها، حتى ولو كانت حرف معنى، فإنّ له حكم الكلمة، لا يسوغ مخالفة الرسم فيه، وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته)[2].

فالمعتبر في مخالفة القراءة للرسم إنّما هو بزيادة كلمة أو نقصانها أو تقديمها أو تأخيرها قال الإمام أبو شامة: (وأما ما يرجع إلى الهجاء وتصوير

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١١) ابن الجزري.
(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ١٢)، ابن الجزري.

الحروف، فلا اعتبار بذلك في الرسم، فإنّه مظنة الاختلاف، وأكثره اصطلاح، وقد خولف الرسم بالإجماع في مواضع من ذلك، كالصلاة والزكاة والحياة، فهي مرسومات بالواو ولم يقرأها أحد على لفظ الواو، فليكتفى في مثل ذلك بالأمرين الآخرين، وهما صحة النقل والفصاحة في لغة العرب)[1].

المطلب الثالث

صحة السند

قال ابن الجزري موضحاً هذا الركن: (وقولنا: وصح سندها، فإنّا نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم)[2].

ويعني بذلك أن ترد القراءة بسند متصل ويتصف راويها بالعدل والضبط، وهي عين الشروط التي اشترطها المحدثون ليصل الحديث إلى مرتبة الصحيح، ولا شك أنها من أوثق شروط صحة الخبر، والوصول به إلى أعلى مراتب الصحة، لكن علماء القراءات لم يكتفوا باتصال السند، واتصاف الراوي بالعدالة والضبط، بل أضافوا إلى ذلك أمرين هما:

١- اشتهار القراءة عند أئمة القراءات الضابطين.

٢- ألا تكون القراءة شاذة أو معدودة في الغلط[3].

ويستنتج من ذلك أنّ القراءة حينما تصل مرتبة الصحة، فإنّها تكون قد استوفت أدق وأوثق شروط القبول، مما يجعلها في درجة عالية من الوثوق.

(١) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ١٧٣)، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : ٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، الناشر : دار صادر – بيروت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ١٣)، ابن الجزري.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٤١)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وقد اختلف العلماء في هذا الركن، فمنهم من اكتفى بصحة السند، ومنهم من اشترط التواتر، ولم يكتف بصحة السند، ففي المسألة قولان:

القول الأول: مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين، والقُرَّاء على أنّ التواتر شرط في صحة القراءة، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر، ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية، وقالوا إنّ عدم اشتراط التواتر في ثبوت القرآن قول حادث لإجماع الفقهاء، والمحدثين، وغيرهم، ولم يخالف من المتأخرين إلا مكي، وتبعه بعض المتأخرين، وقالوا لا يقدح في ثبوت التواتر اختلاف القراءة فقد تتواتر القراءة عند قوم دون قوم[1].

القول الثاني: الاكتفاء بصحة السند دون التواتر، وإليه ذهب مكي بن أبي طالب، والجعبري، وأبو شامة، وابن الجزري، وغيرهم من أئمة القراءات، قال ابن الجزري: (فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وجب قبوله وقطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم خالفه وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم وقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف)[2].

فأصحاب القول الأول يشترطون التواتر، والتواتر كما هو معلوم عند علماء الحديث هو: ما رواه (عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم على الكذب رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء وكان مستند انتهائهم الحس وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه)[3]، ولا

(١) غيث النفع في القراءات السبع (ص: ١٤)، الصفاقسي.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ١٣)، ابن الجزري.

(٣) شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢١)، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى:

شك أنّ أيّ خبر وصل بهذه الصفة وبهذه الكيفية، لا يشك أحد، ولا يرتاب في صحته، وقبوله، فإذا وردت القراءة عن طريق التواتر الذي يفيد العلم القطعي[١]، وجب قبولها وقطع بكونها قرآناً، سواء وافقت الرسم أم خالفته؛ لأنّ الخبر المتواتر يفيد العلم الضروري[٢]، فلا يحتاج بعد ذلك إلى ما يعضده بخلاف الرواية التي بلغت مرتبة الصحة، فقط فإنّ مرتبة الصحة مع قوتها ووثوق درجتها، أضاف إليها علماء القراءات، قرينة موافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه العربية، وخبر الآحاد عند علماء الحديث إذا احتفت به القرائن فإنه يفيد العلم اليقيني[٣].

المبحث الثاني
نشأة هذه الأركان
المطلب الأول
بداية ظهور هذه الأركان

تزامن نشوء هذه الأركان مع ظهور فكرة تحديد القراءات، منذ القرن الثالث الهجري، بعد أن نشطت حركة التدوين في القراءات، وذلك لما كثر القراء وكثرت الروايات عنهم، وأوشك أن يدخل الاضطراب في القراءات[٤].

١٠١٤هـ)، قدم له: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم – لبنان / بيروت.

(١) تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة (ص: ٥٦)، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ت الرحيلي (ص: ١٩٧)، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، الناشر: مطبعة سفير بالرياض.

(٣) شرح نخبة الفكر للقاري (ص: ٢١٥)، علي الملا الهروي القاري.

(٤) صفحات في علوم القراءات (ص: ٤٢)، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، الطبعة: الأولى– ١٤١٥ هـ، الناشر: المكتبة الأمدادية.

قال ابن الجزري – رحمه الله – (ثم إنَّ القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ[1]، بأصول أصلوها، وأركان فصلوها، وها نحن نشير إليها ونعول كما عولوا عليها)[2].

فكان المؤلفون في القراءات بعد ذلك حين جمعهم للقراءات، يسبعون القراءات، ويثمنونها، ويسدسونها، يبنون تأليفهم وفق هذه الأركان حتى أصبحت تلك الأركان ضابطاً من الضوابط المجمع عليها لقبول القراءة وردها إن اختل أحد تلك الضوابط، فأصبحت الميزان في التمييز بين القراءة المتواترة والقراءة الشاذة، فمنهم من كان ينص على هذه الأركان، ومنهم من أخذت هذه الأركان من خلال تتبع منهجه في جمع القراءات، كما فعل الإمام ابن مجاهد في كتابه السبع في القراءات، فإنه عند جمعه لهذه القراءات التزم بتلك الضوابط، وإن لم ينص عليها لكنها أخذت من مواقفه في حياته مع بعض القراء المبتدعين، والمقرئين بالقراءات الشاذة، ومن منهجه في كتابه السبعة[3].

(١) الفاذ من فذ والفَذُّ: الفَرْدُ والوَاحِدُ، وفَذَّ الرجلُ عَن أَصحابه، إذا شَذَّ عَنهم وبَقِيَ مُنْفَرِداً فالمقصود بالفاذ هنا الوجه الشاذ. انظر: العين (٨/ ١٧٧)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عَمرو بن تميم الفراهيدي البَصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٩)، ابن الجزري.

(٣) صفحات في علوم القراءات (ص: ٤٧) د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السند.

فركن صحة السند أخذ من موقفه مع معاصر له، ومقرئ معروف، وهو محمد بن الحسن المعروف بابن مِقسَم العطار، المتوفى سنة ثلاثمائة وأربع وخمسين هجرية، الذي كان يزعم جواز الاجتهاد في القراءات، فكل قراءة صح لها وجه في العربية، ووافقت رسم المصحف العثماني، جاز القراءة بها -عنده- في الصلاة وغيرها، ولو لم يكن لها سند ولم ينقلها أحد، ومن ذلك قراءته في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ قرأها "نجباء"، وكان يذكر لها وجهًا بعيدًا مع كونها لم يقرأ بها أحد، وقد رفع ابن مجاهد أمره إلى الحكام، وعُقد له مجلس حضره القضاة والقراء؛ فأذعن بالتوبة من بدعته، واستوهبه ابن مجاهد من ولاة الأمر ببغداد، فلم يوقعوا به أذى[1].

وشرط مطابقة خط المصحف العثماني أخذ ذلك من موقفه مع قارئ آخر، وهو المعروف بابن شنبوذ، المتوفى سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين هجرية، الذي كان يعتمد شواذ القراءات، يقرئ بها، ويقرأ بها في الصلوات وغيرها، رغم مخالفتها لخط المصحف العثماني، فاشتهر أمره، فحاول ابن مجاهد أن يرده إلى جادة الصواب؛ لكنه لم يتوقف عن ذلك، فرفع أمره إلى أبي علي بن مقلة الوزير حينئذ، فاستدعاه وأحضر القضاة، والفقهاء، والقراء -وفي مقدمتهم ابن مجاهد- وذلك في سنة ثلاثمائة، وثلاث وعشرين هجرية، فحكم عليه بالعقوبة، فضُرب وحُبس؛ فأعلن توبته.

وموافقة القراءة لوجه من وجوه العربية، أخذ ذلك من منهجه في كتابه السبعة؛ حيث إنه يرد بعض القراءات، ويرفض صحتها وجواز القراءة بها؛ لأنّها لا توافق العربية[2].

ومن العلماء الذين نصّوا على هذه الأركان:

(١) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٥٥، ٤٥) ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

(٢) المصدر نفسه، (ص: ٤٧) غاية النهاية.

١- الإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ثلاثمائة وعشر هجرية، في كتابه (القراءات)، نقل ذلك عنه مكي بن أبي طالب في كتابه الإبانه[١].

٢- أحمد بن عمار المهدوي المتوفى عام أربعمائة وثلاثين هجرية، فيما نقله عنه السيوطي[٢].

٣- مكي بن أبي طالب المتوفى سنة أربعمائة وسبع وثلاثين هجرية في كتابه الإبانة عن معاني القراءات[٣].

٤- أبو عمرو الداني المتوفى سنة أربعمائة وأربع وأربعين هجرية في كتابه جامع البيان في القراءات السبع ، كما نقل ذلك عنه السيوطي[٤].

٥- السخاوي في كتابه جمال القراء وكمال الإقراء[٥].

٦- ابو شامة المتوفى سنة ستمائة وخمس وستين هجرية، في كتابه المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز[٦].

٧- الكواشي الموصلي المتوفى سنة ستمائة وسبعين هجرية، نقل ذلك عنه السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن[٧].

٨- ابن الجزري المتوفى سنة ثمانمائة وثلاث وثلاثين هجرية، في كتابه النشر في القراءات العشر[٨]، وفي كتابه منجد المقرئين[٩].

(١) الإبانة (ص٥٣)، مكي بن أبي طالب.
(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/١٦٤)، جلال الدين السيوطي.
(٣) الإبانة (ص٩٠)، مكي بن أبي طالب.
(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/١٦٤)، جلال الدين السيوطي.
(٥) جمال القراء وكمال الإقراء(ص٥٢٢)، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت.
(٦) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ١٧١)، أبو شامه المقدسي.
(٧) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٧٦)، جلال الدين السيوطي.
(٨) النشر في القراءات العشر (١/٩)، ابن الجزري.
(٩) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص: ١٨)، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م، الناشر: دار الكتب العلمية.

٩- علي بن محمد الصفاقسي المتوفى سنة ألف ومائة وثمانية عشر هجرية في كتابه غيث النفع في القراءات السبع [١].

المطلب الثاني

تطور أركان القراءة

التثبت فيما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ في وقت مبكر، وذلك للوقوف على صحة النقل من خلال الوقوف على صدق الناقل وضبطه، حيث وضع العلماء ضوابط وشروط في الراوي والمروي، بغية الوصول إلى صحة الخبر، من خلال صحة السند، والتي تكون بعدالة الراوي وحسن ضبطه، وعلى هذا الأساس كان علماء القراءات يشترطون صحة السند، ثم أضافوا إلى ذلك شروطاً أخرى تقويها وتعضدها، حملهم على ذلك الدقة في النقل، والتحري في الوصول إلى القراءة الصحيحة، إضافة إلى تعضيد القراءة بما يقويها من ضوابط.

مرت هذه الأركان الموضوعة لقبول القراءة بعدة أطوار، حتى وصلت إلى صياغتها النهائية المتفق عليها عند علماء القراءات، فمن أوائل الذين صرحوا بهذه الأركان الإمام الطبري المتوفى سنة ثلاثمائة وعشر هجرية، في كتابه القراءات حيث ذكر شرطين هما:

١- صحة السند .

٢- موافقة خط المصحف[٢].

ثم لما ظهرت فكرة تفريد القراءات، وتحديدها بسبع قراءات، أو ثمان، أو ست، ونحو ذلك، اعتمد المؤلفون في اختيارهم ذلك على الأركان التالية:

(١) غيث النفع في القراءات السبع (ص١٤)، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات، (ص ١٠)، مكي بن أبي طالب.

١- قوة وجه القراءة في العربية.
٢- موافقتها لرسم المصحف العثماني.
٣- اجتماع العامة عليها.

والمقصود من العامة عندهم: أهل الحرمين، أو أهل المدينة والكوفة. وربما جعلوا الاختيار لما اتفق عليه: نافع وعاصم؛ لأن قراءتهما أوثق القراءات وأصحها سندًا، وأفصحها في العربية، ويتلوهما في الفصاحة قراءة أبي عمرو والكسائي[١].

ثم تطور هذا المقياس الضابط للتفرقة بين القراءة الصحيحة وغيرها إلى ما يلي:

١- صحة السند.
٢- موافقة العربية.
٣- موافقة رسم المصحف العثماني.

وعلى ضوء هذا المقياس قسموا القراءات إلى:

١- صحيحة: وهي ما توافرت فيها الشروط المذكورة.
٢- غير صحيحة: وهي ما اختل فيها ركن من الأركان الثلاثة المذكورة.

ثم تطور هذا المقياس إلى شيء من التوسع في الشرطين: الثاني والثالث، فجاءت الشروط -كما ذكرها ابن الجزري -هكذا:

١- أن تكون القراءة صحيحة السند.
٢- أن توافق العربية ولو بوجه.
٣- أن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا[٢].

وذكر الدكتور عبدالهادي الفضلي: أن أقدم مقياس وقف عليه هو

(١) الإبانة عن معاني القراءات، (ص: ٨٩)، مكي بن أبي طالب.
(٢) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف (ص٥١٩)، د. عبدالهادي الفضلي، الطبعة الثالثة، دار القلم – بيروت.

مقياس ابن مجاهد، المتوفى عام ثلاثمائة وأربع وعشرين هجرية، ثم تلاه مقياس ابن خالويه، المتوفى عام ثلاثمائة وسبعين هجرية، فمقياس مكي بن أبي طالب المتوفى عام أربعمائة وسبع وثلاثين هجرية، ثم مقياس الكواشي، المتوفى عام ستمائة وثمانين هجرية، وأخيراً مقياس ابن الجزري، المتوفى عام ثمانمائة وثلاث وثلاثين هجرية، والذي استقر عليه عرف القراء حتى اليوم[1].

وقد تقدم ما نقله مكي بن أبي طالب في كتابه الإبانة عن الطبري، المتوفى سنة ثلاثمائة وعشر هجرية في كتابه القراءات، وبذلك يكون الطبري مشاركاً لابن مجاهد في أقدمية وضع مقياس قبول القراءات، فكلاهما من علماء القرن الثالث والرابع الهجري.

وذهب ابن مقسم إلى عدم اشتراط السند، والاكتفاء بموافقة رسم المصحف في ثبوت القراءة، وخالف ابن شنبوذ في اشتراط مطابقة الرسم، وكان ذلك في عهد ابن مجاهد، ولكن لم يكتب لهما البقاء؛ لعدم اشتراط مطابقة الرسم عند ابن شنبوذ، ولعدم اشتراط صحة السند عند ابن مقسم[2].

وعلى نحو هذه الشروط خطى علماء الأمة والمؤلفون في علم القراءات، حتى صارت اجماعاً من الأمة على هذه الأركان ضابطاً لقبول القراءات.

(١) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف (ص١٢٥) د. عبدالهادي الفضلي.
(٢) المصدر نفسه (ص١٢٥).

المبحث الثالث

وجه اعتبار هذه الأركان في قبول القراءة أو ردها

هذه الأركان معتبرة في قبول القراءة، وهي أيضاً معتبرة في رد القراءة إن لم تتوفر فيها، بل هي حجة في اعتبار القراءة وصحتها، وهذا فيما يتعلق بالقراءة التي لم تصل حد التواتر، فإنّها لا تحتاج إلى هذه الضوابط، قال الطاهر بن عاشور: (وهذه الشروط الثلاثة هي شروط قبول القراءة إذا كانت غير متواترة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن كانت صحيحة السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها لم تبلغ حد التواتر فهي بمنزلة الحديث الصحيح، واما القراءة المتواترة فهي غنية عن هذه الشروط؛ لأن تواترها يجعلها حجة في العربية ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف)[1]، فالقراءة إذا ثبتت عن طريق التواتر فهي تفيد العلم القطعي فلم يتطرق الشك إلى قرآنيتها، واستغنت عما يعضدها من موافقة وجوه اللغة أو خط المصحف.

أما وجه اعتبار هذه الأركان في قبول القراءة أو ردها فهو:

١- إجماع الأمة على اعتبار هذه الأركان، وكونها ضابطاً في قبول القراءة، ولا شك أنّ إجماع الأمة حجة معتبرة وهو أحد مصادر التشريع، ومن الأدلة الشرعية المتفق عليها كما هو مقرر في أصول الفقه، قال مكي بن أبي طالب: (إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف سيدنا عثمان -رضي الله عنه- الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطرح ما سواه مما يخالف خطه،

(١) التحرير والتنوير (١ /٥٣)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

فقرئ بذلك لموافقة الخط لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان "رضي الله عنه"، وبعث بها إلى الأمصار، وجمع المسلمين عليها، ومنع من القراءة بما خالف خطها، وساعده على ذلك زهاء اثنى عشر ألفا من الصحابة والتابعين، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند العلماء جميعهم بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت)[1]. ولا شك أن إجماع الأمة وحده على اعتبار هذه الضوابط كفيل بأن يعطيها الصبغة الشرعية، ويؤكد حجيتها في قبول القراءة أو ردها.

٢- أن هذه الضوابط ترقى أن تنزل منزلة التواتر المفيد للعلم القطعي، وقد تقدم أنّ خبر الآحاد عند علماء الحديث إذا احتفت به القرائن فإنّه يفيد العلم اليقيني[2]، وذلك أن القراءة إذا صح سندها ولم يثبت تواترها فإنه إذا ساعدها موافقة خط المصحف وموافقة وجه من وجوه اللغة، فإنها قرائن قوية تجعل القراءة في منزلة القراءة المتواترة، قال الشيخ الزرقاني: (إن هذه الأركان الثلاثة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة بيان هذه المساواة أن ما بين دفتي المصحف متواتر ومجمع عليه من هذه الأمة في أفضل عهودها وهو عهد الصحابة فإذا صح سند القراءة ووافقت عليه قواعد اللغة ثم جاءت موافقة لخط المصحف المتواتر كانت هذه الموافقة قرينة على إفادة هذه الرواية للعلم القاطع وإن كانت آحاداً)[3]، ولذلك وضع علماء القراءات هذه الضوابط للقراءة صحيحة السند، ولم تبلغ درجة التواتر؛ لتكون

(١) الإبانة عن معاني القراءات (ص: ٣٢) ، مكي بن أبي طالب.

(٢) شرح نخبة الفكر للقاري (ص: ٢١٥) الملا علي الهروي القاري.

(٣) مناهل العرفان (١ /٤٢٧)، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الطبعة: الطبعة الثالثة، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

بمثابة القرائن التي ترقى بها إلى التواتر، ولزيادة الاستيثاق للقراءة.

٣- تقدم أنّ المراد بصحة السند -وهو أحد الأركان الثلاثة- أن ترد القراءة بسند متصل ويتصف راويها بالعدل والضبط، وهي عين الشروط التي اشترطها المحدثون ليصل الحديث إلى مرتبة الصحيح، ولا شك أنّها من أوثق شروط صحة الخبر، والوصول به إلى أعلى مراتب الصحة، فوصف القراءة بصحة السند، يعني ذلك أن القراءة وصلت بسند رجال متصفون بالعدالة، والضبط فيما رووه، فكان صحة السند أولى هذه الضوابط بأن يكون شرطاً لقبول القراءة.

٤- أن المصاحف العثمانية كتبت وفق ما استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كما أنها كتبت في عهد عثمان -رضي الله عنه- بإجماع من الصحابة قال علي -رضي الله عنه-: (لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا)[١]، وبناءً على هذا الإجماع أجمع العلماء المعتبرون على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها، قال ابن الجزري: (أجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن)[٢]، وقال أيضاً: (كتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به غير واحد من السلف)[٣]، كما قال -رحمه الله- مبيناً حكم القراءة التي صح نقلها عن الآحاد ووافقت العربية لكنها خالفت خط المصحف: (واختلف العلماء في جواز القراءة بذلك في

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/١٣١)، جلال الدين السيوطي.
(٢) النشر في القراءات العشر، (١/٧)، ابن الجزري.
(٣) المصدر نفسه (١/٨).

الصلاة، فأجازها بعضهم لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بهذه الحروف في الصلاة، وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد. وأكثر العلماء على عدم الجواز، لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني)[1]، وعلى ضوء ما سبق فإنّ المصاحف القرآنية التي كتبت في عهد عثمان –رضي الله عنه–، تعتبر مقياسا مهما لقبول القراءة، فكل قراءة لم ترد في تلك المصاحف فهي شاذة؛ لكتابة تلك المصاحف وفق العرضة الأخيرة، والتي تعتبر ناسخة لكل قراءة أسقطت من تلك العرضة، ولإجماع الصحابة ثم من بعدهم التابعين وعلماء الأمة المعتبرين على خط المصاحف، وهذا يعتبر حجة قوية في كون تلك المصاحف حاكمة على كل قراءة بالقبول أو الرد، علق الدكتور القارئ على قول ابن الجزري المتقدم بقوله: (هذا مقتضى التحقيق لأن بعض أفراد الأحرف السبعة نسخت تلاوته في العرضة الأخيرة، فلم يقرئ به رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعدها فلا يعتبر بعد ذلك قرآناً ولذا لم يكتب في المصاحف العثمانية لأن عثمان رضي الله عنه، ورهطه رضوان الله عليهم كانوا يتحرون كتابة ما ثبت في العرضة الأخيرة ... والحق الذي يعرفه كل محقق، أن ما أثبت في هذه العرضة من أحرف القرآن، والذي يمثل الصيغة الكاملة الأخيرة للقرآن قد كتب كله في المصاحف العثمانية، ولم يترك منه شيء)[2].

(١) المصدر نفسه (١/ ١٤).

(٢) حديث الأحرف السبعة، دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية ص ١٢٣ – ١٢٤، د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، العدد الأول ١٤٠٢ هـ.

٥- بما أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فمن الطبيعي أن تكون أساليبه موافقة للغة العربية، بحيث لا تخرج عما هو معروف من أساليب العرب ومناحيهم في الكلام، ولا تشذ عما هو مألوف منها، ويلزم من ذلك أن كل قراءة لم تصل حد التواتر ولم توافق وجهاً من وجوه اللغة العربية ولو ضعيفاً فهي شاذة؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- أخبر أنه أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وعلى أساس ذلك كان اشتراط موافقة القراءة للغة العربية ولو بوجه أحد الضوابط المعتبرة في قبول القراءة أو ردها.

إذاً فهذه الضوابط حجة معتبرة في قبول القراءة أو ردها كما تقدم، لكن يبقى السؤال القائم، وهو إذا وردت القراءة بسند صحيح لا يرقى لحد التواتر، ولم توافق خط المصحف، أو لم توافق وجهاً من وجوه اللغة العربية، فلِم ترد هذه القراءة مع ثبوت صحة سندها، علماً بأنّ صحة السند تعني اتصال السند، مع ضبط الراوي وعدالته، وهي من أوثق شروط الصحة عند المحدثين؟

صحيح أن صحة السند تعني صحة ورود القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك السند، لكن ذلك وحده لا يكفي في ثبوت القراءة للأسباب التالية:

١- أن الأصل في ثبوت القرآن الكريم التواتر، فكل قراءة ثبتت عن طريق خبر الآحاد لا يقرأ بها؛ لأنه لا يثبت قرآن بخبر الواحد؛ ولأنها مخالفة لما أجمع عليه في شروط قبول القراءة[1].

٢- ثبوت الاجماع في كون هذه الأركان مقياس للقراءة الصحيحة كما مضى، والإجماع حجة معتبرة.

(١) الإبانة عن معاني القراءات (ص: ٥٢)، مكي بن أبي طالب.

٣- أنّ كل قراءة خالفت خط المصحف، فهي مردودة بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم على خط مصحف سيدنا عثمان -رضي الله عنه-، ولأن المصاحف كتبت على العرضة الأخيرة، وفيها نسخت قراءات كثيرة وطرحت[١].

الخاتمـــــــــــة

أولاً: النتائج:

١- لمصطلح قبول القراءة إطلاقان: فيطلق ويراد به ثبوت قرآنية القراءة، وجواز القراءة بها في الصلاة، وخارجها، والعمل بها، ويطلق أيضاً ويراد به أن تكون القراءة مقبولة في تفسير النصوص، واستنباط الأحكام، والعمل بها دون القراءة بها في الصلاة، أو التعبد بقرآنيتها.

٢- رجحان قول من قال باشتراط صحة السند في ضوابط قبول القراءة دون اشتراط التواتر لقوة أدلة القائلين باشتراط صحة السند.

٣- أقدم المقاييس لقبول القراءة الصحيحة هو مقياس الطبري وابن مجاهد، غير أنه يصعب الجزم بتحديد الأسبق منهما لأنهما عاشا في قرن واحد.

٤- ثبوت حجية أركان قبول القراءة الصحيحة، وأنها معتبرة في قبول القراءة؛ للإجماع عليها.

٥- الوقوف على الأسباب التي من أجلها ردت القراءة إذا صح سندها، ولم توافق خط المصحف، أو لم توافق وجها من وجوه اللغة العربية.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث الباحثين، والمهتمين بالقراءات، وعلوم القرآن، بدراسة تاريخ نشأة ضوابط قبول القراءة الصحيحة، والمراحل والأطوار التي مرت بها هذه الضوابط عبر مسيرتها العلمية.

(١) النشر في القراءات العشر (١/١٤)، ابن الجزري.

قائمة المصادر والمراجع

١ القرآن الكريم – مصحف المدينة النبوية – طباعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.

٢ الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب حموش القيسي، تحقيق: الدكتور عبدالفتاح إسمعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٣ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٥ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٦ تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٧ جامع البيان في القراءات السبع ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات.

٨ جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)،

تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت.

٩ حديث الأحرف السبعة، دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية ص ١٢٣ – ١٢٤، د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، العدد الأول ١٤٠٢ هـ.

١٠ شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، قدم له: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم – لبنان / بيروت.

١١ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، لطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.

١٢ صفحات في علوم القراءات ، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، الطبعة: الأولى– ١٤١٥ هـ، الناشر: المكتبة الأمدادية.

١٣ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٤ غاية النهاية في طبقات القراء (٢ / ٤٥،٥٥) ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

١٥ غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٦ القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، د. عبدالهادي الفضلي، الطبعة الثالثة، دار القلم – بيروت.

١٧ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ ه، الناشر: دار صادر – بيروت.

١٨ متن «طيبة النشر» في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، تحقيق: محمد تميم الزغبي، الناشر: دار الهدى، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٩ مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٠ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : ٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، الناشر : دار صادر – بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٢١ المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.
٢٢ مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الطبعة: الطبعة الثالثة، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٣ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، الناشر: دار الكتب العلمية.
٢٤ موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٢٥ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، الناشر: مطبعة سفير بالرياض.
٢٦ النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى.
٢٧ الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، لأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا.

أثر ما قرئ بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى

من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة ص

د. عبدالله بن موسى عبدالله الكثيري•

ملخص

يحتوي هذا البحث على حصرٍ واستقراء، وجمع ودراسة مَا قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة، وبيان أثره في المعنى، (من أول القرآن إلى آخره)، وجاء بعنوان: "أثر ما قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى، من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة ص، جمعاً ودراسة".

وجاء البحثُ في مقدِّمة، وقسمين، وخاتمة تضمَّنت أهم النتائج والتوصيات، وفهرس للمصادر والمراجع.

القسم الأول: يشتمل على مبحثين، والقسم الثاني: هو جمع ودراسة ما قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة ص.

Abstract

This research encompasses limitation, induction extrapolation, collection and studying of what has been read by the combination from the frequent (qira't); recitations, and stating its effect on meaning, from the beginning of (surah); chapter Al-Anbiya <to the end of (surah); chapter Sa'd, collection and studying. The research included an introduction, two parts, and a conclusion that included the most important findings and recommendations, and an index of sources and references. The first section: includes two topics, the second section: is the collection and study of what has been read by combination from the frequent readings from the beginning of(surah) al-Anbiya to the end of Surah Sa'd.

• الأستاذ المشارك في قسم القراءات – جامعة أم القرى .

مقدمـــــــــة

الحمد لله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأرسل رسوله بالهدى وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً مبيناً، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستنَّ بسنته إلى يوم الدِّين تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله امتنَّ على هذه الأمة بنعم عظيمة، من أجلِّها قدراً، وأعظمها منزلةً وشرفاً، أن أنزل عليها هذا الكتاب الذي فيه هدايتها، وبه سعادتها في الدنيا والآخرة، وهو - مع ما اشتملَ عليه من الهدى والنور - جعله الله بيّنا واضحاً، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ [النساء:١٧٤]، هيأ الله لحفظه من اعتنى بتلقّيه غضّاً طريّاً عن النبيِّ (صلى الله عليه وسلم)، فأدَّاه إلى من بعده كما تلقَّاه بحروفه وقراءاته، ومرجع هذه القراءات - المتنوعة المختلفة - إلى النبيِّ (صلى الله عليه وسلم)، فكلها راجعة إلى النقل الصحيح المتّصل سنده إليه ؛ ولذا عدَّ العلماء كل قراءة متواترة بمثابة الآية المستّقلّة.

ولمَّا كانت القراءات مختلفة في ألفاظها، ومتنوّعة في دلالتها في بعض الوجوه؛ كان لهذا التنوّع والاختلاف أثرٌ في معانيها.

ومن الاختلاف في القراءات: اختلاف اللفظة القرآنية جمعاً وإفراداً، وكثيرٌ من هذه الألفاظ له أثره وتأثيره في المعنى في مختلف العلوم: في اللغة، والتفسير، والفقه، والعقيدة.

وبعد استقراءٍ لهذه المواضع، واطّلاعٍ على أثرها في المعنى، رأيتُ أن أتناول هذا الجانب بالبحث والدراسةً، وعزمتُ على الكتابة فيه، وسَمَّيتُه: (أثر ما قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى، من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة ص، جمعاً ودراسة).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تظهر أهمية البحث في ارتباط العنوان بالقرآن الكريم ارتباطاً كليّاً.

٢- صنَّف العلماء قديماً وحديثاً في علم توجيه القراءات، ومعانيها[١]، وأثر اختلاف القراءات في العلوم: كالتفسير[٢]، والفقه[٣]، والعقيدة[٤]، واللغة[٥]؛ إلَّا أني لم أقف على كتابٍ أو بحث ــ بحسب اطّلاعي وبحثي ــ تناول ألفاظ الجمع جميعها في القراءات في القرآن جميعه وبيَّن أثرها في المعنى، ممّا يعطي هذا البحث أهميةً، وسبباً من أسباب اختياري له.

٣- تحوي القراءاتُ عدداً كبيراً من الاختلافات بسبب الجمع والإفراد في الكلمة القرآنية، ممَّا جعله سبباً لِأن أستقرِأَ مواضعها وأُفردها في بحث مستقلٍّ.

٤- ألفاظ الجمع في القراءات لها أثر في المعاني في شتى العلوم، يجعلها تُبَرز وتُفرَد في بحث مستقلٍّ.

(١) انظر: مقدمة كتاب شرح الهداية(ص:٢٧ – ٤٠)..
(٢) مثل: كتاب: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، للدكتور/ محمد بن عمر بازمول.
(٣) مثل: كتاب: أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية، للدكتور/ عبدالله بن حسن الدوسري.
(٤) مثل: كتاب: الاختلاف في القراءات وأثره في تقرير مسائل العقيدة، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي.
(٥) مثل: كتاب: القراءات وأثرها في علوم العربية، للدكتور/ محمد سالم محيسن.

خطة البحث:

قسَّمتُ البحث إلى مقدِّمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدِّمة: وتتضمَّن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي في البحث.

القسم الأول: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: **تعريف الأثر**.

المبحث الثاني: **فوائد تعدُّد القراءات وتنوّعها، واختلاف معانيها**.

القسم الثاني: أثر ما قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى، من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة ص.

ثم **الخاتمة**، وتضمَّنت **أهم النتائج والتوصيات**.

والفهارس، وتتضمن **المصادر والمراجع**.

منهج البحث:

اتَّبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وقمتُ فيه بالخطوات التالية:

١- جمعُ واستقراء جميع ألفاظ الجمع في القراءات المتواترة في هذا المقدار ممّا وقع فيه الاختلاف بين الجمع، والإفراد[1].

٢- كتابة الآية القرآنية التي ورد فيها الاختلاف، مرتبة بحسب ورودها في القرآن، ووضعها بين قوسين مزركشين ﴿ ﴾ متبوعة باسم السورة ورقم الآية بين قوسين [ ].

(١) وهي حدود هذا البحث، وفي موضع [الصافات: ١٣٠]: قراءة الجمع هي: ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾، وجاء ضدها قراءة: إضافة اسم إلى اسم: ﴿اذْآلِ﴾ إلى ﴿اذْآلِ﴾، وقمتُ بدراسته؛ لبيان قراءة الجمع في المعنى.

٣- كتابة القراءات الشاذة بالرسم الإملائي، وضبطها بالشكل، ووضعها بين قوسين هلاليين ( )، متبوعة باسم السورة ورقم الآية.

٤- كتابة موضع الاختلاف بالرسم العثماني لجميع القراءات العشر المتواترة.

٥- بيان اختلاف القراء في الموضع المراد دراسته، وتوثيقه من المصادر الأصيلة.

٦- دراسة أثر المعنى في قراءة الجمع، والتوثيق من المصادر والمراجع الأصيلة.

٧- موضع الجمع إذا تكرر في القرآن، وكان محلّ اختلاف القراء، فإنه يُدرس في الموضع الأول، ويُشار إلى مواضع وروده.

٨- الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث؛ عدا الأنبياء -عليهم السلام-، والصحابة - رضي الله عنهم -، وقرَّاء القراءات المتواترة.

٩- كتابة البحث وفق قواعد الإملاء الحديث، واستخدام علامات الترقيم اللازمة.

القسم الأول

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول

تعريف الأثر

تدور مادة (أ ـ ث ـ ر) حول ثلاثة أصول[1]:

الأول: تقديم الشيء، تقول: لقد أَثَرْتُ بأن أفعلَ كذا، تعني: هممت.

الثاني: ذكرُ الشيء، تقول: ما حَلَفْتُ آثِراً ولا ذاكراً، تعني: ما حلفتُ مُخبراً عن غيري أنه حلف، ولم أذكر ذلك عن نفسي.

الثالث: رسمُ الشيء، ومنه الأثارة في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف:٤]، أي: بقيَّة من علم.

وذكر الجُرجاني[2] أن للأَثر ثلاثة معان[3]:

الأول: بمعنى: النتيجة، وهو الحاصلُ من الشيء.

الثاني: بمعنى: العلامة.

الثالث: بمعنى: الجزء.

وظاهرُ أن هذه المعاني التي ذكرها الجُرجاني كلها من الأصل الثالث لمادة (أَثر)، وهو: "بقيّة الشيء"، أو "رسم الشيء الباقي"[4].

وفي دراستي لهذا البحث: "أثر ما قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى"، فإنما أريد بيان النتيجة الحاصلة من اختلاف ما قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة، وتأثيرها في المعنى.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة(١/٥٣-٥٧)، لسان العرب: مادة: أثر(٣/٥٩، ٦٠)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام(١/٤٨٥).

(٢) علي بن محمد بن علي الحسيني، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنَّفاً، منها "التعريفات"، "مقاليد العلوم"، "حاشية على الكشاف"، وغيرها، توفي سنة ٨١٦هـ. انظر: الأعلام(٥/٧).

(٣) انظر: التعريفات(ص:٧).

(٤) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام(١/٤٨٦).

المبحث الثاني

فوائد تعدُّد القراءات وتنوّعها، واختلاف معانيها

إن من رحمة اللَّه تعالى بهذه الأمة إنزال القرآن العظيم، ولم يجعل على عباده حرجاً في دينهم، ولا ضيَّق عليهم فيما افترض عليهم، وكانت لغات من أنزلَ عليهم القرآن مختلفة، ولسان كلِّ صاحب لغة لا يقدر على ردِّه إلى لغة أخرى إلا بعد تكلُّف ومئونة شديدة، فيسّر اللَّه عليهم قراءتَه باختلاف قراءاتِه بمعانٍ متّفقة ومختلفة؛ ليقرأ كل قوم على لغتهم، وعلى ما يسهُل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جَرَت به عادتُهم، فقوم جرت عادتُهم بالهمز وقومٌ بالتخفيف، وقوم بالفتح وقوم بالإمالة، وكذلك الإعراب واختلافه في لهجاتهم، والحركات واختلافُها في لغاتهم، وغير ذلك، فتفصَّح كل قوم، وقرأوا على طبعهم ولغتهم، ولغة من قَرُبَ منهم، وكان في ذلك رفق عظيم بهم، وتيسير كثير عليهم[1].

وهذا الاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوّع وتغاير، لا اختلاف تضادّ وتناقض، فليس في شيءٍ من القراءات تنافٍ ولا تضادّ ولا تناقض[2]، وهذا الاختلاف لا يخلو من أحوال ثلاثة:

الأول: اختلاف اللفظ، والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعاً، مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحد.

الثالث: اختلافهما جميعاً، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحد؛ بل يتّفقان من وجهٍ آخر لا يقتضي التّضادّ[3].

(١) انظر: الإبانة(ص:٩١، ٩٢).
(٢) انظر: المرشد الوجيز(ص:١١١)، النشر(١/٢٢٣، ٢٢٧).
(٣) انظر: النشر(١/٢٢٤).

وبيَّن الإمام ابن الجزري[1] فائدة اختلاف القراءات وتنوُّعها، وقال: ‹‹وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوُّعها، فإن في ذلك فوائد غيرَ ما قدَّمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأُمَّة:

منها: ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كلٌّ بمنزلة الآية، إذ كان تنوُّع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جُعِلَت دلالة كلِّ لفظ آيةً على حِدَتِها لم يَخْفَ ما كان في ذلك من التطويل.

ومنها: ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدّلالة؛ إذ هو ـــ مع كثرة هذا الاختلاف وتنوُّعه ـــ لم يتطرق إليه تضادّ ولا تناقض ولا تخالُف؛ بل كلُّه يُصدِّق بعضه بعضاً، ويَشهَدُ بعضُه لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وما ذاك إلَّا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به.

ومنها: سهولة حفظه، وتيسير نقله على هذه الأمّة؛ إذ هو على هذه الصِّفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظُ كلمةً ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى إلى قبوله من حفظه جُمَلًا من الكلام تؤدِّي معاني تلك القراءات المُختلفات، لا سيَّما فيما كان خطُّه واحداً، فإن ذلك أسهل حفظاً، وأيسر لفظاً.

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يُفْرِغون جُهدَهم ليبلغوا قصدهم في تتبُّع معاني ذلك، واستنباط الحِكَم والأحكام من دلالة كلِّ لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفيِّ إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشفَ عن التوجيه والتعليل، والترجيح والتفصيل، بقدر ما يبلغ غايةُ علمِهم،

(١) محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن يوسف بن الجزري، أبو الخير، شمس الدِّين، الدِّمشقي، الشَّافعي، المُقرئ، الحافظ، لَهَجَ بطلب الحديث والقرآن، وبَرَزَ في القراءات، وصنَّف فيها التَّصانيف النافعة، وأشهر مؤلفاته كتابه العظيم "النشر في القراءات العشر"، توفي سنة ٨٣٣هـ. انظر: غاية النهاية (٢/٢٤٧)، إنباء الغُمر(٣/٤٦٦).

ويصل إليه نهاية فهمهم: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ [آل عمران:١٩٥]، والأجر على قدر المشقَّة.

ومنها: بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقِّيهم كتابَ ربِّهم هذا التَّلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظةٍ لفظة، والكشف عن صيغةٍ صيغة، وبيان صوابه، وتحرير تصحيحه، وإتقانٍ تجويده، حتى حَمَوه من خللِ التحريف، وحَفظوه من الطُّغيان والتَّطفيف، فلم يُهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدَّات وتفاوت الإمالات، وميَّزوا بين الحروف بالصِّفات، ممّا لم يهتدِ إليه فكرُ أمة من الأمم، ولا يُوصَلُ إليه إلا بإلهام بارئِ النَّسَم.

ومنها: ما ادَّخره الله من المَنقَبَة العظيمة، والنّعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة من إسنادها كتابَ ربِّها، واتّصال هذا السبب الإلهي بسببها، خصِّيصة الله تعالى لهذه الأمة المُحمَّديّة، وإعظاماً لقدر أهل هذه الملَّة الحنيفيّة، فكل قارئ يُوصل حروفَه ــ بالنقل ــ إلى أصله، ويرفع ارتياب المُلحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلَّا هذه الفائدة الجليلة لكَفَتْ، ولو لَم يكن من الخصائص إلَّا هذه الخصِّيصة النبيلة لوَفَتْ.

ومنها: ظُهور سرّ الله تعالى في تولِّيه حفظَ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزَّل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله تعالى لم يُخْلِ عصراً من الأعصار، ولو في قُطْرٍ من الأقطار من إمام حجَّة قائم بنقل كتاب الله تعالى، وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجُوهِه وقراءاته، يكون وجُوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مَرِّ الدهور، وبقاؤه دليلًا على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصُّدور»[1].

(١) النشر(١/٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢)..

القسم الثاني

أثر ما قُرِئَ بالجمع من القراءات المتواترة في المعنى من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة ص

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٥٨].

القراءة: قرأ الكسائي ﴿اازوذ﴾ بكسر الجيم، وقرأ الباقون ﴿جُذَاذاً﴾ بضم الجيم[(١)].

أثر القراءة في المعنى: ﴿اازوذ﴾ بكسر الجيم على الجمع، وهو جمع "جَذيذ"، وجِذَاذ وجَذيذ نحو: ثِقَال وثَقيل، وخِفَاف وخَفيف، وكِبَار وكبير، وصِغَار وصغير، والجَذيذ بمعنى: مجذوذ، وهو المقطوع، كما قال تعالى: ﴿عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]، والمعنى: ﴿فَجَعَلَهُمْ اازوذ﴾ بكسر الجيم، أي: قِطَعاً وكِسَراً، أما قراءة الضم فهي على المصدر، بمعنى: الحُطام والرُّفات[(٢)].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

القراءة: قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقون ﴿االوزر﴾ بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد[(٣)].

أثر القراءة في المعنى: كُتُب جمع كِتَاب، مثل: أُزُر جمع إِزَار، وحُمُر جمع حِمَار، وكُتُب بالجمع على معنى: صُحُف، أي: كطيِّ السِّجلِّ لصُحُف بني

(١) انظر: مفردة الكسائي(ص:٩٨)، النشر(٤/٢٤٧٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج(٣/٣٩٥)، إعراب القراءات السبع وعللها(٢/٦٣)، الحجة لابن خالويه (ص:٢٥٠)، الكتاب المختار(١/٥٦٥)، الكشف(٢/١١٢)، شرح الهداية(ص:٦١٣)، تفسير القرطبي(١٤/٢١٨)، اللباب في علوم الكتاب(١٣/٥٢٤).

(٣) انظر: الهادي(ص:٤٢٤)، النشر(٤/٢٤٧٨).

آدم، والجمع هنا للدلالة على الكثرة والاختلاف، والمعنى المكتوبات، أي: لما يُكتب فيه من المعاني الكثيرة؛ ولأن لفظ السماء موحَّد يُرَاد به الجمع؛ لأن السماوات كلها تُطوى، ليس تُطوى سماء واحدة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، وإذا كان السماء يُراد بها الجمع، فمعناه: يوم نطوي السماوات كطيِّ المَلَكِ للكُتُب، فأنّث الكُتُب بالجمع كالسماوات[١].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨].

القراءة: قرأ ابن كثير هنا وفي موضع المعارج[٢] ﴿اااآقد﴾ بدون ألف على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ بالألف على الجمع[٣].

أثر القراءة في المعنى: الأمانة وإن كانت مصدراً، فقد جُمِعَت لاختلاف ضروبها، والمصادر إذا اختلفت أجناسها وأنواعها جُمِعَت، والأمانات التي تلزم الناس مراعاتها كثيرة، فالأمانات تكون بين اللَّه تعالى وبين العبد كالصلاة، والصيام، والعبادات الواجبة، وتكون بين العبيد الودائع والبضائع، فعلى العبد الوفاء بها، وقد وردت الأمانة بلفظ الجمع في القرآن، وهو: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، وهو مُجمَع على جمعه، فردُّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه[٤].

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

(١) انظر: الكتاب المختار(١/٥١٧)، الحجة لابن زنجلة(ص:٤٧١)، الكشف(٢/١١٥)، الموضح(٢/٨٦٨)، الدر المصون(٨/٢١)، اللباب في علوم الكتاب(١٣/٦١٥).

(٢) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢].

(٣) انظر: مفردة ابن كثير(ص:٧٥)، النشر(٤/٢٤٨٨).

(٤) انظر: الحجة لابن خالويه(ص:٢٥٥)، الكتاب المختار(٢/٥٨٧)، الحجة لابن زنجلة(ص:٤٨٣)، الكشف(٢/١٢٥)، شرح الهداية(ص:٦٢١)، اللباب في علوم الكتاب(١٤/١٧٣).

القراءة: قرأ ابن عامر وشعبة ﴿ااآآقر ااآآقز ااآآقو﴾ بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على الإفراد فيهما، وقرأ الباقون ﴿عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ﴾ بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع[1].

أثر القراءة في المعنى: ورد لفظ الجمع هنا محمول على المعنى؛ وجُمِعَ لكثرة ما في الإنسان من العظام، ولقصد الأنواع؛ لأن العظام مختلفة وكثيرة، منها الدقيقة، والغليظة، وغير ذلك، وقد وردت في القرآن بلفظ الجمع بلا خُلْف، كقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله: ﴿يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، وقوله: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً﴾ [النازعات:١١][2].

الموضع الخامس: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ [الفرقان:٦١].

القراءة: قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ااآآوذ﴾ بضم السين والراء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقون ﴿سِرَاجاً﴾ بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد[3].

أثر القراءة في المعنى: ﴿ااآآوذ﴾ جمع "سِراج"، وقراءة الجمع هنا تدلُّ على كثرة الكواكب، وكل كوكب سراج، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك:٥]، وهي تطلع مع القمر، فذكرها كما ذكر القمر، والجمع كذلك يُرَاد به معنى: الشمس والقمر والنجوم والكواكب العِظام معها، والهاء في ﴿فِيهَا﴾ عائدة على البروج، ويكون تقدير الكلام: جعل في البروج سُرُجاً وقمراً منيراً، ولفظ الجمع دالٌّ على كلِّ ما أسرجَ وأضاءَ من

(١) انظر: النشر(٤/٢٤٨٨)، المكرر(ص:٢٦٧).

(٢) انظر: الحجة للفارسي(٥/٢٣٨)، الكتاب المختار(٢/٥٨٨)، الحجة لابن خالويه(ص:٤٨٤)، الكشف(٢/١٢٦)، شرح الهداية(ص:٦٢١)، الموضح(٢/٨٩١)، الدر المصون(٨/٣٢١)، إتحاف فضلاء البشر(٢/٢٨٢).

(٣) انظر: سراج القارئ(ص:٢٨٨)، النشر(٤/٢٥١٠).

النجوم والكواكب؛ لأنها مع القمر تظهر وتُضيء[1].

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:٥٠].

القراءة: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وشعبة ﴿اثذا﴾ بقصر الهمزة وحذف الألف بعد الثاء على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿آثَارِ﴾ بمدِّ الهمزة وألف بعد الثاء على الجمع[2].

أثر القراءة في المعنى: آثار جمع أَثَر، وجُمِعَ هنا؛ لأنه أُضيفَ إلى رحمة اللَّه، ورحمة اللَّه ــ وإن كان لفظها واحد ــ فالمراد بها الجمع، ويُراد بها الكثرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨]، ودلَّ لفظ الجمع على آثار المطر في الأرض مرة بعد مرَّة، ولكثرة ما تؤثِّر رحمة المطر في الأرض، ظهرت منافع[3].

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان:٢٠].

القراءة: قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وحفص ﴿نِعَمَهُ﴾ بفتح العين وهاء مضمومة على التذكير والجمع، وقرأ الباقون ﴿اقرآو﴾ بإسكان العين وتاء منوَّنة منصوبة على التأنيث والإفراد[4].

(١) انظر: الحجة لابن خالويه(ص:٢٦٦)، تفسير الثعلبي(١٩/٤٥٦)، الكتاب المختار(٢/٦٢٦)، الحجة لابن زنجلة(ص:٥١٢)، الكشف(٢/١٤٦)، شرح الهداية(ص:٦٣٤)، الموضح(٢/٩٣٢)، تفسير القرطبي(١٥/٤٦١).

(٢) انظر: الوجيز(ص:٢٩١)، النشر(٤/٢٥٤٥).

(٣) انظر: معاني القراءات للأزهري(٢/٢٦٦)، الحجة لابن خالويه(ص:٢٨٣)، الكتاب المختار(٢/٦٨٠)، الحجة لابن زنجلة(ص:٥٦١)، الكشف(٢/١٨٥)، شرح الهداية(ص:٦٥٨)، الموضح(٢/١٠٠٩)، اللباب في علوم الكتاب(١٥/٤٢٦)، فتح القدير(٤/٢٣١).

(٤) انظر: النشر(٤/٢٥٥٢)، غيث النفع(ص:٤٢٤).

أثر القراءة في المعنى: "نعَم" جمع "نَعْمَة"، مثل: سِدَر وسِدْرَة، و﴿نِعَمَهُ﴾ أُضِيفَت إلى هاء ضمير اللَّه تعالى، ودلَّ لفظ الجمع هنا على نِعَم اللَّه الكثيرة والمختلفة، بعضها في الدِّين، وبعضها في الأرزاق، وبعضها في العوافي، وغير ذلك من الأحوال ممَّا هو مُشَاهد ومعلوم، وممَّا هو من النِعَم الباطنة، والنِعَم المضافة للَّه تعالى كثيرة لا تُحصى، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨]، وقوله تعالى: ﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل:١٢١][(١)].

الموضع الثامن: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥].

القراءة: قرأ حمزة وحفص ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بغير ألف على الإفراد مع فتح الكاف، وقرأ الكسائي وخلف ﴿اددود﴾ بغير ألف على الإفراد مع كسر الكاف، وقرأ الباقون ﴿اددوة﴾ بالألف على الجمع مع كسر الكاف[(٢)].

أثر القراءة في المعنى: ﴿اددوة﴾ جمع "مَسْكَن"، ودلَّت قراءة الجمع على أن لكل واحدٍ منهم مَسْكَن، فوجب الجمع ليوافق اللفظ المعنى، ويقوّي الجمع إجماع الجميع على قوله ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾[(٣)].

الموضع التاسع: قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

القراءة: قرأ حمزة ﴿اددذر اددذِز﴾ بإسكان الراء من غير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿الْغُرُفَاتِ﴾ بضمِّ الراء مع الألف على الجمع[(٤)].

(١) انظر: الحجة لابن خالويه(ص:٢٨٦)، الكتاب المختار(٦٨٧/٢)، الحجة لابن زنجلة(ص:٥٦٥)، الكشف(١٨٩/٢)، شرح الهداية(ص:٦٦٠)، الموضح(١٠١٦/٢)، تفسير القرطبي(٤٨٦/١٦)، المغني لابن محيسن(١٤١/٣).

(٢) انظر: روضة المعدِّل(٣١٦/٣)، النشر(٢٥٦٤/٤).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس(ص:٦٩٠)، الحجة لابن خالويه(ص:٢٩٣)، الحجة لابن زنجلة(ص:٥٨٦)، الكشف(٢٠٤/٢)، شرح الهداية(ص:٦٦٩)، الموضح(١٠٤٩/٣)، تفسير القرطبي(٢٨٩/١٧).

(٤) انظر: مفردة حمزة(ص:١٢٥)، النشر(٢٥٦٦/٤).

أثر القراءة في المعنى: ﴿الْغُرُفَاتِ﴾ جمع "غُرْفَة"، وجاءت على لفظ الجمع؛ لأن المعنى دالٌّ عليه، فأصحاب الغُرف جماعات كثيرة، فلهم غُرف كثيرة، فوافق اللفظ المعنى، وكما قال تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر:٢٠]، ولقوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً﴾ [العنكبوت:٥٨][(١)].

الموضع العاشر: قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾ [فاطر:٤٠].

القراءة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وخلف وحفص ﴿بَيِّنَةٍ﴾ بغير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿اادزد﴾ بالألف على الجمع[(٢)].

أثر القراءة في المعنى: دلَّ الجمع هنا على كثرة ما جاء به النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الآيات والبراهين الدَّالة على صحة صدقه ونبوّته من القرآن وغير ذلك، والكتاب فيه ضروب من البينات دلَّ لفظ الجمع عليه كما قال تعالى: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، فيدلُّ الجمع على النبيِّ صلى الله عليه وسلم والقرآن[(٣)].

الموضع الحادي عشر: قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠].

القراءة: قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ﴿ااذآءو ااذآآء ااذآآا﴾ بفتح الهمزة والمدِّ وقطع اللام من الياء وحدها على إرادة إضافة ﴿ااذآآء﴾ إلى ﴿ااذآآا﴾، وقرأ الباقون ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة وإسكان اللام بعدها

(١) انظر: الحجة لابن خالويه(ص:٢٩٥)، الكتاب المختار(٢/٧١٦)، الحجة لابن زنجلة(ص:٥٩٠)، الكشف(٢/٢٠٨)، شرح الهداية(ص:٦٧٠)، الموضح(٢/١٠٥٦)، اللباب في علوم الكتاب(١٦/٧٥).

(٢) انظر: مصطلح الإشارات(ص:٤٣٩)، النشر(٤/٢٥٧٠).

(٣) انظر: الحجة لابن خالويه(ص:٢٩٧)، إعراب القراءات السبع وعللها(٢/٢٢٥)، الكشف(٢/٢١١)، شرح الهداية(ص:٦٧٢)، اللباب في علوم الكتاب(١٦/١٥٢)، المغني لابن محيسن(٣/١٧١).

ووصلها بما بعدها في الحالين[1].

أثر القراءة في المعنى: من قرأ ﴿إِلْيَاسِينَ﴾ فهو جمع إلياسي منسوب إلى إلياس، فحُذِفَت ياء النسب، وجُمِعَ جمع السلامة، ومثله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ [الشعراء:١٩٨]، جمع أعجمي على حذف ياء النسب، ولا يجوز أن يكون ﴿إِلْيَاسِينَ﴾ جمع إلياس؛ إذ ليس كل واحد منهم اسمه إلياس، وإنما إلياس اسم نبيِّهم، فيكون السلام واقعاً على من نُسِبَ إلى إلياس، وقد ذُكِرَ في معنى الجمع أن المقصود: آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المقصود: محمد صلى الله عليه وسلم وأمَّته[2].

الموضع الثاني عشر: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص:٤٥].

القراءة: قرأ ابن كثير ﴿اذقأز﴾ بغير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿عِبَادَنَا﴾ بالألف على الجمع[3].

أثر القراءة في المعنى: ﴿عِبَادَنَا﴾ جمع "عَبد"، ودلَّ لفظ الجمع على تعميم العبودية لهؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم، وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فما بعد لفظ ﴿عِبَادَنَا﴾ بدل أو عطف بيان[4].

الموضع الثالث عشر: قال تعالى: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص:٥٨].

القراءة: قرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿اذقآد﴾ بضم الهمزة من غير مدٍّ على

(١) انظر: جامع البيان(ص:٦٩٢)، النشر(٢٥٩٢/٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري(٦٢٠/١٩)، الحجة لابن خالويه(ص:٣٠٣)، الكتاب المختار(٧٥٢/٢)، الحجة لابن زنجلة(ص:٦١٠)، الكشف(٢٢٧/٢)، شرح الهداية(ص:٦٨٠)، الموضح(١٠٩٤/٣)، إملاء ما منَّ به الرحمن(ص:٥٠٣).

(٣) انظر: فتح الوصيد(١٢١٣/٤)، النشر(٢٥٩٦/٤).

(٤) انظر: الحجة لابن خالويه(ص:٣٠٥)، الكتاب المختار(٧٦٤/٢)، الحجة لابن زنجلة(ص:٦١٣)، الكشف(٢٣١/٢)، شرح الهداية(ص:٦٨٢)، الموضح(١١٠٢/٣)، البحر(٢٢١/٢٢).

الجمع، وقرأ الباقون ﴿وَآخَرُ﴾ بفتح الهمزة وألف بعدها على الإفراد[1].

أثر القراءة في المعنى: أُخَر جمع آخر، والمعنى: ضروب أُخَر من العذاب وأنواع؛ لأن العذاب له أصناف يُعذَّبون بها غير الحميم والغساق، وقد يكون المعنى لـ﴿اذقآد﴾ الزمهرير، وإن كان لفظه مفرداً؛ إلا إن بعضه أشدّ برداً من بعض، وهو أجناس في معناه، وواحد في لفظه، فجُمِعَ على المعنى، وشاكل بالجمع بينه وبين قوله: ﴿أَزْوَاجٌ﴾، ولم يقل "زوج"[2].

خاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأوَّلين والآخرين، سيِّدنا ونبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

في نهاية هذا البحث وختامه، أحمدُ الله على تيسيره وتوفيقه بإتمامه، وأن يجعله خالصاً لوجهه العظيم، وأن ينفع به، وقد خلصتُ منه ببعض النتائج والتوصيات.

أبرز نتائج البحث:

١- بلغ عدد مواضع الجمع في القراءات التي تناولها البحث: (١٣) موضعاً.

٢- ألفاظ الجمع التي تناولها البحث يغلُب على ضدِّها قراءة الإفراد، ووردَ غير الإفراد، كالمصدر، والظرف، والإضافة.

(١) انظر: مفردة يعقوب للداني(ص:١١٦)، النشر(٤/٢٥٩٧).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج(٤/٣٣٩)، الحجة لابن خالويه(ص:٣٠٦)، الكتاب المختار(٢/٧٦٠)، الحجة لابن زنجلة(ص:٦١٥)، الكشف(٢/٢٢٣)، شرح الهداية(ص:٦٨٤)، الموضح(٣/١١٠٥)، تفسير القرطبي(١٨/٢٣٢).

٣- ظهر من خلال البحث تعدُّد وتنوّع المعاني التي دلَّت عليها قراءة الجمع، بعضها في اللُّغة، وبعضها في التفسير، وبعضها في الفقه والأحكام، وهذا الاختلاف هو تنوع وتغاير، لا تناقض وتضادّ.

أبرز توصيات البحث:

١- أوصي بدراسة المظاهر الأخرى من اختلاف القراءات في بحوث مستقلّة، كدراسة قراءة الإفراد وأثرها في المعنى.

٢- أوصي بطباعة الرسائل العلمية التي عنيت بتوجيه قراءات القراء الثلاثة المتمّمين للعشرة، وهم أبو جعفر ويعقوب وخلف؛ لقلة مصادر توجيه قراءاتهم.

٣- أوصي بجمع ما سطَّره المفسِّرون من توجيهٍ للقراءات الثلاث المتمّمة للعشرة، وإخراجه في كتاب مستقلٍّ؛ لقلة الكتب التي اعتنت ببيان معاني هذه القراءات وأثرها في المعنى.

٤- أوصي بجمع ودراسة التوجيه في تفسير "اللباب في علوم الكتاب" للإمام ابن عادل الدِّمشقي (ت٨٨٠هـ)، فهو من المصادر الأصيلة في بيان معاني القراءات وتوجيهها.

المصادر والمراجع

١. الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د/ عبدالفتاح إسماعيل شلبي، المكتبة الفيصلية، (ط:٣)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد البنا (ت١١١٧هـ)، تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل، دار عالم الكتب، بيروت، (ط:١)، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م.

٣. أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية، للدكتور/ عبدالله بن حسن الدوسري، دار الهدي النبوي، مصر، (ط:١)، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٦م.

٤. الاختلاف في القراءات وأثره في تقرير مسائل العقيدة، للدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار الأوراق الثقافية، (ط:١)، ١٤٣٧هـ ـــ ٢٠١٦م.

٥. إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د/ عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط:١)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (ط:١)، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٧. إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقرآن، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت، (ط:١)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨. إنباء الغُمر بأبناء العُمر، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: د/ حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، بإشراف: محمد توفيق عويضة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٩. البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، لأبي حيان محمد بن يوسف ابن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر، (ط:١)، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.
١٠. التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.
١١. تفسير الثعلبي "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، لأبي إسحاق أحمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، أشرف على إخراجه: د/ صلاح باعثمان وآخرون، دار التفسير، السعودية، جدة، (ط:١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
١٢. تفسير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، (ط:١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣. تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان"، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط:١)، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٤. جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٥. حجة القراءات، لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:٥)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٦. الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د/ عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط:١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٧. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي(ت٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون، دمشق، (ط:١) ن ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس بن يوسف بن محمد، المعروف بـ"السمين الحلبي"(ت٧٥٦هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، ود/ جاد مخلوف، ود/ زكريا النوتي، دار الكتب العليمة، بيروت، (ط:١)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩. روضة المعدِّل "الجامع للأداء روضة الحفاظ"، لموسى بن الحسين المعدِّل(ت نحو:٥٠٠هـ)، تحقيق: د/ خالد أبو الجود، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، (ط:١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٢٠. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لابن القاصح علي بن عثمان بن محمد البغدادي (ت٨٠١هـ)، صححه وضبطه: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:٢)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢١. شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت٤٤٠هـ)، تحقيق: د/ حازم سعيد حيدر، دار عمار، (ط:١)، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٢. غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١)، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
٢٣. غيث النفع في القراءات السبع، لسيدي علي النُّوري الصَّفاقسي (ت١١١٨هـ)، ضبطه وصححه: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٤. فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٥. فتح الوصيد في شرح القصيد، لأبي الحسن علي بن محمد السَّخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د/ مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، (ط:٢)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٦. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، للدكتور/ محمد عمر بازمول، دار الميراث النبوي، الجزائر، (ط:١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
٢٧. القراءات وأثرها في علوم العربية، للدكتور/ محمد سالم محيسن (ت١٤٢٢هـ)، دار الجيل، بيروت، (ط:١)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٨. الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، لأبي بكر أحمد بن عبيدالله بن إدريس (من علماء القرن الرابع الهجري)، تحقيق: د/ عبدالعزيز بن حميد الجهني، مكتبة الرشد، الرياض، (ط:١)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٩. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د/ محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:٤)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣١. لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ)، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣٢. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٣. مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات، لابن القاصح علي بن عثمان البغدادي (ت٨٠١هـ)، تحقيق: د/ عطية بن أحمد الوهيبي، دار الفكر، عمان، (ط:١)، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٤. معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٠٧هـ)، تحقيق: د/ عوض بن حمد القوزي، وعيد مصطفى درويش، (ط:١)، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٥. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: د/ عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، (ط:١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٦. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د/ عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٧. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، للدكتور/ محمد سالم محيسن(ت١٤٢٢هـ)، دار الجيل - بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (ط:٣)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٨. مفردة ابن كثير، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أ.د/ حاتم صالح الضامن(ت١٤٣٤هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٣٢هـ.
٣٩. مفردة الكسائي، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أ.د/ حاتم صالح الضامن(ت١٤٣٤هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٣٢هـ.
٤٠. مفردة حمزة، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أ.د/ حاتم صالح الضامن(ت١٤٣٤هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٣٢هـ.
٤١. مفردة يعقوب، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د/ حسين محمد العواجي،كنوز إشبيليا، الرياض، (ط:١)، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٢. المكرَّر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرَّر، لعمر بن قاسم الأنصاري، المعروف بـ"بالنشَّار"(ت٩٣٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٣. الموضح في وجوه القراءات وعللها، لنصر بن علي بن محمد الفارسي، المعروف بابن أبي مريم(ت بعد٥٦٥هـ)، تحقيق: د/ عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، (ط:١)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٤. نشر القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن الجزري(ت٨٣٣هـ)، تحقيق: د/ أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني، (ط:١)، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

٤٥. الهادي في القراءات السبع، لمحمد بن سفيان القيرواني(ت٤١٣هـ)، تحقيق: د/ خالد حسن أبو الجود، دار عباد الرحمن، القاهرة، (ط:١)، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٤٦. الوجيز في شرح قراءات القراءة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، لأبي علي الحسن بن علي الأهوازي(ت٤٤٦هـ)، تحقيق: د/ دريد حسن أحمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط:١)، ٢٠٠٢م.

منهج الإمام ابن سيده (ت: ٤٥٨ هـ) في التعامل مع القراءات في معجمه المحكم والمحيط الأعظم «دراسة قرائية لغوية»

د. عصام بن دخيل الله الحربي•

ملخـــــص

هذا البحث يبين منهج الإمام ابن سِيدَهْ في التعامل مع القراءات القرآنية في كتابه (المحكم والمحيط الأعظم)، ويبين مكانة هذا الكتاب في علوم القراءات، وما يمكن أن يستفاد منه، علماً أنه من أكبر المعاجم اللغوية وآصلها وأكثرها مادة وأغزرها فائدة. ويهدف البحث إلى بيان جهود ابن سيده ومنهجه في خدمة القراءات من جهة تخصصه وإمامته في اللغة والنحو، من خلال كتابه المحكم. سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل للقواعد العامة وإيراد الأمثلة الموضحة للمقصود.النتائج التي توصل إليها: أن ابن سيده كان على دراية كبيرة بعلم القراءات، وأنه قد وجه جميع القراءات التي أوردها في كتابه، وقد بلغت عدتُها ٢٣٦ قراءة تقريبا، وتوجيهه إما بالنص، وإما بالاتكال على السياق العام للمادة التي يشرحها، وأن مذهب ابن سيده النحوي هو مذهب المدرسة الأندلسية التي تجمع بين المدرستين البصرية والكوفية، وهي أميل إلى البصرية كثيراً. يوصي البحث أن ابن سيده إمام في اللغة ونصوصه - في كتابيه المحكم والمخصص- في توجيه القراءات والكلام على معانيها قَيِّمَةٌ جداً، فأوصي بجمعها ودراستها. والمعاجم اللغوية الأصيلة تحوي مادة علمية كثيرة في توجيه القراءات فأوصى بدراستها من هذا الجانب وبيان مناهج العلماء فيها.

الكلمات المفتاحية: ابن سيده، المحكم، القراءات، التوجيه.

• أستاذ القراءات المشارك بجامعة أم القرى - مكة المكرمة.

Abstract

This research shows the method of Imam Ibn Sidah in dealing with Qur'anic (qira't); recitations in his book (almihkum walmuhit al`aezama); The greatest, conclusive and accurate it shows the position of this book in the science of (qira't); readings, and what can be learned from it, noting that it is one of the largest, original, most useful and most useful linguistic dictionaries. The research aims to demonstrate the efforts and methodology of Ibn Sidah in serving the (qira't); readings in terms of his specialization in language and grammar, through this book. The research, adopted the method of extrapolation and analysis of general rules and illustrated examples of what is intended. The research has come to many results the most important were : That Ibn Sidah was very familiar with the science of(qira't); readings, and that he directed all the readings that he included in his book, they were about 236 readings, and directed them either by the text, Or by relying on the general context of the material that he explains, Ibn Sidah's grammatical doctrine is the doctrine of the Andalusian school that combines Basra and kufa schools, he is more inclined to Bars school. The research recommends that Ibn Sidah is an imam in language and his texts - his well-designed and dedicated book - in directing readings and speaking on their meanings is very valuable, so the researcher recommend collecting and studying them. The original linguistic dictionaries contain a lot of scientific material in guiding the readings, so the researcher recommend studying them from this aspect and explaining the scholars curricula in it.

Key words: Ibn Sidah is arbitrator in (qira't); readings directing.

مقدمـــــة

اللهم لك الحمد كلَّه على ما أوليتنا من العطايا العظيمة، وعلى ما أسبغت علينا من النعم الجسيمة، أنت أهل الثناء والمجد، بلا حصر ولا مقدار ولا عَدٍّ، وأن جعلتنا من المشتغلين بالقرآن الكريم، بالدراسة والتعلم والتعليم، حمداً يوافي نعمك، ويكافي مزيدك.

وأسألك أن تصلي على سيدنا محمد النور الهادي، وسيد كل رائح وغادي، وعلى آله أهل الزهد والطهارة، وأصحابه ذوي النجابة والنضارة، وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

وبعد فقد كنت قبل برهة من الزمن، وبالتحديد في أثناء تحضيري لرسالة الدكتوراه رجعت إلى كتاب ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم) مراتٍ عديدة، فوجدته احتوى على مادة كثيرة في القراءات، وهي جديرة بالدراسة، وكنت أستفيد من توجيهاته التي أوردها في كتابه المذكور، فعلق بذهني أن أبحث عن منهجه والتعريف بجهوده في القراءات حتى تتكون فكرة متكاملة عنه عند القراء المتخصصين في اللغة والقراءات، فبقيت الفكرة في ذهني حتى آن أوانها، فتفرغت لها وجمعت مادتها، فخرجت بما دونته في هذا البحث، راجياً أن يكون كفيلاً بالتعريف بجانب من جوانب الاهتمام العلمي عند الإمام ابن سيده، عَلَّني أُقَدِّمُ للباحثين في علم القراءات واللغة ما يفيدهم في كمال علمهم، ويحيطهم علماً بجانب من جوانب هذا الكتاب العظيم، فوضعت الخطة لذلك وشرعت في البحث، وأسأل الله العظيم التوفيق للإتمام.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان جهود ابن سيده ومنهجه في خدمة القراءات من جهة تخصصه وإمامته في اللغة والنحو، من خلال كتابه المحكم.

منهج البحث:

- سلكت في هذه الدراسة منهج الاستقراء والتحليل لكلام ابن سيده، محاولاً بذلك الوصول إلى تحديد منهجية في دراسة القراءات عنده، فتتبعت جميع القراءات الواردة في كتاب المحكم، ثم تناولتها بالتحليل والدراسة بما يقتضيه منهج البحث العلمي.
- اعتمدت منهج الاستنباط والاستدلال بالقرائن فيما يتعلق بالكلام على شيوخه وتلاميذه، حيث عَدِمَ النص في ذلك.
- حاولت في البحثِ بيان الفرق بين الدراسات اللغوية والدراسات القرائية عند ابن سيده في كتابه المحكم.
- لم ألتزم في هذا البحث إيراد جميع القراءات القرآنية التي جاءت في المحكم، وإنما أوردت نماذج منها على حسب ما يُحتاج إليه في توضيح المسألة المدروسة.
- اكتفيت في القراءات التي جاءت في نصوص كلام ابن سيده بتوثيقها من كتابه المحكم، لأن المراد بيان منهجه وليس تخريج قراءاته من مصادرها الأصلية.
- ترجمت للأعلام ترجمة موجزة عدا من كان من الصحابة الكرام والقراءة الأربعة عشر.

- أفرق بين القراءات المتواترة والشاذة بجعل القراءات المتواترة بين قوسين مزهرين مكتوبة بالخط العثماني، والقراءات الشاذة بين قوين هلالين مكتوبة بالخط الإملائي.
- عرضت آراء ابن سيده النحوية واللغوية على آراء النحويين من المدرستين للوقوف على مذهبه النحوي.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

قد يتساءل متسائل عن هذا الموضوع فيقول: هذا الكتاب (المحكم) في اللغة، وما علاقته بعلم القراءات؟ وما فائدة دراسته بالنسبة للمتخصصين في علم القراءات؟

أجيب عن هذا السؤال من ثلاث جهات:

الأولى: في بيان التداخل الحاصل بين علم القراءات وعلم اللغة.

والثانية: في مكانة القراءات في اللغة كرافد من روافدها في الكتاب، وكحجة لا جدال في إثبات معاني الكلمات وبِنْيَاتِهَا بها.

الثالثة: في أهمية ما نقل من القراءات في كتاب المحكم كماً ونوعاً.

أما **المسألة الأولى**: فالكلام فيها من وجهين:

الوجه الأول: أن غالب اللُّغويين كانوا قراء أو على الأقل كانوا على اطلاع كبير بالقراءات القرآنية باعتبارها متعلقة بأفصح الكلام، ومروية بأقوى الأسانيد، مقارنة بالشعر وغيره من مصادر اللغة.

ومن المعلوم أن علم النحو لا ينفك عن علم القراءات، حتى كان بعض القراء لايعترفون بالمقرئ الذي ليس له باعٌ في علم النحو والعربية،

ومن ذلك قول الحُصْرِي[1]:

لقد يدعي علم القراءات معشرٌ •• وباعهمُ في النحو أقصرُ من شِبْرِ

فإن قيل: ما إعـــراب هذا ووزنُهُ •• رأيتَ طويل البـاع يقصُرُ عن فِتْرِ[2]

وهذا كان شائعاً خاصة عند الأقدمين.

وبالاستقراء يمكن القول بأن ألصق علم بعلم القراءات من بين سائر العلوم الإسلامية هو علم النحو والعربية.

الوجه الثاني: من المعلوم أن شروط قبول القراءة ثلاثة، منها موافقة اللغة، فلو لـم يوجد للقراءة أي تخريج أو وجهٍ في اللغة فإنها تكون مرفوضة، ولا يمكن أن تعد عربية فضلاً عن أن تعد قراءة قرآنية.

وهذا من أعظم صور التداخل الحاصل بين علم اللغة العربية وعلم القراءات.

وأما **المسألة الثانية**: فلا شك أن القرآن الكريم بالإجماع هو أقوى مصدر للعربية في جميع علومها، وكذلك قراءاته تأخذ الحكم نفسه لتعلقها به، ولأنها وجوه فيه، وجميع أهل العربية قد احتج بالقراءات كدليل قوي لإثبات ما يثبته من القواعد النحوية أو المعاني اللغوية.

وأما **المسألة الثالثة**: فمن المعلوم أن كتاب (المحكم) من الكتب المتقدمة؛ حيث إن مؤلفه توفي سنة ٤٥٨هـ، وقد احتوى على كثير من القراءات حيث بلغت عدتها قرابة (٢٣٦) قراءة والتي أخذ بعضها من بعض الكتب المفقودة ككتاب النوادر للحياني[3] وغيره، ولم أقف على من نقل القراءات عن

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني، صاحب القصيدة الرائية في قراءة الإمام نافع، كان أديباً شاعراً عالماً بالقراءات وطرقها، (ت٤٨٨هـ)، انظر: الصلة لابن بشكوال (٤١٠)، معجم الأدباء (١٨٠٨/٤)، وفيات الأعيان (٣٣١/٣)، غاية النهاية: (٥٥٠/١).

(٢) القصيدة الحصرية: ٩٢، البيتان (١٦، ١٥)، وانظر أيضاً كلاماً نحو هذا لابن مجاهد في السبعة: ٤٥-٤٦.

(٣) لي بن المبارك، وقيل: ابن حازم، أبو الحسن اللحياني، صاحب كتاب (النوادر)، أخذ عن الكسائي، وأخذ عنه القاسم بن سلام،

اللحياني قبل ابن سيده.

وهذا الكم الكبير من القراءات مع قدم المصدر وفقدان بعض أصوله يبين أهمية دراسة الكتاب من هذه الناحية.

ومن خلال هذه الأجوبة تُدرك أهمية البحث وأسباب اختياره، أسأل الله العظيم أن يوفقني في إنجازه على أتم وجه.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت هذا الموضوع كما قررته في العنوان والخطة، إلا بحثاً نشرته حولية كلية اللغة العربية بجرجا[1]، التابعة لجامعة الأزهر، للدكتور: مجدي فتحي محمد محمد قشيوط، وسماه: (القراءات القرآنية في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت٤٥٨هـ دراسة صوتية صرفية)، وقد طالعتها ونظرت فيها، فإذا هي كما ذكر الباحث في عنوانه، دراسة اقتصرت على ما يتعلق بالصوت والصرف، مع الإشارة لماماً لبعض ما يتعلق بالمباحث النحوية والقرائية.

وقد امتازت الدراسة التي أقدمها بأمور منها:

١- ما تحمله عبارة العنوان من تحديد لنوع الدراسة، فالدكتور مجدي اتجهت دراسته إلى الموضوع الصرفي والصوتي، في حين أن دراستي اتجهت إلى الموضوع القرائي النحوي، والفرق واضح من هذه الجهة.

٢- بيان موقف ابن سيده من القراءات، سواء كانت متواترة أم شاذة، وشرح مقصوده ببعض المصطلحات التي وصف بها بعض القراءات، كالشذوذ، والندرة، والتخطئة.

انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٨٤٣/٤)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي (٢٥٥/٢)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (١٨٥/٢).

(١) في العدد الحادي والعشرين، للعام ١٤٣٨هـ، الجزء الثالث.

٣- التعريف بكتاب المحكم، وبيان مصادر المؤلف في القراءات فيه، ومنهجه فيها.

٤- تطرقت لدراسة إحصائية للقراءات في كتاب المحكم وذكرت فيها مميزاته في علم القراءات.

٥- بيان مذهب ابن سيده النحوي، وأنه كان من مؤسسي المدرسة الأندلسية في النحو، وكذلك بيان منهجه في ضبط القراءات.

وعلى العموم فهذه الدراسة تُعنى بدراسة كتاب المحكم من جهة قرائية ولغوية، بخلاف بحث الدكتور مجدي، فإنه يُعنى بها من جهة صوتية صرفية كما دل عليه عنوان بحثه.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وفيها:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

الفصل الأول: **التعريف بابن سيده وبكتابه المحكم والمحيط الأعظم**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **التعريف بابن سيده**، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: **اسمه ونسبه وحياته.**

المطلب الثاني: **حياته العلمية وعصره.**

المطلب الثالث: **شيوخه وتلاميذه.**

المطلب الرابع: **مؤلفاته**

المبحث الثاني: **التعريف بكتابه المحكم.**

الفصل الثاني: **تعامل ابن سيده مع القراءات في كتابه**، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: **موقفه من القراءات**.

المبحث الثاني: **منهجه في إيراد القراءات في كتابه**.

المبحث الثالث: **منهجه في توجيه القراءات في كتابه**.

المبحث الرابع: **مصادره في القراءات في كتابه**.

الخاتمة: وفيها **أهم النتائج والتوصيات**.

الفهارس.

الفصل الأول

لتعريف بابن سيده وبكتابه المحكم والمحيط الأعظم

المبحث الأول

التعريف بابن سيده[1].

المطلب الأول

اسمه ونسبه وحياته

هو علي بن أحمد، وقيل: ابن إسماعيل، اشتَهر بابن سيده، أبو الحسن، الضرير بن الضرير، المرسي، الأندلسي، إمام أهل اللغة في عصره بلا منازع. ولد سنة (٣٩٨هـ) في مُرْسِيَة[2].

(١) انظر ترجمته في: طبقات الأمم، صاعد (٧٧)، جذوة المقتبس، الحميدي (٤٥٢)، مطمح الأنفس، الإشبيلي (٢٩١)، الصلة، ابن بشكوال (٣٩٦)، بغية الملتمس، الضبي (٥٤٥/٢)، معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، إنباه الرواة، القفطي (٢٢٥/٢)، مرآة الجنان، اليافعي (٦٤/٣)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٣٣٠/٣)، إشارة التعيين، اليماني (٢١٠)، تاريخ الإسلام، الذهبي (٩٩/١٠)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٤٤/١٨)، تاريخ ابن الوردي (٣٦٠/١)، مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري (٦١/٧)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠٠/٢٠)، نكث الهميان، الصفدي (١٨٨)، البداية والنهاية، ابن كثير (١١/١٦)، الديباج المذهب، ابن فرحون (١٠٦/٢)، لسان الميزان، ابن حجر (٥٠٠/٥)، شذرات الذهب، ابن العماد (٢٥٠/٥)، الأعلام، الزركلي (٢٦٣/٤).

(٢) مدينة بالأندلس اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وهي بضم أولها، وسكون الراء، وكسر السين، وفتح الياء مخففة، انظر: معجم البلدان، الحموي (١٠٧/٥)، الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري(٥٣٩).

درس على علماء مُرْسِيَة في أول حياته، فحصَّلَ العلوم في وقت مبكر، ساعده على ذلك قوة حافظته، يحكي أبو عمر الطلمنكي قال: "دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا علي الغريب المصنف، فقلت لهم: انظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأ علي من أوله إلى آخره، فعجبت من حفظه"[1]. شهد له القاصي والداني بقوته في العربية وإحاطته الكاملة بها.

عاش في دانية[2] حيث كانت مزدهرة بالعلم والعلماء في عهد أبي الجيش مجاهد ابن عبد الله العامري، وكان منقطعاً إليه، وألف له المؤلفات. توفي سنة (٤٥٨هـ) عن ستين عاماً.

المطلب الثاني

حياته العلمية وعصره

عاش ابن سيده في الدولة العامرية في الأندلس[3]، وكان عصر هذه الدولة من أزهى العصور العلمية بالنسبة للأندلس؛ حيث كان ملوك وأمراء هذه الدولة يعتنون بالعلم أشد عناية، ويتنافسون في جلب العلماء إلى نواديهم وجلب الكتب إلى مكتباتهم[4].

وهذه الأمور ساعدت ابن سيده على إكمال مسيرته العلمية واستغلال مواهبه أتم استغلال، حتى شهد له الناس بأنه أحفظ الناس للغة، قال أبو طاهر

(١) الصلة، ابن بشكوال (٣٩٧).

(٢) مدينة بشرق الأندلس على البحر، كانت قاعدة أبي الجيش العامري، وأهلها أقرأ أهل الأندلس، ومنها شيخ القراء أبو عمرو الداني، وتقع اليوم في جنوب شرق أسبانيا، انظر: معجم البلدان، الحموي (٤٣٤/٢)، الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (٢٣١/١).

(٣) نشأت الدولة العامرية في الأندلس على يد محمد بن أبي عامر سنة ٣٦٨هـ وسقطت سنة ٣٩٩هـ، وكانت تابعة للخلافة الأموية في الأندلس. انظر: الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية حضارية.

(٤) انظر: بغية الملتمس، الضبي (٦٣٣/٢)، معجم البلدان، الحموي (٤٣٤/٢).

السلفي: " سمعت أبا عبد الله محمد بن الحسن بن أبي زرارة اللغوي يقول: كان بالمشرق لغويٌّ وبالمغرب لغويٌّ في عصر واحد، ولم يكن لهما ثالث، وهما ضريران، فالمشرقي أبو العلاء التنوخي بالمعَـرَّة، والمغربيُّ ابن سيده الأندلسيُّ، وابن سيده أعلمُ من المعرِّيِّ، أملى من صدره كتاب المحكم ثلاثين مجلداً، وما في كتب اللغة أحسن منه"[١].

وقد كان الإمام ابن سيده ذا حظوة عند أمراء هذه الدولة مكنته من تأليف مؤلفاته، وكلها كانت بطلبهم ودعمهم[٢].

المطلب الثالث

شيوخه وتلاميذه

نظراً لسعة علم ابن سيده باللغة وغيرها من العلوم وقيامه بتحقيق مسائلها، ولشهرته ومكانته: فمن المفترض أن يكون له شيوخ كثير قرأ عليهم وسمع منهم، إلا أن كتب التراجم والتاريخ قد شحت علينا فلم تذكر من شيوخه إلا القليل، وهم ثلاثة:

١- أبوه (توفي بعد الأربعمائة بمدة)[٣].

٢- صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي اللغوي (ت ٤١٧هـ)[٤].

٣- أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ)[٥].

(١) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦).

(٢) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦).

(٣) ترجمته في: الصلة، ابن بشكوال (١٠٥)، وقد سبق ذكر اختلاف أهل التراجم في اسمه على أقوال: أشهرها إسماعيل وأحمد في ص٨.

(٤) ترجمته في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الشنتريني (٨/٧)، معجم الأدباء (١٤٣٩/٤)، تاريخ الإسلام (٢٨١/٩).

(٥) ترجمته في الصلة، ابن بشكوال (٤٨)، معرفة القراء الكبار، الذهبي (٧٣٣/٢)، غاية النهاية، ابن الجزري (١٢٠/١).

وكذلك الأمر في تلاميذه، فإن مكانة ابن سيده العلمية وخاصة في اللغة التي صار مقدماً فيها توجب أن يكون له تلاميذ كثير، إلا أن كتب التراجم والتواريخ لم تذكر شيئاً عنهم سوى ما ذكر من أخذ الأمير مجاهد العامري وابنه عنه، وهذا عجيب حيث إن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن تلاميذه.

المطلب الرابع

مؤلفاتـــــه

من تمام نعمة الله على العالم أن يُرزق حسن التأليف وجودته؛ ليبث ما من الله به عليه من العلوم، وقد كان لابن سيده حظٌ وافر من هذه النعمة؛ حيث إنَّه ألفَ المؤلفاتِ التي لا يجاريه فيها أحد، وأصبحت فيما بعد مصدراً لا يستغنى عنه في جميع المؤلفات اللغوية بعده، كلسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس وغيرها، وخاصة كتابه الذي أنا بصدد دراسة منهجه فيه بالنسبة للقراءات، وهو (المحكم) ، وقد ذكر المترجمون له (١٢) مؤلفاً وهذه أسماؤها:

١- المحكم والمحيط الأعظم[١].

٢- المخصص[٢].

٣- شرح المشكل من شعر المتنبي[٣].

٤- شرح إصلاح المنطق[٤].

٥- العويص في شرح إصلاح المنطق[٥].

(١) طبع عدة طبعات أجودها التي بمعهد المخطوطات العربية عام ٢٠٠٣م.

(٢) طبع بمطبعة بولاق ١٣١٦هـ، ودار صادر عام ٢٠١٠م، ودار الكتب العلمية عام ٢٠٠٥م.

(٣) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٦م.

(٤) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، الوافي بالوفيات (١٠١/٢٠).

(٥) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤).

٦- الأنيق في شرح الحماسة[١].
٧- العالم والمتعلم[٢].
٨- الوافي في علم أحكام القوافي[٣].
٩- شاذ اللغة[٤].
١٠- شرح كتاب الأخفش[٥].
١١- كتاب في التذكير والتأنيث[٦].
١٢- العالم في اللغة[٧].

وزعم بعض الباحثين أن هذا الكتاب ليس من مؤلفات ابن سيده، وأن الغلط نشأ من ياقوت الحموي وتبعه على ذلك من ذكره بعده، واستصوبوا أن يكون من تأليف أحمد بن أبان بن سيد، فليبحث[٨].

وكل هذه المؤلفات الآن في حكم المفقود، ولا يعلم عنها شيء، سوى الثلاثة الأول؛ فإنها قد وجدت، وحققت، وطبعت، والحمد لله.

المبحث الثاني
التعريف بكتاب المحكم

هذا الكتاب الذي أنا بصدد دراسة منهج مؤلفه في التعامل مع القراءات القرآنية هو كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) الذي يعد من أمهات

(١) انظر: الصلة، ابن بشكوال (٣٩٦)، معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٣٣٠/٣)، تاريخ الإسلام، الذهبي (٩٩/١٠).
(٢) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠)، لسان الميزان، ابن حجر (٢٠٦/٤).
(٣) ذكره في المحكم (٤/١)، ونُسب له أيضاً في معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤)، والوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠).
(٤) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤)، تاريخ الإسلام، الذهبي (٩٩/١٠)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠)، لسان الميزان، ابن حجر (٢٠٦/٤).
(٥) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠).
(٦) نسبه إلى نفسه في مقدمة المحكم (١٤/١).
(٧) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠).
(٨) انظر: مقدمة تحقيق المحكم (٨/١).

المعاجم العربية؛ حيث اعتمد عليه كلُّ من أتى بعده اعتمادا كلياً، يقول ابن منظور[1]: "ولم أر في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله، وهما من أُمَّهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات الطريق"[2].

وقال مرتضى الزبيدي[3] في تاج العروس: "وأعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر (الصحاح): كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) لأبي الحسن علي بن سيده الأندلسي الضرير، ثم كتاب (العباب) للإمام رضي الدين الصاغاني قد وصل فيه إلى (بَكَمَ)"[4].

وقال القفطي[5]: "جمع في اللغة كتاب (المحكم) يقارب عشرين مجلداً لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه...لو حلف الحالف أنه لم يصنف مثله لم يحنث"[6].

وقد تواطأت ألسن أهل اللغة وغيرهم في الثناء عليه وتفضيله واعتماده، وقد صرح صاحب (اللسان) أنه ضمنه كتابه برمته[7]، وكذلك صاحب (القاموس المحيط) فقد أدخل فيه جميع مواده ولخص منه فوائده.

(١) محمد بن مكـــرَّم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، صاحب (لسان العرب)، (ت٧١١هـ)، انظر: فوات الوفيات، ابن شاكر (٣٩/٤)، الدرر الكامنة، ابن حجر (٥٢٠/٥)، بغية الوعاة، السيوطي (٢٤٨/١).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٢/١-٣).

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، أبو الفيض، الزبيدي، الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، صاحب (تاج العروس في شرح القاموس)، و(إتحاف السادة المتقين)، (ت١٢٠٥هـ)، انظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي (١٠٤/٢)، الأعلام، الزركلي (٧٠/٧).

(٤) تاج العروس، الزبيدي (١٢/١).

(٥) جمال الدين، علي بن يوسف بن إبراهيم، أبو الحسين، القفطي، صاحب (إنباه الرواة على أنباه النحاة)، كان عالما متفننا جماعاً للكتب، ولي الوزارة بحلب (ت٦٤٦هـ)، انظر: معجم الأدباء: ٢٠٢٢/٥، سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/٢٣.

(٦) إنباه الرواة، القفطي (٢٢٥/٢).

(٧) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٣-٤).

وقد رتبه على الترتيب الذي اخترعه الخليل بن أحمد الفراهيدي[١] في كتابه (العين)، وهو ترتيب على حسب مخارج الحروف، فبدأ بالأبعد فالأقرب إلى أن جاء للنهاية، هكذا: ع ح خ غ ق ك ج ش ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ء ي و ا.

ولم يترك هذا الترتيب على ما كان عليه، بل أدخل عليه بعض التغييرات والزيادات ليس هذا مقام شرحها[٢].

ومما امتاز به هذا الكتاب:

١- ثراء المادة اللغوية فيه، حتى وصفه من وصفه بأنه من أكبر الدواوين العربية وأغزرها مادة[٣].

٢- كثرة القراءات التي أوردها في كتابه، وقد تكلم عليها بالتوجيه والنقد.

٣- يمتاز عن جميع المعاجم بذكره للفوائد المتعلقة بعلم الصرف، وهذه يخلو منها جميع المعاجم، إلا ما كان واضحاً فالجميع يذكره.

وقد طبع عدة مرات من أجودها التي نشرها معهد المخطوطات العربية عام ٢٠٠٣م.

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو، الفراهيدي، من أئمة اللغة والأدب، واضع علم العروض، وهو شيخ سيبويه في النحو، له كتاب (العين) و(العروض)، (ت١٧٠هـ)، انظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي (٣١)، إنباه الرواة، القفطي (٣٧٦/١).

(٢) انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، نصار (٣٨٧/١)-٣٨٨، معجم المعاجم، الشرقاوي (٢٠١).

(٣) تاريخ ابن خلدون: ٧٥٨/١.

الفصل الثاني

منهج ابن سيده في التعامل مع القراءات في كتابه

المبحث الأول

موقفه من القراءات

يمتاز عصر ابن سيده بالعناية بالتحقيق في علم القراءات وخاصة في القطر الأندلسي، يدل على ذلك كثرة المؤلفات فيه، ويمتاز أيضاً بالتمييز بين المتواتر من الحروف والشاذ، كما امتاز بوجود أعلام كبار في علم القراءات، مثل الإمام أبي عمرو الداني، ومكي بن أبي طالب القيسي، وغيرهما.

ولم يكن ابن سيده غائباً عن هذه النهضة العلمية في علم القراءات، ولم يبدِ أي مخالفة لها في النتائج الكبرى التي وصلت إليها، ومنها اعتبار القراءات السبع متواترة، والحكم بتشذيذ ما سواها.

ومن خلال ما تقدم ذكره من الشائع في عصره رحمه الله ومن خلال استقراء القراءات في كتاب المحكم نخلص إلى ما يلي:

١- ينبغي للناظر في كتاب (المحكم) من جهة القراءات أن يأخذ بعين الاعتبار أن هذا الكتاب ليس كتابَ قراءاتٍ بالأصالة، وإنما هو كتابُ لغةٍ، فهو يورد القراءات؛ ليحتج بها لإثباتٍ معنى أو بنية كلمة، كما يحتج في ذلك بالشعر وكلام العرب، فلا يحاكمه القارئ إلى اصطلاحات القراء وقواعدهم، بل يجب عليه أن ينظر إليه في هذا الإطار.

٢- يظهر من خلال تعامل ابن سيده مع القراءات ولو كانت شاذة: أنه يعتبرها من أجود ما يستشهد به في مجال اللغة، وأنها أقوى من الشعر في إثبات المواد اللغوية، قال رحمه الله بعد ذكره قول الشاعر: "إذا غطيفُ السلمي فرَّا.

أراد: غطيفٌ السلمي، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وهو كثير حتى إن بعضهم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ﴾ [الإخلاص:١]، فحذف التنوين من أحد"(١).

فهنا أورد القراءة الشاذة بصيغة تدل على أنه يراها أقوى في إثبات هذه اللغة من الشعر، وهذا الذي ينبغي أن يكون، فإن الشعر يحتمل فيه الضرورة والخطأ واللحن بخلاف القراءة، فليس هناك مجال للضرورة فيها، وكذلك التلحين، وخاصة إذا ثبتت روايتها؛ لأنها في الغالب تروى عن أفصح الناس.

وقال في موضع آخر: "وقرأ بعضهم ﴿ما وَدَعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى:٣]، قال:

وكان ما قَدَّموا لأنفسِهِمْ •• أكثرَ نفعاً من الذي وَدَعُوا

وقال ابن جِنِّي(٢): إنما هذا على الضرورة لأن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس وإن لم يرد به سماع"(٣).

فهنا نرى أن ابن سيده أثبت اللغة بالقراءة ثم ذكر الشعر، وذكر تعليق ابن جني على الشعر، ولم يذكر تعليقا على القراءة لاختصاص التعليل بالضرورة بالشعر.

٣- أن ابن سيده كان يقول بتواتر القراءات السبع كما هو الشائع في عصره، ويشهد لذلك عدم تشذيذه لشيء منها في معجمه، أما القراءات الثلاث المتممة للعشرة وأعني بها قراءة الأئمة أبي جعفر المدني ويعقوب البصري وخلف الكوفي فليس لابن سيده نص في تشذيذها أو تصحيحها، وقد

(١) المحكم: ١٨٨/٤.

(٢) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة اللغة والأدب، له مصنفات كثيرة منها: (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإيضاح عنها)، و(سر صناعة الإعراب) و(الخصائص)، (ت٣٩٥هـ)، انظر: إنباه الرواة، القفطي (٣٣٥/٢)، بغية الوعاة، السيوطي (١٣٢/٢).

(٣) المحكم (٢٣٨/٢).

تتبعت انفراداتهم عن القراء السبعة فوجدت أن ابن سيده قد أورد شيئاً منها في معجمه دون نسبته إليهم، بل صدَّرَ بعضها بصيغة: (قرئ) كقراءة ﴿إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٥]، بتشديد الياء[١]، وهي قراءة الإمام أبي جعفر، وبعضها بصيغة: (وفي بعض القراءة) كقراة ﴿رَبِّ السَجْنُ﴾ [يوسف:٣٣]، بفتح السين[٢]، وهي قراءة الإمام يعقوب، وبعضها بصيغة: (وفي القراءة الأخرى) كقراءة ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُم تَقِيَّةً﴾ [آل عمران:٢٨]، بفتح التاء وكسر القاف بعدها ياء مشددة[٣] وهي قراءة الإمام يعقوب، فلا يمكن - والحالة ما ذكرت - القطعُ بموقفه منها، كما لا يمكن القطع بتحديد موقف بعض علماء عصره منها.

٤- عرض الإمام ابن سيده في كتاب المحكم إلى نقد بعض القراءات، فوصف بعضها بالشذوذ، وبعضها بالندرة، وخطَّأ بعضها، وليكن كلامنا هنا لبيان مراده بهذه الألفاظ ليتضح بذلك هل ابن سيده ممن يرد شيئاً من القراءات أم لا؟

قال رحمه الله:

- "ومن الشاذِّ قراءة من قرأ: ﴿فَانفَجَرَتْ منهُ اثنَتا عَشرَةَ عَيناً﴾ [البقرة:٦٠]، بفتح الشين"[٤].
- وقال: "وقال اللَّحيانيُّ: أَثابَه اللهُ مَثُوبَةً حَسَنَةً، وَمَثْوَبَةٌ شاذٌ، ومنه قراءة من قرأ: ﴿لمَثُوبَةٌ من عندِ اللهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة:١٠٣][٥].

(١) المحكم (١٢/٢٢٠).
(٢) المحكم (٧/١٩٦).
(٣) المحكم (٦/٣٧١).
(٤) المحكم (١/٢١٨).
(٥) المحكم (١١/١٩٤).

• وقال: "قراءة أهلِ الكوفة ﴿أَئِمَّةَ﴾ [التوبة:١٢]، بهمزتين شاذٌّ لا يقاسُ عليه"(١).

فأما وصفه لبعض القراءات بالشذوذ فغالب ذلك وقع منه على الشاذ في اصطلاح القراء، فلا إشكال فيه؛ إذ هو شاذ قراءة ولغة، وإنما الإشكال فيما وقع منه في حق المتواتر بذلك، كما في المثال الأخير، وباستقراء المواضع التي شذَّذَ أو حكم فيها بشذوذ المتواتر تبين لي أنه لا يريد بذلك الشاذ في اصطلاح القراء، الذي يترتب عليه رفض القراءة وعدم جواز التلاوة بها، وإنما مراده الشاذ في اصطلاح النحويين، وهو ما نقل من كلام العرب مخالفاً لقاعدة معلومة عند النحويين، أو جاء مخالفاً للمشهور من المسموعات من كلام العرب.

وقد عَـبَّرَ عنه في موضع آخر بالندرة واستعملهما بمعنى واحد، حيث قال: "فأما قراءة بعضهم: ﴿يكادُ سَنَا بَرْقِهِ يُذْهِبُ بِالأَبصَارِ﴾ [النور:٤٣] فنادر"(٢).

وزاد ووضح ذلك في قوله رحمه الله: "وقرأ عبد الله بن مسلم(٣): ﴿حتى أَبْلُغَ مجمعِ البحرين﴾ [الكهف:٦٠]، وهو نادر، كالمشرق والمغرب، أعني أنه شذَّ في باب فَعَل يَفْعَلُ، كما شَذَّ المشرق والمغرب ونحوهما من الشاذ، في باب فَعَل يَفْعُل"(٤).

وأما قوله بتخطئة القراءة فلم يقع منه ذلك على حسب استقرائي إلا

(١) المحكم (٢٢٤/٢١).
(٢) المحكم (٢١١/٤)، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة، انظر: النشر، ابن الجزري (٢٥٠٢/٤).
(٣) عبد الله بن مسلم بن يسار، من التابعين، أدرك أنس ابن مالك، أبوه مولى طلحة بن عبيد الله، روى عنه أهل البصرة، انظر: الثقات، ابن حبان (٦٠/٥).
(٤) المحكم (٢١١/١).

في موضع واحد في قراءة أبي عمرو بن العلاء ﴿نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [ق:٤٣] بالإدغام، قال رحمه الله: " فأما قراءة من قرأ: ﴿نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ فلا بد أن تكون النون الأولى مختلسةَ الضمة تخفيفاً، وهي بمنزلة المتحركة، فأما أن تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنةٌ فخطأ"(١).

وليس في هذا الكلام إنكار بلا تأويل، بل هو قد أقرَّ بالقراءة، ولكن لم يُقِرَّ بكيفية أدائها ، وذلك لأن كيفية الأداء المذكورة والتي ردَّها وخطَّأها مخالفة لما أجمع عليه أهل اللغة والنحو من عدم جواز اجتماع الساكنين في لغة العرب.

ومستند رفضه الأصل الذي أصله القراء، وهو اشتراط موافقة اللغة ولو من وجه في صحة قبول القراءة، ولذلك لجأ ابن سيده إلى القول بالاختلاس القريب في سمع السامع من الإدغام، ورفض حمل القراءة على الإدغام الناتج عن السكون المحض. وهذا هو مذهب المتأخرين من القراء، ومذهب المتقدمين الإدغام المحض(٢).

وصرح الإمام ابن الجزري بصحة الوجهين معاً، قال في النشر: "وكلاهما ثابتٌ صحيحٌ مأخوذ به"(٣).

المبحث الثاني

منهجه في إيراد القراءات

لم ينص ابن سيده على بيان منهجه في إيراد القراءات، ولا على كيفية تعامله معها متواترة كانت أو شاذة، لا من قريب ولا من بعيد، وقد اجتهدت

(١) المحكم (٢/٣٧٦).
(٢) انظر النشر، ابن الجزري (٢/٩٥٥).
(٣) المصدر السابق، وانظر: لطائف الإشارات، القسطلاني (٢/٧٣٢-٧٤٠).

في بيان منهجه في ذلك بعد الاستقراء والتتبع، وهذا ما وصلت إليه:

١- أولاً يجب أن يعلم أن ابن سيده كان يورد القراءات في سياق لغوي، بمعنى أنه يوردها للاحتجاج اللغويِّ لإثبات كلمة، أو بناء، أو ضبط، أو غير ذلك من أحوال الكلم واختلافها، فلا ينبغي أن نستغرب إذا وجدناه مثلاً يساوي بين القراءات الشاذة والمتواترة في الاعتبار والذكر، أو وجدناه يُعَبِّرُ بما يُفهَمُ منه رد بعض المتواتر[1] غير ناظر إلى سنده ولا منبه عليه، لأن ذلك كان بالنسبة إليه في سياق لغوي محض.

٢- في عزوه للقراءات إلى أصحابها كان تارة ينص على صاحب القراءة الموردة، وتارات كان يوردها دون عزو، وهذا الذي سلكه في هذا الكتاب وفي المخصص أيضاً.

وكون الغالب عليه عدم نسبة القراءة إلى أصحابها ربما يرجع ذلك إلى عدم اهتمام الناس في زمنه بذكر المصادر اكتفاء بثقة الشيخ، أو أن القراءات من المسلم ثبوت الحجة اللغوية بها، فلا شيء يدعو إلى ذكر أصحابها وتوثيقها توثيقاً تاماً، أو أن التوثيق في ذلك ربما أخرج الكتاب عن المقصود الذي هو في اللغة خاصة.

هذا ما بدا لي من أسباب أحسب أنها هي التي كانت وراء عدم ذكرهم للنسبة، وقد يكون معها غيرها فليبحث، ولا تزاحم في الفوائد.

٣- ترك المؤلف – كما هي عادة المؤلفين في زمانه- ذكر مصادره، فلم أجده - في حدود اطلاعي – يذكر المصنفات التي رجع إليها، وإنما كان في

(١) وقد مرَّ في مبحث بيان موقفه من القراءات ص (١٤–١٥) أن الصحيح أن ابن سيده لم يرد أي قراءة متواترة.

بعض الأحيان يذكر المصنفين والأئمة كابن جني والأخفش[1] وثعلب[2] وغيرهم، ولم ينص على مصنفاتهم التي أخذ منها بالتعيين[3].

٤- كثيراً ما كان ابن سيده يورد القراءات المتواترة بصيغة (قرئ) المبني للمفعول أو ما يؤدي مؤدى هذه العبارة، وهي عبارة - على ما جرى به الاصطلاح عند المتأخرين - تستعمل لما لم يصح من الأخبار، ويصفها بعضهم بصيغة التمريض.

ولكن ابن سيده سلك في إطلاقها المسلك اللغويَّ على الأصل في دلالتها على الفاعل المجهول مجرداً عن أي معنى خارج، فلا ينبغي أن ينكر عليه في استعمال ذلك، ومثال ذلك قوله:

- "وقُرئ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ و﴿إِيَّابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٥]، أي رجوعَهم"[4].
- وقوله: "وقد قرئ: ﴿وأَدْبَار﴾ ﴿وإِدْبَارَ﴾ [ق:٤٠]، فمن قرأ ﴿وأَدْبَار﴾ فمن باب خَلْفَ ووراءَ، ومن قرأ ﴿إِيَّابَهُمْ﴾ فمن باب خُفُوقِ النجم"[5].

ففي هذين المثالين نجد أنه استعمل صيغة المبني للمجهول في القراءات المتواترة، وهذا قطعاً ينص على ما شرحته من أنه لا يريد المعنى الاصطلاحي لـ(قرئ)، وإنما يريد المعنى اللغوي المجرد.

٥- من منهجه في إيراد القراءات: أنه يوردها بحسب المادة المناسبة للحرف المختلف فيه، وتبعا لذلك تجد القراءات في بعض الأحيان مفرقة في

(١) سعيد بن مسعدة، أبو الحسن، الأخفش الأوسط، أخذ العربية عن سيبويه، وكان أسن منه، له عدة مصنفات منها: (معاني القرآن)، (ت ٢١٥هـ)، انظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي (٤٠)، إنباه الرواة، القفطي (٣٦/٢).

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، من مصنفاته (الفصيح) و (مجالس ثعلب)، (ت٢٩١هـ)، انظر: معجم الأدباء، الحموي (٥٣٦/٢)، إنباه الرواة، القفطي (١٧٧/١).

(٣) وللاستزادة انظر مبحث مصادر المؤلف ص (٣١).

(٤) قرأ أبو جعفر بالتشديد، وقرأ باقي العشرة بالتخفيف، انظر: النشر، ابن الجزري (٢٧٢٩/٤).

(٥) كسر الهمزة المدنيان وابن كثير وحمزة وخلف، وفتحها باقي العشرة، انظر: النشر، ابن الجزري (٢٦٤٧/٤).

مواضع مختلفة من كتابه، وتارة تجدها مجتمعة في مادة واحدة، ومرد ذلك كله إلى أنه إذا كان اختلاف القراءتين يؤدي إلى الاختلاف في المادة اللغوية، فإنه يُفرِّق القراءات بحسب المادة، وإذا لم تختلف المادة فإنه يجمعها في موضع واحد، فمن القراءات التي فرقها بحسب ورود مادتها العلمية قراءة: ﴿بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤]، بالضاد والطاء، فذكر الأولى في مادة (ض ن ن)[١]، والثانية في مادة (ظ ن ن)[٢]، وكذا قراءة: ﴿سَلَقُوكُم﴾ و(صَلَقُوكُم) [الأحزاب:١٩] الأولى في مادة (س ل ق)[٣]، والثانية في مادة (ص ل ق)[٤].

أما القراءات التي جمعها في مكان واحد؛ لاجتماع مادتها اللغوية فيه، فمثالها: قراءة ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٣٧] بضم الخاء واللام، أو بفتح الخاء وإسكان اللام، في مادة (خ ل ق)[٥]، وكذا القراءات في ﴿دَرَسْتَ﴾ [الأنعام:١٠٥] جمعها في مادة (د ر س)[٦].

٦- ينقل ابن سيده كلام علماء النحو واللغة في توجيه بعض القراءات، ولم يقتصر على النقل في بعض المواضع، بل كان يُتْبِعُ ذلك بنقده الذي يدل على طول باعه في علم اللغة والنحو، وذلك مثل قوله:

- "فأما ما حكاه الأصمعي[٧] من قراءة بعضهم: (اهدنا الزِّراط) [الفاتحة:٦] بالزاي المُخْلَصَةِ فخطأ، إنما سمع المضارِعة[٨] فتوهمها زاياً،

(١) انظر: المحكم: ١٠٧/٨.
(٢) انظر: المحكم: ١٢/١١.
(٣) انظر: المحكم: ١٤٤/٦.
(٤) انظر: المحكم: ١٢٨/٦.
(٥) انظر: المحكم: ٣٨٧/٤.
(٦) انظر: المحكم: ٢٩٦/٨.
(٧) عبد الملك بن قريب الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، (ت٢١٦هـ)، انظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي (٤٦)، إنباه الرواة، القفطي (١٩٧/٢).
(٨) أي المشابهة، وهو الإشمام لأن فيه مشابهة الزاي بالصاد بالإشمام.

ولم يكن الأصمعي نحوياً فيُؤمَنَ على هذا"[1].

- وقوله: "والوعد من المصادر المجموعة، قالوا: الوعود، حكاه ابن جني، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، أي إنجاز هذا الوعد أرونا ذلك، وقوله ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة:٥١]، ويقرأ: ﴿وَعَدْنَا﴾، قال أبو إسحاق: اختار جماعة من أهل اللغة: ﴿وإذ وَعَدْنَا﴾ - بغير ألف - وقالوا: إنما اخترنا هذا لأن المواعدة إنما تكون من الآدميين، فاختاروا ﴿وَعَدْنَا﴾، وقالوا: دليلنا قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم:٢٢] وما أشبهه، قال: وهذا الذي ذكروه ليس مثل هذا، وأما واعدنا هذا فجيد؛ لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من الله تعالى وَعْدٌ، ومن موسى صلى الله عليه وسلم قبول واتباع، فجرى مجرى المواعدة"[2].
- "والثُمُر: الذهب والفضة، حكاه الفارسي[3] يرفعه إلى مجاهد[4] في تفسير قوله: ﴿وكانَ لَهُ ثُمُرٌ﴾ [الكهف:٣٤] فيمن قرأ به، قال: وليس ذلك بمعروف في اللغة"[5].

٧- الغالب عليه الاقتصار على توجيه الفرش، وقد وجه بعض الأصول كالإمالة في ﴿طَحَاهَا﴾ [الشمس:٦][6] و﴿بَلَى﴾ [البقرة:٨١][7]، و﴿وَمَحْيَايَ﴾

(١) المحكم (٨/٢٨٥).
(٢) المحكم (٢/٢٣٦).
(٣) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي، الفارسي، أحد الأئمة في علم العربية، أدرك الزجاج وابن السراج وأخذ عنهما، من مصنفاته: (الحجة للقراء السبعة) و(التعليقة على كتاب سيبويه)، انظر: إنباه الرواة، القفطي (١/٣٠٨)، بغية الوعاة، السيوطي (١/٤٩٦).
(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي، الإمام، شيخ المفسرين، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس، (ت١٠٣هـ)، وقيل غير ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء: ٤/٤٤٩، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١١).
(٥) المحكم (١١/٩٦).
(٦) المحكم (٣/٣٧٣).
(٧) المحكم (١٢/٤٩).

[الأنعام:١٦٢][١] في ياءات الإضافة، و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢][٢] في ياءات الزوائد.

٨- الغالب عليه ترك ضبط القراءات التي يوردها، وذلك اتكالاً منه على سياق المادة التي استشهد لها بالقراءة، وفي بعض المواضع ضبط ببعض طرق الضبط المشهورة مثل:

- الضبط ببيان نوع الحرف مثل قوله:

- "فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم (اهدنا الزِّراطَ) [الفاتحة:٦] بالزاي المُخْلَصَة فخطأ"[٣].
- وقوله:"وذهب أَبو عثمان المازني[٤] في قراءة من قرأ: ﴿ياأَبَتَ﴾ [يوسف:٤] بفتح التاء"[٥].
- وقوله:"وفي قراءة عبد الله ابن مسعود: ﴿وإذا السَّمَاءُ قُشِطَتْ﴾ [التكوير:١١] بالقاف"[٦].

- الضبط ببيان نوع الحركة، مثل قوله:

- "وحكى الأخفش أن بعضهم قرأ: ﴿ومن يُهِنِ اللهُ فماله مِنْ مُكْرَم﴾ [الحج:١٨] بفتح الراء"[٧].
- وقوله:"ومن الشاذ قراءة من قرأ: ﴿فانفَجَرَتْ مِنْهُ اثنَتَا عَشَرَةَ عَينًا﴾ [البقرة:٦٠] بفتح الشين"[٨].

(١) المحكم (٣/٤).
(٢) المحكم (٨/٢٣٨).
(٣) المحكم (٨/٢٨٥).
(٤) بكر بن محمد بن بقية، أبو عثمان، المازني، البصري، كان إماما في العربية، متسعاً في الرواية، من مصنفاته: (ما تلحن فيه العامة)، (ت٢٤٩هـ)، وقيل غير ذلك، انظر: إنباه الرواة، القفطي (١/٢٨١)، بغية الوعاة، السيوطي (١/ ٤٦٣).
(٥) المحكم (١٢/١٢٧).
(٦) المحكم (٦/٩٥).
(٧) المحكم (١/٢٠٨).
(٨) المحكم (١/٢١٨).

- وقوله: "ابن جني: وقراءة من قرأ: ﴿فرَّقنا بِكُمُ البَحْرَ﴾ [البقرة:٥٠] بتشديد الراء شاذة"(١).

• الضبط بالتشبيه بالمثال الأشهر، مثل قوله:

- "وقد قرئ: ﴿رِيَاشاً﴾ [الأعراف:٢٦]، على أن ابن جني قال: رِياشٌ: جمع رِيش، كلِهْب ولِهَاب"(٢).
- وقوله: "فأما من قرأ: ﴿نُشُرًا﴾ [الأعراف:٥٧] فهو جمعُ نَشُورٍ، مثل رَسُول ورُسُل"(٣).
- وقوله: "وحكى أبو الحسن الأخفش قراءةَ: ﴿فَبَهِتَ﴾ [البقرة:٢٥٨] كخَرِقَ ودَهِشَ"(٤).

المبحث الثالث

منهجه في التوجيه

لم يزل النحويُّونَ في كلِّ زمان ومكان يتعرضون لقراءات القرآن الكريم بالإعراب وأنواع التوجيهات والتخريجات التي توجبها الصناعة النحوية، حتى صار هذا الفعل من جملة العلوم اللغوية التي لا بد للنحوي واللغوي من أن يكون له نصيب منها، وذلك لتعلقها بأفصح كلام.

وعلى ذلك سار الإمام ابن سيده، فلا توجد هناك مناسبة في مادة من مواد اللغة إلَّا وأورد في كتابه من الآيات أو القراءات ما يناسب المقام، وأتى له بتوجيهات لغوية، ناقلاً عن غيره، أو مجتهداً فيها.

(١) المحكم (٦/٢٣٤).
(٢) المحكم (٨/٧٢).
(٣) المحكم (٨/٣٢).
(٤) المحكم (٤/٢٠١).

وفي هذا المبحث أود أن أصف منهجه في هذا التوجيه، وذلك في النقاط التالية:

١- بالنسبة إلى تعيين مذهبه النحوي، لا نستطيع الجزم بانتمائه إلى مدرسة معينة، لا إلى مدرسة البصريين، أو إلى مدرسة الكوفيين، وذلك لعدم تصريحه بذلك، ولأنه في كتابه يعتمد كلا المدرستين، لذلك فالحكم الذي ينبغي التصريح به في هذه المسألة هو أن يقال: إن الإمام ابن سيده من أئمة المدرسة الأندلسية، ومن المعلوم أن المدرسة الأندلسية قد جمعت بين المدرستين، واستفادت من علوم المِصْرَين، وإن كانت إلى البصريين أميل في الإطار العام للنحو العربي، لكنها لم تهمل ما تضمنه المذهب الكوفي من الفوائد والمحاسن(١).

والإمام ابن سيده يظهر لي أنه لم يخرج عن مدرسته التي هو من صناعها، يدل على ذلك تنوع تعامله، في مثل قوله:

- "فقد يكون جمع تِجار[يعني تُجُر]، على أَنَّ سيبويه(٢) لا يَطْرُدُ جمع الجمع، ونظيره عند بعضهم قراءة من قرأ: ﴿فرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة:٢٨٣]، قال: هو جمع رِهان: الذي هو جمع رَهْن، وحمله أبو علي على أنه جمع رَهْن، كسَحْل وسُحُل، وإنما ذلك لما ذهب إليه سيبويه من التحجير على جمع الجمع إلَّا فيما لا بُدَّ منه"(٣).
- وقوله:"وقرئ: ﴿خِطِف﴾ [الصافات:١٠] بكسر الخاء والطاء على إتباع كسرة الخاء كسرة الطاء، وهو ضعيف جداً، قال سيبويه: خَطَفه

(١) انظر: المدارس النحوية، شوقي (٢٩٠ – ٢٩١)، في أصول النحو، الأفغاني (٢٣١)، خصائص مذهب الأندلس النحوي، الهيتي (٤٧).
(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الحارثي بالولاء، إمام النحاة، وأول من بسط الكلام في النحو، ألف كتاب (الكتاب) في النحو، لم يصنف قبله ولا بعده مثله، (ت١٨٠ه)، انظر: أخبار النحويين البصرين، السيرافي (٣٨)، بغية الوعاة، السيوطي (١٢٩/٢).
(٣) المحكم (٢٤٨/٧).

واختطفه، كما قالوا: نَزَعه وانتزعه"[1].

- وقوله:"وفي التنزيل: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة:٨٨]، وقيل: معناه: صُمٌّ، ومن قرأ: (غُلُف) أراد جمع: غلاف، أي: إنها أوعية للعلم، ولا يكون جمع: أغلفَ، لأن (فُعُلا) لا يكون جمع (أفْعل) عند سيبويه، إلا أن يضطر شاعر"[2].

ففي هذه الأمثلة الثلاثة نجد أن ابن سيده يحتج بكلام ابن سيبويه إمام البصرية لإثبات هذه المسائل، ولا يعترض، ولا يناقش.

- وقوله:"وجمع المَعِيشَة (معايِشُ)، على القياس، و(معائِشُ)، على غير قياس، وقد قرِىء بهما، ورُوِيتْ عن نافع مهموزة، وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ"[3].

وهنا خالف البصريين؛ فأورد القراءة في معجمه، ووجهها بأنها جمعٌ على غير القياس؛ نظراً لوجود الشاهد في القراءة، وهذا مذهب كوفي[4].

- وقوله:"وفي التنزيل: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بينُكُم﴾ [الأنعام:٩٤]، أي: وصلُكُم، ومن قرأ: ﴿بينَكُم﴾ بالنصب، احتمَلَ أمرين:

أحدهما: أن يكون الفاعلُ مضمراً، أي لقد تقطَّعَ الأمرُ، أو العقدُ، أو الوُدُّ بينكم.

والآخر: ما كان يراه الأخفش من أن يكون ﴿بينَكُم﴾ - وإن كان منصوبَ اللفظِ - مرفوعَ الموضع بفعله، غيرَ أنه أُقِرَّتْ عليه نَصْبَةُ

(١) المحكم (٥/٧٣).

(٢) المحكم (٥/٣١١).

(٣) المحكم (٢/١٥٣)، وأجمع القراء العشرة على ترك الهمز، وروى خارجة عن نافع بالهمز وهي قراءة شاذة، انظر: لطائف الإشارات، القسطلاني (٥/٢١٦١)، الإتحاف، البنا (٢/٤٤).

(٤) انظر: معاني القرآن، الفراء (١/٣٧٣)، البحر المحيط، أبو حيان (٤/٢٧١)، حاشية الشهاب (٤/١٥٢-١٥٣).

الظَّرْف -وإن كان مرفوعَ الموضع-؛ لاطراد استعمالهم إياهُ ظرفاً"[1].

ففي هذه الأمثلة من كلامه يظهر جلياً كيف أنه يأخذ في الغالب بمذهب البصريين، وربما خالفهم، فيأخذ بمذهب الكوفيين وغيرهم، وهذا هو شأن علماء اللغة الأندلسيين، وليس عندهم وقوف عند إحدى المدرستين النحويتين، وإنما هم أكثر ميولاً إلى البصرية لأسباب ذكرت في الكتب التي عنيت بدراسة هذا الموضوع[2].

٢- مما يمتاز به ابن سيده أنه لا يورد قراءة إلا ويوجهها إما تصريحاً وإما تلميحاً، وهذا في غالب الحروف القرآنية التي تكلم فيها؛ لأنه لا يوردها إلا في سياق شرح مادتها اللغوية، وهذا بحد ذاته توجيه، وربما زاد عليه شيئاً من الكلام الذي تقتضيه الصناعة النحوية، وهذا وقع له في كثير من المواد التي أورد فيها قراءات.

٣- من التوجيهات ما يكون من اجتهاده هو، وبما جادت به قريحته ومعرفته في العلم، ومنها ما يكون بالنقل من غيره. فمن الأمثلة على توجيهه برأيه قوله:

- " وأما قراءة من قرأ: ﴿وكَذَلِكَ نُجّي المُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ونصب المفعول الصريح؛ لأنه عندنا على حذف أحد نوني (نُنَجِّي)، كما حُذِفَ ما بعد حرف المضارعة في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩]، أي تتذكَّرون، ويشهد بذلك أيضا سكون لام ﴿نُجّي﴾، ولو كان ماضياً لانفتحت اللام إلّا في

(١) المحكم (١٢/١٦٠).
(٢) انظر: في أصول النحو، الأفغاني (٢٣١-٢٣٣)، أثر المدرسة البصرية في النحو الأندلسي، كرار (١٠٧).

الضرورة"[1].

- وقوله: "وأما قراءة من قرأ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] بالوَقْفِ وترك الوَصْل، فإنَّما فعلوا ذلك؛ لأَنَّ رُؤُوس الآياتِ عندَهُم فواصل، ورُؤُوسُ الآي وفواصِلُها يَجْري فيها ما يَجْري في أواخر الأبيات والفواصل؛ لأنَّه إنَّما خُوطِبَ العَرَبُ بما يعقلونه في الكلام المؤَلَّفِ، فيدلُ بالوقفِ في هذه الأشياء، وزيادة الحروف فيها – نحو: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] و﴿السَّبِيلاَ﴾ [الأحزاب:٦٧] و﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٦]– على أنَّ ذلك الكلامَ قد تمَّ وانقطعَ، وأَنَّ ما بعدَه مستأنفُ، ويَكْرَهُونَ أَنْ يَصِلُوا، فيدعوهم ذلك إلى مخالفة المصحف"[2].

ومن الأمثلة على توجيهه بالنقل قوله:

- "ومن الشاذ قراءة من قرأ: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشَرَةَ عيناً﴾ بفتح الشين، ابن جني: وَجْهُ ذلك: أن ألفاظ العدد تُغَيَّرُ كثيراً في حد التركيب، ألا تراهم قالوا في البسيط: واحد، وأحد، ثم قالوا في التركيب، إحدى عَشْرة، وقالوا: عَشْر وعَشَرة، ثم قالوا في التركيب: عِشْرُونَ، ومن ذلك قولهم: ثلاثُونَ، فما بعدها من العقود إلى التسعينَ، فجمعوا بين لفظ المؤنث والمذكر في التركيب، الواو للتذكير وكذلك أختها، وسقوط الهاء للتأنيث"[3].

- وقوله:"وقال الزَّجاجُ[4]: من قرأ: ﴿نَشْراً﴾ فالمعنَى وهو الذي يُرْسِلُ الرياحَ مُنْتشِرَةً نَشْراً، ومن قرأ: ﴿نُشُراً﴾ فهو جمع نَشُور،

(١) المحكم (٣٨٥/٧).
(٢) المحكم (١١/١١).
(٣) المحكم (٢١٨/١).
(٤) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، أخذ العربية عن المبرد، من مصنفاته: (معاني القرآن وإعرابه)، (ت١٣١١هـ)، انظر: إنباه الرواة، القفطي (١٩٤/١)، بغية الوعاة، السيوطي (٤١١/١).

قال: وقُرِئ: (بُشُراً) بالباء جَمْعُ بَشيرَةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦][1].

٤- سلك ابن سيده في توجيه القراءات شتى المسالك التي توجبها الصناعة النحوية، وفيما يلي بيان منهجه في التوجيه بشيء من التفصيل:

أولاً: التوجيه بطرق التعليل النحوية، وذلك كقوله:

- "هَيْتَ: تَعَجُّبٌ، تقول العرب: هَيْتَ للحِلْم.

وهَيْتَ لكَ، وهِيْتَ لكَ: أي: أقبل، وفي التنزيل: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣]، وقد قيل: ﴿هَيْتُ لك﴾ و (هَيْتِ لك) بضم التاء وكسرها، قال الزجاج: وأكثرها، (هَيتَ لك) بفتح الهاء والتاء، قال: ورويت عن علي عليه السلام: (هِيْتُ لك)، وروى ابن عباس: ﴿هِئْتُ لَكَ﴾ بالهمز وكسر الهاء من الهيئة، كأنها قالت: تهيَّأتُ لك، قال: فأما الفتح من ﴿هَيْتَ﴾ فلأنها بمنزلة الأصوات ليس لها فعل يتصرف منها، وفتحت التاء لسكونها وسكون الياء، واختير الفتح لأن قبلها ياء، كما فعلوا في (أين).

ومن كسر التاء فلأن أصل التقاء الساكنين حركةُ الكسر، ومن قال: چ هَيْتُ چ ضمها لأنها في معنى الغايات، كأنها قالت: دعائي لك، فلما حذفت الإضافة وتضمنت چ هَيْتُ چ معناها بنيت على الضم، كما بنيت حيث، وقراءة علي: (هِيْتُ لك) بمنزلة هَيْتُ لك، والحجة فيهما واحدة"[2].

(١) المحكم (٨/٣٢).

(٢) المحكم (٤/٢٧٢)، وقرأ المدنيان وابن ذكوان بكسر الهاء وفتح التاء من غير ألف، وقرأ هشام كذلك إلا أنه بالهمز، وله وجه آخر بضم التاء، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء من غير همز، وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء من غير همز، انظر: النشر، ابن الجزري (٤/٢٣٨٩-٢٣٩٢).

- وكقوله: "وعَذَابٌ بِئْسٌ، وبِيسٌ، وبَئِيسٌ على تَأْويلي في هذا النحو، وبَئِيسٌ: شديدٌ، وأما قراءة الأعمش: ﴿بِعذابٍ بَيْئِسٍ﴾ [الأعراف:١٦٥]، فبنى الكلمة مع الهمزة على مثال فَيْعِلٍ، وإن لم يكن ذلك إلا في المعتل، نحو: سَيِّدٍ ومَيِّتٍ وبابهما، فوجهها أن الهمزة، وإن لم تكن حرف علة، فإنها معرضة للعلة، وكثيرة الانقلاب عن حرف العلة، فأُجرِيتْ بَيْئِس عنده مجرى مَيِّت وسَيِّد وهَيِّن، كما أُجْرِيتْ التَجْزِيةُ مُجرى التَعْرِيةِ في باب الحذف والعوض، وبِيس كخيسٍ تجعلها بَيْنَ بَيْنَ، من بِئْسَ، ثم تحولها بعد ذلك ياء، وهذا بعد بَدَل الهمز، ليس بشيء"(١).
- وكقوله: "وعلى هذا قراءة ابن كثير: ﴿فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى على سُؤْقِهِ﴾ [الفتح:٢٩]، وقراءة أبي عمرو: ﴿عادًا لُّؤْلَى﴾ [النجم:٥٠](٢)، وتعليل ذلك: أن الواو إذا انضمت، فهمزها مطَّرِدٌ عند سيبويه، كوُجوه وأُجُه، فلما سَكَنَتِ الواوُ وقبلها ضمة، توهمت الضمة عليها، فهمزت لذلك، قال الفارسي: وليست بتلك اللغة الفاشية"(٣).

ثانياً: التوجيه بذكر الاشتقاق أو الأصل الصرفي، وذلك كقوله:

- "ومن الشاذ قراءة ابن عباس ومجاهد وعكرمة(٤): ﴿وعلى الذين يُطَوَّقونه﴾ [البقرة:١٨٤]، و(يَطَّوَّقونه)، و (يُطَيَّقونه)، و (يَطَّيَّقونه).

فيُطَوَّقونه: يُجعل كالطَّوق في أعناقهم.

(١) المحكم (٨/٣٧١-٣٧٢).

(٢) هذه رواية قالون عن نافع، وأما أبو عمرو فقرأها كذلك لكن دون همز، انظر: النشر، ابن الجزري(٢/١٢٨٨).

(٣) المحكم (١/١٢).

(٤) عكرمة بن عبد الله، البربري، المدني، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، (ت١٠٥هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/١٢)، طبقات المفسرين، الداوودي (١/٣٨٦).

ويَطَّوَّقونه: أصله: يتَطَوَّقونه فقلبت التاء طاء، وأدغمت في الطاء.

ويُطَيَّقونه: أصله: يُطَيْوَقونه، فقلبت الواو ياء كما قلبتها في سيِّد وميّت، وقد يجوز: أن يكون القلب على المعاقبة كتهَّور وتهيَّر.

ومن قرأ: (يَطَّيَّقونه)، جاز أن يكون: (يَتَفَيْعَلُونَهُ) أصله: يَتَطَيْوَقُونَه، فقلبت الواو ياء، كما تقدم في: ميّت، وتجوز فيه المعاقبة أيضاً على تهيّر.

ويجوز أن يكون: يُطَوَّقُونه، بالواو، وصيغة ما لم يسم فاعله: (يُفَوْعَلونه) إلا أن بناء (فَعَّلت) أكثر من بناء: (فَوْعلت)"[1].

- وكقوله: "وتقرأ هذه الآية على سبعة أوجه: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]، معناه: أنه عَبَدَ الطاغوتَ من دون الله. و(عُبِدَ الطاغوتُ)، و(عَبُدَ الطاغوتُ)، معناه: صار الطاغوت يعبد، كما تقول: ظَرُفَ الرجلُ، و(عُبَّدَ الطاغوتِ) معناه: عُبَّادُ الطاغوتِ، و(عَبَدَ الطاغوتِ)، أراد عَبَدَة الطاغوتِ. قال أبو الحسن: عَبَدَ الطاغوتِ، اسم لجمع عابد كخادم وخَدَم، و(عُبُد الطاغوتِ) جماعة عابد، وقال الزجاج: هو جمع عبيد كرغيف ورُغُف، و(عَبْدَ الطاغوتِ) - بإسكان الباء وفتح الدال - يكون على وجهين: أحدهما أن يكون مخففاً من عَبُدٍ كما يقال في عَضُدٍ: عَضْدٌ، وجائز أن يكون عَبْدٌ اسم الواحد يدل على الجنس، ويجوز في عبْد النصب والرفع"[2].

ثالثاً: التوجيه باللغات، وذلك كقوله:

- "الصَّدَف: كلُّ مُرتَفَع عظيم كالحائط والجبل، والصَّدفُ: جانب الجبل، وقيل: الصَّدَف ما بين الجَبَلَيْن، والصُّدُفُ لُغَة فيه، عن كراع.

(١) المحكم (٦/٣٢٩).
(٢) المحكم (٢/٢٠).

وقال ابن دريد[1] الصُّدُفان بضم الدال: ناحيتا الشِّعْبِ أو الوادِي كالصَّدَفَيْنِ.

والصَّدَفانِ والصُّدُفانِ جبلان متلاقيانِ بيننا وبين يأجوج ومأجوج، وفي التنزيل: ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف:٩٦]، و﴿الصُّدُفَيْنِ﴾ قُرِئَ بهما"[2].

- وكقوله: "قَشَطَ الجُلّ عن الفرس قشطاً: نزعه، وكذلك غيره من الأشياء، قال يعقوب: تميم وأسد يقولون: قَشَطت، بالقاف، وقيس تقول: كشطت، وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف؛ لأنهما لغتان لأقوام مختلفين، قال: وفي قراءة عبد الله ابن مسعود: ﴿وإذا السماء قُشِطَتْ﴾ [التكوير:١١] بالقاف، والمعنى واحد"[3].

رابعاً: التوجيه ببيان المعنى، وذلك كقوله:

- "وقرئ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ و﴿إِيَّابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]، أي رُجُوعَهُم، وهو فِيعالٌ من أَيَّبَ فَيْعَلَ، وقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ:١٠]، ويقرأ: (أُوْبِي مَعَهُ)، فمن قرأ: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ قلنا: يا جبال سَبِّحي مَعَه وَرَجِّعِي التَّسْبيح، ومن قرأ: (أُوْبِي معه)، فمعناه عُودِي معه في التَّسبِيح كلما عادِ فيه"[4].

- وكقوله: " ولـمَّا: بمعنى (حين)، ولـمَّا كـ (لَـمْ) الجازمة، وتكون بمعنى (إلا) كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق:٤] فيمن قرأ به،

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، صاحب (مقصورة ابن دريد)، وله أيضا (الاشتقاق)، و(جمهرة اللغة) وغيرها، (ت٣٢١هـ)، انظر: معجم الأدباء، الحموي (٢٤٨٩/٦)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (٩٦/١٥).

(٢) المحكم (١٩٢/٨).

(٣) المحكم (٩٥/٦).

(٤) المحكم (٢٢٠/١٢).

أي: إلَّا عليها حافظٌ.

وتكون بمعنى (إلَّا) أيضاً في باب القَسَم، تقول: (سألتُكَ لـمَّا فعلتَ)، بمعنى: (إلاَّ فَعَلْتَ)"(١).

- وكقوله: "و(لا مَسَاسَ)، أي: لا تَمَسَّني، ولا (مِسَاسَ)، أي: لا مُمَاسَّة، وقد قرئ بهما"(٢).

خامساً: توجيهه بما يقتضيه علم البديع القرآني كتساوي رؤوس الآي، وذلك كقوله:

- "وفي التنزيل: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [الكهف:٥١]، أَي أعْضاداً، وإنَّما أفرد لتعتدل رءوس الآي بالإفراد"(٣).
- وقوله: "وأما قراءة من قرأ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] بالوَقْف وترك الوَصْل، فإنَّما فعلوا ذلك؛ لأَنَّ رُؤُوس الآيات عندَهُم فواصل، ورُؤُوسُ الآي وفواصِلُها يَجْري فيها ما يَجْري في أواخر الأبيات والفواصل؛ لأنَّه إنَّما خُوطِبَ العَرَبُ بما يعقلونه في الكلام المؤَلَّف، فيدلُ بالوقف في هذه الأشياء، وزيادة الحروف فيها – نحو: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] و﴿السَّبِيلاَ﴾ [الأحزاب:٦٧] و﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٦]– على أنَّ ذلك الكلامَ قد تمَّ وانقطعَ، وأَنَّ ما بعدَه مستأنفٌ، ويَكْرَهُونَ أَنْ يَصِلُوا، فيدعوهم ذلك إلى مخالفة المصحف"(٤).
- وكقوله: "ويَومُ التَّنادِّ: يومُ القيامة؛ لما فيه من الانزعاج إلى الحشر، وفي التنزيل: ﴿يَوْمَ التَّنَادِّ﴾ [غافر:٣٢]، وأما قراءة من قرأ: ﴿يَوْمَ التَّنَادِّ﴾،

(١) المحكم (١٢/٤٢).
(٢) المحكم (٨/٢٨٤).
(٣) المحكم (١/٢٤١).
(٤) المحكم (١١/١١).

فيجوز أن يكون من مُحوَّلِ هذا البابِ، فحذف الياء لتعتدل رءوس الآي، ويجوز أن يكون من النداء، وحَذَفَ الياء أيضاً لمثل ذلك"[1].

المبحث الرابع
مصادر القراءات في كتابه

قد علم أن ابن سيده كان واسع الاطلاع، قليل النظير في حفظ اللغة ومعرفة أسرارها، وهذا موجب لكثرة مصادره في شتى اتجاهات المعرفة في كتابه هذا، وهي كذلك في تقديري، إلا أن المؤلف قد جرى في التعامل معها على عادة اللغويين والنحويين عموماً، والأقدمين منهم خصوصاً من عدم التصريح بأسماء المصادر في الغالب، وفي تقديري أن أسماء المصادر في كتابه بالنسبة لمادة القراءات هي على أسلوبين:

الأول: أنه ذكر أسماء العلماء دون الإشارة إلى تعيين المؤلفات التي استقى منها هذه النقول، وكثرة النقول عنهم تدل على أنه نقل من كتبهم دون واسطة، مثل: سيبويه في كتابه[2]، وابن جني في المحتسب[3]، والزجاج في إعراب القرآن[4]، وثعلب[5]، واللحياني في النوادر[6]، والأخفش في معاني القرآن[7].

(١) المحكم (٩/٢٢٤).
(٢) انظر: المحكم (٥/٧٣).
(٣) انظر: المحكم (١/٢١٨).
(٤) انظر: المحكم (٨/٣٢).
(٥) انظر: المحكم: (٤/٣٨٨)، ولثعلب عدة كتب مفقودة يحتمل أن ابن سيده نقل منها: ككتاب معاني القرآن، وإعراب القرآن، والقراءات، انظر: الفهرست، ابن النديم: (١٠٠)، الأعلام، الزركلي (١/٢٦٧).
(٦) انظر: المحكم (١١/١٩٤).
(٧) انظر: المحكم (١/٢٠٨).

الثاني: مصادر نقل منها ولكن لم يذكر عنها شيئاً، وهذه يمكن الاجتهاد في تعيين بعضها، والظن بأنه اطلع عليها وأخذ منها وذلك لأمرين اثنين:

أحدهما: شهرة هذه المصادر في زمنه، وكونها عمدة في بابها.

و**ثانيهما**: وجود مادتها العلمية مضمنة في الكتاب.

وهذه المصادر مثل: السبعة لابن مجاهد[1]، الروضة للطلمنكي، التيسير وجامع البيان للداني[2].

خاتمـــــــة

وفي نهاية هذا البحث وختام هذه الدراسة أحب أن أحيط القارئ علما بأهم النتائج التي توصلت إليها من هذه الجولة البحثية في هذا الموضوع، وهي:

١- أن بين العلوم العربية والقرائية تداخلاً وتشابكاً كبيراً، بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر، فأقوى مصدر للغة العربية هو القرآن الكريم بقراءاته، كما أن موافقة العربية شرط من شروط قبول القراءة القرآنية.

٢- أن ابن سيده كان على دراية كبيرة بعلم القرءات، يدل على ذلك مقدار القراءات التي أوردها في كتابه المحكم ومنهجه في التعامل معها.

٣- أن ابن سيده قد وجه كثيراً من القراءات بالنص على وجهها لفظاً خاصاً بها، وكثير من القراءات سكت عن توجيهها اتكالاً على التوجيه السياقي؛ لأنها في جميع الأحيان إنما ترد في سياق بيان أبنية مادة من المواد اللغوية، وبالنظر في السياق يعرف التوجيه.

(١) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر، التميمي، البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبع السبعة، صاحب كتاب (السبعة)، (ت٣٢٤هـ)، انظر: معرفة القراء، الذهبي (٢/٥٣٣)، غاية النهاية، ابن الجزري (١/١٣٩).

(٢) عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو، الداني، شيخ القراء، صاحب (جامع البيان في القراءات السبع) و(التيسير في القراءات السبع)، (ت٤٤٤هـ)، انظر: معرفة القراء، الذهبي (٢/٧٧٣)، غاية النهاية، ابن الجزري (١/٥٠٣).

٤- أن ابن سيده كان يقول في القراءات وتصنيفها إلى متواتر وشاذ بقول جمهور العلماء المشهور في زمنه بحسب استقراء كلامه وعدم مخالفته لهم.

٥- أن ابن سيده في استعماله لبعض المصطلحات كان يذهب في ذلك مذهب اللغويين، مثل: كلمة (شاذ)، و (قرئ) المبني للمفعول، و (نادر)، ولا يذهب في ذلك مذهب القراء، وبين الاصطلاحين اختلاف كما هو معلوم.

٦- انحصرت ضروب تعامله مع القراءات التي يوردها إلى ثلاثة أضرب:

أ. سبب الإيراد للقراءات، هو إثبات معنى لغوي أو بنية اشتقاقية صرفية.

ب. الضبط، والغالب عليه إهماله اتكالاً على سياق المادة إذ ذاك بين فيها، وفي كثير من الأحيان كان ينص على ضبط الألفاظ بما تحتاج إليه من أنواع الضبط.

ت. التوجيه، وذلك إما بالنص على توجيه القراءة على ما تقتضيه الصناعة النحوية واللغوية، أو بترك ذلك اتكالاً على السياق في بيان المادة التي منها الحرف المختلف فيه.

٧- مذهب ابن سيده النحوي هو مذهب أئمة المدرسة الأندلسية التي تجمع بين المدرستين البصرية والكوفية وهي أميل كثيراً إلى البصرية.

التوصيات:

١- أوصي بأن تقوم بعض الدراسات العلمية سواء كانت أطروحة أو غيرها بدراسة جميع كتب ابن سيده من جهة القراءات، فإنني قد اطلعت على

مادة كثيرة لا يستهان بها وتحتاج إلى جمع ودراسة وتقريب ليستفيد الباحثون من تراث هذا الإمام.

٢- من خلال دراستي لكتاب المحكم، اطلعت على كثير من المعاجم اللغوية، ووقفت على ما تحتويه من القراءات القرآنية مصحوبة في الغالب بتوجيهاتها، فأرى أن من المفيد أن تقوم الجهات المعنية بالدراسات القرائية بمشاريع بحثية، تقرب للباحثين ما تضمه هذه المعاجم من القراءات، مع دراستها دراسة معمقة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- أثر المدرسة البصرية في النحو الأندلسي، كرار، منى أحمد الحسين، الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣٣هـ.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، ط:١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، ط:١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥م.

- البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:١، القاهرة، دار هجر، ١٤١٨هـ.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي، تحقيق: د.سهيل زكار، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط:١، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ط:١، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى، تصوير دار الفكر عن نشرة الطبعة الخيرية بمصر (د.ت).
- تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، عمر بن مظفر، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، ط:٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط:١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

- الثقات، ابن حبان، محمد بن حبان الدارمي، دائرة المعارف العثمانية، ط:١، حيدر أباد الدكن، ١٣٩٣هـ.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الحميدي، أبو الحسن محمد بن فتوح، تحقيق: د. بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، ط:١، تونس، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٩هـ.
- خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، الهيتي، عبد القادر رحيم، ط:٢، ليبيا، جامعة قان يونس، ١٩٩٣م.
- الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية حضارية، القحطاني، علي بن أحمد بن عبد الله، مكة المكرمة، كلية الشريعة بجامعة أم القرى، ١٤٠١هـ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، (د.ط)، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، (د.ت).
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الشنتريني، علي بن بسام، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد الله الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، ط:٢، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، تحقيق: د.شوقي ضيف، ط:١، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي، تحقيق: محمد الأرناؤوط، ط:١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني، ط:٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ.
- طبقات الأمم، صاعد بن أحمد الأندلسي، تحقيق، لويس شيخو، (د.ط)، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٤٢م.
- طبقات المفسرين، الأدن وي، أحمد بن محمد، تحقيق، سليمان بن صالح الخزي، ط:١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ.
- طبقات المفسرين، الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تصوير دار الجيل، بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، عني بنشره: برجستراسر، ط:٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.
- الفهرست، ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط:٢، بيروت، دار المعرفة، ، ١٤١٧هـ.
- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، تحقيق: إحسان عباس، ط: ١، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣م.

- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ط:٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧م.
- القصيدة الحصرية، الحصري، أبو الحسن علي بن عبد الغني، تحقيق: د.توفيق العبقري، ط:١، القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ، ١٤٢٣هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، (د.ط)، القاهرة، المطبعة الميرية، ١٣٠٠هـ.
- لسان الميزان، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط:١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، القسطلاني، أبو العباس حمد بن محمد، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط:١، المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط:٢، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٤٢٤هـ.
- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ط:٨، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، اليافعي، عبد الله بن أسعد ، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى، ط:١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ.

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، الإشبيلي، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط:١، الأردن، بيروت، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.
- معجم الأدباء، الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ.
- معجم السفر، السلفي، أبو طاهر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، (د.ط)، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ١٤١٤ه.
- المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين نصار، ط:٤، القاهرة، دار مصرللطباعة، ١٤٠٨هـ.
- معجم المعاجم، إقبال، أحمد الشرقاوي، ط: ٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج، ط:١، استابول، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ١٤١٦هـ.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، لأبي الخير محمد بن محمد، تحقيق: د.أيمن رشدي سويد، ط:١، بيروت، دار الغوثاني للدراسات القرآنية،١٤٣٩هـ.
- نكث الهميان في نكت العميان، الصفدي، صلاح الدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ.
- الوافي بالوفيات، الصفدي،صلاح الدين، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت، دار صادر، (د.ت).

آيـــات الخفـــاء فـــي القـــرآن الكريـــم

د. سمية حسين الفاضل الأمين•

ملخـــــص

يهدف هذا البحث لبيان معنى الخفاء في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، وحصر الآيات التي تحدثت عنه ، ثم تفسيرها واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي والاستقرائي وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الخفاء وتعود أهمية البحث إلى بيان معنى الآيات وبيان معني الخفاء في اللغة والاصطلاح في القرآن الكريم وتحديد آيات الخفاء في القرآن الكريم، وفي المبحث السادس آيات الخفاء، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها:أَنَّ للخفاء في القرآن الكريم معاني لُغوية كثيرة. كما بلغ عدد الآيات التي تناولت لفظ الخفاء (ثلاثون آية). وأوصى بإفراد بحث للمعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم.

Abstract

This research aims to clarify the meaning of the (khifa); concealment in the Arabic language and the Holy Qur'an, and to limit the verses that spoke about it, then interpret them. The researcher adopted the descriptive and inductive method through extrapolating the Quranic verses that dealt with the subject of concealment. The importance of the research is due to the clarification of the meaning of the verses and the meaning of the (khifa); concealment in the language and term in the Holy Qur'an, and identifying the verses of the concealment in the Holy Qur'an, in the sixth topic the verses of concealment . The research reached a number of results, the most important of which were: (khifa); concealment in the Noble

• أستاذ المساعد بكلية اللغة العربية – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم .

Qur'an has many linguistic meanings. The number of verses that dealt with the term concealment are (thirty verses). The researcher recommended researching the linguistic meanings of concealment in the Holy Qur'an.

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، تدليلاً على صدق نبوته، فهو مورد العلماء، فيه كل العلوم والمعارف والثقافات، فهو معين لا ينضب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. فهو لصيق الصلة بحاجات العصر، ومتطلبات الثقافة، وهو دستور الحياة البشرية العامة والخاصة.

ويُعد موضوع الخفاء من الموضوعات المهمة في الشريعة الإسلامية، لما له من المعاني الكثيرة في القرآن الكريم ، تصريحاً، أو تلميحاً، أو إشارة.

أسباب اختيار الموضوع:

١- لتعلقه بأشرف وأجل الكتب وهو القرآن الكريم.

٢- لكثرة معاني الخفاء في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من خلال ارتباطه بالقرآن الكريم، وإبراز معاني الخفاء في اللغة والقرآن، وحصر الآيات القرآنية التي تحدثت عنه.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة لتحقيق ما يلي:

١- معرفة معاني الخفاء في اللغة العربية والقرآن الكريم.

٢- حصر آيات الخفاء في القرآن الكريم وتفسيرها.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي والتحليلي لجمع آيات الخفاء في القرآن الكريم.

حدود البحث:

تتمثل الحدود الموضوعية للبحث في آيات الخفاء في القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

يمكن صياغتها في الآتي:

١- ما معنى الآيات لغةً واصطلاحاً؟ .

٢- ما معنى الخفاء لغةً واصطلاحاً ؟

٣- ما المعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم؟

٤- ما معنى القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً ؟

٥- ما آيات الخفاء في القرآن الكريم؟

مصطلحات البحث:

١- آيات: الآية هي : طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها.

٢- الخفاء: هو ما خفي المراد منه بعارض في غير الصيغة لا ينال إلا بالطلب، كآية السرقة فإنها ظاهرة

٣- القرآن الكريم: هو الكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

الدراسات السابقة:

وقفت على دراسة بعنوان: الخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة، بحث تقدمت به الطالبة: نبأ جايش كطان الجبوري، وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس إلى قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، إشراف: م.م: باقر فليح ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

تحدثتْ فيه عن مفهوم الخفاء في اللغة والاصطلاح، والموارد القرآنية لمفهوم الخفاء، وموارد الخفاء في نهج البلاغة، والخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة.

وقد اتفقت الدراستان في تناولهما في تعريف الخفاء في اللغة والاصطلاح فقط، واختلفتا في أن الدراسة الحالية اهتمت بمفهوم الخفاء في آيات القرآن الكريم وتفسيرها.

هيكل البحث:

قسّمت البحث إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: **معنى الآيات لغةً واصطلاحاً.**

المبحث الثاني: **معنى الخفاء لغةً واصطلاحاً.**

المبحث الثالث: **المعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم.**

المبحث الرابع: **معنى القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً.**

المبحث الخامس: **آيات الخفاء في القرآن الكريم.**

المبحث السادس: **تفسير آيات الخفاء.**

المبحث الأول

معنى الآيات لغةً واصطلاحاً

أولاً: معنى الآيات لغةً:

الآية: العلامة[1]، وتقديرها (فَعْلَةٌ). قال الخليل: إنّ الألف التي في وسط الآية من القرآن، والآيات العلامات هي في الأصل : ياء، فلو تكلفت اشتقاقها من (الآية) على قياس علامة معلمة لقلت: آيةٌ مأياة قد أَيَّيْتُ[2].

وأصل آيةٍ أَوْيَة بالتحرك، قال سيبويه : موضع العين من الآية واو ؛ لأنّ ما كان موضع العين منه واو واللام ياء أكثر مما موضع العين واللام منه ياءان، وتكون النسبة إليه أووى. وجمع الآية آي وآياي وآيات وآية الرجل: شخصه، تقول منه: تآييته على تفاعلته، وتأييته على تفعلته، إذا قصدت آيته وتعمدته. يروى بالمد وبالقصر[3].

وذكر الزرقاني أنّ الآية تطلق في لسان اللغة بإطلاقات عدَّة:

أولها: المعجزة. ومنه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١]، أي : معجزة واضحة: تقول العرب: (خربت دار فلان وما بقي فيها آية)، أي علامة وكأنَّ كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[4].

ثانيها: العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، أي علامة ملكه.

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٢٢/٣٧ .

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي ، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٤٤٢/٨ ، مقاييس اللغة ، ابن فارس ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، باب (أيي) ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ١٦٨/١ .

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ٢٢٧٦/٦ .

(٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م ، دار إحياء الكتب العربية بمصر، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، ٢٦٦/١ .

ثالثها: العبرة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣]، أي عبرة لمن يعتبر.

رابعها: الأمر العجيب، تقول العرب: (فلان آية في العلم وفي الجمال)، قال الشاعر:

آيةٌ في الجمال ليس له في الـ

حسن شِبْهٌ وما له من نظير

فكأنَّ كل آية عجب في نظمها والمعاني المودعة فيها[١].

خامسها: الجماعة، ومنه قولهم: (خرج القوم بآيتهم) أي بجماعتهم، والمعنى أنهم لم يدعوا وراءهم شيئاً. قال أبو عمرو: ومعنى الآية من كتاب الله تعالى: جماعة حروف[٢].

سادسها: البرهان، والدليل نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، والمعنى: أنه من براهين الله واقتداره واتصافه بالكمال خلق عوالم السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان[٣].

ونستنتج من هذا أنَّ الآية في اللغة تأتي بعِدَّة معاني منها: العلامة والمعجزة والعبرة والأمر العجيب، والجماعة، والدليل والبرهان. والمعنى الأكثر شيوعاً من هذه المعاني هو العلامة.

ثانياً: معنى الآية اصطلاحاً:

قال الجعبري: (حد الآية قرآنٌ مركب من جمل ولو تقديراً ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١/٣٣٩.
(٢) المرجع السابق – ٦/٢٧٦.
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/٣٣٩.

وقال غيره الآية هي: (طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها)[1].

وكلها تدور في معنىً واحد.

المبحث الثاني
معنى الخفاء لغةً واصطلاحاً

أولاً: معنى الخفاء لغة:

نرجع لفظ الخفاء إلى جذرها الثلاثي وهو الفعل (خ ف ي) الخفي: مصدر خفيت الشيء أخفيه إذا أظهرته واستخرجته، وأخفيته إذا استترته[2].

ويقول صاحب كتاب المصباح المنير : (خفي الشيء (يَخفى) خفاءً بالفتح والمدّ استتر أو ظهر فهو من الأضداد، ، وبعضهم يجعل حرف الصلة فارقاً فيقول: (خفي) عليه إذا استتر، و(خفي) له إذا ظهر فهو (خَافٍ)، و(خَفِيٌّ) أيضاً ويتعدى بالحركة فيقال (خَفَيْتُهُ) (أَخْفيه) من باب رمى إذا استترته وأظهرته، وفعلته وخِفْيَّة) بضم الخاء وكسرها ويتعدى بالهمزة فيقال (أَخفيتُه)، وبعضهم يجعل الرباعي للكتمان والثلاثي للإظهار، وبعضهم يعكس، واستخفى من الناس استتر، و(أخفيتُ الشيء استخرجته ومنه قيل لنبَّاش القبور (المختفي) وكذلك قال ثعلب: (استخفيتُ) منك أي: تواريت ولا تقل (اختفيتُ) ، وقال الفارابي : (اختفى) الرجل البئر إذا احتفرها و(اختفى) استتر. واختفيت إنما الاختفاء الإظهار. فاستخفيت وتواريت بمعنى واحد ، إذا

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٦٩/١ .

(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن جرير الأزدي، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م ، بيروت ، ٦١٨/١.

اختبأت ولم تظهر[١].

وقال بعضهم: الخفاء: المتطاطئ من الأرض الخفي. وقال بعضهم: الخفاء هنا السر[٢].

وقال ابن منظور الخِفاء بالكسر: هو الكساء، وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء[٣]، وفي الحديث: (إنَّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[٤].

والخفي: هو المعتزل عن الناس يخفى عليهم مكانه، وفي حديث الهجرة: (أخف عنا)[٥]، أي: استر الخبر لمن سألك عنا. وفي الحديث: (خير الذكر الخفي)، أي: ما أخفاه الذاكر وستره عن الناس[٦].

وقال ابن فارس: (خفي) الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادان، فالأول: الستر والثاني: الإظهار.

ويقولون : بَرِحَ الخفاء، أي وضح السر. ويقال للرجل المستتر مستخفٍ[٧].

ومن هذه المعاني اللغوية اتضح أن معاني الخفاء تدور كلها حول الستر والكتمان وأحياناً تأتي بمعنى الظهور.

ثانياً: معنى الخفاء اصطلاحاً:

عرّف العلماء الخفاء بتعريفات كثيرة أذكر منها:

(١) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ٩٤/١ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم،ابن سيدة، المحقق: عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢١،١هـ -٢٠٠٠م، ٩٤/٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٣٤/١٤.

(٤) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ط٢، ١٠٤/١.

(٥) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، كتاب الهجرة، حديث رقم (٤٢٦٩)، ٧/٣ .

(٦) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، باب ذكر البيان بأن ذكر العبد ربه، حديث رقم (٨٠٩)، ٩١/٣.

(٧) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٠٢/٢.

أولاً: الخفاء في اصطلاح القرَّاء هو: (خفاء الصوت عند النطق بأحرفه) وحروفه أربعة هي:

أ- حروف المد الثلاثة وهي: الألف، والواو، والياء، السواكن المجانس لها ما قبلها من حركة وسميت خفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها.

ب-الهاء: وسبب خفائها اجتماع ست صفات للضعف بها ولخفائها قوَّوها بالصلة الكبرى والصغرى[1].

أو هو (خفاء صوت الحرف واستتاره عند النطق لضعفه)[2].

هو : (نطق حرف بصفة هي بين الإظهار والإدغام عارية من التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول عند غيره لا في غيره)[3].

ثانياً: عرَّفه أبو الحسن والجرجاني بأنه:(ما خفي المراد منه بعارض في غير الصيغة لا ينال إلا بالطلب، كآية السرقة فإنها ظاهرة)[4].

المبحث الثالث

المعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم

أتى لفظ الخفاء في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة أذكر منها:

١- التغابن: وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، تفاعل من الغبن كتواضع والغبن أخذ الشيء بدون قيمته ومادة (غبن) تدور على الخفاء. وقيل: الغبن الخفاء ومنه غبن البيع لاستخفائه.

(١) الميزان في أحكام تجويد القرآن الكريم، فريال زكريا السيد، دار الإيمان– القاهرة، ص ٨٦.

(٢) القول السديد على التجويد، على الله بن علي أبو الوفاء، دار الوفاء–المنصورة، ط٣، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م– ص ١٧٦.

(٣) الكشاف في اصطلاحات الفنون، محمد التهاوني، ص ٣٥٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، المحقق: صفوان عدنان الداوودي ، دار القلم ، والدار الشامية ، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ، ص ٢٨٩.

وسمّيت الغابة لأنها تخفي لاكتظاكها بالأشجار والغبن: الخفاء من الأرض[1].

٢- السِّر وذلك في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً﴾ [النحل: ٧٥]، أي: ينفق ماله في الخفاء والعلانية[2].

٣- السحر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]. والسحر حيلة يخفى سببه حتى يوهم وتجزع كالمسحور المخدوع، والآخر: تغذى وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء، ما تعلق بالحلقوم، وهذا أيضاً يرجع إلى معنى الخفاء ومنه قول عائشة رضي الله عنها: (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْري ونحري)[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]، وقيل: أصل السحر الخفاء، فإن الساحر يفعله في خفية وقيل أصله الصرف[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، (بِالأَسْحَارِ): جمع سحر كفرس وأفراس: أواخر الليل، وسميت بذلك لما فيها من الخفاء[5].

٤- الهمس، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ [طه: ١٠٨].

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين، ١٠/١٠٨، ١٠٩.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١: ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م، ٢/ ١٢٦.

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٣/٦١٩، اللباب في علوم الكتاب، ٢/٣٢٨.

(٤) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوس وإبراهيم أطيفش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ٢/٤٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١/٤٧٢.

والهمس يطلق في اللغة على الخفاء، فيشمل خفض الصوت وصوت الأقدام[١]، كصوت أخفاف الإبل في الأرض التي فيها يابس النبات[٢].

وأصله: الصوت الخفي، يقال: همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسره وأخفاه وقال: تخافت الكلام[٣]. وقيل: الهمس تحريك الشفة أو اللسان.

وقال الزمخشري: الهمس: هو الركز الخفي[٤].

وبناء (هـ م س) أصله الخفاء كيفما تصرَّف، ومنه الحروف المهموسة، وهي عشرة يجمعها (حثه شخص فسكت)، وإنما سمّي الحرف مهموساً لأنه ضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس[٥]. والهمس في الأصوات استعارة بمعنى الخفاء[٦].

٥- العماء، قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]. (فَعَمِيَتْ) أي خفيت، ويقال للسحاب عماء؛ لأنه يخفى ما فيه[٧]. وهو حرف تتعدى به الأفعال الدالة على معنى الخفاء، مثل: خفي عليك.

والتعبير بعميت مخففة ومشددة أبلغ من التعبير بخفيت وأخفيت، لأنه مأخوذ من العمى المقتضي لأشد أنواع الخفاء[٨].

٦- الخبء، في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، والخبء هو مصدر خبأ

(١) الأساليب والاصطلاحات العربية، أبو المنذر المناوي، المكتبة الشاملة، مصر، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص٨٧.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٤/١٠٠.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ - ٢٠٠٠م، ١٦/١٦٨.

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٧/٣٨٤.

(٥) تفسير القرطبي، ١١/٢٤٧.

(٦) بحر العلوم، السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ود. زكريا عبد المجيد، دار الفكر، بيروت، ٢/٤١٢.

(٧) البحر المديد، أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ - ٣/٢٧٢.

(٨) المرجع نفسه، ١٢/٦٤.

الشيء إذا أخفاه. أطلق هنا على اسم المفعول، أي المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء، كما هو شأن الوصف بالمصدر. ومناسبة وقوع الصفة بالموصول في قوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ لحالة خبر الهدهد ظاهرة لأن فيها اطلاعاً على أمرٍ خفي[1].

٧- الرِّكز، قال تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ [مريم: ٩٨]، (رِكْزاً) أي: صوتاً خفياً ، والمعنى: أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد، ولا يسمع لهم صوت خفي ولا جلي وأصل الرّكز: الخفاء، ومنه رَكَز الرمحُ؛ إذا غيّب طرفه في الأرض، والركاز : المال المدفون المخفي[2].

٨- السُّرَى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤].

السرى في العربية: السير عامة الليل، وفي دَلالته اللُّغوية الأولى بمعنى الخفاء[3].

٩- الإغماض : وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، الإغماض في اللغة غض البصر، وإطباق جفن على جفن، وأصله من الغموض وهو الخفاء يقال هذا الكلام غامض، أي: خفي الإدراك، والغمض المتطامن الخفي من الأرض[4].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م ، ١٩/٢٥٥.

(٢) البحر المديد، ٤/٣٧٣، تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر ، بيروت، ٤/٢١، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥/٢٨٤.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) ، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ٢/١٣٢.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ، ٧/٥٥، اللباب في علوم الكتاب، أبو جعفر الدمشقي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ٤/٤١٣.

١٠- الوحي وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، والوحي: يدور معناه على الخفاء والسرعة. وهو ما يلقى إلى الأنبياء من عند الله وفيه معنى الخفاء والسرعة[١].

١١- الضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. الضلال: هو الخفاء والغيبوبة ، وقيل الهلاك[٢].

١٢- الغمة وذلك في قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، فإن استتر وخفي عليكم الهلال وحال دون رؤيتكم له حائل من غيم أو ضباب فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً أي: أجمعوا ما تريدون جمعه من مكرٍ وكيدٍ واستعينوا على ذلك بشركائكم ثم لا يكن أمركم الذي أجمعتم على تنفيذه فيه شيءٌ من الستر أو الخفاء[٣].

١٣- الوسواس وذلك في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]. وأصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء والعرب تسمي حركة الحلي وسواساً[٤]، وهذا المعنى واضح في المراد هنا؛ فإنَّ الموسوس من الجن في نهاية الخفاء هو وعمله، والموسوس من الإنس يتحرى الإخفاء ما استطاع ويحكم الحيلة في ذلك، ولا يرمي رميته إلا في الخلوات[٥].

(١) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٤١٣هـ ، ٧٥٨/٣.
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ٧٦/١.
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ١٠٥/٧.
(٤) ومنه قول الأعشى: تسمعُ للحلى وسواساً إذا انصرفت ×× كما استعان بريح عشرقٍ زجلُ. (انظر : لسان العرب، ٢٢٥/٢ ، مادة وسس).
(٥) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (تفسير ابن باديس) ، عبدًالحميدً محمد بن باديس الصنهاجي ، المحقق: علّق عليه وخرّج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص ٣٨٣.

وذكر ابن فورك أنَّ الوسواس هو: حديث النفس بما هو كالصوت الخفي، وأصله الصوت الخفي . (والخناس) الكثير الاختفاء بعد الظهور يقال : خنس يخنس خنوساً[١].

١٤- الجِنَّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾ [الناس: ٦]، (الْجِنَّةِ) جمع جن وهم المخلوقات غير المنظورة من ملائكة وجن وأصله من الخفاء وعدم الظهور، ومنه الجنين الذي في رحم الأم، ومنه الجنون، لأنه يستر العقل ويغطي عليه، ومنه المجن وهو الترس، الذي يستر به المحارب مواطن القتل منه، عن عدوه[٢]، وعلى اعتبار أنّ كلمة الجن التي تعني الخفاء[٣].

١٥- الضلال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، الضلال: هو الخفاء والغيبوبة، وقيل : الهلاك[٤].

١٦- السر وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]، والسر: الخفاء ، والعلانية الجهر والظهور[٥].

١٧- العزوب أو البعد: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وهو مجاز هنا للخفاء وفوات العلم، لأنَّ الخفاء لازم للشيء ، ولذلك علق باسم دون صف

(١) تفسير ابن فورك ، محمد بن الحسن بن فورك ، دراسة وتحقيق: ملاك عبد القادر بندويش ، (ماجستير) ، جامعة أم القرى ، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م ، ٣٠٨/٣.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٠٣٨/١٢.

(٣) التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ط ١٣٨٣هـ، ١٣٠/٤.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ، ٧٦/١.

(٥) التحرير والتنوير ، ابن عاشور، ٧٧/٣.

العلم فقال:(عن ربك)[1]. والعزوب: الخفاء. و(يَعْزُبُ) معناه: يغيب حتى يخفى، حتى قالوا للبعيد عازب ، وقيل للغائب عن أهله عازب ، حتى قالوه لمن لا زوجة له[2].

١٨- الغيب، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، قوله (بِالْغَيْبِ) قال الزمخشري : يجوز أن تكون الباء ظرفية، أي: بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة . ويجوز أن تكون الباء للحال: إما من الفاعل على معنى: وأنا غائب عنه خفي عن عينه، وإما من المفعول على معنى: وهو غائب عني خفي عن عيني، وهذا من كلام يوسف[3].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، والغائبة : استعمل الغيب في الخفاء مجازاً مرسلاً[4] الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس[5].

وبعد الرجوع إلى القرآن الكريم عن معنى الخفاء خلصت إلى أنه لا يوجد اختلاف بين معانيها فكلها تدور حول الستر والكتمان.

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ٢١٤/١١.
(٢) المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ١٢٧/٣– ١٢٨ .
(٣) الدر المصون، السمين الحلبي، ٥١٤/٦.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/٢٠.
(٥) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ص٥٠٣.

المبحث الرابع
معنى القرآن لغة واصطلاحاً

أولاً: معنى القرآن لغةً:

قرأت الشيء قرآناً: أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سُميَ القرآن. وقال أبو عبيدة: سُمِي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها، وقيل: لأنه جامع لثمرة جميعّ العلوم الكونية، والكتب السماوية، لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقيل: لأنه جمع السور المئة والأربع عشرة[١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، أي: جمعه وقراءته[٢].

وذكر الزبيدي بأنَّ القرآن هو: التنزيل العزيز، أي: المقروء المكتوب في المصاحف، وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه[٣].

اختلف العلماء – رحمهم الله – في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم وليس بفعل ولا حرف، وهذا الاسم شأنه شأن الأسماء في العربية، إما أن يكون جامداً أو مشتقاً.

فذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي، إلى أنه اسم جامد غير مهموز به قرأ ابن كثير وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل. وذهبت طائفة إلى أنّ هذا الاسم مشتق ثم افترقوا فرقتين:

فقالت فرقة منهم: إنَّ النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقاً من مادة (ق، ر، ن) ثم اختلفوا:

(١) انظر: مادة (قرأ) في لسان العرب، ابن منظور، ١٢٨/١، الصحاح، الجوهري، ٦٧/٢.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٦٥/١.
(٣) تاج العروس، الزبيدي، مادة قرأ، ٣٦٣/١.

١ ـ **وقالت طائفة منهم الأشعري**: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينها، ومنها سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قِران.

٢ ـ **وقالت طائفة منهم الفراء**: إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأنَّ آياته تشبه بعضها بعضاً.

وقالت فرقة منهم : إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضاً إلى فرقتين:

١ ـ **قالت طائفة منهم اللحياني**: إنَّ القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا سمي المقروء تسمية المفعول للمصدر. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، أي قراءته[١].

٢ ـ **وقالت طائفة منهم الزجاج**: إنه وصف على وزن (فُعْلان) مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه[٢]. قال ابن الأثير: وسمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات، والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران[٣].

ثانياً: تعريف القرآن اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريفه، فمنهم من أطال في التعريف وأطنب بذكر جميع خصائص القرآن، ومنهم من اختصر وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسط، وأقرب هذه التعريفات وأشملها أن يقال فيه: (إنه كلام الله تعالى، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز باللسان العربي، المتحدى به، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول بالتواتر، المتعبد

(١) البرهان في علوم القرآن، السيوطي، ١/٨٧.
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/٢٧٨.
(٣) دراسات في علوم القرآن، فهد بن سليمان الرومي، ط١٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م- ١/١٧- ١٨.

بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس)[1]، وهذا في رأيي هو الأرجح والأشمل.

المبحث الخامس

آيات الخفاء في القرآن الكريم

لقد قمت بجمع الآيات التي تناولت لفظ الخفاء فوجدتها اثنتين وثلاثين مرة، وردت في ثلاثين آية، وهي:

١- قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

٢- قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ [آل عمران: ٥].

٤- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

٥- قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

٦- قال تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٧- قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨].

٨- قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللّهَ﴾ [النساء: ١٤٩].

٩- قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

١٠- قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

(١) أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، ٤٢١/١.

١١- قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾ [الأنعام: ٦٣].

١٢- قال تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ [الأنعام: ٩١].

١٣- قال تعالى: ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

١٤- قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ [هود: ٥].

١٥- قال تعالى: ﴿ سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠].

١٦- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

١٧- قال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً ﴾ [مريم: ٣].

١٨- قال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

١٩- قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥].

٢٠- قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

٢١- قال تعالى: ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: ٢٥].

٢٢- قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

٢٣- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٢٤- قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٤].

٢٥- قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

٢٦- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت: ٤٠].

٢٧- قال تعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥].

٢٨- قال تعالى: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ﴾ [الممتحنة: ١].

٢٩- قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨].

٣٠- قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ [الأعلى: ٧].

المبحث السادس

تفسير آيات الخفاء

من خلال تقصي آيات الخفاء وجدت أنها تدور حول إخفاء الصدقات، وإخفاء المجادلة في آيات الله، وإخفاء ما في صدور المؤمنين من موالاة الكفار ومودتهم، وإخفاء ما في صدور ونفوس المؤمنين، وإخفاء النفاق والشرك، وإخفاء أمر الدنيا والآخرة، وإخفاء القول والعمل، وإخفاء النداء أو (الذكر الخفي) وهي كالآتي:

أولاً: إخفاء الصدقات:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

يقول الطبري في معنى هذه الآية: إن تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه فنعم الشيء، وإن تستروها فلم تعلنوها وتعطوها الفقراء في

السر، فإخفاؤكم إياها خير لكم من إعلانها، وذلك في صدقة التطوع[1]. وعن علي، عن ابن عباس: (فجعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفاً، وكذلك للفرائض والنوافل جميعها في الأشياء كلها ، وحديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله، ومنهم (ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ، ما تنفق يمينه)[2]، (صدقة السر، تطفئُ غضب الرب عز وجل وتدفع ميتة السوء)[3].

واختلفوا في الزكاة : جعل الأفضل إسرارها أم إظهارها: فروى عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس، قال الطبري : أجمع الناس على أن إظهار الواجب أفضل. وقيل: المراد بالآية فرض الزكاة والتطوع ، وكان الإخفاء فيها أفضل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ساءت ظنون الناس، بعد ذلك، فاستحسن العلماء إظهار الفرائض ، لئلا يظن بأحدٍ المنع[4].

وفي هذه الآية يظهر أن الإخفاء له محاسن، وأجر عظيم عند الله وهي إخفاء الصدقات.

ثانياً: كتمان الشهادة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال الشافعي: فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان. وهو عمله،

(١) جامع البيان، الطبري، ١٤/٥.

(٢) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (٩٤٧)، ٥١٣/١ ، وفي المعجم الكبير ، حديث رقم (١٠١٨)، ٤٢١/١٩.

(٤) روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة ، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. ، ١٩٢/١.

وهو رأس الإيمان[1]. وقال الطبري التأويل في هذه الآية لله ملك كل ما في السماوات وما في الأرض من صغير وكبير، وإليه تدبير جميعه وبيده صرفه وتقليبه، لا يخفى عليه من شيء، لأنه مدبره ومالكه ومصرفه، وإنما عني بذلك جلَّ ثناؤه كتمان الشهود الشهادة، يقول: لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ومن يكتمها يفجر قلبه، ولن يخفى عليَّ كتمانه، وذلك لأني بكل شيء عليم، وبيدي صرف كل شيء في السماوات والأرض وملكه، أعلمه خفي ذلك وجليَّهُ، فاتقوا عقابي إياكم على كتمانكم الشهادة[2].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيراً مما كنتم تكتمونه الناس ولا تبينونه لهم مما في كتابكم. وكأن فيما يخفونه من كتاب فبيَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: رجم الزانين المحصنين، وقيل إنَّ هذه الآية نزل في تبيين رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس من إخفائهم ذلك من كتابهم ذكر من قال ذلك، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ، فكان الرجم مما أخفوا[3].

ثالثاً: إخفاء المجادلة في آيات الله والتكذيب بها:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ [آل عمران: ٥].

(١) تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن عبد المطلب، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراة) دار التدمرية ، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ، ٤٦٠/١.

(٢) المرجع نفسه ، ١٣٠/٥.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٢٦٢/٨ ، تفسير ابن رجب الحنبلي، ٤٢١/١.

يقول الطبري: القول في تأويل هذه الآية، يعني بذلك جلَّ ثناؤه أنَّ الله لا يخفى عليه شيء هو في الأرض، ولا شيء هو في السماء، يقول: فكيف يخفى عليّ يا محمد، وأنا علام جميع الأشياء ما يضاهي به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى بن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه؟!!(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

قال السمرقندي في معنى هذه الآية : قال مقاتل : (إنَّ الذين يميلون عن الإيمان بالقرآن، أو يميلون في آياته بالتكذيب لا يقدرون على أن يهربوا من عذابنا، ولا يستترون منا!!(٢).

رابعاً: إخفاء ما في صدور المؤمنين من موالاة الكفار ومودتهم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩].

يقول الزمخشري : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار، أو غيرها مما لا يرضي الله يعلمه ولم يخف عليه، وهو الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض، لا يخفى عليه من شيء قط ، فلا يخفى عليه سركم وعلنكم، فهو قادر على عقوبتكما(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة: ١].

نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم والآية تدل على النهي عن

(١) المرجع السابق ، ١٨٥/٥.
(٢) بحر العلوم ، السمرقندي، ٢٢٨/٣.
(٣) الكشاف ، الزمخشري، ٣٨٠/١.

موالاة الكفار بوجه من الوجوه، أي تلقون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم، تسرون إليهم الأخبار بسبب المودة والله لا يخفى عليه من أحوالهم شيء فقال ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ أي : بما أضمرتم وما أظهرتم[1].

وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ [الأنعام: ٩١].

قال الآلوسي: أي تظهرون ما تحبون إبداءه منها وتخفون كثيراً مما فيها كنعوت النبي صلى الله عليه وسلم، وآية الرجم وسائر ما كتموه من أحكام التوراة[2].

خامسا: إخفاء ما في صدور و نفوس المؤمنين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

يقول الطبري في تأويل هذه الآية، ألا تخفى على الله منكم خافية، لأنه عالم بجميعكم، محيط بكلكم[3].

والخافي: الجن، وقيل الإنس، والخافية: ما يخفى في البدن من الجن، يقال: به خفية: أي لمم ومسٌ.

والخافية والخافياء كالخافي والجمع من كل ذلك خوافٍ، والخافي إذا عنوا به الجن فهو من الاستتار، وإذا عنوا به الإنس فهو من الظهور والانتشار. وأرضٌ خافية: بها جن. والجن سُموا بذلك لاستتارهم عن الأبصار. والخوافي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. وواحدتها خافية. وكل ذلك من

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر ، بيروت، ٦/٢١٠.
(٢) روح المعاني، الآلوسي، ٣/٦٣.
(٣) المرجع نفسه، ٢٤/٣١٦.

الستر. والخفية بئر كانت عادية فاندفنت ثم حفرت. والخِفاء: رداءٌ تلبسه المرأة فوق ثيابها وكل شيء غطيته بشيء من كساء أو نحوه فهو خفاؤه، والجمع الأخفية[1].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

أي تعلم النفوس كلهن كل شيء أخفى لهم، أي ما ادخر لها من عظيم النوايا، أخفاه الله من جميع خلائقه، لا يعلمه إلا هو[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

أي: وتضمر يا محمد في نفسك ما سيظهره الله، وهو إرادة الزواج بزينب بنت جحش، لحكمة عظيمة جليلة وهي إبطال حكم التبني الذي كان شائعاً في الجاهلية[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

عن الربيع بن أنس في قوله في هذه الآية: ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا من ألسنتهم، وروي عن قتادة أنه قال: أكبر مما بدا من ألسنتهم[4].

سادساً: إخفاء وإضمار النفاق والشرك:

وذلك في قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ [النساء: ١٠٨].

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢٨٤/١٤.
(٢) جامع البيان، الطبري، ٢٦٢/٨، تفسير ابن رجب الحنبلي، ٤٢١/١.
(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، ٤٣/٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ، ٧٤٤/٣.

يستخفون من الناس القلب على قلوبهم رؤية الخالق ولا يشعرون أن الحق مطلع على قلوبهم ، أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة[1].

كذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

يقول جلَّ ثناؤه : ألآ إنَّهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله، ثم أخبر تعالى أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم، وقال آخرون: كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً[2].

سابعاً: إخفاء أمر الدنيا والآخرة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

(وخفية) يعني: في خفض وسكون في حاجاتكم من أمر الدنيا والآخرة[3].

وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال الرازي: المراد من الآية: أنه ظهر لهم في الآخرة ما أخفوه في الدنيا وقد اختلفوا في ذلك الذي أخفوه على وجوه:

الأول: قال أبو روق: إنّ المشركين في بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين، فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر، فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، قال الواحدي: وعلى هذا القول

(١) لطائف الإشارات ، القشيري، ١/٣٦٠.
(٢) جامع البيان، الطبري، ١٢/٣١٩.
(٣) تفسير بن أبي حاتم، ٥/١٤٩٩ .

أهل التفسير.

الثاني: **قال المبرد**: بدا لهم وبال عقائدهم وأعمالهم وسوء عاقبتها، وذلك لأنَّ كفرهم ما كان بادياً ظاهراً لهم، لأنّ مضار كفرهم كانت خفية، فلما ظهرت يوم القيامة لا جرم قال الله تعالى: (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ).

الثالث: **قال الزجاج**: بدا للأتباع ما أخفاه الرؤساء عنهم من أمر البعث والنشور. قال والدليل على صحة هذا القول أنه تعالى ذكر عقبيه ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]. وهذا قول الحسن.

الرابع: **قال بعضهم**: هذه الآية في المنافقين، وقد كانوا يسرون الكفر ويظهرون الإسلام، وبدا لهم يوم القيامة، وظهر بأن عرف غيرهم أنهم كانوا من قبل منافقين.

الخامس: قيل بدا لهم ما كان علماؤهم يخفون من جحد نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته في الكذب والبشارة به، وما كانوا يحرفونه من التوراة مما يدل على ذلك[1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية، يقول: لا أظهر عليها أحد غيري، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ (أكاد أخفيها من نفسي) يقول: لأنها لا تخفى من نفس الله أبداً[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

قال الزحيلي: نهى الله تعالى عما يكون وسيلة أو ذريعة إلى الفتنة ولا يجوز للمرأة أن تدق برجليها في مشيتها، ليعلم الناس صوت خلاخلها لأنه مظنة

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥١٠/١٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم – محققاً، ٢٤١٨/٧– ٢٤١٩ .

الفتنة والفساد، ولفت الأنظار، وإثارة مشاعر الشهوة، وإساءة الظن بأنها من أهل الفسوق، فإسماع صوت الزينة كإبدائها وأشد، والغرض التستر. وهذا يشمل كل ما يؤدي إلى الفتنة والفساد كتحريك الأيدي بالأساور، وتحريك الجلاجل (المقصات) في الشع، والتعطر والتطيب، والزخرفة عند الخروج من البيت، فيشم الرجل طيبها، ويفتتنون زخارفها[1].

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٤].

يقول الطبري القول في تأويل هذه الآية، (إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء، أو غير ذلك فما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لأتزوجن زوّجته بعد وفاته، (أَوْ تُخْفُوهُ) يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم، (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) يقول: فإنَّ الله بكل ذلك وغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء ، وهو يجازيكم على ذلك جميعه)[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقته كما ترى المحبوس للقتل ينظر إلى السيف[3].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

(١) التفسير المنير ، الزحيلي، ٢٢١/١٨.
(٢) جامع البيان، الطبري، ٣١٧/٢.
(٣) التفسير الوسيط ، الطنطاوي ، ٤٦/١٣ ، الكشاف، الزمخشري، ٢٣١/٤.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية، (يعلم كل خفية في السماوات والأرض) ، وعن عكرمة قال: (الخبء السر)، وعن مجاهد قال: (الغيب) ، وروي عن سعيد بن جبير وقتادة مثل قول عكرمة، وعن مجاهد قال : (الغيث): وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : (خبءُ السموات والأرض، ما جعل فيها من الأرزاق والقطر من السماء والنبات من الأرض).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) يقول: (يعلم ما عملوا بالليل والنهار). وعن الحسن قال : (في ظلمة الليل ، وفي أجواف بيوتهم)[1]. وقال ابن عجيبة عطف على (يخرج) إشارة إلى أنه يخرج ما في العالم الإنساني من الخفايا، كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا)[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ [الأعلى: ٧].

يقول الطبري: القول في تأويل قوله في هذه الآية يقول تعالى ذكره : إنّ الله يعلم الجهر يا محمد من عملك ما أظهرته وأعلنته (وَمَا يَخْفَى) وما يخفى منه ولم تظهره، مما كتمته، يقول: هو يعلم جميع أعمالك، سرها وعلانيتها، يقول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حالٍ من أحوالك بغير الذي أذن لك به[3].

ثامناً: إخفاء القول والعمل:

ومنها قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠].

(١) تفسير بن أبي حاتم، ٢٨٦٩/٩.
(٢) البحر المديد، ابن عجيبة، ١٩٠/٤.
(٣) جامع البيان، الطبري، ٢٣١/٢٣.

يقول السمرقندي في تفسير هذه الآية: سواء عند الله من أخفى العمل، ومن أعلن بالعمل، ومن في ظلمة الليل، ومنصرف بالنهار في حوائجه، أي: المختفي والظاهر عند الله سواء. وقال مجاهد : المستخفي بالمعصية، والسارب يعني: الظاهر بالمعاصي له حافظات يحفظونه بأمر الله حتى ينتهوا إلى المقادير[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

قال السمرقندي في معنى هذه الآية، ربنا إنك تعلم ما تخفي من الوجد بإسماعيل وهاجر، والحب لهما، وما نعلن عند سارة من الصبر عنهما ، ولا يذهب على الله من عمل أهل السماء والأرض، قال بعضهم هذا كلام إبراهيم، وقال بعضهم: هذا كلام الله تعالى[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

فالمخاطبة بـ (تجهر) لمحمد صلى الله عليه وسلم وهي مراد بها الناس جميعهم إذ هي آية اعتبار، واختلف الناس في تفسير السر وما هو أخفى منه ، فقالت فرقة : هو الكلام الخفي الخافت كقراءة السر في الصلاة، و (الأخفى) هو ما في النفس. وقالت فرقة: هو ما في النفس متحصلاً ، و(الأخفى) هو ما يكون فيه من المستأنف. وقال فرقة: السر هو ما في نفوس البشر وكل ما يمكن أن يكون فيها من المستأنف بحسب الممكنات من معلومات البشر، و(الأخفى) هو ما من معلومات الله لا يمكن أن يعلمه البشر البتة وهذا كله معلوم لله عز

(١) بحر العلوم، السمرقندي، ٢/٢١٩.
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢/٢٤٦.

وجل[1].

تاسعاً: إخفاء النداء:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً﴾ [مريم: ٣].

والنداء: الدعاء والرغبة: أي ناجى ربه في محرابه فبيّن أنه استجاب له في صلاته، كما نادى في الصلاة. واختلف في إخفائه في النداء، فقيل: أخفاه من قوله لئلا يلام على مسألة الولد عند كبر السن، وهذا أمر دنيوي، فإن أجيب فيه نال بغيته، وإن لم يجب لم يعرف بذلك أحد. وقيل: مخلصاً فيه لم يطلع عليه إلا الله تعالى. وقيل: لما كانت الأعمال الخفية أفضل وأبعد من الرياء أخفاه. وقيل: خفياً: سراً من قومه في جوف الليل. والمستحب من الدعاء الإخفاء[2].

وقال الرازي: فيه تعليم آداب الدعاء وهي من جهات أولها: قوله ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ وهو يدل على أن أفضل الدعاء ما هذا حاله ويؤكد قوله: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار وعمدة الدعاء الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله وإحسانه نداءً خفياً. وثانيها: أن المحتسب أن يذكر في مقدمة الدعاء عجز النفس كما في قوله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، ثم يذكر كثرة نعم الله عليه. وثالثها أن الدعاء لأجل شيء متعلق بالدين لا بمحض الدنيا كما قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً﴾ [مريم: ٥]،

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٧/٤.

(٢) تفسير القرطبي، ١١/ ٧٦.

ورابعها: أن يكون الدعاء بلفظ يا رب على ما في هذا الموضع [1].

وإخفاء الدعاء كذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ [النساء: ١٤٩].

يقول القشيري في تفسير هذه الآية (إن تبدوا خيراً فتحسنوا إلى الناس، أو تخفوه بأن تدعوا لهم في السر، أو تخفوا عن سوء إن ظلمتهم، ويقال من أحسن إليك فأبدِ معه خيراً جهراً، ومن كفاك شره فأخلص بالولاء والدعاء له سراً، ومن أساء إليك فأعف عنه كرماً وفضلاً تجد من الله عفوه عنك عما ارتكبت، فإنَّ ذنوبك أكثر ، وهو قادر على أن يعطيك من الفضل والإنعام ما لا تصل إليه بالانتصاف من خصمك وما تجده بالانتقام)[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].

عن الأخفش في (خُفية وخِفية) أنهما لغتان، وأيضاً الخُفية من الإخفاء أو الخِفية من الرهب. قال الرازي: عند اجتماع الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى، وهذا الرجوع يجعل ظاهراً وباطناً، لأنَّ الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى، وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى، وهو المراد من قوله (تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) فبيّن تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخِلقة الأصيلة في هذه الحالة بأنه لا ملجأ إلا إلى الله، ولا تعويل إلا على فضل الله، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات، لكنه ليس كذلك، فإنَّ الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة يحيل تلك السلامة إلى الأسباب الجسمانية، ويقدم على الشرك الخفي كما يسمونه

(١) مفاتيح الغيب ، الرازي، ٥١١/٢١.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري، ٣٨٣/١.

أهل التحقيق، ولفظ الآية يدل على أنَّ عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمور : أولها الدعاء. وثانيها: التضرع ، وثالثها: الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله (وخفية)[1].

وأضاف السمرقندي: (يكتمون ما بُيّن في التوراة ، وذلك أنهم كتموا آية الرجم وتحريم الخمر وأكل الربا ونعت محمد صلى الله عليه وسلم)[2].

وذكر القشيري: (وصف – الرسول صلى الله عليه وسلم – بإظهار بعض ما أخفوه، وذلك علامة على صدقه، إذ لولا صدقه لما عرف ذلك ووصفه بالعفو عن كبر من أفعالهم، وذلك من أمارات خلقه إذ لولا خلقه لما فعل ذلك، فإظهار ما أبداه دليل علمه، والعفو عما أخفى برهان حلمه)[3].

الذكر الخفي:

هو ذكر الله في السر والخفاء من غير ظهور جهر ، وهو الذكر الخامل. أو هو الذكر القلبي، أي ذكر الله في الفكر أي تحميده وتمجيده وتسبيحه فكرياً، ويقابل الذكر اللساني واللفظي الذي ينطق به الإنسان الذاكر.

قال بعض العلماء : إنَّ كلمة التوحيد هي الذكر الخفي حيث إنَّ قول: (لا إله إلا الله) لا يتطرق إليه الرياء، وهو ذكر خالص، لأنَّ الذاكر يتمكن أن يذكر الله بهذا النوع من الذكر دون أن يحرك شفتيه فلا يشعر بكونه ذاكراً حتى من يراه أو يجالسه.

(١) المرجع نفسه، ٢٠/١٣.
(٢) بحر العلوم، السمرقندي، ٣٧٨/١.
(٣) لطائف الإشارات، القشيري، ٤١٣/١.

فضله:

هو من أفضل أنواع الذكر فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي)[1].

وأيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : (خير العبادة أخفاها، وخير الذكر الخفي)[2].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصاياه لأبي ذر أنه قال: (يا أبا ذر، أذكر الله ذكراً خاملاً، قلت: يا رسول الله وما الذكر الخامل؟ قال هو الذكر الخفي)[3].

الخاتمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فهذه خاتمة هذا البحث وتشتمل على النتائج والتوصيات.

النتائج:

توصل الباحث إلى عِدةً نتائج منها:

١- أنَّ للخفاء معاني لغوية كثيرة في القرآن الكريم.

٢- بلغ عدد الآيات التي ورد فيها لفظ الخفاء (ثلاثين آية)، في اثنتي وثلاثين مرة.

٣- ورد لفظ الخفاء في القرآن الكريم تصريحاً وإشارةً وتلميحاً .

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورم بن أبي فراس، ت(٦٠٥هـ) ، ط١، ١٤١٠ هـ ، مكتبة الفقهية، قم ، إيران، ٣/٢.

(٢) إرشاد القلوب إلى الصواب، الديلمي (علي بن محمد الديلمي) ، طبقه وأستشارات الشريف الرضي، ط١، ١٤١٢هـ ، ٩٣/١.

(٣) أمالي الطوسي ، الطوسي (محمد بن الحسن الطوسي: ت ٤٦٠هـ ، ط١، ١٤١٤ه ـ ، دار الثقافة، قم، إيران،ص ٥٣ .

التوصيات:

أوصي الباحثين ومؤسسات البحث العلمي بما يلي:

١- تناول لفظ الخفاء منفرداً في القرآن الكريم.

٢- رجوع الباحثين إلى القرآن الكريم فهو معين لا ينضب فيه كل العلوم.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢- الأساليب والاصطلاحات العربية ، أبو المنذر المناوي، المكتبة الشاملة، مصر، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٣- أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر ، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن عبد القادر الشنقيطي، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥- بحر العلوم، السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد إبراهيم السمرقندي)، تحقيق: د. علي محمد معوض ، د. زكريا عبد المجيد، د. عادل أحمد عبد الموجود ، دار الفكر ، بيروت.

٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧- البحر المديد، أبو العباس، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ.

٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، دار إحياء الكتب العربية بمصر، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس، ١٩٩٧م.

١١- تفسر أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢- تفسير ابن المنذر، أبو بكر بن المنذر، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٣- تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك، دراسة وتحقيق: ملاك عبد القادر بندويش(ماجستير) ، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٤- تفسير الإمام الشافعي، الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن عبد المطلب)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران، (رسالة دكتوراة) ، دار التدمرية ، السعودية ، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٥- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة ، ط٧.

١٦- تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر ، بيروت.
١٧- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١٣٨٣هـ.
١٨- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
١٩- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، دراسات في علوم القرآن، فهد بن سليمان الرومي ، ط١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، محمد الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية ، ط٢، مزيدة ومنقحة ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢١- التفسير الواضح ، محمد محمود الحجازي، دار الجيل ، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
٢٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة ، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٢٣- التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٤- جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، تحقيق: أحمد البردوس ، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٦- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي ، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ط٢

٢٧- جمهرة اللغة، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، بيروت.

٢٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم ، دمشق.

٢٩- روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة ، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٠- روح المعاني، إسماعيل حقي بن مصطفى، دار الفكر ، بيروت.

٣١- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٣٣- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٣٤- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٥- في مجالس التفسير من كلام الخبير (تفسير ابن باديس) ، عبد الحميد محمد بن باديس، المحقق: علّق عليه وخرّج آياته وأحاديثه : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٦- القول السديد على التجويد، على الله بن علي أبو الوفاء، دار الوفاء- المنصورة، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٧- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي ، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٩- اللباب في علوم الكتاب، أبو جعفر الدمشقي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٠- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤١- لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، عبد الكريم بن هوازن القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط٣.

٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الستار محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٣- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٤٤- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، كتاب الهجر.

٤٥- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية
٤٦- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٤٧- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .
٤٨- مقاييس اللغة ، ابن فارس ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، باب (أيي) ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٤٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ط٣
٥٠- الميزان في أحكام تجويد القرآن الكريم، فريال زكريا السيد، دار الإيمان- القاهرة.

مفهوم التقاعد عن الرواية وأسبابه عند المحدثين

د. سمية إبراهيم عبد المعروف•

ملخـــــص

تناول البحث موضوع مفهوم التقاعد عن الرواية وأسبابه عند المحدثين فسعى البحث لتحقيق عِدَّة أهداف أهمها : بيان مفهوم التقاعد عن الرواية وأهميته، جمع ودراسة أقوال العلماء الورادة في تحديد سن التقاعد ، والكشف عن أسباب التقاعد عن الرواية من نتائج البحث مصطلح التقاعد عن الرواية مصطلح عام يقصد به إمساك المحدث عن الرواية. لبعض العوامل والأسباب مثل التقدّم في العمر أو اختلال ضبط الراوي لضعف حفظه أو تغير حال،. ومن توصيات البحث ضرورة العناية بدراسة الموضوعات المتعلقة بأحوال الرواة لما فيها من فوائد علمية تتمثل في الحكم على رواياتهم من حيث القبول والرد وضرورة الرعاية والعناية برواة الأحاديث ومعرفة أحوالهم والعوامل التي تعتريهم لتنقيح رواياتهم.

Abstract

The research discusses the concept of retiring in narrating of Elhadeeth(Says by prophet Mohammed peace be upon him), and its reasons, this research seeks to achieve several objectives: explaining the concept of retiring and its importance, gathering all different opinions of Scholars about the age of retiring in narrating (retiring in narrating is a general terminology means that the stoppage of the narrator of Elhadeeth to narrate), for several reasons and factors like getting old, or being inefficient by losing memory or any other conditions. One of the recommendations of this research is to pay

• كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة – المدينة المنورة.

more attention to all subjects related to narrators conditions, for their scientific importance in judging their narratives whether they are accepted or denied, and the importance of taking care of narrators by knowing their surrounding conditions to evaluate their narratives.

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأكرم ولد سيد آدم أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فالرواية ليست من خصائص الأمة الإسلامية، فقد وجدت في الأمم الغابرة والأجيال الماضية كالفرس واليونان والرومان والهنود وغيرهم. فقد كانوا يعتمدون عليها في نقل وحفظ ما يتعلق بأنساب آلهتهم وعظمائهم وسير أبطالهم ومشاهيرهم، ووقائعهم وملاحمهم المشهورة، وأشعار شعرائهم، وقصص قصاصهم إلى غير ذلك مما يحتاجون إليه في ربط الحاضر بالماضي[1].

والرواية وإن كانت قديمة معروفة قبل الإسلام إلا أن الرواة قبل الإسلام من العرب وغيرهم ما كانوا يهتمون بتصحيح الأخبار والتحري عن رواتها والبحث عن صدقها ومطابقتها للحق والواقع، ولم يكن عندهم من صفة النقد والجرح والتعديل وتمحيص المرويات مثل ما كان للرواية بعد الإسلام، وذلك لأن تلك المرويات لم يكن لها من القداسة والحرمة والتقدير ما للمرويات الإسلامية. فمن ثم لم يدققوا فيها، ولذلك نجد أغلبها أساطير وأحاديث خرافة، يقصد بها إشباع الرغبة أو التسلية أو بث روح الإقدام والشجاعة، واستنهاض الهمم وإثارتها للحروب، أما الرواة الإسلاميون فهم

(١) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث : محمد بن محمد بن سويلم أبو ، دار الفكر العربي ، القاهرة ص ٤٢.

يعلمون حق العلم أنَّ مرجع الأحكام الشرعية من حلال وحرام وغيرهما إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، ويعلمون أن التساهل في زيادة شيء من الدين كالتساهل في نقص شيء منه، والقرآن الكريم ثابت بالتواتر المفيد للقطع واليقين في نسبته إلى الله جل وعلا، فلا مجال للشك فيه، فكان لا بد لهم من أن يتأكدوا من صحة نسبة الأحاديث والسنن إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فمن ثم شددوا في الرواية، ووضعوا لها شروطاً وأصَّلُوا لها أصولا وقواعد هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في القديم والحديث، فهذا القدر وهو الاعتناء بتصحيح الأخبار والتثبت منها ونقدها من جهة السند والمتن نقداً علمياً صحيحاً هو الذي اختصت به الرواية الإسلامية[1].

وعلم الحديث رواية هو : " علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها"[2].

وقد وضع الصحابة ومن تبعهم بإحسان للرواية قوانين تحقق ضبط العدل للحديث، وتكلموا في الرجال وذلك ليتميز المقبول فيعمل به، من غير المقبول. ومن هنا نشأ مصطلح الحديث ، وأول من صنف فيه الاصطلاح القاضي أبو محمد الرامهرمزي بكتابه (المحدث الفاصل) وتلاه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، لكنه لم يهذب ولم يرتب، وتلاه أبو نعيم الأصفهاني، ثم جاء بعدهم الخطيب البغدادي فوضع قوانين الرواية في كتابه (الكفاية) إلى أن جاء الحافظ الإمام ابن الصلاح فوضع كتابه الشهير، فهذب فنونه وجمع به علوم سابقيه فكان من أئمة هذا الشأن .

وفي هذا البحث تتناول الباحثة موضوع مفهوم التقاعد عن الرواية وأسبابه عند المحدثين .

(١) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ص ٤٥.

(٢) منهج النقد في علوم الحديث : نور الدين عتر ، دار الفكر، دمشق – سورية ، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ هـ –١٩٨١ م ص ٣١.

أهمية البحث:

يأخذ البحث أهميته مما يلي :

- تعلق البحث بدراسة شرط من شروط قبول الرواية (شرط الضبط).
- تناول البحث لموضوع التقاعد عن الرواية وهو أحد أهم ضوابط مراعاة الأهلية للتحديث.
- جمع مادة موضوع "أسباب التقاعد عن الرواية " في بحث علمي محقق.

مشكلة البحث وأسئلته:

يحتاج الباحث في علم الحديث لمعرفة ضوابط مراعاة الأهلية للتحديث وأسباب التقاعد عن الرواية ويحاول البحث الإجابة عن التساؤل التالي: ما أسباب التقاعد عن الرواية ؟ ويتفرع منه الأسئلة التالية: ما مفهوم التقاعد عن الرواية وما أهميته ؟ ما جهود علماء الحديث في بيان أسباب وسن التقاعد عن الرواية؟

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق عِدَّة أهداف أهمها:

- بيان مفهوم التقاعد عن الرواية وأهميته.
- الوقوف على جهود علماء الحديث في بيان مراعاة الأهلية للتحديث.
- جمع ودراسة أقوال العلماء الورادة في تحديد سن التقاعد.
- الكشف عن أسباب التقاعد عن الرواية.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي التحليلي ، وتمت

الاستفادة من هذا المنهج في جمع المادة العلمية وتوثيق النصوص والقيام باتباع خطوات المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الدراسات .

هيكل البحث:

يقوم البحث على مقدمة بعناصرها المعروفة وأربعة مطالب وخاتمة على النحو التالي :

والمطلب الأول : **مفهوم التقاعد عن الرواية**. والمطلب الثاني : **أهمية مراعاة الأهلية للتحديث**. والمطلب الثالث : **أقوال العلماء الواردة في تحديد سن التقاعد**. والمطلب الرابع : **أسباب التقاعد عن الرواية**. و**الخاتمة**: نتائج البحث وتوصياته. و**المصادر والمراجع**: بترتيب حروف المعجم بتقديم اسم الكتاب على اسم المؤلف.

المطلب الأول

مفهوم التقاعد عن الرواية

تعريف التقاعد:

جاء في لسان العرب : "قعد : القعود : نقيض القيام. قعد يقعد قعودا ومقعدا أي جلس، وأقعدته وقعدت به ، وقعد الإنسان أي قام ، وقعد جلس، وهو من الأضداد ، يقال ما تقعدني عن ذلك الأمر إلا شغل أي ما حبسني"(١).

وقال ابن الأثير : " وفي حديث طهفة «من أبى فعليه الربوة»(٢) أي من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة عليه، كالعقوبة له"(٣).

(١) لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ٣٥٧/٣.

(٢) جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني) : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف على جمعة ، طبع على نفقة: حسن عباس ٣٦٨/٧ حديث ٤٠٧٤٣ وعزاه للديلمي.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر : المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، تحقيق طاهر الزواوي ومحمود محمد الطناحي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٩هـ ١٩٢/٢.

وفي المعجم الوسيط[1]: " تقاعد عن الأمر لم يهتم به، ويقال تقاعد بفلان والموظف عن العمل أحيل إلى المعاش ، وتقعده : حبسه عن حاجته وعاقه ومولاه قام بأمره وتقعد عن الأمر تقاعد ، والقاعد عن الأمر من لا يهتم به أو يتراخى في إنجازه وفي التنزيل العزيز ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥] .

وتقاعد بتقاعد، تقاعداً، فهو متقاعِد، والمفعول متقاعد عنه وتقاعد الشخص: أحيل إلى المعاش، ترك وظيفته "سن التقاعد"، والتقاعد بلوغ العامل عمراً معيناً يفترض فيه عدم قدرته على العمل، وتحدد السن الدنيا للتقاعد فيما بين ٦٠ و٦٥ سنة وتقل بالنسبة للمرأة[2].

تعريف لفظ (الرواية):

جاء في القاموس المحيط ": روي من الماء واللبن كرضي ريا وريا وروى وتروي وارتوى بمعنى، والشجر تنعم كتروَّى والاسم الري بالكسر وأرواني وهو ريان، وهي ريا جمع رواء والراوية المزادة فيها الماء ... روى الحديث يروي رواية وترواه بمعنى وهو راوية للمبالغة وعلى أهله ولهم أتاهم بالماء والقوم استقى لهم وروَّيته الشعر حملته على روايته كأرويت"[3].

وفي المصباح المنير "روى من الماء يروي ريا، والاسم الري "بالكسر" ويعدى بالهمزة والتضعيف. فيقال: أرويته ورويته فارتوى وتروى ... وروى البعير الماء يرويه من باب رمى: حمله فهو راوية والهاء للمبالغة، ثم أطلقت الرواية على كل دابة يستقى بالماء عليها. ومنه يقال: رويت الحديث إذا حملته

(١) المعجم الوسيط : أحمد الزيات وآخرون تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نشر: دار الدعوة ٧٤٨/٢.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل ، نشر: عالم الكتب ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م ١٨٤١/٣.

(٣) القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ٣٣٧/٤ مادة "روي" .

ونقلته ويعدى بالتضعيف فيقال: روَّيت زيدا الحديث. ويبنى للمفعول فيقال: روينا الحديث"[1].

ومن هذين النصين يتبين أن معنى الرواية لغة الحمل والنقل أو الإسقاء والإرواء بالماء.

ومعنى الرواية عند المحدثين : "حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عزي إليه بصيغة من صيغ الأداء"، ومعنى "حمله ونقله" أي تلقيه ثم تبليغه، فمن لم يبلغ شيئا لا يكون راويا، وقولنا: "وإسناده إلى من عزي إليه" ، أني نسبته إلى قائله، فلو تحدث بالحديث ولم ينسبه إلى قائله لم يكن ذلك رواية"[2].

وقيل : هي " نقل الحديث وإسناده إلى من عزي أي نسب إليه بصيغة من صيغ الأداء كحدثنا وأخبرنا وسمعت وعن ونحوها " ، والمناسبة بين المعنى الاصطلاحي واللغوي ظاهرة واضحة[3].

مصطلح التقاعد عن الرواية:

جاء في منهج النقد في علوم الحديث في التقاعد متى خاف الغلط: "هذا موضوع طريف جدا، يدل على انتظام الأمور في ظل الحضارة الإسلامية، إذ سبق العلماء إلى تحديد ما تسميه قوانين الموظفين "سن التقاعد"، وبالنظر لما امتن الله به المحدثين من طول العمر فقد جعلوا سن التقاعد هو الثمانين لأن الغالب على من بلغ هذا السن اختلال الجسم والذكر، وضعف الحال، وتغير الفهم ، وإلا فإنه ينبغي للعالم الإمساك عن التحديث وعن عقد دروس العلم

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت ٢٤٦/١ مادة "روي" .

(٢) منهج النقد في علوم الحديث ص ١٨٨ .

(٣) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ص ٣٩.

متى خالف التخليط ولو كان دون هذه السن "[1].

وترى الباحثة من خلال ما سبق أن مصطلح التقاعد عن الرواية مصطلح عام يقصد به إمساك المحدث عن الرواية لبعض العوامل والأسباب مثل التقدّم في العمر أو اختلال ضبط الراوي لضعف حفظه أو تغير حال.

المطلب الثاني

أهمية مراعاة الأهلية للتحديث

معنى مراعاة الأهلية أن لا يجلس للتحديث إلا إذا كان أهلاً لذلك، سواء كان في سن مبكرة أو متأخرة ، وضابط ذلك ما قاله ابن الصلاح: "إنه متى احتيج إلى ما عنده استحب له التصدي لروايته ونشره في أي سن كان"[2]، فإذا ما توفر فيه ذلك فليحرص على إفادة علم الحديث ونشره ما وسعه ذلك[3].

إن شروط الحديث المقبول ستة وهي : العدالة والضبط "ولو لم يكن تاماً، والاتصال، وفقد الشذوذ، وفقد العلة القادحة، والعاضد عند الاحتياج إليه[4].

ويعرف ضبط الراوي بموافقته الثقات المتقنين في الرواية؛ فإن وافقهم في روايتهم غالباً فهو ضابط ، ولا تضر مخالفته النادرة لهم، فإن كثرت مخالفته لهم اختل ضبطه، ولم يُحْتَجَّ به ، كما أن الوهم تارة يكون في الحفظ، وتارة

(١) منهج النقد في علوم الحديث ص ١٩٥ .

(٢) معرفة أنواع علوم الحديث ، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن أبوعمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : نور الدين عتر ، الناشر: دار الفكر– سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ص ٢١٣ .

(٣) منهج النقد في علوم الحديث ص ١٩٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٦ .

يكون في القول، وتارة في الكتابة[1].

وقد يختل ضبط الراوي ببعض الأسباب العارضة ويقصد بالأسباب العارضة أموراً تعرض للمحدث، تؤثر في ضبطه، دون أن تؤثر في إدراكه، وبهذا نميز هذه الأمور العارضة عن الاختلاط، ولا يرى بعضهم ضمها إلى الاختلاط ، وهذه العوارض تعتري المحدث الذي يعتمد على كتابه في الرواية، فإذا ضاع الكتاب أو احترق، أو أضر الراوي، أو لم يصطحب كتابه معه إذا رحل، في كل هذه الحالات يختل ضبط الراوي، ويكون سبب خفة الضبط هذا العارض الذي اعترض المحدث[2].

وإذا ثبت أن من شروط صحة الحديث ضبط الراوي لما يرويه ، فإن عدم الضبط أمارة من أمارات رد الحديث وتضعيفه، والتلقين من وسائل الكشف عن الراوي هل هو ضابط أو غير ضابط ، فمن يقبل التلقين فهو سيء الحفظ ومختلط عليه غير ضابط ، ومن يرد التلقين ويصلح الخطأ فهو ضابط حافظ لما يروي[3].

المطلب الثالث

أقوال العلماء الواردة في تحديد سن التقاعد

اختلف أهل الحديث في سن التقاعد وقد عقد الخطيب البغدادي باباً في كتابه الجامع لأخلاق الراوي سماه (قطع التحديث عند كبر السن

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة ٣٥٨/١ .

(٢) شرح علل الترمذي : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي ، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ١٠٧/١ .

(٣) أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء : ماهر ياسين فحل الهيتي ، دار عمار للنشر، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ص ١٢٠ .

مخافة اختلال الحفظ ونقصان الذهن) أورد فيه بعض الروايات عن الصحابة والتابعين منها ما رواه عن ابن أبي ليلى قال كنا نجلس إلى زيد بن أرقم فنقول حدثنا فيقول إنا قد كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] شديد "(١).

وقال الخطيب معلقاً على ذلك : " إذا بلغ الراوي حد الهرم والحالة التي في مثلها يحدث الخرف فيستحب له ترك الحديث والاشتغال بالقراءة والتسبيح وهكذا اذا عمي بصره وخشي أن يدخل في حديثه ما ليس منه حال القراءة عليه فالأولى ان يقطع الرواية ويشتغل بما ذكرناه من التسبيح والقراءة"(٢).

وقال الأبناسي : " أما السن التي إذا بلغها المحدث انبغى له الإمساك عن التحديث فهي السن التي يخشى عليه فيها من الهرم والخرف ويخاف عليه فيها أن يخلط ويروي ما ليس من حديثه والناس في بلوغ هذا السن يتفاوتون بحسب اختلاف أحوالهم وهكذا إذا عمي وخاف أن يدخل عليه ما ليس من حديثه فليمسك عن الرواية"(٣).

وقال ابن خلاد : " وأعجب إليَّ أن يمسك في الثمانين لأنه حد الهرم ، فإن كان عقله ثابتاً ورأيه مجتمعاً يعرف حديثه ويقوم به وتحرى أن يحدث احتساباً رجوت له خيراً "(٤)، ووجه ما قاله أن من بلغ الثمانين ضعف حاله في

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر ، تحقيق : محمود الطحان ، مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤٠٣هـ ٢/٣٠٥.

(٢) المرجع السابق ٢/٣٠٥.

(٣) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح : إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ١/٣٨٦.

(٤) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي : أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، تحقيق: محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤– ص٣٥٤.

الغالب وخيف عليه الاختلاط والاختلال وألا يفطن له إلا بعد ان يخلط كما اتفق غير واحد من الثقات منهم عبد الرزاق وسعيد بن أبي عروبة وقد حدث خلق بعد مجاوزة هذا السن فساعدهم التوفيق وصحبتهم السلامة منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الله بن أبي أوفى من الصحابة ومالك والليث ابن سعد وابن عيينة وعلي بن الجعد في عدد جم من المتقدمين والمتأخرين ومنهم غير واحد حدثوا بعد استيفاء مئة سنة منهم الحسن بن عرفة وأبو القاسم البغوي وأبو إسحاق الهجيمي والقاضي أبو الطيب الطبري رضي الله عنهم[1].

وقال زين الدين العراقي : " وأما السن التي إذا بلغه المحدث انبغى له الإمساك عن التحديث : فهو السن الذي يخشى عليه فيه من الهرم والخرف ويخاف عليه فيه أن يخلط ويروي ما ليس من حديثه والناس في بلوغ هذه السن يتفاوتون بحسب اختلاف أحوالهم ، وهكذا إذا عمي وخاف أن يدخل عليه ما ليس من حديثه فليمسك عن الرواية وقال ابن خلاد: أعجب إليَّ أن يمسك في الثمانين لأنه حد الهرم فإن كان عقله ثابتاً ورأيه مجتمعاً يعرف حديثه ويقوم به وتحرى أن يحدث احتساباً رجوت له خيراً ووجه ما قاله: أن من بلغ الثمانين ضعف حاله في الغالب وخيف عليه الاختلال والاخلال أو أن لا يفطن له إلَّا بعد أن يخلط كما اتفق واحد من الثقات منهم عبد الرزاق وسعيد بن أبي عروة"[2].

وقد حدث خلق بعد مجاوزة هذه السن فساعدهم التوفيق وصحبتهم السلامة منهم: أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الله بن أبي أوفي من

(١) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ١/٣٨٧ .

(٢) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح : أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ص ٢٤٤ .

الصحابة ومالك والليث وابن عيينة وعلي بن الجعد في عدد جم من المتقدمين والمتأخرين ، وفيهم غير واحد حدثوا بعد استيفاء مئة سنة منهم: الحسن بن عرفة وأبو القاسم البغوي وأبو إسحاق العجيمي والقاضي أبو الطيب الطبري رضي الله عنهم أجمعين والله أعلم(١).

وقد حدد الرامهرمزي في المحدث الفاصل الأهلية بسن الخمسين ، حيث قال: " الذي يصح عندي من طريق الأثر والنظر في الحد الذي إذا بلغه الناقل حسن به أن يحدث، هو أن يستوفي الخمسين، لأنها انتهاء الكهولة، وفيها مجتمع الأشد"(٢).

وقال السخاوي بعد أن تساءل [متى يمسك المحدث عن التحديث؟]: "وبالجملة فوقت التحديث دائر بين الحاجة أو سن مخصوص، وهل له أمد ينتهي إليه؟ اختلف فيه أيضاً، فقال عياض وابن الصلاح: (وينبغي) له، أي: استحباباً (الإمساك) عن التحديث، (إذ) أي: حيث (يخشى الهرم) الناشئ عنه غالباً التغير، وخوف الخرف والتخليط بحيث يروي ما ليس من حديثه"(٣).

وأشار ابن جماعة إلى أنه متى خشي عليه الهرم والخرف والتخليط أمسك عن التحديث ويختلف ذلك باختلاف الناس وكذا إذا عمي وخاف أن يدخل عليه ما ليس من حديثه فليمسك عن الرواية ومال ابن خلاد إلى أنه يمسك في الثمانين لأنه حد الهرم إلا إذا كان عقله ثابتا بحيث يعرف حديثه ويقوم به ووجه ما قاله أن من بلغ الثمانين ضعف حاله غالبا وخيف عليه الإخلال وأن لا

(١) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ص ٢٤٥.

(٢) المحدث الفاصل ص ٣٥٢.

(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي ، تحقيق: علي حسين علي ، مكتبة السنة ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ٣/٢٣٣.

يفطن له إلا بعد أن يخلط[1].

وقال ابن جماعة أيضاً: " وإلا فقد حدث خلق بعد مجاوزة الثمانين لما ساعدهم التوفيق وصحبتهم السلامة ... "[2].

ومما سبق يتضح للباحثة اختلاف المحدثين في تحديد سن التقاعد عن الرواية والراجح أنها السنة التي يخشى على الراوي فيها من الهرم والخرف ويخاف عليه فيها أن يخلط ويروي ما ليس من حديثه والناس في بلوغ هذه السن يتفاوتون بحسب اختلاف أحوالهم كما ذكر ذلك زين الدين العراقي وغيره من العلماء.

المطلب الرابع

أسباب التقاعد عن الرواية

هناك بعض الأسباب التي أوردها المحدثون تؤدي إلى التقاعد والإمساك عن الرواية ، من هذه الأسباب ما يلي :

١ / الإمساك عن الرواية خشية الفتنة :

احتاط الصحابة في رواية الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم خشية الوقوع في الخطأ، وخوفاً من أن يتسرب إلى ألسنة بعض التحريف، وهي المصدر الأول بعد القرآن الكريم، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره، فحملهم ورعهم وتقواهم على الاعتدال في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى أن بعضهم آثر الإقلال منها خوفاً من الوقوع في الخطأ

(١) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي : محمد بن إبراهيم بن جماعة ، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ص ١٠٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦.

والزّلل لا زهداً فيه، واشتهر من بين الصحابة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بشدة إنكاره على من يكثر الحديث[1].

والتزم الصحابة هذا المنهج، فلم يرووا الأحاديث إلا حين الحاجة، وكانوا حين يروونها يتحرون الدقة في أدائها، وكثيراً ما كان يقول بعضهم بعد رواية الحديث (نحو هذا، أو كما قال ،أو شبيهاً بذلك)[2].

وأمساك الصحابة عن التحديث بما يكون ذريعة للتقصير، والتهاون بسبب قصور النظر، أو يكون سلماً لأهل الأهواء والبدع، ومن هو على شاكلتهم حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير[3].

ويمكن القول أن أمر الصحابة بتقليل الرواية، إنما كان خشية أن يحدث المكثر بما لم يحفظه؛ لأن ضبط المقل أكثر من ضبط المكثر، كما كرهوا الإكثار لئلا يتخذه المغرضون من المنافقين مطية لأهوائهم، فيدسوا في الحديث ما ليس منه. ثم هناك أقوام لم يكونوا أحصوا القرآن، فخافوا عليهم الاشتغال بغيره، وهو الأصل الأول في الدين[4].

٢/ إمساك الراوي عن الرواية بحضرة من هو أولى منه لسنه أو علمه:

قال السيوطي: " الأولى أن لا يحدث بحضرة من هو أولى منه لسنه أو علمه، أو غيره ، كأنه يكون أعلى سنداً، أو سماعه متصلا وفي طريقه هو إجازة، ونحو ذلك ، فقد كان إبراهيم النخعي لا يتكلم بحضرة الشعبي بشيء، (وقيل) أبلغ من ذلك (يكره أن يحدث في بلد فيه أولى منه) ، فقد قال يحيى

(١) السنة النبوية وحي: شيخة بنت مفرج ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ص ٣٧ .

(٢) كما في سنن ابن ماجه: ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ١١/١، المقدمة باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث ٢٣ و٢٤.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محب الدين الخطيب دار المعرفة بيروت ١٦٠/١.

(٤) الحديث والمحدثون: محمد محمد أبو زهو ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة جمادى الثاني ١٣٧٨هـ ص ٧٥ .

بن معين: إن من فعل ذلك فهو أحمق "[1].

وقال السيوطي أيضاً: " الصواب إطلاق أن التحديث بحضرة الأولى ليس بمكروه، ولا خلاف الأولى، فقد استنبط العلماء من حديث: «إن ابني كان عسيفا» الحديث[2]، وقوله: سألت أهل العلم فأخبروني أن الصحابة كانوا يفتون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي بلده "[3].

وقد عقد محمد بن سعد في " الطبقات " باباً لذلك، وأخرج بأسانيد فيها الواقدي أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، كانوا يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

وروى البيهقي في " المدخل " بسند صحيح، عن ابن عباس؛ أنه قال لسعيد بن جبير: حدث، قال: أحدث وأنت شاهد، قال: أوليس من نعم الله عليك أن تحدث وأنا شاهد؛ فإن أخطأت علمتك "[5].

وإذا كانت جماعة مشتركون في سماع؛ فالإسماع منهم فرض كفاية، ولو طلب من أحدهم فامتنع لم يأثم، فإن انحصر فيه أثم[6].

٣/ المنع من الرواية لسبب عارض:

قد يكون التقاعد عن الرواية لسبب عارض كالاختلاط أو الخرف، جاء في التدريب: " ينبغي أن يمسك عن التحديث إذا خشي التخليط بهرم، أو

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٥٦٨/٢ .

(٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي في ٢٩ – كتاب الحدود ٥ – باب من اعترف على نفسه بالزنى ١٣٢٤/٣ حديث ١٦٩٧، وقوله (عسيفاً) أى أجيراً، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٦٨/٣.

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٥٦٩/٢.

(٤) الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد البصري، دار صادر، بيروت ٨/١.

(٥) المدخل إلى السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت ص ٣٧٣ حديث ٦٣٥.

(٦) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٥٦٨/٢.

خرف، أو عمى، ويختلف ذلك باختلاف الناس ، وضبطه ابن خلاد بالثمانين، قال: والتسبيح والذكر وتلاوة القرآن أولى به ، فإن يكن ثابت العقل مجتمع الرأي فلا بأس؛ فقد حدث بعدها أنس، وسهل بن سعد، وعبد الله بن أبي أوفى في آخرين، ومن التابعين: شريح القاضي، ومجاهد، والشعبي في آخرين، ومن أتباعهم: مالك، والليث، وابن عيينة ، وقال مالك: إنما يخرف الكذابون"[1].

والاختلاط آفة عقلية تورث فساداً في الإدراك، وتصيب الإنسان في آخر عمره، أو تعرض له بسبب حادث ما، كفقد عزيز، أو ضياع مال، ومن تصيبه هذه الآفة لكبر سنه يقال فيه: اختلط بآخرة ، ورغم أن كثيراً من الناس يختلطون إلَّا أنَّ الاختلاط إذا أطلق انصرف إلى فئة قليلة منهم، وهي فئة المحدثين، وذلك لما في اختلاط المحدث من أثر على روايته، لا سيما وأنه الثقة العدل، المحتج به[2].

ومما يذكر في هذا المجال أن ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي ابتلي باحتراق كتبه ، وأكلت النار أكثر مسوداته ، فتغير حاله بعدها وكان ذلك سببًا في حجب ابنه له عن التحديث[3].

ويرى العلماء الكشف عن الاختلاط يلقي على الناقد، رجل العلل، مهمة عسيرة وشاقة، إلى جانب أنها دقيقة وخطيرة، فهي لا تقتصر على متابعة المحدث في فترة دون فترة، أو مكان دون آخر أو عن شيخ دون سواه، بل تمتد مهمة رجل العلل حتى وفاة الرجل موضع النقد والعلة، ولمعرفة طريقة النقاد في الكشف عن الاختلاط، وتحديد زمنه يحسن بنا أن نستشهد بما ذكره

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٥٦٨/٢.

(٢) شرح علل الترمذي ١٠٣/١.

(٣) التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي ، مكتبة أضواء السلف ، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م ص ١٢.

البرذعي في مسائله لأبي زرعة الرازي، قال : "قلت لأبي زرعة: قرة بن حبيب تغير. فقال: نعم، كنا أنكرناه بأخرة، غير أنه كان لا يحدث إلا من كتابه، ولا يحدث حتى يحضر ابنه، ثم تبسم، فقلت: لم تبسمت؟ قال: أتيته ذات يوم وأبو حاتم، فقرعنا عليه الباب، واستأذنا عليه، فدنا من الباب ليفتح لنا فإذا ابنته قد لحقت، وقالت: يا أبت، إن هؤلاء أصحاب الحديث، ولا آمن أن يغلطوك أو أن يدخلوا عليك ما ليس من حديثك، فلا تخرج إليهم، حتى يجيء أخي، تعني علي بن قرة، فقال لها: أنا أحفظ فلا أمكنهم ذاك، فقالت: لست أدعك تخرج إليهم فإني لا آمنهم عليك. فما زال قرة يجتهد، ويحتج عليها في الخروج، وهي تمنعه، وتحتج عليه في ترك الخروج إلى أن يجيء علي بن قرة، حتى غلبت عليه، ولم تدعه ، قال أبو زرعة: فانصرفنا وقعدنا حتى وافى ابنه علي ، قال أبو زرعة: "فجعلت أعجب من صرامتها، وصيانتها أباها"[1].

وهذه القصة تسلط ضوءاً باهراً على قضية الاختلاط، سواء من جانب النقاد الذين يكشفون على الرواة كما يكشف الطبيب على مرضاه، أو من جانب أهل المختلط وذويه الذين لا يذرون صاحبهم دونما رقابة ومتابعة. وإنما هم خير عون للناقد على مهمته، إما بمنع المختلط من الرواية، أو صيانة كتبه وإلزامه التحديث منها، مع الرعاية والإشراف ، وأحياناً كان الناقد يدخل على المختلط يخضعه لاختبار دقيق فيقلب عليه الأسانيد والمتون. ويلقنه ما ليس من روايته، فإن لم يتنبه الشيخ لما يراد به فإنه يتأكد اختلاطه ويحذر الناس من الرواية عنه: لكن بصيرة الناقد ويقظة المجتمع ليس لهما تلك القدرة التي تحدد ساعات بدء الاختلاط، إذ الاختلاط حالة عقلية تبدأ خفية ثم يتعاظم أمرها

(١) أجوبة أبي زرعة الرازي عن سؤالات البرذعي : موقع مكتبة صيد الفوائد http://www.saaid.net/book/index.php ص ٥٣.

بالتدريج، وبين الخفاء والظهور يكون المختلط قد روى أحاديث تناقلها الثقات عن الثقات وما روا أنهم أخذوها عن الثقة، ولكن في اختلاطه ، وهكذا تدخل العلة من هذا الطريق، الذي هو طريق الاختلاط، ولكن رجال هذا العلم بما لديهم من وسائل الدراية، يقفون بالمرصاد لتمييز الصحيح من السقيم[1].

وتلاحظ الباحثة أن أسباب التقاعد عن الرواية مختلفة فمنها ما هو سبب دائم ومنها ما هو سبب مؤقت ومحدد بظروف وعوامل معينة ، وأحياناً يكون التقاعد عن الرواية بسبب الحجب والمنع من التحديث لعارض يعتري الراوي فيحجب أهله عن الرواية.

خاتمـــــــــة

من نتائج البحث:

- مصطلح التقاعد عن الرواية مصطلح عام يقصد به إمساك المحدث عن الرواية لبعض العوامل والأسباب مثل التقدّم في العمر أو اختلال ضبط الراوي لضعف حفظه أو تغير حال . .
- يعرف ضبط الراوي بموافقته الثقات المتقنين في الرواية؛ فإن وافقهم في روايتهم غالباً فهو ضابط، ولا تضر مخالفته النادرة لهم، فإن كثرت مخالفته لهم اختل ضبطه .
- قد يختل ضبط الراوي ببعص الأسباب العارضة ويقصد بالأسباب العارضة أموراً تعرض للمحدث، تؤثر في ضبطه، دون أن تؤثر في إدراكه.
- هناك اختلاف بين أهل الحديث في تحديد سن التقاعد عن الرواية والراجح

(١) شرح علل الترمذي ١/١٠٥.

أنها السنن التي يخشى على الراوي فيها من الهرم والخرف ويخاف عليه فيها أن يخلط ويروي ما ليس من حديثه والناس في بلوغ هذه السن يتفاوتون بحسب اختلاف أحوالهم .

- هناك بعض الأسباب التي أوردها المحدثون تؤدي إلى التقاعد عن الرواية منها الإمساك عن الرواية خشية الفتنة ومنها إمساك الراوي عن الرواية بحضرة من هو أولى منه لسنه أو علمه ومنها المنع من الرواية لسبب عارض كما يلاحظ أن أسباب التقاعد عن الرواية مختلفة فمنها ما هو سبب دائم ومنها ما هو سبب مؤقت ومحدد بظروف وعوامل معينة .

ومن توصيات البحث:

- ضرورة العناية بدراسة الموضوعات المتعلقة بأحوال الرواة لما فيها من فوائد علمية تتمثل في الحكم على رواياتهم من حيث القبول والرد .
- ضرورة الرعاية والعناية برواة الأحاديث ومعرفة أحوالهم والعوامل التي تعتريهم لتنقيح رواياتهم.

المصادر والمراجع

١- أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء : ماهر ياسين فحل الهيتي ، دار عمار للنشر، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢- أجوبة أبي زرعة الرازي عن سؤالات البرذعي : موقع مكتبة صيد الفوائد . http://www.saaid.net/book/index.php

٣- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، حققه: أبو قتيبة محمد الفاريابي ، دار طيبة .

٤- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح : أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

٥- التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي ، مكتبة أضواء السلف ، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .

٦- جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني) : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف على جمعة ، طبع على نفقة: حسن عباس .

٧- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر ، تحقيق : محمود الطحان ، مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٣هـ .

٨- الحديث والمحدثون : محمد محمد أبو زهو ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة جمادى الثانية ١٣٧٨هـ .

٩- سنن ابن ماجه : ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

١٠- السنة النبوية وحي : شيخة بنت مفرج ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

١١- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح : إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، تحقيق: صلاح فتحي هلل ، مكتبة الرشد ،

الرياض ، الطبعة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
١٢- شرح علل الترمذي : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي ، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ، مكتبة المنار - الزرقاء – الأردن ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٣- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
١٤- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، دار صادر، بيروت .
١٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محب الدين الخطيب دار المعرفة بيروت .
١٦- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي ، تحقيق: علي حسين علي ، مكتبة السنة ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
١٧- القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .
١٨- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .
١٩- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي : أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، تحقيق: محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ .

٢٠- المدخل إلى السنن الكبرى : : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت .
٢١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت .
٢٢- معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل ، نشر: عالم الكتب ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
٢٣- المعجم الوسيط : أحمد الزيات وآخرون تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نشر: دار الدعوة .
٢٤- معرفة أنواع علوم الحديث ، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن أبوعمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : نور الدين عتر ، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٥- منهج النقد في علوم الحديث : نور الدين عتر ، دار الفكر، دمشق – سورية ، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ هـ -١٩٨١ م .
٢٦- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي : محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ .
٢٧- مختصر علوم الحديث النبوي : محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢٨- النهاية في غريب الحديث والأثر : المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق طاهر الزواوي ومحمود محمد الطناحي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٩هـ.

٢٩- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث : محمد بن محمد بن سويلم أبو ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

فيروس كورونا وأثره على أحكام الصلاة «دراسة فقهية»

د. فهد بن سريّع بن عبد العزيز النغيمشي•

ملخـــــص

يتناول البحث أثر فيروس كورونا على أحكام الصلاة. ويهدف البحث إلى بيان تعريف فيروس كورونا، وهل هو وباء أم طاعون؟ مع بيان أحكام الصلاة حال انتشار فيروس كورونا. ومنهج البحث يجمع بين المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج النقدي. أهم النتائج التي توصل إليها البحث أن فيروس كورونا وباء وليس بطاعون، ويجوز منع من أصيب بفيروس كورونا من حضور الجماعات والجُمع ؛ صيانة للنفوس وحفظها من الإصابة، كما يجوز غلق المساجد بعد مراجعة المختصين؛ تحقيقًا لمقاصد الشريعة من حفظ النفوس والوقاية من الأمراض. إن أهم التوصيات التي توصل إليها البحث تتمثل فيضرورة إلزام الباحثين في مرحلتي الماجستير والدكتوراه بدراسة النوازل المستجدة، وبيان أحكامها الشرعية؛ لخدمة المجتمعات الإسلامية.

Abstract

Research Subject: The research deals with the effect of Corona Virus on the provisions of prayer. Research Objectives: The research aims to clarify the definition of Corona Virus, is it an epidemic or a plague? Show the provisions of prayer in the event of spreading of Corona Virus. Research Approach: Combining the inductive approach, the descriptive approach, and the critical approach. The Most Important Results: Corona Virus and epidemic, not plague,persons who are infected with Corona Virus may be prevented from attending groups

• أستاذ الفقه المساعد في كلية التربية بالزلفي – جامعة المجمعة.

and Juma prayers; in order to protect souls and protect people from infection, Mosques may also be closed after consulting specialists, in order to achieve the purposes of the Sharia, to protect souls and protect people from diseases. The Most Important Recommendations: The necessity of obligating researchers at the master and doctoral levels to study emerging disasters, and explain their provisions in the Islamic Law to serve the Islamic societies.

مقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد استجد على العالم أمراض لم تكن في أسلافهم من قبل، وتفشت الأوبئة، وكثُر انتشارها في هذه الأزمنة، ومن آخرها ما ظهر في بلاد الصين، وانتشر في شتى بقاع الكرة الأرضية، حتى حل بالبلاد العربية، من الفيروس الموسوم بـ"فيروس كورونا"، ومع كون هذا الفيروس من الأمراض الفتاكة، فهو من المسائل المستجدة، التي بحاجة إلى بيان لأحكامها الفقهية، وتنزيل لمسائلها على أحكام الشريعة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث بعنوان: (فيروس كورونا وأثره على أحكام الصلاة).

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١. خطورة فيروس كورونا وانتشاره السريع بين الدول، وعموم البلوى به.

٢. جهل كثير من الناس بالأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الفيروس.

٣. هذا الموضوع لم يُدرس من قبل دراسة فقهية أكاديمية.

٤. اهتمام المنظمات الصحية والمجامع الفقهية بدراسته.

مشكلة البحث:

أدى الانتشار السريع لفيروس كورونا إلى كثرة الأسئلة حول بعض الأحكام المتعلقة بالصلاة والحج من مثل (حكم منع المصاب بفيروس كورونا من أداء الصلوات في المسجد - حكم عدم ذهاب الصحيح للمسجد خوف الإصابة بفيروس كورونا – حكم لبس الكمامات والقفازات في الصلاة) وغير ذلك من الأسئلة، فرغبت في توضيحها وبيان الأحكام الشرعية من خلال هذا البحث.

حدود البحث:

الحدود الزمانية: بيان الأحكام الفقهية بناء على المعلومات المتوفرة عن فيروس كورونا إلى شهر شعبان عام ١٤٤١هـ.

الحدود الموضوعية: يتناول البحث هذه الموضوعات:

١. فيروس كورونا بين الوباء والطاعون.

٢. أحكام الصلاة حال انتشار فيروس كورونا.

أهداف البحث:

١. تعريف فيروس كورونا.

٢. بيان هل يدخل فيروس كورونا تحت الوباء أم الطاعون؟

٣. بيان أحكام الصلاة حال انتشار فيروس كورونا.

٤. بيان حكم إغلاق المساجد حال انتشار فيروس كورونا.

٥. بيان حكم إقامة صلاة الجمعة في البيوت حال انتشار فيروس كورونا.

الدراسات السابقة:

لم أجد من أفرد هذا الموضوع ببحث أكاديمي مستقل، ولكن وجدت بعض البحوث التي تتشارك مع البحث من عدة نواح، وهذه البحوث هي:

١ ـ **المستجدات الفقهية لنازلة فيروس كورونا كوفيد ١٩**، وهذا ليس بحثًا، بل ندوة طارئة لمجلس الإفتاء الأوربي في شعبان ١٤٤١هـ، وقد أصدر فيه الباحثون عدة فتاوى، وهي:

- هل الفيروسات والكوارث عقوبات إلهية؟
- وظيفة الدين في التعامل مع الفيروسات والكوارث.
- مدى مشروعية تعليق الصلوات في المساجد بسبب فيروس كورونا.
- أحكام الزكاة.
- أحكام الوصية.

ويلاحظ أن الندوة لم تتناول من موضوعات بحثي، سوى موضوع واحد فقط، وهو مدى مشروعية تعليق الصلوات في المساجد بسبب فيروس كورونا، وتناولته الندوة في صفحة واحدة فقط، ولم تذكر فيها خلاف بعض المعاصرين ممن رأوا عدم جواز إغلاق المساجد بسبب فيروس كورونا.

٢ ـ **نوازل الأوبئة للدكتور/ محمد علي بلاعو**، تناول فيه الباحث بعض المسائل العقدية المتعلقة بفيروس كورونا، ثم تناول بعض مسائل الصلاة والحج والزكاة، ومن المسائل المشتركة بين بحثه وهذا البحث:

- إغلاق المساجد وتعليق الجمعة والجماعة.
- تعليق الحج في ظل استمرار تفشي الوباء.

وقد نص الباحث في بداية بحثه فقال: "لم يُصمّم هذا الكتاب بطريقة بحثية أكاديمية، وإنما جاءت صنعته مناسبة للواقع، وملائمة للظرف الذي تمر به البشرية"(١).

فإذا ما نظرنا إلى المسائل المشتركة بين بحثه وهذا البحث، فسنجد أنه نقل فتاوى بعض الجهات بخصوص إغلاق المساجد وتعليق الجمعة والجماعة، بينما بحثي يتناول المسألة بطريقة أكاديمية من خلال عرض المسألة والخلاف فيها، وأدلة كل فريق، مع الترجيح.

٣ـ **الأحكام الفقهية المتعلقة بالأوبئة التي تصيب البشرية، جمعًا ودراسة مقارنة، للدكتور/ محمد بن سند الشاماني**، وهو بحث مقدم إلى مجلة جامعة طيبة سنة ١٤٤٠هـ، تناول فيه الباحث الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الصلاة والجنائز والمواريث، ثم ختمه الباحث ببيان كيفية التعامل مع الأوبئة بين الفقه والطب الحديث.

وأما عن المبحث الذي تكلم فيه الباحث عن الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الصلاة، فقد تناول فيه الباحث حكم الصلاة لرفع الوباء. ويلاحظ من ذلك عدم وجود تشابه بين بحثه وبحثي.

٤ـ **أحكام الأمراض المعدية في الفقه الإسلامي، للدكتور/ عبد الإله بن سعود السيف**، وهي رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ٢٠٠٤م.

تناول فيها الباحث ما يلي:

- أحكام المصاب بالمرض المعدي في الطهارة.
- أحكام المصاب بالمرض المعدي في الصلاة.

(١) ص١ من الكتاب.

- أحكام المصاب بالمرض المعدي في الحج.
- أحكام المصاب بالمرض المعدي في النكاح والطلاق.
- أحكام المصاب بالمرض المعدي في الجنايات.

ومن المسائل المشتركة بين بحثه وبحثي:

حكم ترك المصاب بالمرض المعدي لصلاة الجماعة والجمعة.

المسائل التي تفرد بها بحثي:

- حكم منع المصاب بفيروس كورونا من الصلاة في المسجد.
- حكم عدم ذهاب الصحيح للمسجد خوف الإصابة بفيروس كورونا.
- حكم لبس الكمامات في الصلاة.
- حكم لبس القفازات أثناء الصلاة.
- حكم إقامة صلاة الجمعة في البيوت.
- حكم صلاة الجمعة خلف البث المباشر.

هذا بجانب المسائل الأخرى المشتركة بين بحثي وبين البحثين الأوليْن، والتي تناولتها بطريقة أكاديمية تختلف عن طريقة تناول البحثين لها.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي القائم على جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من كتب الفقه، مع تحليلها وتصنيفها، كما يعتمد على المنهج الوصفي في بيان أقوال الفقهاء في حكم تلك المسائل وأدلتها، كما يعتمد على المنهج النقدي للحكم على الأقوال.

إجراءات البحث:

أولًا: عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

ثانيًا: تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وإلَّا خرَّجته من مظانه، مع ذكر كلامَ أهل العلم في بيانَ درجته.

ثالثًا: تخريج الآثار من المصادر الأَصلية، والحكم عليها ما أمكن ذلَك.

رابعًا: الاعتماد على أمات المصادر والمراجع الأصيلة.

خامسًا: في المسائل الفقهية اتبعت الآتي:

١- ذكر ما أقف عليه من الأقوال في المسألة، وبيان القائل بها من العلماء، ويكون عرض الخلاف بذكر المذاهب الفقهية، مع ذكر أدلة كل قول وما يرد عليها من مناقشة – قدر الإمكان -.

٢- أختم الأقوال بالقول الراجح؛ وذلك لخلّوه غالباً من المناقشات، ولما يعقبه من أسباب ترجيحه، ولما في ذلك من التدرج في عرض الأقوال وصولاً إلى أقواها.

٣- توثيق الأقوال من كتب أهل المذاهب الفقهية، المشهورة في كل مذهب.

خطة البحث:

وقد قسّمته إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة:

وقد تناولت في المقدمة: عنوان البحث، وأهميته، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطته.

المبحث الأول: **فيروس كورونا بين الوباء والطاعون**. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف فيروس كورونا.

المطلب الثاني: الفرق بين الطاعون والوباء.

المطلب الثالث: كون فيروس كورونا طاعونًا أو وباءً.

المبحث الثاني: **أحكام الصلاة حال انتشار فيروس كورونا**. وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: حكم منع المصاب بفيروس كورونا من الصلاة في المسجد.

المطلب الثاني: حكم عدم ذهاب الصحيح للمسجد خوف الإصابة بفيروس كورونا.

المطلب الثالث: حكم إغلاق المساجد حال انتشار فيروس كورونا.

المطلب الرابع: حكم إقامة صلاة الجمعة في البيوت حال تفشي فيروس كورونا.

المطلب الخامس: حكم صلاة الجمعة خلف البث المباشر حال تفشي فيروس كورونا.

المطلب السادس: حكم القنوت في الصلاة لرفع وباء كورونا.

المطلب السابع: حكم لبس الكمامات في الصلاة.

المطلب الثامن: حكم لبس القفازات أثناء الصلاة.

الخاتمة: وتشتمل على **أهم النتائج والتوصيات**.

المبحث الأول

فيروس كورونا بين الوباء والطاعون

المطلب الأول

تعريف فيروس كورونا

فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض

للحيوان والإنسان.

ومن المعروف أن عددًا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي، التي تتراوح حِدّتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد ضررًا، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس).

ويسبِّب فيروس كورونا المُكتشف مؤخرًا مرض فيروس كورونا كوفيد-١٩، وهو مرض معد، ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المُستَجَدَّيْن قبل اندلاعه في مدينة يوهان الصينية في سنة ١٤٤١هـ، ديسمبر ٢٠١٩م[١].

كيف ينتشر مرض كوفيد_١٩؟

يمكن أن يصاب الأشخاص بعدوى مرض كوفيد-١٩ عن طريق الأشخاص الآخرين المصابين بالفيروس. ويمكن للمرض أن ينتقل من شخص إلى شخص عن طريق القُطيرات الصغيرة التي تتناثر من الأنف أو الفم عندما يسعل الشخص المصاب بمرض كوفيد-١٩ أو يعطس. وتتساقط هذه القُطيرات على الأشياء والأسطح المحيطة بالشخص. ويمكن حينها أن يصاب الأشخاص الآخرون بمرض كوفيد-١٩ عند ملامستهم لهذه الأشياء أو الأسطح، ثم لمس عينيهم أو أنفهم أو فمهم. كما يمكن أن يصاب الأشخاص بمرض كوفيد-١٩ إذا تنفسوا القُطيرات التي تخرج من الشخص المصاب بالمرض مع سعاله أو زفيره. ولذا فمن الأهمية بمكان الابتعاد عن الشخص المريض بمسافة تزيد على متر واحد (٣ أقدام)[٢].

المطلب الثاني

(١) موقع منظمة الصحة العالمية. https://www.who.int/csr/disease/coronavirus_infections/ar/.

(٢) موقع منظمة الصحة العالمية. https://www.who.int/csr/disease/coronavirus_infections/ar/.

الفرق بين الطاعون والوباء

أولًا: تعريف الطاعون:

للعلماء في تعريف الطاعون طريقتان:

الأولى: تعريف الطاعون بالمرض العام المهلك، وبهذا يشمل كل مرض معدٍ، واسع الانتشار يؤدي للموت العام، وقد ذهب إلى ذلك عدد من العلماء، وتنوعت عبارتهم في ذلك: فمنهم من عبّر عنه: بالمرض العام، كما فعل ابن الأثير[١]، وابن منظور[٢]. ومنهم من عبّر عنه بالوباء، كما فعل الكرماني[٣]، والقرطبي[٤]، والعيني[٥].

الثانية: تعريف الطاعون بنوع خاص من الأوبئة المعدية القاتلة، وينتج عنه انتفاخ الغدد وتوهجها، وفي الغالب تكون هذه الأورام خلف الأذن والآباط واللحوم الرخوة، ويتبعها قروح وبثور جلدية.

وقد ذهب إلى ذلك ابن عبد البر[٦]، والنووي[٧]، والقاضي عياض[٨]، وابن القيم[٩]، وابن حجر العسقلاني[١٠].

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيتمي أن الطاعون مع كونه حقيقة مختصة بالمرض المذكور، إلا أنه قد يُطلق على غيره من الأوبئة بطريق المجاز؛ لاشتراكهما في عموم المرض به أو كثرة الموت[١١].

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١٢٧/٣).
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور. (٢٦٧/١٣).
(٣) انظر: الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، الكرماني (٤٢/٥، ٦٩/٩).
(٤) انظر: المفهم شرح صحيح مسلم، القرطبي (٧٥٧/٣).
(٥) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (١٧١/٥).
(٦) انظر: الاستذكار، ابن عبد البر (٦٨/٣).
(٧) انظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي (١٨٧/٣).
(٨) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض (١٣٢/٧).
(٩) انظر: الطب النبوي، ابن القيم (ص٣١).
(١٠) انظر: فتح الباري، ابن حجر (١٨٠/١٠).
(١١) انظر: فتح الباري (١٨٠/١٠) الفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر الهيتمي (٢٧/٤).

ومما يؤيد ما ذهب إليه الفريق الثاني من اختصاص الطاعون بالمرض المشهور الذي يكون فيه تورّم الغدد وانتفاخها ما جاء في حديث عائشة –رضي الله عنها–، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم9 قال: "فناء أمتي بالطعن والطاعون"، قالت: فقلت يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: "غدة كغدة الإبل..."[1].

وعرّفت منظمة الصحة العالمية الطاعون بأنه: "مرض تسبّبه بكتيريا حيوانية المنشأ، تُدعى اليرسنية الطاعونية، وينتقل الطاعون عن طريق لدغ البراغيث المصابة، أو الملامسة، أو بالرذاذ الخارج من الجهاز التنفسي للمصاب بالطاعون الرئوي"[2].

وللطاعون ثلاثة أشكال رئيسة:

١. **الطاعون اللمفاوي الورمي**: وهو ينتشر بين الفئران، ثم ينتقل إلى الإنسان بواسطة البراغيث، التي تغذَّت على دم تلك الفئران، وتُسبب عضات البراغيث في بدن الإنسان أورامًا متضخمة في المناطق المصابة، وغالبًا ما تكون تحت الإبطين وأعلى الفخذ وخلف الأذنين والرقبة، وهذا النوع هو الأشهر، وهو المتعارف عليه قديمًا.

٢. **الطاعون الدموي (تلوث الدم)**: وهو ينتج عن عدم علاج الطاعون الغددي، حيث تنتشر العدوى في الدم وينخر الأنسجة، ويحوّل لونها إلى الأسود، وتظهر القروح والأورام، وربما يشتد هذا التسمم إلى درجة أن المريض يموت قبل ظهور الغدد أو علامات الطاعون.

٣. **الطاعون الرئوي**: وهو الذي يصيب الرئتين، حيث تتسرب الميكروبات إلى

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٢٦١٨٣ (٤٣/٢٥٧)، وأبو يعلى في مسنده برقم ٤٤٠٨ (٧/٣٧٩). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٩٢٨ (٤/٥٦١).

(٢) موقع منظمة الصحة العالمية. http://www10.who.int/mediacentre/factsheets/fs267/ar/.

الرئتين، وهذا النوع أشد فتكًا من الأول[1].

ثانيًا: تعريف الوباء:

عرّف القدماء الوباء بتعريفات تختلف في عبارتها، وتتفق في مضمونها، ومنها:

عرّفه ابن النفيس بقوله: "الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء، لأسباب سماوية أو أرضية، كالماء الآسن والجيف الكثيرة"[2].

وعرّفه البعض بقوله: "مرض الكثير من الناس في جهة من الأرض، دون سائر الجهات، ويكون مخالفًا للمعتاد من الأمراض في الكثرة وغيرها، ويكون نوعًا واحدًا"[3].

وعرّفته الموسوعة الطبية الحديثة بأنه: "كل مرض يصيب عددًا كبيرًا من الناس، في منطقة واحدة، في مدة قصيرة من الزمن، فإن أصاب المرض عددًا عظيمًا من الناس في منطقة جغرافية شاسعة، سُمّي وباء عالميًا"[4].

ثالثًا: الفرق بين الطاعون والوباء:

عند النظر في التعريفات السابقة للوباء والطاعون، نلحظ اتجاهين في تعريفهما:

الاتجاه الأول: يرى التطابق بين الطاعون والوباء، وهو ظاهر قول ابن سينا: "والطواعين تكثر عند الوباء، ومن ثَمّ أُطلق على الطاعون أنه وباء، وبالعكس"[5].

الاتجاه الثاني: أنهما متغايران، فبين الوباء والطاعون عموم وخصوص، فكل طاعونٍ

(١) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، مادة (طاعون).
(٢) تاج العروس، الزبيدي (٤٨٧/١).
(٣) شرح مختصر خليل، الخرشي (١٥٥/٤).
(٤) الموسوعة الطبية الحديثة (١٨٩٤/١٣).
(٥) الفتاوى الكبرى، ابن حجر الهيتمي (١٢/٤).

وَبَاءٌ، وليس كل وَبَاءٍ طاعونًا، فالطاعون نوع من أنواع الوباء ، وقسم من أقسامه يجتمعان في أمور ويختلفان في أخرى.

وأقول: إن المرض إذا اقتصر تأثيره على الشخص المصاب فهو غير المعدي، وإذا انتقل إلى الآخرين فهو المرض المعدي. والمرض المعدي إما أن يكون انتقاله محدودًا، من الفرد المصاب إلى أشخاص محدودين في نطاق محدود على الوجه المعتاد، وإما أن ينتشر انتشارًا سريعًا وواسعًا، ويتفشى في المجتمع على خلاف العادة، فهذا الأخير هو الذي يعبر عنه أهل اللغة والطب بـ(الوباء)[1]، ولو أضيف لهذا الوباء كونه مع سعة انتشاره قاتلًا مميتًا، فهذا ما يرى كثير من أهل العلم أنه يُسمى (طاعونًا)، بينما يرى فريق آخر من العلماء أن الطاعون نوع خاص من أنواع الأوبئة الفتاكة، وهو ما ينتج عن قروح وأورام رديئة تخرج على وجه مخصوص.

والتفريق بين الوباء والطاعون هو الأرجح؛ لورود النص الشرعي الواضح في تفسير الطاعون به، كما سبق بيانه.

وقد وقع الاختلاف في تنزيل الأحكام الشرعية الواردة في الطاعون على كثير من الأمراض الفتاكة التي تنتشر بين الناس، بناء على الاختلاف في نظرة العلماء لمفهوم الطاعون.

المطلب الثالث

كون فيروس كورونا طاعونًا أو وباءً

بناءً على ما تقدم من الاختلاف في تعريف الطاعون، يقع الخلاف في

(١) انظر في تعريف الوباء: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٤٤)، التعريفات، الجرجاني (ص٣٥).

تصنيف فيروس كورونا هل هو من الأوبئة أم من الطاعون؟

ذهب الشيخ سليمان الرحيلي إلى أن فيروس كورونا في حكم الطاعون؛ لأنه من الأمراض الفتاكة، سريعة الانتشار[١] وبالنظر لما ذكرته منظمة الصحة العالمية من أشكال الطاعون، فإن فيروس كورونا يشبه أن يكون من النوع الثالث من أنواع الطاعون ألا وهو الطاعون الرئوي[٢].

والأرجح عندي أن فيروس كورونا من الأوبئة وليس من الطاعون؛ وذلك للآتي:

١. جاء وصف الطاعون في السنة النبوية بأنه "غدة كغدة البعير"، وهذا لا ينطبق على فيروس كورونا.

٢. ما سبق بيانه من كلام أهل العلم أن الطاعون نوع خاص من أنواع الأوبئة، ولا تنطبق أوصافه على فيروس كورونا المعاصر.

٣. تصنيف منظمة الصحة العالمية –وهي أعلى منظمة للصحة على مستوى العالم– لفيروس كورونا على أنه وباء وليس طاعونًا[٣].

٤. دخول هذا الفيروس إلى المدينة النبوية قبل عدة سنين، ومن خصائص الطاعون عدم دخول المدينة المنورة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال»[٤].

(١) انظر في فتوى الشيخ على هذا الرابط https://www.youtube.com/watch?v=PKtdVqLT-z8.

(٢) موقع منظمة الصحة العالمية. http://www10.who.int/mediacentre/factsheets/fs267/ar/.

(٣) انظر: https://www.aa.com.tr/ar/.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الفتن، باب/ لا يدخل الطاعون المدينة برقم١٨٨٠ (٢٢/٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ الحج، باب/ باب صيانة المدينة من دخول الطاعون، والدجال إليها برقم ١٣٧٩ (١٠٠٥/٢).
وقد ورد حديث يدل على أن الطاعون لا يدخل مكة أيضًا، وهو: "المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون". رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢٠٩٩) من طريق فليح بن سليمان عن عمر بن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة به. ومدار هذه الرواية على فليح بن سليمان، وهو وإن أخرج له الشيخان، فقد ضعفّه ابن معين، وأبو حاتم، وأبو داود، والنسائي، وأبو زرعة الرازي. فمثله لا يُقبل تفرده، وقد تفرد بهذه الرواية ولا متابع له فيها؛ ولذلك قال ابن الملقن في

ومع كون فيروس كورونا من الأوبئة، إلا أنه يشترك مع الطاعون في بعض الخصائص المرضية، ومنها:

١. طريقة الانتشار: فالطاعون معدٍ، وفيروس كورونا معدٍ أيضًا، فله الخصائص نفسها من كونه ينتشر عن طريق استنشاق الرذاذ الذي يخرج من المصاب بالمرض.
٢. سرعة الانتشار: ففيروس كورونا قد ينتشر في مساحة واسعة، في مدة زمنية قصيرة جدًا قد لا تتجاوز ساعات قليلة.
٣. عموم المصاب به: فهو يصيب الكثير من الناس في وقت واحد إذا لم يُتدارك.
٤. قد يحصل بسببه الموت الكثير[1].

المبحث الثاني

أحكام الصلاة حال انتشار فيروس كورونا

المطلب الأول

حكم منع المصاب بفيروس كورونا من الصلاة في المسجد

لاشك أن فيروس كورونا ينتقل عن طريق الهواء والمخالطة والملامسة للمريض به، فإذا كان الأمر كذلك، فما حكم منع المصاب بفيروس كورونا من الصلاة في المسجد؟

اختلف الفقهاء في منع المريض مرضًا مُعْديًا من الصلاة في المسجد على قولين:

الأول: لا يُمنع المصاب من حضور صلاة الجماعة والجمعة والأعياد. وذهب إليه

التوضيح (٤٧٢/٢٧): "وقد ورد أن الطاعون لا يدخل مكة أيضًا، وإسناده ضعيف" انظر: تهذيب الكمال، المزي (٣١٩/٢٣).

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠٨/٢٣).

الظاهرية[1]، وبعض المالكية[2].

أدلتهم:

الدليل الأول: السنة بيّنَت الأعذار التي تبيح التخلف عن الجماعة والجمعة، ولو كان المجذوم ونحوه من أصحاب المرض المعدي ممن يباح لهم التخلف عنها لبيّنه الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)[3].

المناقشة:

لا يُسلّم أن السنة لم تبيِّن ذلك، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "فِرّ من المجذوم فرارك من الأسد"[4]، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن مخالطة المريض بمرض مُعْدٍ للأصحاء؛ لئلا يؤدي ذلك إلى إصابتهم، وحضور المريض لأداء الصلوات جماعة مظنة لهذا الاختلاط.

ولا شك المريض بفيروس كورونا يدخل في ذلك من باب أولى.

الدليل الثاني: عن جابر (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم) قال: "من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا، أو ليقعد في بيته"[5].

وجه الاستدلال:

أن النبي صلى الله عليه وسلم) نهى آكل الثوم والبصل والكراث من أن يقرب المسجد، ولو كان المصاب بالجذام ونحوه من الأمراض المعدية داخل في

(١) انظر: المحلى (٤/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) انظر: المعيار المعرب، الونشريسي (٦/٤٢٢).

(٣) انظر: المحلى (٤/٢٠٢-٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الطب، باب/ الجذام برقم ٥٧٠٧ (٧/١٢٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الأذان، باب/ ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث برقم ٨٥٥ (١/١٧٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ المساجد ومواضع الصلاة، باب/ نهي من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو نحوها برقم ٥٦٤ (١/٣٩٤).

ذلك، لبيّنه عليه الصلاة والسلام، مع وجوده في زمانه، فلما لم يبيّنه (صلى الله عليه وسلم) دل على أنه لا يُعذر به ولا يُمن[1].

المناقشة:

أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بيّن العلة من النهي عن قربان المسجد حال أكل هذه الأطعمة بقوله: "فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم "[2]. ولا شك أن المصاب بالجذام ونحوه من الأمراض المعدية المؤذية للناس أولى بالنهي؛ إذ أذاه أعظم ومتحقق[3].

ولا شك أن المريض بفيروس كورونا أولى بالنهى؛ بجامع الأذى المتحقق من نقل العدوى.

القول الثاني: يحرم على المصاب بالأمراض المعدية دخول المسجد وحضور الصلاة. وهذا قول الحنفية[4]، والمالكية[5]، والشافعية[6]، والحنابلة[7].

أدلتهم:

الدليل الأول: الأحاديث الصحيحة الدالة على الأمر بالفرار من المجذوم، والبعد عنه، ومنها: "فِرّ من المجذوم فرارك من الأسد"، وقوله (صلى الله عليه وسلم): "لا يُوردن ممرض على مصح"[8].

وجه الاستدلال:

دلت هذه الأحاديث على وجوب مباعدة المجذوم، وكل ذي مرض مُعدٍ، وفي حضوره للصلاة مع الجماعة مخالفة لها، فدلت على النهي عن حضوره لها،

(١) انظر: المحلى (٤/٤٨-٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب/ المساجد ومواضع الصلاة، باب/ نهي من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو نحوها برقم ٥٦٤ (١/٣٩٥).

(٣) انظر: التمهيد، ابن عبد البر (٦/٤٢٣).

(٤) انظر: عمدة القاري (٢١/٢٦٧)، البحر الرائق، ابن نجيم (٣/١١١).

(٥) انظر: البيان والتحصيل (١/٤٦١)، حاشية الدسوقي (١/٣٨٩).

(٦) انظر: المجموع (٢/١٩٩)، مغني المحتاج، الشربيني (١/٢٩٧).

(٧) انظر: المغني (٩/٣٤١)، مطالب أولي النهى، البهوتي (١/٦٩٩).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الطب، باب/ لا هامة برقم ٥٧٧٠ (٧/١٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ السلام، باب/ لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح برقم ٢٢٢١ (٤/١٧٤٣).

ويُمنع من دخولها.

ويدخل في ذلك المريض بفيروس كورونا، فلا شك أن علة حصول العدوى جراء الاختلاط متحققة كما ذكر أهل الاختصاص من الأطباء.

الدليل الثاني: عن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا، أو ليقعد في بيته".

وجه الاستدلال:

القياس على النهي عن دخول المسجد وحضور الجماعة لمن أكل ما له رائحة كريهة، بجامع حصول الأذى من كل منهما، فقد نص النبي (صلى الله عليه وسلم) على أن العلة في منع آكل الثوم من دخول المسجد في قوله: "فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"، فوجب أن يُعتبر الحكم حيثما وُجدت العلة، فكل ما يتأذى منه المصلون وجب منعه من الصلاة وإخراجه، والمصاب بفيروس كورونا ونحوه أعظم وأكثر أذى من آكل الثوم والبصل، فهو أولى بالحكم[1].

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وجه الدلالة: حرّمت الآية أذية المؤمنين، ويدخل في الأذية القول والفعل[2]، ولا شك أن في حضور المصاب بالمرض المعدي للصلوات أذى عظيمًا للمسلمين.

ويدخل في ذلك المصاب بفيروس كورونا، ففي حضوره للصلوات ضرر وأذى لغيره.

الترجيح:

(١) انظر: البيان والتحصيل (٤٦١/١)، التمهيد (٤٢٣/٦)، تفسير القرطبي (٢٦٧/١٢)، مغني المحتاج، الشربيني (٢٣٦/١).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠٢/٢٧).

الذي يترجح عندي هو القول الثاني؛ فالحكم متعلق بالعلة التي هي حصول الأذى للمصلين من هذا المرض، وبناء عليه لا شك في تحريم دخول المصاب بفيروس كورونا المسجد وحضوره الصلاة؛ لأن ضرره زائد عن ضرر آكل الثوم والبصل فضرر المرض المعدي باقٍ، وقد يؤدي إلى الهلاك، بخلاف ضرر الثوم والبصل فيزول بمجرد الخروج من المسجد، ويُمنع من ذلك، ولو حضر فهو آثم[1].

وعلى إمام المسلمين أو من يقوم مقامه، منع المصاب بفيروس كورونا من ذلك؛ لما سبق من أدلة، ولأن الشريعة جاءت بتحريم أذى المسلم والنهي عن الإضرار به، ولما تقرر من قواعد الشرع بأن تُقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، والمفسدة هنا أعظم خاصة في فيروس كورونا الذي ينتشر بسرعة، والنفس تنفر بطبيعتها من المصاب بذلك[2].

قال ابن حجر الهيتمي: "سبب المنع في نحو المجذوم خشية ضرره، وحينئذ فيكون المنع واجبًا فيه ... لما في ذلك من المصالح العامة، وأن المدار في المنع على الاختلاط بالناس"[3].

"وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجل مبتلى، سكن في دار بين قوم أصحاء، فقال بعضهم: لا يمكننا مجاورتك ولا ينبغي أن تجاور الأصحاء، فهل يجوز إخراجه؟ فأجاب: نعم لهم أن يمنعوه من السكن بين الأصحاء"[4].

المطلب الثاني

حكم عدم ذهاب الصحيح للمسجد خوف الإصابة بفيروس كورونا

إذا كان الخوف من فيروس كورونا متحققًا أو يغلب على الظن حصوله،

(١) انظر: كشاف القناع (١٢٦/٦).
(٢) انظر: المفهم، القرطبي (٦٢٤/٥).
(٣) الفتاوى الكبرى (٢١٢/١).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨٤/٢٤-٢٨٥).

مع إمكان الوقاية إلا بمنع الاجتماع، فإنه يبيح للمسلم التخلف عن الجمعة والجماعة؛ ويمكن الاستدلال على ذلك بما يلي:

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء: ٢٩]، ولا شك أن عدم الابتعاد عن أصحاب الأمراض المعدية –ومنها المصاب بفيروس كورونا–، –خشية انتقاله إلى الأصحاء بواسطة الملامسة، أو المخالطة، أو الشم–، هو من إلقاء النفس إلى التهلكة.

ثانيًا: عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: "من سمع النداء فلم يأته، فلا صلاة له، إلا من عذر. قالوا: يا رسول الله، وما العذر؟ قال: خوف أو مرض"(١).

قال ابن عبد البر: "وأما قوله في الحديث: "من غير عذر"، فالعذر يتسع القول فيه، وجملته: كل مانع حائل بينه وبين الجمعة، مما يتأذى به أو يخاف عدوانه، أو يُبطل بذلك فرضًا لابد منه، فمن ذلك السلطان الجائر يظلم، والمطر الوابل المتصل، والمرض الحابس، وما كان مثل ذلك"(٢).

وقال ابن قدامة: "ويُعذر في تركهما –الجمعة والجماعة– الخائف؛ لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "العذر خوف أو مرض"، والخوف ثلاثة أنواع؛ خوف على النفس، وخوف على المال، وخوف على الأهل"(٣).

وجه الاستدلال:

جواز التخلف عن صلاة الجماعة خوفًا على النفس خشية انتقال المرض.

ثالثًا: عن عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال لمؤذنه في يوم مطير: "إذا

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب/ الصلاة، باب/ التشديد في ترك الجماعة برقم ٥٥١ (١/٤١٣)، والحاكم في المستدرك برقم ٨٩٦ (١/٣٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم ٥٦٤١ (٣/٢٦٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) التمهيد (١٦/٢٤٣).

(٣) المغني (١/ ٤٥١).

قلت: أشهد أن محمدًا رسول الله، فلا تقل حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم"، فكأن الناس استنكروا، قال: "فعله من هو خير مني - يعني النبي (صلى الله عليه وسلم)- إن الجمعة عَزمة[1]، وإني كرهت أن أُحرجكم فتمشون في الطين والدحض[2]"[3].

وجه الاستدلال:

أن الشارع الحكيم رخّص في التخلف عن الجمعة بسبب المطر الذي يُتأذى منه، فيقاس عليه كل ما يُلحق الأذى من الأوبئة كفيروس كورونا وغيرها، بجامع خوف الضرر على النفس.

قال ابن قدامة: "ولا تجب الجمعة على من في طريقه إليها مطر يبل الثياب، أو وحل يشق المشي إليها فيه... ولأنه عذر في الجماعة، فكان عذراً في الجمعة، كالمرض، وتسقط الجمعة بكل عذر يُسقط الجماعة"[4].

المطلب الثالث

حكم إغلاق المساجد حال انتشار فيروس كورونا

مع انتشار فيروس كورونا على مستوى العالم، وحدوث إصابات عظيمة وكثيرة، فقد اتخذت بعض الدول الإسلامية تدابير احترازية لمنع انتشار الوباء، ومنها إغلاق المساجد وأداء الصلاة في البيوت، ونجد أن الباحثين المعاصرين اختلفوا حيال ذلك على قولين:

القول الأول: عدم جواز إغلاق المساجد بسبب انتشار فيروس كورونا، مع أخذ

(١) عزمة: واجبة متحتمة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزري (٣/٢٣٢).

(٢) الدحض: الزلق والزلل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الجمعة، باب/ الرخصة إن لم يحضر الجمعة في المطر برقم ٩٠١ (٢/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ صلاة المسافرين وقصرها، باب/ الصلاة في الرحال في المطر برقم ٦٩٩ (١/٤٨٥).

(٤) المغني (٢/ ٢٥٢).

الاحتياطات المطلوبة من التعقيم وغيره. وذهب إلى ذلك بعض الباحثين[1].

أدلتهم:

الدليل الأول: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

وجه الاستدلال:

في الخوف من العدو المحقق عند القتال في سبيل الله لم تسقط الجماعة، فكيف تسقط بسبب الخوف المتوهم من المرض ؟![2].

المناقشة:

أولًا: صلاة الخوف أثناء الجهاد تكون جماعة عند عدم التحام الجيش وهذا ممكن، أما عند التحام الجيش ويصعب الصلاة جماعة فيصلون فرادى، بل وإلى غير القبلة إن اضطروا[3]، فليس في مسألة صلاة الخوف دليل على عدم جواز تعطيل الجماعة بل قد يكون العكس، فإن الخوف من السيف والموت أجاز للمحارب الصلاة فرادى، فيقاس عليه غيره.

ثانيًا: قولهم: "بسبب الخوف المتوهم من المرض"، غير مُسلّم به، فهذا المرض ليس متوهّمًا، بل الإصابة به مظنونة أو مقطوع بها عند مخالطة المصاب.

الدليل الثاني: وقع الطاعون في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وتشاور في أمره مع المهاجرين ثم الأنصار، ثم مسلمة الفتح فهل عطلوا بسببه جمعة أو جماعة؟![4]

(١) منهم: الشيخ أحمد الكوري:
https://arabic.cnn.com/middle-east/article/202014/03//kuwait-mosques-pray-mass-ban-social-reactions.
https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid= 208766980534569 &id =117988.

(2) https://www.facebook.com/permalink.php?story _ fbid = 208766980534569&id =117988.

(٣) انظر: بدائع الصنائع، الكاساني (٢٤٢/١)، مغني المحتاج (٣٠١/١)، المغني (٤١٢/٢).

(4) https://www.facebook.com/permalink.php?story _ fbid = 208766980534569&id

المناقشة:

أولًا: كما لم يُنقل عنهم أنهم عطّلوا الجماعة، فكذلك لم يُنقل عنهم أنهم أقاموها.

ثانيًا: على فرض أنهم لم يُعطّلوا الجماعة، فقد يكون عدم تركهم للجماعة في طاعون عمواس، عزيمة منهم -رضي الله عنهم-، والعزيمة لا تنفي الرخصة، والأصل في الأمور الإباحة حتى يرد المنع، وصلاة الجماعة تُترك لأقل من هذا للمرض، وحضور العشاء، ومدافعة الأخبثين، والمطر الشديد خشية الوحل والدّحَض[1].

القول الثاني: جواز إغلاق المساجد وتعطيل الجماعات والجمعة في المساجد. وذهب إلى ذلك هيئة كبار العلماء بالمملكة[2]، وهيئة كبار العلماء بجمهورية مصر العربية[3]، ومجلس الإفتاء الإماراتي[4].

أدلتهم:

أولًا: من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء: ٢٩][5].

ثانيًا: من السنة النبوية:

- ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "فِرّ من المجذوم فرارك من الأسد" والجذام مرض مُعدٍ، وفي الحديث الشريف الأمر بالفرار منه كي لا تقع العدوى، وفي ذلك دلالة على إثبات التأثير للعدوى -بإذن الله تعالى، والحث

=117988.

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (١/٣٧٣-٣٧٤)، حاشية الدسوقي (١/٣٨٩)، مغني المحتاج (١/٢٣٤-٢٣٥)، كشاف القناع (١/٤٩٠).

(2) https://www.spa.gov.sa/2047028.

(3) https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=2525886901061396&id=2123919237924833&__tn__=K-R.

(4) https://al-ain.com/article/uae-islam-corona-virus.

(5) https://al-ain.com/article/uae-islam-corona-virus.

على البعد عن أسبابها[1].

- أحاديث وجوب الطاعة الكثيرة لولي الأمر المسلم، الدالة على وجوب امتثال أوامره وتعليماته، وتصرّفات الإمام منوطة بالمصلحة، إلا أنّ تقدير هذه المصالح موكول إلى الإمام وإلى الجهات الولائية، فكما يقول السرخسي: "إنْ أمرهم بشيءٍ لا يدرون أينتفعون به أَمْ لا، فعليهم أن يُطيعوه، لأنّ فرْضيّةَ الطّاعة ثابتةٌ بنصٍّ مقطوع به. وما تردّد لهم من الرّأي في أنّ ما أُمر به منتَفع أو غير مُنتَفعٍ به لا يصلح مُعارِضًا للنّصِ المقطوع[2].

ثالثًا: الإجماع:

أجمع العلماء على أنّ (الضرر يزال) وجعلوا ذلك قاعدة كلية؛ ومما يدخل ضمنها البعد عن مواطن الإصابة بالأوبئة المعدية حفاظًا على النفس من الهلاك وسلامة البدن من الضرر[3].

رابعًا: القياس:

ثبت أنّ الشرع الحنيف أمر مَن به رائحة مؤذية باعتزال المسجد وخروجه منه، بل إخراجه دفعًا للأذى عن الناس؛ ففي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خطب يوم الجمعة، فكان مما قال: "ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين، هذا البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد، أمر به فأُخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليُمتْهما طبخًا"[4].

(1) https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=2525886901061396&id=2123919237924833&__tn__=K-R

(٢) شرح السير الكبير، السرخسي (١/١٦٥).

(3) https://al-ain.com/article/uae-islam-corona-virus.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب/ المساجد ومواضع الصلاة، باب/ نهي من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو نحوها برقم ٥٦٧ (١/٣٩٦).

فإذا كان هذا الإخراج لمجرد الأذية بالرائحة الكريهة؛ فكيف بأذية العدوى التي قد تودي بحياة الناس؛ وفي ذلك قال الحافظ ابن عبد البر: "وإذا كانت العلة في إخراجه من المسجد أنه يُتأذى به، ففي القياس: أن كل ما يتأذى به جيرانه في المسجد بأن يكون ... ذا رائحة قبيحة لسوء صناعته، أو عاهة مؤذية كالجذام وشبهه، وكل ما يتأذى به الناس، إذا وُجد في أحد جيران المسجد وأرادوا إخراجه عن المسجد وإبعاده عنه، كان ذلك لهم، ما كانت العلة موجودة فيه حتى تزول، فإذا زالت ... كان له مراجعة المسجد"[1][2][3].

الترجيح: يترجح عندي القول الثاني القائل بإغلاق المساجد وتعطيل الجمعة والجماعات؛ لقوة أدلته، وسلامتها من المعارض، وكذلك لأن صحة الأبدان من أعظم المقاصد والأهداف في الشريعة الإسلامية، إضافة إلى أنه لا يمكن اكتشاف الحالات المصابة بمرض فيروس أثناء دخولها المساجد واختلاطها بالناس، فلا شك أن الضرر كبير في ظل سرعة انتشار الفيروس، وكثرة وفياته وإصاباته، وعدم وجود علاج ناجع له إلى الآن.

المطلب الرابع

حكم إقامة صلاة الجمعة في البيوت حال تفشي وباء كورونا

اختلف المعاصرون حول حكم إقامة صلاة الجمعة في البيوت حال تفشي وباء كورونا على قولين:

(١) التمهيد (٦/٤٢٢).

(2) https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=2525886901061396&id=2123919237924833&__tn__=K-R.

(3) https://al-ain.com/article/uae.

الأول: جواز صلاة الجمعة في البيوت حال تعليق الجماعة في المساجد. وذهب إليه مجلس الإفتاء السوري[١]، وبعض المعاصرين[٢].

أدلتهم: **الدليل الأول**: أن أسعد بن زرارة (رضي الله عنه) قد صلى أول جمعة بالمسلمين في المدينة، ومن المؤكد أنها لم تكن في مسجدٍ[٣][٤].

المناقشة: الأولى بقائل ذلك أن ينظر إلى فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة بعد أن فرض الله عليه الجمعة، وقد تعذر عليه صلاتها بالمؤمنين؛ خوفًا عليهم من أهل مكة، لكنه لم يثبت عنه أنه صلاها في بيته مع أقرب أصحابه إليه وألصقهم به.

الدليل الثاني: أنّ أقل عدد تصح به الجمعة هو ثلاثة أشخاص مع الإمام المعتمد عند الحنفية[٥][٦].

المناقشة: لا يصح التخريج على هذا القول إلا بتحقيق بقية شروط الحنفية، كشرطهم أن تؤدى بإذن عام[٧]، يستلزم الاشتهار بإقامتها في مكان بارز معلوم لكل الناس مع فتح الأبواب للقادمين إليه، وهو ما لا يتحقق في البيوت بحال.

القول الثاني: عدم جواز صلاة الجمعة في البيوت، ولا يسقط فرض الجمعة بها، والواجب شرعًا هو لزوم البيوت حفاظًا على النفس والآخرين، وصلاة الظهر بدل الجمعة مهما طال الوقت؛ لأن الرخصة عند الاستثناء يبقى حكمها ما بقي سببها. وذهب إليه هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية[٨]، وهيئة كبار العلماء

(1) http://sy-sic.com/?p=8164.

(٢) وهي فتوى الدودو الشنقيطي https://www.youtube.com/watch?v=hu9KjNEQfQ8.

(٣) انظر: صحيح ابن خزيمة (٨٣٣/٢).

(4) https://www.youtube.com/watch?v=hu9KjNEQfQ8.

(٥) انظر: المبسوط، السرخسي (٤٣/٢).

(6) https://www.youtube.com/watch?v=hu9KjNEQfQ8.

(٧) انظر: المبسوط، السرخسي (٤٣/٢)، مختصر اختلاف العلماء، الطحاوي (٣٣٠/١).

(8) https://www.spa.gov.sa/2048662.

بالأزهر الشريف[١]، ومجلس الإفتاء الأوربي[٢].

أدلتهم: **الدليل الأول**: الجمعة شعيرة من شعائر الله، وكونها شعيرة فهذا يقتضي إظهارها والإعلام بها ليحضرها الناس، وصلاتها في البيوت مخالف لذلك، لهذا شُرط لها الأداء في مكان معلوم مخصص لصلاة جماعة المسلمين عند من لم يشترط لها المسجدية، وبه يحقق أعظم مقاصد الجمعة وهو اجتماع المسلمين[٣].

الدليل الثاني: تصحيح صلاة الجمعة في البيوت يقوم على تلفيق بين المذاهب الفقهية لا يتفق مع شروط أي مذهب وصلاة الجمعة عليه، وينتهي إلى صورة تلفيقية مرفوضة عند علماء الأصول[٤].

الدليل الثالث: مؤدّى القول بصلاة الجمعة في البيوت، بطلان مقصد الشعيرة من إظهار شعيرة الجمعة في المساجد واجتماع الناس على ذلك، والاستجابة لنداء المؤذن عند صلاة الجمعة[٥].

الترجيح: الذي يترجح عندي هو القول الثاني القائل بعدم جواز صلاة الجمعة في البيوت؛ لقوة أدلته، وسلامتها من المعارضة، بالإضافة إلى أن القول بجواز صلاتها في البيوت يفتح ذريعة تهاون الناس في أدائها حتى في الأحوال العادية، وهذا خلاف مقصد الشارع من تكليف الناس بصلاة الجمعة.

قال المازري: "سرّ اشتراط الجامع والجماعة في الجمعة بخلاف غيرها من الصلوات، أنها صلاة قُصد بها المباهاة والإشادة والإعلان. ولهذا جُهر بالقراءة فيها، وإن كانت صلاة نهار، وجُعل فيها الخطبة، فكل معنى تكمل المباهاة فيه ويزيد

(1) https://www.youm7.com/story/20203/4/.

(٢) انظر: البيان الختامي للدورة الطارئة الثلاثين لمجلس الإفتاء الأوربي (ص١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص١٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص١٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص١٣).

في بهاء الإسلام كان أولى أن يُسلك، والإخفاء والاستتار نقيض هذا الغرض الذي أشار إليه الشرع "[1].

المطلب الخامس

حكم صلاة الجمعة خلف البث المباشر حال تفشي فيروس كورونا

وهو الائتمام في صلاة الجمعة بصوت الخطيب من التلفاز أو وسائل النقل المباشر في البرامج الحديثة.

وهذه المسألة تكاد تكون محل إجماع بين العلماء المعاصرين[2]، وهو أنه لا تجوز صلاة الجمعة خلف هذه الوسائل، ولا تجزئ عن صلاة الجمعة، ولا تسقط صلاة الظهر عمن صلاها على هذا النحو، وقد خالف في ذلك أحد المعاصرين وهو أبو الفيض الغماري، وألف رسالة سماها (الإقناع بصحَّةِ صلاةِ المأمومِ خلفَ المِذياع) لكني لم أظفر بها بعد طول بحث.

ومما يُستدل به على عدم صحة صلاة الجمعة في البيوت بسماع الخطبة خلف البث المباشر:

أولًا: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، فهذا أمر من الله بالسعي للجمعة، وقد اتفق العلماء من أهل الفقه والتفسير على وجوب السعي للجمعة، والسعي لا يتحقق بالصلاة في البيوت خلف المذياع[3].

ثانيًا: الأحاديث النبوية الصحيحة التي خصّت صلاة الجمعة بهيئة وأحكام لا تتم في حال أدائها في البيوت، ومنها حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ غَسَّلَ

(١) شرح التلقين، المازري (١/٩٨).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٨/٢٦)، شرح الشيخ ابن عثيمين على زاد المستقنع (٤/٢٩٧)، فتاوى الشيخ الفوزان (٢/٦٧٧)، البيان الختامي للدورة الطارئة الثلاثين لمجلس الإفتاء الأوربي (ص١٠).

(٣) انظر: البيان الختامي للدورة الطارئة الثلاثين لمجلس الإفتاء الأوربي (ص١١).

وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى، وَلَمْ يَرْكَبْ فَدَنَا مِنَ الإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا"[1] فكيف نحقق معاني التبكير والاجتماع والشعار إذا أُديت الصلاة في البيوت خلف البث المباشر؟.

ثالثًا: اشترط الفقهاء لصحة الاقتداء في الصلاة: اجتماع المأموم مع الإمام في مكان واحد، وعلم المأموم بانتقالات الإمام على نحو ينفي الاشتباه ويمنع جهل المأموم بحال إمامه، فإن وقع لم تصح صلاته، كما اشترط الفقهاء عدم الفصل بين المأموم والإمام بفاصل كبير كجدار، أو نهر كبير تجري فيه السفن، أو حاجز يمنع وصول المأموم إلى إمامه لو قصد الوصول إليه، والائتمام من البيوت بمتابعة البث المباشر وما ماثله يُخل بهذه الشروط، ويمنع المقتدي من الوصول إلى إمامه، ويُبطل الصلاة عند جمهور الفقهاء لقوله (صلى الله عليه وسلم): "إنما جُعل الإمام ليُؤتم به"[2][3].

رابعًا: من المآلات المترتبة على صلاة الجمعة في البيوت خلف البث المباشر: القضاء على روح الشعيرة، والوصول إلى إبطال الجُمع والجماعات بالكلية سواء مع وجود فيروس كورونا أو بعد زواله، فإذا صحت صلاة الجمعة خلف المذياع صحت صلاة الجماعة من باب أولى، وهو ذريعة لإبطال أصل بناء المساجد وتعميرها، فيكفي الناس في كل بلد مسجد صغير واحد يسع اثنين مع الإمام، وبقية الناس يصلون من بيوتهم وأماكن عملهم بمشاهدة البث المباشر، وأعجب منه الصلاة خلف إمام الحرم عند اتحاد الوقت بينهم وبين وقت الصلاة في الحرم؛ لتحصيل الأجر المضاعف وهم في البيوت[4].

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم ١٦١٧٣ (٢٦/٩٣)، وابن ماجه في سننه برقم ١٠٨٧ (٢/١٨٨) وصححه محققو المسند.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الأذان، باب/ إنما جعل الإمام ليؤتم به برقم ٦٨٨ (١/١٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ الصلاة، باب/ ائتمام المأموم بالإمام برقم ٤١١ (١/٣٠٨).

(٣) انظر: منح الجليل شرح مختصر خليل، الشيخ عليش (١/٣٧٥)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣/٤٠٧)، شرح الشيخ ابن عثيمين على زاد المستقنع (٤/٢٩٧-٣٠٠)، البيان الختامي للدورة الطارئة الثلاثين لمجلس الإفتاء الأوربي (ص١١).

(٤) انظر: شرح الشيخ ابن عثيمين على زاد المستقنع (٤/٢٩٩)، البيان الختامي للدورة الطارئة الثلاثين لمجلس الإفتاء الأوربي (ص١١).

المطلب السادس

حكم القنوت في الصلاة لرفع وباء كورونا

اختلف الفقهاء في حكم القنوت لرفع الوباء –ويدخل فيه وباء كورونا– على قولين:

القول الأول: لا يُشرع القنوت لرفع الوباء. وهذا مذهب الحنابلة[١]، وبعض الشافعية[٢].

أدلتهم: **الدليل الأول**: أن الطاعون وقع في زمن عمر (رضي الله عنه)، ومع ذلك لم يقنتوا لرفعه[٣].

المناقشة: **أولًا**: لا يلزم من عدم النقل عن السلف عدم الوقوع.

ثانيًا: على التسليم بذلك فربما تركوا القنوت إيثارًا للشهادة.

الدليل الثاني: أن الموت بالطاعون شهادة، فلا يُسأل رفعه[٤]؛ لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله"[٥].

المناقشة: استدلالهم مُنتَقض بالقنوت لنازلة العدو، فيُقنت لها مع أنه تحصل الشهادة لمن قُتل منه، حيث ثبت سؤال العافية منها في قوله (صلى الله عليه وسلم): "لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية"[٦].

القول الثاني: حلول الوباء من الأسباب التي يُشرع لها القنوت. وهو قول الحنفية[٧]،

(١) انظر: الفروع (٢/ ٣٦٧)، كشاف القناع (١/ ٤٢١)، الإنصاف (٢/ ١٧٥).
(٢) انظر: روضة الطالبين (١/ ٢٥٤)، نهاية المحتاج (١/ ٥٠٨).
(٣) انظر: الفروع (٢/ ٣٦٧).
(٤) انظر: الفروع (٢/ ٣٦٧).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الجهاد والسير، باب/ الشهادة سوى القتل برقم ٢٨٣٠ (٤/ ٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ الإمارة، باب/ بيان الشهداء برقم ١٩١٤ (٣/ ١٥٢١).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ التمني، باب/ كراهية تمني لقاء العدو برقم ٧٢٣٧ (٩/ ٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ الجهاد والسير، باب/ كراهية تمني لقاء العدو برقم ١٧٤٢ (٣/ ١٣٦٢).
(٧) انظر: رد المحتار (٢/ ١١)، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (ص٣٧٧).

والمالكية[١]، والمعتمد عند الشافعية[٢].

أدلتهم: الدليل الأول: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا بصرف الوباء عن المدينة[٣]، كما في حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–، قالت: قدمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شكوى أصحابه، قال: "اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبّبت مكة أو أشد، وصحِّحها، وبارك لنا في صاعها ومُدّها، وحوِّل حُمَّاها إلى الجحفة"[٤].

الدليل الثاني: أن الطاعون من أشد النوازل، فيُقنت لرفعه كغيره من النواز[٥].

الترجيح: الراجح عندي هو القول الثاني؛ لقوة أدلته، وسلامتها من المعارضة.

وإذا جاز القنوت لرفع الطاعون، فالقنوت لرفع وباء كورونا من باب أولى؛ إذ إنه ليس بطاعون، ولأنه يُفني العلماء والصلحاء حتى يختل نظام الدين، ففي رفعه مصلحة.

وقد نص عدد من الفقهاء على أن الطاعون خصوصًا والأوبئة عمومًا من جملة النوازل التي يُشرع لها القنوت في الصلاة.

قال الطيبي: "إذا نزلت نازلة، كعدوٍّ وقحطٍ، أو بلاءٍ وعطشٍ وضررٍ ظاهر في المسلمين ونحو ذلك، قنتوا في جميع الصلوات المكتوبة[٦].

وقال ابن حجر الهيتمي: "(ويقنت ندبًا) في اعتدال الركعة الأخيرة من سائر المكتوبات للنازلة، إذا نزلت بالمسلمين أو بعضهم، إن عاد نفعه عليهم، كالعالم،

(١) انظر: حاشية الدسوقي (١/ ٣٠٨).
(٢) انظر: تحفة المحتاج (٢/ ٦٨)، نهاية المحتاج (١/ ٥٠٨).
(٣) انظر: نهاية المحتاج (١/ ٥٠٨).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ المرضى، باب/ من دعا برفع الوباء والحمى برقم ٥٦٧٧ (٧/ ١٢٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ الحج، باب/ الترغيب في سكنى المدينة برقم ١٣٧٦ (٢/ ١٠٠٣).
(٥) انظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (ص٣٧٧).
(٦) الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي (٤/ ١٢٣٠).

والشجاع، والخوف من نحو عدو -ولو من المسلمين-، والقحط، والجراد، والوباء، والطاعون، ونحوها"[1].

وقال القسطلاني: "فإن نزل نازلة بالمسلمين، من خوفٍ أو قحطٍ أو وباءٍ أو جرادٍ أو نحوها، استُحب القنوت في سائر المكتوبات"[2].

المطلب السابع

حكم لبس الكمامات في الصلاة

اتفق الفقهاء على كراهة التلثم في الصلاة للرجل والمرأة[3]؛ لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة[4].

وهذه الكراهة مدفوعة بالحاجة، فإذا احتاج الإنسان لوضع الكمامة خوف انتشار الوباء بسبب فيروس كورونا أو انتقال العدوى وغيرها من الأسباب الداعية لها، فلا كراهة في لبسها والصلاة صحيحة.

قال ابن عبد البر: "أجمع الفقهاء على أن على المرأة أن تكشف وجهها في الصلاة والإحرام، ولأن ستر الوجه يخل بمباشرة المصلي بالجبهة والأنف ويغطي الفم، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) الرجل عنه، فإن كان لحاجة كحضور أجانب فلا كراهة، وكذلك الرجل تزول الكراهة في حقه إذا احتاج إلى ذلك"[5].

(١) المنهاج القويم، ابن حجر الهيتمي (ص١٠٣).

(٢) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني (٢/٢٣٤).

(٣) انظر: التاج والإكليل، المواق (٢/١٨٥)، المجموع، النووي (٣/١٧٩)، مغني المحتاج، الشربيني (١/٤٠٠)، المغني، ابن قدامة (١/٤٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب/ الصلاة، باب/ السدل في الصلاة برقم ٦٤٣ (١/٤٧٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب/ الصلاة، باب/ ما يكره في الصلاة برقم ٩٦٦ (٢/١١٢)، والحاكم في المستدرك برقم ٩٣١ (١/٣٨٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/٢٠٩).

(٥) لم أجده في مؤلفات ابن عبد البر، ووجدته في كشاف القناع، البهوتي (١/٢٦٨).

المطلب الثامن

لبس القفازات أثناء الصلاة

اتفق أهل العلم على جواز لبس القفازات أثناء الصلاة للرجل والمرأة[1]، فمن باب أولى جوازها عند الحاجة في حال فيروس كورونا وغيره؛ تجنبًا من انتشار العدوى.

ومما يدل على الجواز: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة، وأشار بيده على أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين"[2].

وجه الاستدلال: أن الركبتين مغطاتان، وكذا القدمين إذا كان المصلي يلبس الجوربين، فنقيس اليدين عليها. والله أعلم.

خاتمـــــــة

أولًا: النتائج:

١. المراد بالطاعون نوع خاص من أنواع الأوبئة المعدية القاتلة. والوباء: كل مرض عام ينتشر في الناس انتشارًا واسعًا.

٢. فيروس كورونا من الأوبئة وليس من الطاعون.

٣. عدم جواز التخلف عن الجماعات والجُمع أو فريضة الحج والعمرة إلا عند تحقق الضرر بذلك، أو غلبة الظن به، والمرجع في تحقق الضرر من عدمه لأهل الاختصاص.

(١) انظر: المبسوط (١١٤/٢)، مواهب الجليل (١٢٢/٢)، المجموع (٤٢٥/٣)، المغني (٣٧١/١).
جدير بالذكر أن هناك قول مرجوح في المذهب الشافعي بعدم جواز لبس القفازات أثناء الصلاة. قال النووي في المجموع (٤٢٥/٣): "في وجوب كشف اليدين قولان. الصحيح: أنه لا يجب، وهو المنصوص في عامة كتب الشافعي كما ذكره المصنف؛ والثاني: يجب كشف أدنى جزء من باطن كل كف"..

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ الصلاة، باب/ السجود على الأنف برقم ٨١٢ (١٦٢/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ الصلاة، باب/ أعضاء السجود، والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة برقم ٤٩٠ (٣٥٤/١).

٤. يجوز منع من أصيب بفيروس كورونا من حضور الجماعات والجُمع وأداء الحج والعمرة؛ صيانة للنفوس وحفظها من الإصابة.

٥. يجوز غلق المساجد وتعليق الحج والعمرة –بعد مراجعة المختصين؛ تحقيقًا لمقاصد الشريعة من حفظ النفوس والوقاية من الأمراض.

٦. لا تجوز صلاة الجمعة في البيوت حال انتشار فيروس كورونا، ولا تُجزئ عن صلاة الظهر.

٧. لا تجوز الصلاة خلف البث المباشر حال انتشار فيروس كورونا، ولا تُجزئ عن صلاة الظهر.

٨. جواز لبس الكمامات في الصلاة وغيرها عند الحاجة.

٩. جواز وضع الكمامات للمحرم من الرجال، وعدم جواز ذلك من المحرمة، إلا إن دعت الحاجة فتضعها وعليها الفدية.

١٠. لا حرج من لبس القفازات في الصلاة للرجل والمرأة، ويمنع المحرم من لبسهما سواء كان ذكرًا أو أنثى، فإن دعت الحاجة جاز لبسهما مع إخراج الفدية.

ثانيًا: التوصيات:

ضرورة إلزام الباحثين في مرحلتي الماجستير والدكتوراه بدراسة النوازل المستجدة، وبيان أحكامها الشرعية؛ لخدمة المجتمعات الإسلامية.

المصادر والمراجع

- أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الفكر، (د. ط) (د. ت).

- أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي الرازي، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
- الآداب الشرعية، ابن مفلح، عبد الله محمد، ط:٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ.
- الأذكار، النووي، يحيى بن شرف، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٩٢هـ.
- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ.
- الاستذكار الجامع لمذاهب الأمصار، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.
- الأشباه والنظائر، ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
- إصلاح المساجد، القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: الألباني، ط: ١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي، علي بن سليمان، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، ط:٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- بذل الماعون في فضل الطاعون، ابن حجر، أحمد بن علي، ط:٣، القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ.

- البيان في مذهب الإمام الشافعي، العمراني، يحيى بن أبي الخير، ط:٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.
- البيان والتحصيل، ابن رشد، محمد بن أحمد، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ.
- التاج والإكليل شرح مختصر خليل، المواق، محمد بن يوسف، ط:٢، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، علي بن الحسن ، بيروت: دار الفكر، (د. ط) (د. ت).
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل، ط:٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، تونس: دار سحنون، (د. ط) (د. ت).
- التعريفات، الجرجاني، محمد بن علي، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٩٨هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، القاهرة: دار الفاروق للطباعة، (د. ط)، (د.ت).
- تهذيب الأسماء واللغات، النووي، يحيى بن شرف، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٩٢هـ.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، يوسف بن عبد الرحمن ط:٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ، (د. ط).
- حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار)، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي، محمد بن أحمد، ط:٢، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ.
- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، العدوي، علي بن أحمد بن مكرم، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ، (د. ط).
- الذخيرة، القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن. تحقيق: محمد حجي وآخرين. ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، يحيى بن شرف، ط:٣، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ط:٢٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد، ط:٣، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، ط:٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

- السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين، الرياض: مكتبة دار الباز ١٤١٤هـ، (د. ط).
- شرح الزرقاني على الموطأ، الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.
- شرح السير الكبير، السرخسي، محمد بن أحمد، بيروت: دار المعرفة، (د. ط)، (د.ت).
- شرح مختصر خليل، الخرشي، محمد بن عبد الله، بيروت: دار الفكر، (د. ط)، (د.ت).
- شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، النووي، يحيى ابن شرف، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٩٢هـ.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه)، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط:٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)). مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د.ت).
- طرح التثريب شرح التقريب، العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.
- العدوى بين الطب وحديث المصطفى، د. البار، محمد علي، ط:١، بيروت: عالم الكتب.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى ط:١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ.
- الفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي ، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ط:٣، القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ.
- الفروع، ابن مفلح، محمد بن مفلح، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ، (د. ط).
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ط:٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ.
- القوانين الفقهية، ابن جزي، محمد بن أحمد، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، الحسين بن عبد الله، ط: ٢، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ.
- كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، منصور بن يونس، ط:١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ.
- الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، الكرماني، محمد بن يوسف بن علي، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم، القاهرة: دار المعارف، (د. ط).
- المبسوط، السرخسي، محمد بن أحمد، بيروت: دار المعرفة، (د. ط)، (د.ت).

- المحلى بالآثار، ابن حزم، علي بن أحمد، ط: ٢، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ.
- المجموع شرح المهذب، النووي، يحيى بن شرف، ط:١، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢١هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، القاهرة، دار التقوى، (د. ط)، (د.ت).
- مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر، ط: ١، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢١هـ
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبدالله، ط: ٢، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ.
- المسند، ابن حنبل، أحمد بن محمد، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ
- مطالب أولي النهى، البهوتي، منصور بن يونس، ط:١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ.
- معرفة علوم الحديث، الحاكم محمد بن عبدالله، ط: ٢، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، الونشريسي، أحمد بن يحيى، ط:١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢ هـ.
- المغني في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة عبد الله بن أحمد، ط:١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥ هـ.

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- المفهم شرح صحيح مسلم، القرطبي، أحمد بن عمر، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- المنتقى شرح الموطأ، الباجي، سليمان بن خلف، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ، (د. ط).
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن، ط:٣، بيروت:

دار الفكر، ١٤١٢ هـ.

- الموسوعة العربية الميسرة، غربال، محمد شفيق، ط:١، بيروت: دار الجيل، (د. ط).
- الموطأ، مالك بن أنس، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي، ط:٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م.
- **موقع سي إن إن بالعربية:**

مقال بعنوان: أستاذ بالتفسير والحديث في جامعة الكويت: إغلاق المساجد ومنع المصلين محرم بالنص.

https://arabic.cnn.com/middle-east/article/202014/03/kuwait-mosques-pray-mass-ban-social-reactions

- **موقع المدونة التونسية:**

مقال بعنوان: هل يجوز للمسلمين الأصحاء ترك الجمعة والجماعة خوفا من المرض (كورونا) ؟!

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=2087669805345 69&id=117988459612422

- **موقع المصري اليوم:**

مقال بعنوان: هيئة كبار العلماء تجيز إيقاف صلوات الجُمع والجماعات بسبب «كورونا».

https://www.almasryalyoum.com/news/details/1627045

- **موقع إسلام أونلاين:**

مقال بعنوان: فتاوى إيقاف العمرة بسبب فيروس كورونا.

https://islamonline.net/33830

- **موقع منظمة الصحة العالمية:**

مقال بعنوان: العدوى بفيروس كورونا.

https://www.who.int/csr/disease/coronavirus_infections/ar/

دور العوامل التربوية والاقتصادية والاجتماعية في ظاهرة التسرب الدراسي

(دراسة تطبيقية على مدارس حي الدباغة ـ محلية ودمدني الكبرى من وجهة نظر المعلمين)

د. خالد رحمة الله صالح عبد الله•

ملخـــــص

هدفت هذه الدراسة إلى تتبع ظاهره التسرب الدراسي بحي الدباغة أحد أحياء مدينة ود مدني لمعرفة الاسباب التي تقود إلى هذه الظاهرة . ومن ثم اقترح حلولٍ لها. كان مجتمع هذه الدراسة هم معلمو ومعلمات مدارس الاساس بالحي . استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي كما استخدمت الاستبانة كأداة لجمع المعلومات والتي تم تحليلها عن طريقة نظام (SPSS) توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج اهمها أن العوامل الاقتصادية جاءت كسبب أول من أسباب التسرب الدراسي تليها الأسباب الاجتماعية ثم التربوية. أوصت الدراسة بجملة من التوصيات لتخفيف حدّة هذه الظاهرة أهمها توطيد العلاقة بين الأسر والمدرسة لمعرفة وتتبع مشكلات التلاميذ وحلها أول بأول.

Abstract

This study aimed to track the phenomenon of school dropout in Al-Dabagha district, one of the neighborhoods of the city of Wad Medani, to find out the reasons that lead to this phenomenon. Then to suggeste solutions to it. The population of this study was the teachers of basic schools in the neighborhood. The study adopted the descriptive and analytical method and the questionnaire was used as a tool to collect data that was analyzed by the method of the (SPSS) system. The study reached a set of results, the most

• أستاذ أصول التربية المشارك – كلية التربية – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

important of which was that: The economic factors came as the first cause of school dropout, followed by social and then educational reasons. The study recommended a set of recommendations to alleviate the severity of this phenomenon, the most important of which is the consolidation of the relationship between families and the school in order to know and track students' problems and solve them on a timely basis.

مقدمـــــــة

تعد مشكلة التسرب الدراسي من المشكلات الكبيرة التي تهدد العملية التربوية والتعليمية في كثير من دول العالم خاصة النامية منها. وتعتبر دراسة هذه المشكلة ذات قيمة مزدوجة، إذ إنها مدخل لمعالجة إحدى القضايا التنموية والتربوية المهمة من جهة، ومؤشر مهم لمعرفة كفاية النظام التعليمي من جهة أخرى ، فالفاقد التربوي يوجد في صور مختلفة من صور التسرب والذي يهمنا في هذه الدراسة هو التسرب في مرحلة التعليم الأساسي كظاهرة متفاقمة مقارنة بنسبة التسرب في المرحلة الثانوية. حيث ن التسرب في مرحلة الأساس يعني التسرب من المرحلة الإلزامية والتلميذ المتسرب في هذه المرحلة لا يحمل قدراً كافياً من التعليم لمجابهة الحياة، بل قد يرتد إلى الأمية مرة أخرى[1]. يعتبر التعليم حقاً مكتسباً لكل مواطن وعلى الأخص في الدول النامية التي هي في حاجة ماسة إلى استثمار جميع مواردها البشرية لسد حاجتها في التنمية ومن ثم يصبح من واجبات الإدارة التعليمية بحث الأسباب التي تؤدي إلى هذه الظاهرة . ومن هذا المنطلق فإنه يتعين على

(١) عبد الرحمن الأحمد ١٩٨٧ : رجاء أبو علام : تسرب الطلاب من مدراس التعليم العام الحكومية والأسباب المؤدية لهذه الظاهرة بدولة الكويت مجلة التربية(العدد١٤ ، المجلد الرابع) ص٧٦.

المسئولين عن التعليم أن يفحصوا واقعه ويقرروا مدى ملاءمته لاحتياجات التنمية القومية في البلاد من حيث الكم والكيف[1].

لقد كانت مشكلة التسرب في التعليم موضع اهتمام كثير من المؤتمرات والبحوث[2]. وقد أكدت هذه المؤتمرات جميعها على ضرورة تكريس الجهود من أجل المزيد من عمل الدراسات والبحوث لوضع الحلول المناسبة للتخفيف من آثارها ونتائجها السلبية ، والسعي قدماً لوضع نتائج هذه البحوث والدراسات موضع التنفيذ والاستفادة منها إلى أقصى حد ممكن.

المبحث الأول
الاطار العام

مشكلة البحث:

تعتبر مشكلة تسرب التلاميذ، خاصة في مرحلة التعليم الأساسي مشكلة خطيرة تعاني منها أغلب نظم التعليم، خاصة المجتمعات النامية ،حيث إنَّ التسرب هو العنصر الأول من عناصر الهدر في التعليم، ويشكل عبئاً ثقيلاً على موارد دول هي أشدُّ حاجة إلى استثمار جميع مواردها المتاحة، فالتلاميذ الذين يتسربون من الدراسة قبل أن يحققوا هدفاً من أهداف المرحلة المحددة يعتبرون فاقداً تربوياً حيث أن التعليم الأساسي هدفه تثقيف الطفل وتسليحه بقدر من العلم يؤمن عدم ارتداده للأمية مرة أخرى. إذاً فالتلميذ الذي يتسرب قبل حصوله على ذلك المستوى يعتبر فاقداً تربوياً، ولاشك أن التسرب هو العامل الأكبر في تعويق جهود هذه الدول . وقد لاحظ الباحث

(١) إبراهيم علي هاشم ١٩٨٢م : التسرب في التعليم في دولة قطر أطروحة ماجستير غير منشورة كلية تربية جامعة الأزهر ص١٣.
(٢) مؤتمر قضايا التعليم والخطة العشرية، قاعة الصداقة، الخرطوم ١٩٩٥م.

ومن خلال وجوده في مدينة ود مدني وعمله في حقل التربية والتعليم مسئولاً عن الطلاب المتدربين بمدارس الأساس بمدينة مدني، أن هناك تسرباً دراسياً كبيراً في حي الدباغة – محلية مدني الكبرى لذلك فقد سعى لمعرفة أسباب ذلك التسرب ومحاولة اقتراح حلولاً تساعد على الحد منه.

أسئلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة هذا البحث في السؤال الرئيس الاتي :

- ما دور العوامل التربوية والاقتصادية والاجتماعية في ظاهرة التسرب الدراسي بمرحلة الأساس بحي الدباغة محلية مدني الكبرى؟

وتتفرع منه الأسئلة التالية:

أ- ما المقصود بالتسرب الدراسي؟

ب- ماذا تعني مرحلة الأساس والتعليم الأساس؟

ج- ما الحلول المقترحة للتقليل من ظاهرة التسرب الدراسي بمرحلة الأساس بحي الدباغة – محلية ود مدني الكبرى ؟

فروض البحث:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلاله (٠,٠٥) حول تقدير استجابة عينة الدراسة في درجة أهمية أياً من الأسباب (تربوية، اجتماعية ، اقتصادية)التي تقود إلى التسرب الدراسي تعزى لمتغير النوع و الخبرة التدريسية.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في النقاط التالية:

١- تعتبر مرحلة الأساس هي بداية السلم التعليمي، فهي القاعدة الأساسية التي يتم منها الانطلاق إلى مراحل التعليم التالية . لذا فإصلاحها يمهد الطريق أمام التلميذ للانطلاق إلى الأمام.

٢- قد تلفت هذه الدراسة الأنظار لمشكلة خطيرة تهدد المجتمع وتسبب في ضعف اقتصاده وتعطيل عجلة التنمية وتنعكس سلباً على مسيرة عملية التعليم ألا وهي مشكلة التسرب الدراسي.

٣- قد تفيد هذه الدراسة في كشف بعض العوامل التي تتسبب في تسرب التلاميذ في مرحلة التعليم الأساسي بحي الدباغة ، كما قد تسهم هذه الدراسة في مساعدة القائمين على أمر التخطيط التربوي والاقتصادي لعلاج هذه المشكلة .

أهداف البحث:

يهدف هذا إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن إجمالها في الآتي :

١- توضيح مفهوم كلٌ من تعليم الأساس ومرحلة الأساس والتسرب الدراسي.

٢- التعرف على حجم ظاهرة التسرب الدراسي بمرحلة التعليم الأساسي بحي الدباغة بمدينة ود مدني .

٣- التعرف على دور العوامل المؤدية إلى ظاهرة التسرب بمنطقة الدراسة (حي الدباغة ود مدني).

٤- تقديم توصيات ومقترحات تسهم في حل المشكلة ، وتعمل على الحد منها.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية للبحث : يعتمد هذا البحث على تناول ظاهرة التسرب الدراسي.

أ/ الحدود المكانية: حي الدباغة بمدينة ود مدني – السودان .

ب / الحدود الزمانية: تركز هذه الدراسة على العام الدراسي (٢٠١٧ -٢٠١٨م).

ج / الحدود البشرية : معلمو مدارس التعليم الأساس بحي الدباغة.

مصطلحات البحث:

١. **التسرب** : يعرفه الباحث إجرائياً لأغراض هذا البحث ، بأنه انقطاع التلاميذ عن التعليم قبل الانتهاء من مرحلة دراسية معينة .

٢. **مرحلة التعليم الأساسي** : تعني المرحلة الأولى من مراحل التعليم العام والتي نتجت عن دمج المرحلتين الابتدائية والمتوسطة سابقاً وأصبحت ثمانية أعوام[١].

٣. **حي الدباغة**: هو أحد أحياء مدينة ود مدني القديمة ، ويقع في الركن الشمالي الغربي منها ، وتسكنه غالبية من قبيلة الفلاتة . يحده من الشمال كبري النيل الازرق ومن الغرب حي الأندلس ومن الجنوب حي العشير ومن الشرق يحده النيل الأزرق[٢].

(١) الاستراتيجية القومية الشاملة قطاع التعليم : ١٩٩٢م.

(٢) www. Ar.m.wikipidia.org.sd.

المبحث الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري:

توطئة:

لقد أصبح التعليم ضرورة من أهم ضرورات الحياة إذ إنَّه وعن طريقه أمكن للإنسان أن يغير وجه تلك الحياة ويحدد ملامحها بالصورة والقدر الذي يرغب ويريد . فثورة العلم التي أدت إلى الانفجار المعرفي الهائل قد مكنت لتكنولوجيا العصر من أن تحقق باختراعاتها واكتشافاتها مختلف آمال وتطلعات الشعوب . وفي خضم هذا البحر المتلاطم من المعارف والعلوم برزت العقول الالكترونية لمعالجة مختلف معضلات الحياة . فاستوجب هذا التطور التكنولوجي إعادة النظر في فلسفة واستراتيجيات التعليم بما يمكنها من مواكبة خطواتها المتسارعة[1].

مفهوم التعليم الأساس:

يعادل التعليم الأساسي المرحلة الابتدائية سابقاً مضافاً إليها عامين آخرين، يُقبل التلميذ لأو التلميذة من سن السادسة وينتهي في الأحوال العادية في سن الرابعة عشر، يمثل تعليم مرحلة الأساس أول المتطلبات الأساسية، لمواجهة تحديات العولمة والمشكلات الأساسية في الوقت الراهن، والمتمثلة في التوترات الناجمة عن الانفجار غير العادي في المعرفة، وبين القدرة البشرية على استيعابها وكذلك التوترات بين ما هو محلي وما هو عالمي، وبين الخصوصية والتعميم، وبين العصرية والتقليد، وبين التروي

(١) عبد الله الحسن عبد الماجد ط، ٢٠١٣م ٢: التعليم والانفجار المعرفي ، دار المريخ للطباعة – الرياض ص٣٩ .

والتسرع في علاج المشكلات، وبين الحاجة إلى المنافسة واعتبارات العدالة والتعاون والتكافل، وأيضا بين المادية والروحية[١].

ولكي يكون تعليم مرحلة الأساس فاعلاً في مواجهة التحديات، والمشكلات التعليمية الراهنة يجب أن يمكن التلميذ من الارتقاء بحياته من خلال المعارف والتجارب، وتنمية ثقافته الذاتية ، كما يجب أن يكون التعليم في متناول الجميع وجيد النوعية وملائم، أي أنه يتسم بالمرونة في بنيته مع مراعاة الأسس التربوية ، والتعليم الأساسي كما ورد في الإستراتيجية القومية الشاملة لقطاع التعليم العام (١٩٩٢م) يعني القدر الضروري من المعارف والقدرات الذهنية والمهارات التي ينبغي للفرد أن ينالها[٢]، ويهدف التعليم الأساس إلى تمكين الفرد من مواصلة تعليمه إلى مستويات أعلى في سلم المعرفة، أو خروجه إلى الحياة العامة مزوداً بالقدر الذي يمكنه من الانخراط فيها أو المشاركة الفاعلة في أنشطة مجتمعه المختلفة . ويتميز التعليم الأساسي بالتكامل، وذلك لما يجمعه من دراسات نظرية وأنشطة تطبيقية وعملية، وما يحققه من تنمية للمهارات اليدوية والقدرات الإنتاجية ، ويتميز التعليم الأساسي بالشمول والتوازن من خلال تنمية جوانبه الشخصية المتعددة الفكرية والجسمانية والوجدانية والاجتماعية، وهو فوق ذلك تعليم متنوع من حيث تلبيته لحاجات المتعلم في مراحل نموه المختلفة أثناء سيره في مدرسة الأساس ومراعاته لتنوع البيئات الطبيعية والثقافية والاجتماعية[٣].

(١) إلياس طه محمد ط٢ ٢٠٠٧م: التعليم في مفترق الطرق . مكتبة مدبولي القاهرة ص٤٧.

(٢) مؤتمر الاستراتيجية الشاملة سبق الإشارة إليه.

(٣) عبدالعظيم عثمان قمر الدين، ط١ ، ٢٠٠١م : فلسفة التربية عند الإمام المهدي، مطبعة أرو، ص٣٠.

أهداف مرحلة تعليم الأساس:

تهدف مرحلة التعليم الأساسي إلى بلوغ الآتي[1]:

١- ترسيخ العقيدة الدينية وتربية الناشئة عليها ونقل التراث الحضاري إليهم، وتعديل سلوكهم وعاداتهم واتجاهاتهم، لتنبثق من تعاليم الدين وموروث الأمة، وقيم المجتمع الفاضلة.

٢- تمليك النشء مهارات اللُّغة (الاستماع ، التحدث ، القراءة والكتابة) ومعرفة أسس الرياضيات بالمستوى الذي يمكنهم من استخدام هذه المهارات والمعارف في حياتهم اليومية .

٣- إكساب الناشئة المعلومات والخبرات الأساسية التي تؤهلهم للمواطنة الفعالة وتدريبهم على طرق النمو المتكامل واكتشاف قدراتهم وميولهم وتنمية قدراتهم ومهاراتهم واتجاهاتهم.

٤- تنمية شعور الناشئة بالانتماء للوطن وتعمير وجدانهم بحبه والاعتزاز به وتعريفهم بتاريخه وحضارته وتفجير طاقاتهم من أجل رفعته وعزته .

٥- تعريف الناشئة بنعم الله في البيئة وإعدادهم لتنميتها والمحافظة عليها وتسخيرها لمنفعة الإنسان .

خصائص التعليم الأساس:

يتميز التعليم الأساس بالخصائص التالية [2]:

١- أنه تعليم موحد للجميع حيث إنَّه القاعدة المشتركة التي توفر قدراً من المعارف والمهارات والاتجاهات.

٢- أنه تعليم متكامل، إذ يفترض به أن يجمع بين الدراسات النظرية والأكاديمية وبين الشاط العلمي والتطبيقي من أجل تنمية المهارات اليدوية.

(١) إبراهيم سليمان الدسيس ٢٠٠١م : الكفاءة الداخلية لمرحلة التعليم الأساس وأثرها على التنمية دكتوراه منشورة ،جامعة الخرطوم ص٢٥-٢٦.

(٢) تاج الدين المهدي الحاج ط٢ ٢٠٠٥م: التعليم الأساس في السودان : ، دار عزة للنشر ص ١٥٠ .

٣- أنه متنوع أي يتكيف بحسب حاجات الأطفال والمراهقين بحسب تنوع البيئة التي يمارس فيها .

٤- إنه متعدد التقنيات يتيح للمتدربين فرص استخدام التقنيات المستحدثة وفهم مبادئها، كما يساعد على الخلق والابتكار واكتساب الحس الفني المفقود.

٥- أنه شامل ومتوازن بين جوانب الشخصية الفكرية والوجدانية والعقلية والحركية.

٦- أي أنه يمهد للمراحل التعليمية العليا أو يكتفي عند هذا الحد وينتهي إلى سوق العمالة والإنتاج .

إن القراءة التحليلية لواقع التعليم العام في السودان ، قد أبانت أنَّ ثمة مجموعة من الإخفاقات يعاني منها النظام التعليمي ، منها ما يتعلق بالإمكانات المادية ، ومنها ما يختص بكم التعليم ونوعه ، وعلى رأس الإخفاقات، انعدام التخطيط الاستراتيجي العلمي الأصيل لهذا القطاع المهم، مما أفضى إلى سياسات تعليمية فصلت المتعلم عن المجتمع ، والعلم عن العمل والتعليم عن التربية والأخلاق والتطبيق، وأدت إلى تخلف مناهج التعليم عن مسايرة تطلعات الناشئة والأمة[١]. وملاحقة تطورات عصر العلم والتقانة . فتدهور حال العلم ، ولقد أسهم كل ذلك في عدم ملاءمته قدرات المتعلمين لحاجات رقي الأمة، وحاجات قطاعات الإنتاج، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما أبانت ضمور فرص التعليم وسوء توزيعها بين ولايات الوطن، وبين الجنسين، وبين الفئات العمرية وبين أنواع التعليم المختلفة رغم الجهود المقدرة التي وجهت إلى تحقيق ديمقراطية التعبير والارتقاء بنوعيته[٢].

(١) محمد عمر بشير١٩٦٧م : تطور التعليم في السودان، ط٢ ، ، دار الجيل بيروت، ص١١٧.

(٢) سعاد إبراهيم عيسى ، ط٢ ٢٠٠٧م: تطور التعليم العام في السودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر، ص٢٤.

خلفية تاريخية عن ظاهرة التسرب الدراسي :

لم تكن ظاهرة التسرب الدراسي من الظواهر الجديدة أو المستحدثة، فالواقع التاريخي يشير إلى أن التسرب مرتبط بكل نظام تعليمي قام لخدمة أبناء المجتمع ، ونجد في بعض الدول القديمة مثل مصر والهند والصين نظم تعليمية، لكنها لم تستوعب غير قلة محدودة من الناس، أما غالبية أبناء الشعب فكانت تتلقى إعدادها عن طريق البيت وعن طريق الحياة نفسها ، وحتى عندما سادت معاهد التعليم ذات الطابع الديني وكانت معاهد التعليم في الشرق والغرب ترعاها هيئات دينية، نجد أن التربية المدرسية كانت مقصورة على فئة محدودة من أبناء الجماهير ويرجع ذلك إلى أن معاهد التعليم لم تشغل نفسها بإعداد المتعلمين بالمجالات العلمية التي سيلتحقون بها من أجل كسب عيشهم، ولم تكن السلطات تستشعر بما يستوجب تعليم أبناء الشعب، لأن احتياجاتها من الموظفين كانت محدودة، ونتيجة طبيعية لذلك كانت الجماهير تتثاقل في إقبالها على التعليم[1] ففي فرنسا وحتى طوال القرن التاسع عشر كانت المدرسة الأولية مفلسة وكان الآباء يفضلون أن يقوم أولادهم بحراسة الأوز بدلاً من أن يذهبوا إلى المدرسة. ولم تخل المدارس الأمريكية في القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر من الإفلاس حتى أن كثيراً من المدرسين كانوا يتجولون من مكان إلى آخر بحثاً عن تلاميذهم[2]. والسودان كبقية الدول لم تكن ظاهرة التسرب الدراسي فيه من الظواهر الحديثة فهي من أقدم الظواهر ومازالت موضع اهتمام كل المهتمين بأمر التربية.

(١) أحمد حسن عبيد ٢٠٠٩: فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسة التربوية – دراسة مقارنة مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ص٥٩.
(٢) محمود قمير ١٩٨٦: مشكلات التعليم وانعكاساتها على مشكلة الأمية في الوطن العربي ،الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، القاهرة ص١٠٥-١٠٦.

يعتبر التسرب أحد عوامل الإهدار التربوي الذي يحدث في جميع مراحل التعليم . ويقصد بالإهدار أو الفاقد في التعليم ، تلك الجهود الفكرية والمادية المبذولة في الحقل التعليمي دون تحقيق الأهداف الموضوعة لها بصورة كاملة من الناحيتين الكمية والكيفية[1].

ويعتبر الإهدار من أهم عوامل خفض الكفاءة. ومن هنا كان الاهتمام بتلافيه في التعليم ولهذا الإهدار أشكال عدة معروفة من أهمها التسرب والرسوب والإعادة، وتدني المستوى التحصيلي، وارتفاع معدلات التكلفة لكل تلميذ وعدم الاستفادة الكاملة من اقتصاديات التعليم في المدرسة. فالتسرب وإن تعددت مفاهيمه فأثره واحد على العملية التعليمية فهو يعني أن يترك التلميذ المدرسة بعد الالتحاق بها لعدم رغبته لإكمال تعليمه، أو أن يستمر في الدراسة ثم ينقطع عنها قبل أن يكمل المدة المحددة لإنهاء المرحلة التي هو فيها[2].

فمشكلة التسرب في الواقع ليست مشكلة حديثة بل هي مشكلة موجودة منذ القدم ولكن الجديد في المشكلة ذلك التحول الذي طرأ على العملية التربوية، فلقد أصبح ينظر إلى التربية على أنها عملية استثماريه لها مردود اقتصادي، بعد أن كان ينظر إليها على أنها خدمة إنسانية. ومن هنا بدأ رجال الاقتصاد والتربية يهتمون بمشكلة التسرب والرسوب، لأنهما يمثلان هدراً تربوياً إذا لم يمكن إيقافه فسيظهر أثره على العملية التربوية دون شك وبالتالي على المردود الاقتصادي، حيث يؤدي إلى زيادة نسبة الأمية في المجتمع مما يجهد الدولة على وقفه أو الحد منه فتختل بذلك خطط التنمية

(١) طه محمد عبد الماجد ط٢، ٢٠٠٧م: الهدر التعليمي في مرحلة التعليم العام، مطبعة أرو، ص١٧٠.

(٢) ليلى عبدالله العطاس ١٤٠٨هـ: دور التخطيط التربوي في رفع كفاءة التعليم الابتدائي للبنات في المملكة العربية السعودية /ص٨١ .

المرسومة وقد يعوق من نجاح الأهداف المرجوة[1].

وقد أوضحت الدراسات التي أجريت في هذا المجال لمعرفة أسبابه وطرق علاجه، أَنَّ هناك العديد من العوامل المتداخلة التي تؤدي إلى زيادة نسبة التسرب في المرحلة الابتدائية وتأتي على رأس تلك الأسباب ، الأسباب الصحية التي تتعلق بعدم الاهتمام بصحة الطفل وبغذائه الكامل مما يؤدي إلى سرعة تعرضه للأمراض ومن ثم يصبح غير قادر على المواظبة في الحصص ومتابعة دروسه فيضطر أخيراً إلى الخروج من المدرسة[2].

وأسباب اجتماعية تتعلق بالعادات الاجتماعية والتقاليد السائدة فحياة البدو تتميز بالانتقال من مكان إلى أخر ، أو انتقال الآباء بوظائف تضطرهم إلى الانتقال أثناء السنة الدراسية مما يسبب عدم قدرة التلاميذ على المتابعة والمواظبة فيضطر إلى الخروج من المدرسة . أما بالنسبة للفتيات فإنَّ عادة الزواج المبكر في بعض المجتمعات تؤدي إلى تعدد المسئوليات لدى الفتاة وعدم قدرتها على المواظبة في الدراسة ، ولا يفوت الباحث أن ننوه إلى أن مستوى تعليم الأسرة المنخفض يزيد من تفاقم هذه الظاهرة وخلق الأسباب المؤدية إليها. وقد دلت بعض الدراسات على أن لوجود عدد كبير من أفراد الأسرة غير المتعلمين صلة ايجابية بظاهرة الإهدار والتسرب[3]. وهناك أسباب ثقافية أشارت البيانات على أن وجود الوعي الكامل والثقافة الكافية لدى الأسرة ، يقلل من أسباب التسرب لدى الأطفال ، فإدراك الأسرة بأهمية التعليم واهتمامها بضرورة المواظبة فيه ومتابعة الطفل في المدرسة عن طريق

(١) طه محمد عبد الماجد، مرجع سابق، ص٧١.
(٢) إبراهيم علي هاشم السادة :١٩٨٢قطر ،مرجع سابق ،ص٥٥.
(٣) محمد منير مرسي ١٩٨٢م: الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها عالم الكتب القاهرة ، ص١٧١.

حضور مجالس أولياء الأمور يؤدي إلى القضاء على التسرب ، وتلعب البيئة المدرسية الممتازة دوراً كبيراً في محاربة التسرب وهي المكان المناسب لتلقي العلوم لتوافر معظم الشروط التربوية فيها لذلك يجب أن تتصف بجو من الود والتفاهم وإدراك الفروق الفردية بين التلاميذ من قبل القائمين على التعليم، ولأنَّ المعاملة القاسية وانعدام التشجيع يؤدي إلى هروب التلميذ من المدرسة وانقطاعه كلياً[1]، لذلك يجب معرفة الأسباب المؤدية إلى التسرب أولاً ثم اتخاذ الوسائل العلمية لمعالجتها.

وفي رأي الباحث أنه يجب على كلِّ الأطراف المعنية بالعملية التعليمية التعلمية أن تتكاتف وتتآزر بحيث تستطيع مجتمعة أن تدفع بالعملية التعليمية إلى الأمام. فالأسرة والمدرسة هما الذراعان الأساسيان اللذان يجب أن تتكامل الأدوار بينهما.

خطورة ظاهرة التسرب الدراسي:

تعتبر ظاهرة التسرب الدراسي من الظواهر ذات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والتربوية الخطيرة. ولقد أشار المربون وعلماء النفس والاجتماع ورجال الاقتصاد والمسئولون السياسيون في مختلف أقطار العالم إلى خطورة هذه الظاهرة . وعقدت بشأنها المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية بحثاً عن تشخيص أسبابها، وسعياً لإيجاد السبل الكفيلة بالحد منها، وتتمثل خطورة ظاهرة التسرب الدراسي في كونها رافداً أساسياً من روافد الأمية، وعائقاً لجهود التنمية في شتى المجالات. وحالة تسرب واحدة تستلزم أضعاف النفقات التي تنفق على حالة نجاح واحدة فضلاً عن أنها تحتاج إلى عشرة

(١) احمد منير مصلح ط٢ ١٤٠٢هـ: نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية الرياض ص ٢٠٧-٢٠٨ .

أضعاف الخدمات والرعاية النفسية والاجتماعية التي تقدم للمتعلم الناجح. علاوة على أنها تسبب تراجعا في خدمات المتعلم بحيث تتزايد حاجته للرعاية ومساعدته لتنمية قدراته وإعادته للحدود الطبيعية في فترة زمنية قد يصعب تحديدها ، وهذا وصف لحالة تسرب واحدة ، فماذا يكون عليه الحال إذا ما تعددت حالات التسرب ، وأصبحت ظاهرة تتضاعف معها الأعباء على موارد المجتمع وتوجه إليها الجهود والتي كان من الأفضل أن توجه إلى نواحي تنموية أخرى[1]. وظاهرة التسرب خطيرة من حيث نتائجها ، فهي خطيرة على التلميذ، لأنها تحرمه من فرص التعليم وبالتالي من الترقي في السلم الاجتماعي وهي خسارة للأسرة في فقدانها عاملاً يضاف إلى قدرتها المادية والمعنوية وخسارة بالنسبة للمجتمع ، إذ إن مجموع المتسربين يشكلون جانبا ضعيفاً في بنية المجتمع[2]. ولقد استحوذت مشكلة التسرب على اهتمامات الباحثين في مجال الدراسات والبحوث التربوية سنوات عديدة ، إلا أنها مازالت تمثل تحدياً كبيراً للنظم التعليمية ، وهذا يشير إلى عوامل كامنة في النظم التربوية والأسرية لازالت تعمل على استمرارية هذه المشكلة ، وتعمل على تعقيدها لأنَّ أيَّ جهد يبذل في إعداد المتعلم سواء كان أكاديمياً أو علمياً أو رعاية أو خدمات متنوعة ، إنما يبذل ليحقق مردوداً تعليمياً تنموياً يتمثل في نجاح المتعلم في اكتساب المعلومات المناسبة والمهارات المتوقعة والاتجاهات والمواهب والقدرات الفردية المتميزة، واتساع مشاركته في الحياة سواء أثناء مراحل التعليم أو بعد خروجه وانخراطه في مجالات العمل، أما إذا ما فشل التلميذ في تعليمه ولم يتمكن من النجاح مقابل كل هذه الجهود، أو تسرب

(١) حسن علي شفيق ط٢ ٢٠٠٥م: التسرب الدراسي سرطان التعليم . القاهرة مكتبة مدبولي ص١٢٠.
(٢) منى محمد أحمد ط٣ ٢٠١٠م: التسرب الدراسي وأسبابه : دار عزة للنشر الخرطوم ص٧١.

فخرج عن نطاق التعليم فإنه يكون بذلك قد أضاع أو أهدر هذا الجهد والمال، ويستلزم ذلك مضاعفة الرعاية والخدمات والإنفاق لإعادة قيده مرة أخرى. أضف إلى ذلك أن التسرب والفشل يسببان حالات إحباط وتوتر في المحيط الأسري والمجتمع وينتج عنه مواقف سلبية وحوادث متوقعة تستلزم خدمات متخصصة لا نحتاج إليها في حالات النجاح[1].

ويخلص الباحث من كل ذلك إلى مضاعفة الجهود المبذولة لترقية العملية التعليمية والاهتمام المضاعف بالأبناء خصوصاً في هذه السن الحرجة من أعمارهم إذ إنهم لا يقدرون خطورة هذه المرحلة ولا يعطونها ما تستحق من الاهتمام لاسيما في سن البلوغ ، ولأن الفاقد التربوي من مرحلة التعليم الأساس يكون له تأثير مدمر على المجتمع من حوله.

ثانياً: الدراسات السابقة:

١ ـ **دراسة طارق آدم رمضان (٢٠١٥)**[2]:

عنوان الدراسة : (ظاهرة التسرب الدراسي في مدارس البنات الثانوية – ولاية النيل الأزرق نموذجاً).

هدفت الدراسة إلى تقصي أسباب ظاهرة التسرب الدراسي في منطقة النيل الأزرق، والوقوف على أهم طرق علاجها باعتبارها ظاهرة مؤرقة للمجتمع . استخدمت المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الأنسب الذي يصلح لمثل هذه الدراسة، والذي يقوم على توصيف الظاهرة وتشخيصها ورصد النتائج . وكان مجتمع الدراسة عبارة عن معلمي ومعلمات المرحلة

(١) منى محمد أحمد : مرجع سابق ص٢٢.

(٢) طارق آدم رمضان: ٢٠١٥: ظاهرة التسرب الدراسي لمدارس البنات بالمرحلة الثانوية . ولاية النيل الأزرق ،رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة أم درمان الإسلامية.

الثانوية بالدمازين ، وقد اعتبرهم الباحث هم عينة الدراسة .توصلت الدراسة إلى عِدَّة نتائج أهمها أنَّ هذه الظاهرة مستمرة ولا يوجد ما يشير إلى نقصانها خصوصاً في مدارس البنات. وأرجع السبب الرئيس إلى عادة الزواج المبكر بالإضافة إلى نظرة المجتمع السالبة إلى خروج المرأة من البيت خصوصاً بعد أن تبلغ سن البلوغ. بالإضافة إلى أن بعض الأسر تعتمد على بناتها في كسب العيش.

٢ ـ **دراسة عمر عصام الدين محمد حبيب الله (٢٠١٦)**[1]:

بعنوان : (أسباب ظاهرة تسرب التلاميذ في مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين).

هدفت الدراسة إلى التعرف على ظاهرة التسرب الدراسي وأسبابه الاقتصادية والاجتماعية والتربوية . في محلية المتمة ولاية نهر النيل باعتبارها ظاهرة أصبحت مؤرقة لمجتمع المحلية ومهددة للعملية التعليمية برمتها . كان المجتمع الدراسي لهذه الدراسة يمثل معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الأساس في محلية المتمة ، وكانت عينة الدراسة عبارة عن (١٠٠) معلم ومعلمة من مرحلة الأساس بالمحلية ، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي . لرصد الظاهرة والخروج بنتائج وتوصيات وتوصلت الدراسة إلى مجموعة مهمة من النتائج التي تؤدي إلى التسرب الدراسي منها :أنَّ البيئة المدرسية غير جاذبة ورفقاء السوء أكبر عائق للتحصيل الدراسي ، والوضع الاقتصادي السيئ. بالإضافة إلى وجود أعمال هامشية يتسرب إليها الطلاب مثل التعدين العشوائي للذهب وهجرة رب الأسرة المتكررة ، وتنقل الأسر من مكان إلى آخر بحثاً عن حياة أفضل.

(١) عمر عصام الدين ٢٠١٦:محمد حبيب الله: أسباب ظاهرة تسرب التلاميذ في مدارس مرحلة الأساس : رسالة ماجستير غير منشورة جامعة السودان.

٣ ـ دراسة : محمد المجتبى الخضر (٢٠١٦م)[١]:

عنوانها : (الأسباب الاجتماعية التي تقود إلى تسرب الفتيات من الدراسة بشمال كردفان).

هدفت الدراسة إلى معرفة الأسباب الحقيقية التي تقود إلى تسرب الطالبات من الدراسة في مرحلة الأساس بشمال كردفان ، كما هدفت إلى إيجاد حلول ناجحة تُسهم في حل هذه المشكلة . كان مجتمع الدراسة هم اساتذة مرحلة الأساس بالولاية ، استخدمت الاستبانة كوسيلة لجمع المعلومات، توصلت إلى نتائج مفادها أنَّ الأسباب الحقيقية التي تقود إلى تسرب الطالبات اجتماعية بالدرجة الأولى تتمثل في الزواج المبكر ، والنظرة الاجتماعية غير المحببة للطالبات اللائي يقضين وقتاً خارج البيت .

٤ ـ دراسة : ياسر محمد العوض (٢٠١٧م)[٢]:

بعنوان : (دور الإدارة المدرسية في الحد من ظاهرة التسرب الدراسي بولاية النيل الأزرق).

هدفت الدراسة إلى معرفة الدور الذي تقوم به الإدارة المدرسية في الحد من ظاهرة التسرب بولاية النيل الأزرق كما هدفت إلى إيجاد حلولاً تسهم في الحد من هذه الظاهرة ، استخدمت الاستبانة لجمع المعلومات كما استخدمت المنهج الوصفي التحليلي، كان مجتمع هذه الدراسة هم معلمو المرحلة الثانوية بالولاية .توصلت إلى نتائج أهمها أن الإدارة المدرسية تلعب دوراً أساسياً في الحد من هذه الظاهرة وذلك بأن تعمل على توفير بيئة دراسية

(١) محمد المجتبى الخضر : ٢٠١٦: الأسباب الاجتماعية التي تقود إلى تسرب الطالبات من الدراسة بشمال كردفان ، دراسة تطبيقية على طالبات مرحلة الأساس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النيلين.

(٢) ياسر محمد العوض : ٢٠١٧: دور الإدارة المدرسية في الحد من ظاهرة التسرب الدراسي بولاية النيل الأزرق . دراسة ماجستير غير منشورة ، جامعة سنار.

جاذبة والعمل على حل بعض الإشكالات التي تواجه الطلبة.

٥ ـ دراسة: عكاشة أحمد الطاهر ٢٠١٧ [١]:

بعنوان (إسهام التعدين الأهلي للذهب في تسرب الطلاب من المدارس الثانوية في محلية أبو حمد).

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الدور الذي يلعبه التعدين الأهلي للذهب في تسرب الطلبة من المدارس الثانوية في محلية أبو حمد، استخدمت المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت الاستبانة كوسيلة لجمع المعلومات ، كانت عينةُ الدراسة ومجتمعها معلمي المدارس الثانوية بمحلية أبو حمد ، توصلت إلى نتائج قيمة أهمها، أن التسرب الدراسي في المحلية سببه الأساسي الظروف الاقتصادية الضاغطة وظهور التعدين الأهلي كمخرج من هذه الظروف ، اقترحت الدراسة حلولاً تمثلت في تقديم الغذاء مقابل الدراسة للطلاب وأسرهم .

التعليق على الدراسات السابقة:

استفاد الباحث من هذه الدراسات في كونها فتحت الطريق لوضع هيكل الدراسة كما استفاد من إطارها النظري في تبويب البحث ووضع الاستبيان. أيضاً في التبويب والذخيرة المعرفية من الإطار النظري.

اتفقت دراسة طارق آدم رمضان مع الدراسة الحالية في أنَّ كلتيهما استخدمتا المنهج الوصفي التحليلي وأنَّ كلتا الدراستين كانت العينة فيها معلمي ومعلمات المرحلة المعنية . واختلفت الدراستان في أن واحدة كان مجالها المرحلة الثانوية طالبات فقط ، بينما هذه الدراسة كانت في حقل مرحلة

(١) عكاشة أحمد الطاهر: ٢٠١٧: إسهام التعدين الأهلي للذهب في تسرب الطلاب من المدارس الثانوية في محلية أبو حمد ، دراسة ماجستير غير منشورة ، جامعة وادي النيل.

تعليم الأساس. كما أن الحدود الزمانية والمكانية للدراستين مختلفة.

كما اتفقت دراسة (عمر عصام الدين محمد حبيب الله مع الدراسة الحالية في المنهج والمرحلة الدراسية التي تمت دراستها (الأساس) وتتفق معها في عينة الدراسة (المعلمين) وتختلف فقط في البعد المكاني ، حيث تمت هذه الدراسة في ولاية نهر النيل ، بينما تمت هذه الدراسة في ولاية الجزيرة ود مدني.

استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في تبويبها والاطلاع على بعض المراجع في مجال التسرب الدراسي كما استفادت منها في تصميم الاستبانة.

المبحث الثالث

الدراسة الميدانية ومنهجيتها

مقدمة:

يتناول الباحث في هذا المبحث بيانات الدراسة الميدانية ومعالجتها الإحصائية.

كما يهدف الباحث من معالجة بيانات الدراسة الميدانية إلى عرض ومناقشة ما توصلت إليه من نتائج للتعرف على مدى بلوغ الدراسة لأهدافها.

منهج الدراسة :

استخدم الباحث لأغراض هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وهو (المنهج الذي يقدم وصفاً دقيقاً للظواهر والمواقف، ولا يختصر المنهج

الوصفي على جمع البيانات وتصنيفها، ولكن يعمل على تفسيرها وتحليل العلائق القائمة بين مكونات الظاهرة للوصول إلى نتائج في موضوع البحث)، كما أنه يتناسب مع طبيعة هذا البحث لجمع المعلومات .

مجتمع الدراسة وعينتها:

مجتمع الدراسة عبارة عن معلمي ومعلمات مدارس الأساس بحي الدباغة ود مدني وعددهم (١٠٦) معلم ومعلمة موزعين على ١٢ مدرسة ، وقد اعتبر الباحث مجتمع الدراسة هو عينة الدراسة ، نسبة لمحدودية العدد و إمكانية الإحاطة به، ويمكن وصف عينة الدراسة كالآتي:

جدول رقم (١)

توزيع عينة الدراسة بحسب النوع

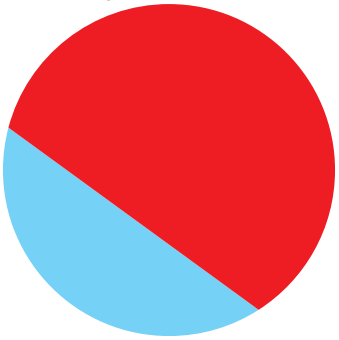
النوع	العدد	النسبة المئوية
ذكر	٤٢	٤٠٪
أنثى	٧٠	٦٦٪

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٠١٨م

نلاحظ من الجدول (١) أن أعداد عينة الدراسة الذكور أقل من الإناث والسبب بحسب رأي الباحث أن مهنة التعليم أصبحت طاردة للذكور ولا تفي باحتياجاتهم الأساسية خصوصاً في هذا الوقت مما يؤدي إلى هجراناهم هذه المهنة بحثاً عن حياة أفضل بالإضافة إلى أن أعداد الطالبات المقبولات بكلية التربية كبيرة جداً مقارنة بأعداد الطلاب .

شكل رقم (١)

يوضح نسب أفراد عينة الدراسة بحسب النوع



اللون الأحمر يمثل نسبة الإناث التي تبلغ (٦٦٪)، واللون الأزرق يمثل نسبة الذكور (٤٠٪).

جدول رقم (٢)

توزيع عينة الدراسة بحسب الخبرة

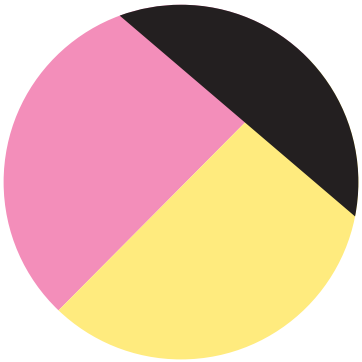
الخبرات	العدد	النسبة المئوية
من ١ وأقل ٦	١٠	٩٪
من ٦-١٥	٥٢	٤٩٪
أكثر من ١٥	٥٠	٤٧٪
المجموع	١١٢	١٠٠٪

المصدر الدراسة الميدانية ٢٠١٨م.

يلاحظ من الجدول رقم (٢) أن عدد أفراد العينة ذات الخبرة (١-٦) سنوات قليلة مقارنة بالفئتين الأخريين ويرى الباحث أن سبب ذلك يعود إلى أنه لم تتم أي تعيينات في وظائف المعلمين في عشرة الأعوام الماضية وما تم كان مجرد لسد النقص محدود العدد.

شكل رقم (٢)

يوضح نسب أفراد عينة الدراسة بحسب الخبرة



اللون الأسود يمثل العينات (١-٦) سنة بنسبة (٩٪)، واللون الزهري يمثل العينات (من ٦-١٥) سنة بنسبة (٤٩٪)، واللون البيج يمثل العينات (أكثر من ١٥) سنة بنسبة (٤٧٪).

أداة الدراسة:

لأغراض هذه الدراسة فقد طور الباحث استبانة مقننة للحصول على المعلومات من عينة الدراسة . تكونت الاستبانة من محورين: يتناول المحور الأول العوامل التربوية ودورها في ظاهرة التسرب. ومكونة من ١٠ فقرات . وتناول المحور الثاني العوامل الاقتصادية والاجتماعية ودورها في ظاهرة التسرب ومكون من ١٠ فقرات أيضاً. اشتملت الاستبانة كذلك على صفحة بها معلومات أساسية عن العينة وكيفية استخدام الاستبيان.

صدق الاستبانة:

وللتأكد من صدق الاستبانة صدقاً ظاهرياً وزعها الباحث على عدد من المحكمين من أساتذة كليات التربية بالجامعات السودانية، وبناءً على

آرائهم وملاحظاتهم استقرت الاستبانة على حالتها الحالية. إذ إنَّ ملاحظاتهم كانت شكلية ولم تغير في المحاور ولا عدد العبارات.

ثبات الاستبانة:

للتأكد من ثبات الاستبانة تم استخدام طريقة الاختبار وإعادة الاختبار، حيث وزعت على عينة تجريبية قوامها ٢٠ معلماً من عينة الدراسة وطلب من أفرادها الإجابة عن فقرات الاستبانة جميعها وبعد أسبوعين أعيدت التجربة مرة أخرى ورصدت درجات الاختبارين حيث بلغ معامل الارتباط (٠,٩٦) وتعد هذه النسبة مقبولة إحصائياً.

المعالجة الإحصائية:

تم استخدام جهاز الحاسوب في إجراء عملية التحليل حيث استخدمت برنامج (SPSS) وعدد من القوانين الإحصائية أهمها:

$$\text{اختبار كا}^2 = \text{مج} \frac{(\text{ك} - \text{ك ر})^2}{\text{ك ر}}$$

حيث ك = عدد التكرار التجريبي، ك ر = التكرار النظري.

المبحث الرابع
عرض ومناقشة النتائج
المحور الأول : العوامل التربوية ودورها في ظاهرة التسرب:

جدول رقم (٣)
يوضح عبارات المحور الأول : العوامل التربوية ودورها في ظاهرة التسرب

العبارة	التكرارات								النتيجة
العبارة الآتية عامل من عوامل التسرب الدراسي	أوافق بشدة	أوافق	لا أدري	لا أوافق	لا أوافق بشدة	درجة الحرية	$كا^2$ المحسوبة	$كا^2$ المقروءة	التفسير	
(١) انخفاض مستوى تعليم الوالدين	١٧	٣٤	٩	٣٠	١٠	٤	٢٦,٣	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٢) ازدحام المنهج بالمواد الدراسية كماً ونوعاً	٣٥	٢٦	٢	٢٧	١٠	٤	٣٦,٧	٩,٤٩	دالة	موافقة بشدة
(٣) طرق التدريس التقليدية الفروق بين التلاميذ	٦	٢٣	٣	٥٨	١٠	٤	١٠١,٩	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٤) الرسوب المتكرر في بعض المواد الإحساس بالفشل	١٩	٥٥	١	٢٤	١	٤	٩٨,٢	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٥) أثر العقاب من الوالدين	٩	٤٧	٧	٣٢	٥	٤	٦٩,٤	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٦) عدم تهيئة البيئة المدرسية	٢١	٣٨	٤	٣٢	٥	٤	٤٧,٥	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٧) عدم التكافؤ بين العمر الزمني والعمر العقلي لبعض التلاميذ	٣	٢٥	١٧	٥٠	٥	٤	٧٢,٤	٩,٤٩	دالة	عدم موافقة
(٨) ضعف أعداد التلاميذ في مرحلة رياض الأطفال	١٩	٤٢	١	٣٣	٥	٤	٦٢,٠٠	٩,٤٩	دالة	عدم موافقة
(٩) عدم وجود وسائل تعليمية ترغب في المواد الدراسية	٢٥	٤٤	٥	٢٢	٧	٤	٤٨,٩	٩,٤٩	دالة	موافقة
(١٠) يترك بعض التلاميذ المدرسة لكبر سنهم مقارنة بزملائهم في الفصل	١٨	٥٢	٢	١٨	١٠	٤	٧٢,٨	٩,٤٩	دالة	موافقة

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٠١٨م.

بالرجوع للجدول رقم (٣) ومن خلال الفقرة (١) نلاحظ أن انخفاض مستوى دخل الوالدين له كبير الأثر في جعل الطلاب يتسربون من الدراسة ، ذلك لأن انخفاض الدخل يقود الأسرة إلى الاعتماد على الأبناء الطلاب في كسب العيش وبالتالي ترك مقاعد الدراسة ، خصوصاً في منطقة الدباغة مكان إقامة الدراسة . وذات القول يمكن أن يقال بخصوص المنهج الدراسي وطرق التدريس وما يترتب عليه من فشل ورسوب وبالتالي عقاب من الوالدين ، وبدلاً من أن يتعرض الطالب لهذا العقاب الذي لا يد له فيه ، فالأفضل له ترك مقاعد الدراسة والاتجاه إلى طريق آخر أكثر أماناً .

أما بالنظر إلى العبارة رقم (٢) بذات الجدول نلاحظ أن ازدحام المنهج الدراسي بمواد قد لا تلبي احتياجات التلميذ دون النظر إلى مستواهم وأساسيات المادة يعد عملاً تعسفياً لا يحقق الأهداف المثلى من التربية في تفاعل الفرد مع المجتمع ، ذلك لأنه لا يقوم على واقع التلاميذ أنفسهم، وقد يفرض عليهم موضوعات ربما لا يؤهلهم إلى مستوى نضجهم، وهذا يؤدي إلى بعثرة الجهود وضياع الفائدة من التعليم ، وبالتالي إلى تسرب التلاميذ ، ومن هنا كان لابد من مراعاة حاجات التلاميذ وميولهم على أن تكون ركناً في بناء المناهج الدراسية ولاشك أن اعتماد هذا الركن يسهم في التخفيف من حدة ظاهرة التسرب. وبالرجوع إلى العبارة رقم (٣) وموضوعها عن الاستعانة بالتقنيات الحديثة في مجال التدريس للحد من ظاهرة التسرب نجد أن (من الطبيعي أن يستفيد المتعلم من التكنولوجيا حتى يكون مواكباً لروح العصر وذلك بما يستقيه من معارف ، وما يستنبطه من قيم واتجاهات ، على أن تكون هذه التقنية متمشية مع مستوى التلاميذ وتساعدهم على الوصول

إلى الغايات بأيسر الطرق وأقل جهد ، لما توفره لهم من خبرات ومعينات) . أما العبارتان (٤) و(٥) واللتان تناولتا موضوع الفشل الأكاديمي وما يترتب عليه من عقاب من قبل الوالدين، ترى عينة الدراسة أنه من أسباب التسرب. ويعزو الباحث ذلك إلى جهل الوالدين وعم متابعتهم لأبنائهم مما يدفعهم إلى التسرب. والتقنية في المجال التربوي على جانب كبير من الأهمية لضمان نجاح طريقة التدريس فهي تجذب انتباه التلاميذ وتعمل على تفاعلهم مع المعلم وتخاطب حواسهم ، مما يزيد من قدرتهم على التفكير وحل المشكلات. إلَّا أنَّ عينة الدراسة ترى أن هذا الأمر ليس بذي أهمية في المدارس موضوع الدراسة، ويعزو الباحث ذلك إلى أن هذه المدارس كغيرها من المدارس الطرفية لا تجد الاهتمام الكافي حتى في المعينات الضرورية، فضلاً عن الكماليات وهي المعينات التعليمية الحديثة.

إن عجز النظام التربوي عن تحقيق الأهداف وعدم قدرته على مواكبة نمو التلاميذ في ضوء إمكاناته المادية والبشرية، يؤدي إلى عدم القدرة على تحقيق الأهداف المنشودة وبالتالي يزداد حجم التسرب . ومن الطبيعي أن مدرسة الأساس بجميع عناصرها ومكوناتها، هي جزء من النظام التعليمي الكبير الذي تستمد خصائصها منه كما تستمد قوتها وتوجيهها من إدارته التعليمية المركزية ، ولها علاقة دون شك بالمرحلة التي قبلها لذلك يرى الباحث أنه رغم اعتراف الدولة والمسئولين عن التعليم برياض الأطفال كمرحلة من مراحل التعليم العام بالسودان ، إلا أنه لا توجد رياض كافية من قبل الدولة وإنما هناك رياض أهلية هدفها الأساس التجارة والكسب المادي وبرسوم عالية قد لا يتوفر لكل أفراد عينة الدراسة الاستطاعة لإدخال أبنائهم ، لذا

يجب على وزارة التربية والتعليم توفير المزيد من رياض الأطفال حتى يتثنى للجميع مواصلة الدراسة.

أما العبارة رقم (٨) ترى عينة الدراسة أن ضعف أعداد التلاميذ في مرحلة الروضة يكون سبباً من أسباب التسرب ، ويرجع ذلك إلى قلة عدد رياض الأطفال في هذا الحي وضعف التجهيزات الموجودة في بعضهما الآخر من رياض الأطفال.

جدول رقم (٤)

يوضح المحور الثاني العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي لها دور في عملية التسرب الدراسي

العبارة	التكرارات								النتيجة
العبارة الآتية عامل من عوامل التسرب الدراسي	أوافق بشدة	أوافق	لا أدري	لا أوافق	لا أوافق بشدة	درجة الحرية	$كا^2$ المحسوبة	$كا^2$ المقروءة	التفسير	
(١) العبء الأكبر لتكاليف التعليم على عاتق الأسرة	٦٣	٣٢	١	٤	٠	٤	١٥٠,٥	٩,٤٩	دالة	موافقة بشدة
(٢) الأسرة لأبنائها في كسب العيش	٢٢	٤٢	٥	٢٦	٥	٤	٤٨,٧	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٣) فقر الأسرة وقلة دخلها الذي لا يتناسب مع المصروفات الدراسية	٥٨	٣٣	٠	٨	١	٤	١٢٥,٩	٩,٤٩	دالة	موافقة بشدة
(٤) توفر الحرف الهامشية التي تستوعب المتسربين	١٨	٥٢	٦	١٧	٧	٤	٧١,١	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٥) الصناديق المعينة بالتكافل في التعليم مما يؤدي إلى التسرب	٦٠	٥	١٠	٢٠	٥	٤	١٤٠,٥	٩,٤٩	دالة	موافقة بشدة
(٦) الطلاق أو غياب رب الأسرة دوراً في التسرب	٦٢	١٠	٨	١٠	١٠	٤	١٢,٥	٩.٤٩	دالة	موافقة بشدة

(٧) اعتماد المؤسسات التعليمية على مساهمات التلاميذ يؤدي على التسرب	٥٠	١٥	٥	٢٠	١٠	١١٧,٠	٤	٩,٤٩	دالة	موافقة بشدة
(٨) القسوة في جمع الرسوم الدراسية الإحباط وبالتالي التسرب	٤٠	١٥	٥	١٥	٢٥	١٢٥,٠	٤	٩,٤٩	دالة	موافقة
(٩) نظرة الأسر على عدم استيعاب الخرجين إلى عدم اهتمامهم التلاميذ	٢٠	٢٠	١٠	٣٠	٢٠	٩٠,٥	٤	٩,٤٩	دالة	عدم الموافقة
(١٠) قلة العائد المادي من التعليم إلى التسرب	١٠		٤٠	٢٠	٣٠	٤٠,٥	٤	٩,٤٩	غير دالة	عدم الموافقة

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٠١٨م.

يلاحظ الباحث من خلال الجدول رقم (٤) ومن خلال الفقرات (١،٢،٣) أن الضغوط الاقتصادية وخصوصاً بعد أن أصبحت أعباء العملية التعليمية كلها على كاهل المواطنين . كل هذه الضغوط تضع الأسرة أمام اختيار صعب أهم مخرجاته أن يترك التلميذ الدراسة ، ويلتحق بالشارع حيث تتوفر كثير من الفرص الهامشية التي تستوعبه وتشكل له ملاذاً آمناً خصوصاً في ظل حاجة الأسرة الكبيرة له في تحسين مستوى دخلها. ويزداد الأمر سوءاً أو يصعب الحل في ظل عدم وجود دور ظاهر للصناديق الاجتماعية وغياب دورها في معالجة المشكلات الاجتماعية . ويرتبط كل هذا بالنظرة السالبة تجاه المواطنين لا سيما في أصحاب الدخل المحدود الذي لا يغري أحداً بالالتحاق بالوظيفة . هذا فضلاً عن وجود أبناء وبنات (خريجون - عاطلون) عن العمل . هذا الوضع يقود إلى الإحباط ويجعل الطلاب الذين في مراحل التعليم وأسرهم غير راغبين في إكمال مشوار أبنائهم التعليمي ، وذلك لقتامه الواقع أمامهم ، خصوصاً وأن العبء الأكبر للصرف على التعليم يقع على

عاتق الأسرة ويزداد الأمر صعوبة في ضوء الضغوط المعيشية الحالية مما يدفع الأسر للدفع بأبنائهم إلى العمل الهامشي للمساعدة في كسب العيش عن طريق الأعمال الهامشية المتوفرة. أما العبارة رقم (٦) والتي تتناول واقعاً مؤلماً يعاني فيه المجتمع وهو غياب رب الأسرة بالسنوات الطويلة مما يعرض الأسرة وأفرادها وخصوصاً الذين هم في سن الدراسة إلى صعاب جمة تؤثر على حياتهم الدراسية وتحول دون استمراريتهم فيها. تماماً كما يفعل التفكك الأسري وافتقاد الأمن والاستقرار والانتماء للأسرة ، نظراً لسوء العلائق بين أفرادها ، أو المشاجرات المستمرة بين الأبوين ، أو نتيجة للطلاق أو تعدد الزوجات أو غياب رب الأسرة مما يؤدي إلى غياب القدوة حتى ولو كانت الأسرة غير مفككة لكن نمط الحياة والممارسة الفردية للوالدين ، أو لأحدهما ، لا تكون على مستوى يصلح لرعاية الأبناء ولتوجيههم فيتخذ من الآخرين قدوة ، وفي هذا فرصة للضلال والانحراف والضياع ثم التسرب من الدراسة ، بالإضافة إلى الأمية والجهل في نطاق الأسرة فالوالد الأمي أو الأم الأمية لا يستطيعان أن يقوما بدورهما في رعاية الأبناء أو الاهتمام بهما ، هذا وقد يشكل الزملاء والأتراب في الحي عاملاً من عوامل تراجع المستوى الخلقي والتعليمي للتلميذ إذا اقترن هذا بعدم اهتمام الأسرة ومتابعتها له خصوصاً في وجود الرفاق وما لها من دور سالب في التربية.

جدول رقم (٥)

يوضح رأي عينة الدراسة حول أسباب التسرب الدراسي تعزى لمتغيري النوع والخبرة التدريسية

عامل التسرب	الخبرة	وسط حسابي	انحراف معياري	ح	الاستنتاج
عوامل تربوية	أقل من٦	٧,١٧	٢,١٣	١,١٣	دالة
	أكثر من٦	٦,٣٢	٣,٢٧	١,١٥	
عوامل اجتماعية	أكثر من ٦	٢,١٤	١,٧٥	٢,٠١	دالة
	أكثر من ٦	٣,٢٧	١,٠١	١,٠٣	
عوامل اقتصادية	أكثر من ٦	١,٢٥	٢,١٧	١,٤٥	دالة
	أكثر من ٦	٣,٥٤	٢,٢٣	١,٤٧	

من الجدول رقم (٥) نلاحظ أن قيمة (ح) الاحتمالية أكبر من (٠٥.) وهذه النتيجة تؤكد أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة الدراسة لأسباب التسرب (تربوي، اقتصادية، اجتماعية) تعزى لمتغير الخبرة التدريسية ويفسر الباحث ذلك أنه كلما ذادت الخبرة التدريسية كلما زادت معرفة المعلمين بالأسباب الحقيقية للتسرب نتيجة لتعرضهم لمواقف تعليمية عملية في الحقل التعليمي تسهم في زيادة رصيدهم المعرفي.

جدول رقم (٦)

يوضح رأي عينة حول عوامل التسرب الدراسي تعزى لمتغير النوع

عامل التسريب	النوع	وسط حسابي	انحراف معياري	ح	الاستنتاج
عوامل تربوية	ذكر	٤,١٧	٢,٣٨	١,٠٣	دالة
	أنثى	٥,٣٧	١,٢٧	١,١٧	
عوامل اجتماعية	ذكر	٣,١٢	١,١٥	٠,١٠	غير دالة للذكور
	أنثى	٣,٥٧	٢,٥٤	١,١٢	
عوامل اقتصادية	ذكر	٧,٠٧	٢,٣٢	٠,٠٣٢	غير دالة للذكور
	أنثى	٦,١٤	١,١٧	١,٤٢	

من الجدول أعلاه (٦) نلاحظ أن قيمة (ح)(العامل التربوي) أكبر من (٠,٠٥) وبالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية نحو تقدير هذا العامل تعزى لمتغير النوع والسبب هو أن العوامل التربوية عادة تكون مشتركة بين التلاميذ أينما كانوا . أما بخصوص العاملين الآخرين الاجتماعي والاقتصادي نلاحظ أن قيمة (ح) أكبر عند الإناث من (٠,٠٥) وبالتالي توجد فروق ذات دلالة إحصائية نحو هذا العامل تعزى لمتغير النوع لصالح الإناث والسبب حسب رأي الباحث أن عنصر الإناث يرى أن ظاهرة الزواج المبكر (حي الدباغة) وانشغال الفتيات بالعمل اليدوي لكسب العيش يكون على حساب الدراسة مما يقود إلى الفشل فيها ومن ثم التسرب وترك مقاعد الدراسة.

المبحث الخامس

النتائج والتوصيات والمقترحات

يهدف هذا المبحث إلى توضيح النتائج التي توصلت إليها الدراسة وتقديم التوصيات والمقترحات التي تسهم في حل مشكلة ظاهرة التسرب الدراسي بحي الدباغة – مدني.

أولاً: نتائج البحث:

أولاً: فيما يتعلق بالعوامل التربوية: وتتمثل العوامل التربوية التي لها دور في ظاهرة التسرب في الآتي:

١. انخفاض مستوى تعليم الوالدين يؤدي إلى عدم تقديرهم لقيمة التعليم وأهميته.
٢. الرسوب المتكرر في بعض المواد يشعر الطالب بالذنب ومن ثم الإحساس بالفشل. والخوف من العقاب من الوالدين مما يقود إلى التسرب الدراسي.
٣. عدم تهيئة البيئة الدراسية حيث إنَّ بعض المدارس تفتقر إلى أهم المعينات (الإجلاس / مياه الشرب / وسائل تعليمية) وازدحام الفصول الدراسية.
٤. ينقطع بعض التلاميذ عن الدراسة نتيجة المعاملة القاسية التي يلاقيها من بعض المعلمين.

ثانياً: فيما يتعلق بالعوامل الاقتصادية:

توصلت الدراسة إلى أن هناك الكثير من الضغوط الاقتصادية التي تجعل بعض التلاميذ يضطرون إلى التسرب من المدرسة لمساعدة أسرهم في

كسب العيش واضطرار بعضهم لتوفير مصروفه اليومي خاصة أنَّ كثيراً من الحرف الهامشية في متناول أيديهم.

ثالثاً: فيما يتعلق بالعوامل الاجتماعية:

توصلت الدراسة إلى أن هناك بعض العوامل التي لها دور كبير في انقطاع التلاميذ عن دراستهم وتتمثل هذه العوامل في الآتي:

١. التفكك الأسري نتيجة الخلاف أو الطلاق بين الوالدين.

٢. غياب الأب عن الأسرة لفترة طويلة بحثاً عن العمل وعدم المراقبة والمتابعة.

٣. عادات بعض المجموعات كالزواج المبكر للفتيات مما يجبرهن على مغادرة مقاعد الدراسة مبكراً.

رابعاً:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) نحو تقدير عينة الدراسة للعوامل التي تؤدي التسرب (تربوية، اجتماعية، اقتصادية) تعزى لمتغير الخبرة التدريسية لصالح الخبرة الكبيرة.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) حول رأي عينة الدراسة تجاه العامل التربوي تعزى لمتغير النوع.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) تجاه تقدير عينة الدراسة حول العوامل الاقتصادية والاجتماعية تعزى لمتغير النوع لصالح الإناث.

التوصيات:

يقدم الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات والتي يأمل أن يكون لها دور فعال في التخفيف من آثر ظاهرة التسرب أو القضاء عليها بمنطقة الدراسة وهي:

١. العمل على استخدام بعض الأساليب الحديثة، في وضع المناهج للعمل على تحقيق الأهداف المطلوبة بحيث تعمل على اكتساب المهارات المطلوبة وتشبع الحاجات المختلفة لأطفال المرحلة وتناسب حاجات البيئة بما يشعر التلاميذ بأهميتها وقيمتها.

٢. العمل على الاحتفاظ ببيانات إحصائية سليمة عن حركة الأعداد الحقيقية للطلبة الملتحقين بمراحل التعليم المختلفة، وتتبع مسارهم واستخدام ترميز مناسب لتتبع كل طفل من بداية تعليمه.

٣. توطيد العلاقة بين الأسرة والمدرسة والاهتمام بمجالس الآباء والمعلمين ومجلس الحي للعمل على حل المشكلات التربوية المختلفة والتي منها ظاهرة التسرب.

٤. تكثيف استخدام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لمناصرة العملية التربوية والتعريف بمردودها على الفرد والمجتمع.

٥. أن تتكفل الدولة بأعباء التعليم كاملة حتى يتوفر التعليم للجميع. فضلاً عن توفير كل المعينات والوسائل والتقنيات واتباع الطرق الحديثة التي تجذب التلاميذ للمدرسة.

٦. توفير عناية خاصة للتلاميذ من طبقة الفقراء كعلاجهم مثلاً أو دعمهم شهرياً بالتنسيق مع بعض الصناديق الخيرية وديوان الزكاة.

٧. الاهتمام من قبل وزارة التربية بتهيئة وتأسيس المدارس وصيانتها وتوفير كل مستلزماتها .

خامساً: المقترحات:

يقترح الباحث إجراء دراسات تتبعيه دقيقة لمعرفة أسباب هذه الظاهرة في الولايات المختلفة إذ إنَّ الأسباب قد تختلف من منطقة لأخرى وذلك تمهيداً لاقتراح الطرق المناسبة لعلاج تلك الظاهرة وتلافيها .

المصادر والمراجع والدوريات

أولاً: المراجع:

١. أحمد حسن عبيد ط٢ ، ٢٠٠٩م: فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسة التربوية – دراسة مقارنة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٢. احمد منير مصلح ط٢ ، ١٤٣٣هـ: نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية الرياض.

٣. إلياس طه محمد ط٢ ، ٢٠٠٧م: التعليم في مفترق الطرق مكتبة مدبولي القاهرة.

٤. تاج الدين المهدي الحاج ط٢ ٢٠٠٥م : التعليم الأساس في السودان :، دار عزة للنشر الخرطوم.

٥. حسن علي شفيق ط٢ ، ٢٠٠٥م: التسرب الدراسي سرطان التعليم . القاهرة مكتبة مدبولي.

٦. سعاد إبراهيم عيسى ط٢ ،٢٠٠٧م: تطور التعليم العام في السودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر.
٧. طه محمد عبد الماجد، الهدر التعليمي في مرحلة التعليم العام، ط٢، ٢٠٠٧م، مطبعة أرو.
٨. عبد الرحمن أحمد عثمان : ٢٠٠٦ ، مناهج البحث العلمي ،مطبوعات جامعة السودان المفتوحة الخرطوم.
٩. عبد الله الحسن عبد الماجد ط٢، ٢٠١٣م: التعليم والانفجار المعرفي ، ، دار المريح للطباعة – الرياض .
١٠. عبدالعظيم عثمان قمر الدين، فلسفة التربية عند الإمام المهدي، ط١، ٢٠٠١م، مطبعة أرو.
١١. ليلى عبد الله العطاس ط٣ ، ١٤٣٥ هـ : دور التخطيط التربوي في رفع كفاءة التعليم الابتدائي للبنات في المملكة العربية السعودية.
١٢. محمد منير مرسي ط٣ ، ٢٠٠٢: الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها معالم الكتب القاهرة.
١٣. محمد عمر بشير، تطور التعليم في السودان، ط٢، ١٩٦٧م، دار الجيل بيروت.
١٤. محمود قمير ١٩٨٦: مشكلات التعليم وانعكاساتها على مشكلة الأمية في الوطن العربي الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ،القاهرة.
١٥. منى محمد أحمد ط٣ ٢٠١٠م: التسرب الدراسي وأسبابه : دار عزة للنشر الخرطوم.
١٦. الاستراتيجية القومية الشاملة قطاع التعليم : ١٩٩٢م.
17. www. Ar.m.wikipidia.org.s

ثانياً: الرسائل الجامعية والدوريات:

١. إبراهيم سليمان الدسيس ٢٠٠١م: الكفاءة الداخلية لمرحلة التعليم الأساسي وأثرها على التنمية ، دكتوراة غير منشورة ،جامعة الخرطوم.

٢. إبراهيم علي هاشم السادة ١٩٨٢م: التسرب في التعليم في دولة قطر أطروحة ماجستير غير منشورة كلية تربية جامعة الأزهر .

٣. خديجة إمام ١٩٩٧م: تغيير السلم التعليمي وتدريب معلم مرحلة الأساس في ولاية نهر النيل ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الخرطوم.

٤. طارق آدم رمضان ٢٠١٥م: ظاهرة التسرب الدراسي لمدارس البنات بالمرحلة الثانوية . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة أم درمان الإسلامية.

٥. عبد الرحمن الأحمد و رجاء أبو علام ١٩٨٧م: تسرب الطلاب من مدراس التعليم العام الحكومية .والأسباب المؤدية لهذه الظاهرة بدولة الكويت ، مجلة التربية(العدد١٤ ،المجلد الرابع).

٦. عكاشة أحمد الطاهر : إسهام التعدين الأهلي للذهب في تسرب الطلاب من المدارس الثانوية في محلية أبو حمد ، دراسة ماجستير غير منشورة ، جامعة وادي النيل ٢٠١٧.

٧. عمر عصام الدين محمد حبيب الله ٢٠١٦م: أسباب ظاهرة تسرب التلاميذ في مدارس مرحلة الأساس رسالة ماجستير غير منشورة جامعة السودان.

٨. محمد المجتبى الخضر : الأسباب الاجتماعية التي تقود إلى تسرب الطالبات من الدراسة بشمال كردفان ، دراسة تطبيقية على طالبات مرحلة الأساس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النيلين.٢٠١٦م.

٩. ياسر محمد العوض: دور الإدارة المدرسية في الحد من ظاهرة التسرب الدراسي بولاية النيل الأزرق . دراسة ماجستير غير منشورة ، جامعة سنار ، ٢٠١٧م.

تدريب الدعاة الأفارقة على الخبرات والمهارات الدعوية المتقدمة

د. فاروق بابكر محمد*، د. محمد الطيب الصديق**

ملخـــــص

إن قضية تدريب الدعاة ينبغي أن تكون قضية حاضرة في أذهان قادة العمل الدعوي في قارة إفريقيا، والمؤسسات ذات الصلة تعليمية كانت أو منظمات في القارة، لما تكتسبه من أهمية بالغة لا سيما في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة والقارة فالواقع المرير والظروف المعقدة التي مرت بها إفريقيا عبر التاريخ وانعكست آثارها السالبة على مختلف نواحي الحياة وجوانبها في القارة السمراء جعل للدعوة نصيباً من تلك الانعكاسات السالبة قد يختلف الباحثون في تحديد مقدار هذا النصيب وحجمه، لكنهم قطعاً يتفقون على وجوده وتأثيره مثلما يتفقون على أهمية دور الدعاة في تعبئة الأمة ، واستغلال طاقاتها وتوجيه قدراتها ، وشحذ همتها، ودفعها للانحياز لدينها والتمسك بشريعتها ، لذا فنحن في حاجة ماسة إلى تدريب العدد الحالي من الدعاة كما نحن أيضاً في حاجة إلى أعداد إضافية مقدرة من الدعاة المؤهلين، وذلك لعدة أسباب أهمها: أنَّ كثيراً من القرى والمناطق في كثير من البلدان والدول المسلمة تحتاج إلى جهود هؤلاء الدعاة فالداعية في هذه المناطق هو الفقيه الذي يسأل فيجيب ، ويستفتى فيفتي ، وهو الإمام الذي يصلي بالناس، وهو الذي يغسل الموتى وهو الذي يصلي علي الجنائز ، وهو الذي يعالج المشكلات الأسرية المعقدة التي تتعلق بالطلاق أحياناً وبالميراث أحياناً ، وهو المطلوب منه أن يخاطب الشباب والمرأة والنشئ، ومن هنا تأتي أهمية دوره وضرورة تأهيله، ولذا لابد من استشعار عام لهذه المسؤولية،

* أستاذ علوم القرآن المشارك – كلية التربية – جامعة الجزيرة.

** أستاذ النحو والصرف المشارك – كلية التربية – جامعة الجزيرة.

لأننا ربما نصدق أو لا نصدق إذا علمنا أنَّ هناك بعض الموتى من المسلمين في بعض دول إفريقيا يدفنون من غير أن يصلى عليهم، لأنه ببساطة لا يوجد في القرية أو المنطقة من يعرف كيف يصلي على الميت لذا تناولت هذه الدراسة بالحديث أهمية التدريب للدعاة في قارة إفريقيا كما تعرضت لبعض عوائقه وبعض ثمراته وأولوياته عندما يكون الحديث عن الدعاة وأدوارهم المرجوة منهم أن يقوموا بها فإن ذلك يتطلب منا إبداء مزيدمن العناية بالريف والبوادي وكذلك بالمرأة في تلك المناطق لا أن نقصر حديثنا واهتمامنا على المدن التي فيها التعليم كثير والمعرفة متاحة.

Abstract

The case of training Islamic advocator must be given much care from leaders of Islamic advocating work, relative institutions and organizations in Africa, for the great importance of this case, specially, in this crucial phase of the history of Islamic nation and the continent as well, the ugly conditions and the complicated situations which Africa had faced through the history and their negative impacts which reflect in all aspect of life, they also impacted negatively on Islamic advocating, researchers may argue about the strength of these negative impacts, yet they agree on their existence, as they agree on the important role of Islamic advocators to promote the Islamic nation, and how to use its potentials, and how to make this nation oriented to its Islamic rules as well, for that it is important to train Islamic advocators, and prepare new advocators, the importance of Islamic advocators can be represented in its role in the community, for the advocator is a scholar who answered people whenever they are confused, and he is their Imam in their prayers, and he is the one who prays for departed people, and he is the one who treated complicated domestic problems in families like getting divorced and how to split a estate of a dead person, and he is the one who direct people, this is why its role is important

and also this why he must be trained. It is shocking to know that in some Muslim countries around Africa, people buried their dead person without praying on his soul, because of their ignorance. Thus this study shows the importance of training Islamic advocators in Africa, and its obstacles, benefits, and its priorities. To speak about Islamic advocators and their desirable roles, more attention must be given to rural areas in particular for knowledge is not available as it is in cities.

مقدمـــــــة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين. لا يخفى على المسلم فضل الدعوة إلى الله وأهميتها ومكانتها في الإسلام، وذلك لما جاء عنها في القرآن الكريم من آيات عِدَّة تحضنا على القيام بهذا الواجب (واجب الدعوة إلى الله) قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٤]، والمقصود من الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن[1]، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ . . . وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧]، وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، مما يؤكد أن الدعوة إلى الله أعظم وظيفة وأفضل مهمة قام بها وأداها أنبياء الله ورسله عليهم السلام ، كما قال ربنا جَلَّ وعلا لنبينا صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

(١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ،ج\٤ ، ص\٥١٨ .

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، من هنا برزت الضرورة الملحة إلى الحديث عن النفر الذين يقومون بهذه المهمة ويؤدونها ، وهم شريحة مهمة تسمى (الدعاة إلى الله) وهم ورثوا هذا العمل الجليل عن معلمنا الأول محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان الدعاة في الصدر الأول على درجة من التأهيل والتدريب الذي مكنهم من الاضطلاع بمهام الدعوة وسد ثغورها المختلفة ، بل كان الدعاة إلى الله هم السفراء والأمراء لما امتازوا به من القدرات والخبرات وعلو الهمة في مختلف المجالات : اللُّغوي منها ، والفقهي، والإداري والسياسي، والقانوني، إلخ.

غير أن الواقع المرير والظروف المعقدة التي مرت بها إفريقيا عبر التاريخ وانعكست آثارها السالبة على مختلف نواحي الحياة وجوانبها في القارة السمراء جعل للدعوة نصيباً من تلك الانعكاسات السالبة قد يختلف الباحثون في تحديد مقدار هذا النصيب وحجمه لكنهم قطعاً يتفقون على وجوده وتأثيره مثلما يتفقون على أهمية دور الدعاة في تعبئة الأمة ، واستغلال طاقاتها وتوجيه قدراتها ، وشحذ همتها، ودفعها للانحياز لدينها، والتمسك بشريعتها ، في ظل هجمات عنيفة وتحالفات خبيثة تهدف إلى طمس هوية المجتمعات المسلمة في القارة وإبعادها عن المنبع الصافي والمنهل العذب، وصرفها بالكثير من القضايا المفتعلة أو الهامشية عن قضايا أساسية تتعلق بالإيمان والعقيدة وبالعلاقات فيما يخص الفرد تزكية لذاته ، أو يخص المجتمع في تماسكه وتمسكه بالهدي الرباني القويم ، أو يخص الدولة في القيام بدورها المهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تماماً كما تقوم بدورها في بسط

الأمن ، ورعاية شؤون مواطنيها في التعليم والصحة والطرق وكافة الخدمات الضرورية الأساسية للإنسان وسواه .

في ظل هذه الظروف المعقدة التي تمر بها أمتنا عموماً، والمسلمون في إفريقيا خصوصاً تبرز أهمية الدور الذي يؤديه الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ.

ولما كان الدعاة في إفريقيا مواجهين بتحديات جسام تعترض طريقهم كان من الواجب عليهم أن يتهيئوا بالإعداد والتدريب المتقدم والمتطور الذي يمكنهم من أداء رسالتهم بفاعلية واقتدار ، من هنا برزت فكرة هذه الدراسة المتعلقة بما ينبغي ويتوجب فعله من أجل العمل على بذل المزيد من الجهود لرفع القدرات وزيادة الخبرات لدى الإخوة والأخوات الدعاة والداعيات العاملين في حقل الدعوة بقارة إفريقيا حتى يتسنى لهم القيام بهذا الواجب على أكمل وجه وأهدى سبيل ، وهم في كل ذلك إنما يرجون الثواب من الله رب العالمين.

الإطار النظري

أسباب اختيار موضوع البحث :

تتمثل أهم الأسباب التي أدت إلى اختيار موضوع هذا البحث في الآتي :

١- ضعف الأداء الدعوي لبعض العاملين والعاملات في هذا الحقل بقارة إفريقيا.

٢- الحاجة إلى مزيد من أعداد الدعاة المؤهلين في ظل انتشار عدد المساجد وازديادها ، ومراكز الدعوة ، وحاجة المجتمعات الملحة في ظل تزايد التحديات.

٣- عدم توفير التمويل اللازم لمقابلة المتطلبات التي تحتاجها المؤسسات العاملة في مجالات الدعوة إلى الله في قارة إفريقيا.

أهداف البحث:

١- لفت النظر إلى أهمية دور الدعاة وتعاظمه في المجتمعات المسلمة في إفريقيا.

٢- العناية بالتدريب ، والتأهيل اللازم للداعية ذكراً كان أو أنثى.

٣- تحديد أوليات التدريب المطلوب وأنواعه.

٤- الوقوف على العوائق والعقبات التي تعترض عملية تدريب الدعاة بإفريقيا.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من أنه يتناول:

١- قضية الدعوة إلى الله ، إذ لا يخفى علينا فضلها ومكانتها في الإسلام

٢- قضية الدعاة بالقارة الإفريقية، وحاجتهم إلى التدريب والرعاية والتأهيل

٣- الثمرات التي يمكن تحصيلها نتيجة للتدريب المتقن والمستمر.

٤- الوقوف على بعض ما يعتقد أنه عوائق تقف في طريق تحقيق عملية التدريب للوصول إلى الغايات المبتغاة.

٥- بعض المهارات التي يتطلبها التحرك في الحقل الدعوي والتي لها انعكاسات إيجابية على النشاط الدعوي.

منهج البحث:

اتبع في هذا البحث الآتي:

١- المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي .

٢- عزو الآيات القرآنية إلى سورها .

٣- تخريج الأحاديث النبوية .

٤- عزو الأقوال إلى مصادرها .

هيكل البحث:

يتشكل البحث من مقدمة وثلاثة مباحث فيها ثمانية مطالب هي كالآتي :

المبحث الأول : **أهمية الدعوة إلى الله ودور الدعاة.**

المبحث الثاني: **تدريب الدعاة في إفريقيا، العوائق والثمرات.**

المبحث الثالث : **طبيعة التدريب المطلوب للدعاة.**

الخاتمة: وقد اشتملت على **النتائج والتوصيات:**

المصادر والمراجع.

المبحث الأول

أهمية الدعوة إلى الله ودور الدعاة

المطلب الأول

أهمية الدعوة إلى الله

لعله من الواضح لكل متتبع لما يجري ويدور في عالمنا المعاصر أنَّ الدعوة الإسلامية تمر بمرحلة صعبة وعصيبة إذ تعاني من مشكلات عديدة أبرزها : العداء الخارجي والتكالب الدولي الذي يسعى جاهداً إلى كتم صوتها ومحاصرة نشاطها كما يسعى إلى تشويه صورتها وتجريم حملتها ، فتارة وصفوها بأنها عنصرية تتعارض مع الإخاء الإنساني ، وتارة بأنها عصبية تتعارض مع التسامح ، وصوروا الدعاة على أنهم شداد غلاظ قساة لا مجال عندهم لرأفة ولا شفقة ولا رحمة واجتهدوا جداً في مواجهتها بصورة علنية واضحة ، وذلك بسعيهم إلى تجفيف منابع الدعم والتمويل لها ، إضافة إلى

التضييق على مؤسساتها بمختلف الوسائل وفي شتى الميادين[1] كما اجتهدوا في توفير الدعم السياسي والمادي لكثير من التيارات التي تقف ضد الإسلام داخل الدول المسلمة خصوصاً في الدول الإفريقية.

لكل ذلك فإنه من المهم والمفيد لنا أن نجتهد في التعمق والنظر لتقدير الوزن والقوة التي تمتلكها أمتنا المسلمة لنكون على يقين وثقة في رجحان كفة الميزان لصالح الإسلام ودعوته مهما بعد الأمد وطال الزمان، الأمر الذي يجعلنا أكثر سعادة بسبب مكاثرة الأمم وهو لاشك أمر يدعو إلى السرور والفرح لقوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ولقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، على الرغم من تأكيدنا أهمية النوع إلا أنَّ الكم أيضاً مهم وله دلالات لا تخفى على الباحثين ، ورجحان كفة أمتنا أرى أنه يتمثل في أمرين:

الأول: أَننا نمتلك قوة المنهج العظيم الخالد ، وقوة المنهج تتمثل في وضوحه وشموليته واتزانه وقوة تأثيره ، فالإسلام عقيدة تخاطب العقل ، وعبادة تزكي النفس، وأخلاق تلائم الفطرة، وأحكام تحقق التوازن النفسي والفكري ، كما تحقق العدل وتطارد المفاسد وتجلب المصالح وتعطي كل ذي حق حقه ، فلا طغيان لفرد على جماعة ، ولا لجماعة على فرد بل توازن وتكامل ، ومن أبرز معالم القوة في الإسلام أنه ليس من وضع البشر بل هو تنزيل من العزيز الحكيم[2].

والثاني: أَننا نمتلك رصيداً ضخماً وعظيماً من القوة البشرية لا تمتلكه أيّة دعوة وافدة إلى القارة الإفريقية من هنا أو هناك مما يعني أن الإسلام أمامه ووراءه

(١) د\ علي بن عمر با دحدح ، مقومات الداعية الناجح ، ص\٦ ، ط\٤ ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ، دار الأندلس الخضراء – جدة .

(٢) القرضاوي : يوسف ، المبشرات بانتصار الإسلام ، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص/٧٢–٧٣ .

قوة هائلة من البشر مؤمنة بربها وقرآنها ونبيها صلى الله عليه وسلم ، وهي متدينة بفطرتها وتاريخها ، والإسلام هو مفتاح شخصيتها، وسر انتصاراتها الكبرى ، وهي أسرع استجابة إليه والتفافا حوله ، وهي لأجله مستعدة لبذل المال عن رضا واغتباط وبذل الروح عن طواعية وارتياح[1].

المطلب الثاني

أهمية دور الدعاة في القارة الإفريقية

إنَّ للدعاة دوراً مهماً وعليهم مسؤولية جد كبيرة تجاه المجتمعات الإفريقية بكل شرائحها وفي كل قضاياها الفكرية والحياتية والثقافية .... الخ، من هنا تبدو وتبرز بل وتتزايد حاجة أمتنا المسلمة إلى تفعيل دور الدعاة والدعوة عموماً، وذلك نسبة للآثار العديدة السالبة التي أحدثتها أجهزة الإعلام المختلفة وسط الشباب المسلم الذي هو عدة هذه الأمة وذخرها وكذلك في أوساط المرأة المسلمة التي هي عنوان عزة الأمة وكرامتها ، وأيضاً ما أحدثته في كثير من الأحيان الحروب والنزاعات والكوارث والتوترات التي كانت نتاجاً طبيعياً للنزعات والجهويات والعصبيات التي وجدت بقوة في بعض دول إفريقيا ، فهذه وتلك خلفت آثاراً سالبةً عديدة، تمثلت في وجود أعداد مقدرة من أبناء الأمة (إفريقيا) وبناتها منغمسة في وحل الجهل الابتدائي المتمثل في انعدام المعرفة الشرعية ولو بصورة أولية بسيطة ، الأمر الذي يجعل مهمة الداعية أكثر صعوبةً وتعقيداً بل ويجعل المطلوب منه في غالب الأحيان عملاً مزدوجاً يجمع فيه بين التعليم والدعوة ، إذ إنَّ الدعوة تحتاج إلى مجتمعات يتوافر فيها حد أدنى من العلم والوعي والمعرفة ، غير أنه

(١) د\ يوسف القرضاوي ، المبشرات بانتصار الإسلام ،مرجع سابق ، ص/ ٧٢-٧٣ .

من المؤسف جداً أننا نعيش في واقع أوضاعه متباينة بصورة كبيرة والفروق فيه بين الريف والحضر شاسعة وبالتالي فإن متطلبات الدعوة قد تكون مختلفة بحسب الزمان والمكان الذي يمارس فيه الداعية دوره ويقدم فيه الدعوة إلى الآخرين ، وأقصد بالمتطلبات هنا الوسائل الخارجية ، وأما الوسائل الذاتية المتعلقة بالأساسيات العلمية والمعرفية ، مثل معرفة القرآن الكريم قراءة واستدلالاً وفهما، ومعرفة السنة النبوية دراية ورواية وكيفيات الاستدلال، إضافة إلى معرفة الفقه والواقع ، ومعرفة أحوال المجتمعات وعللها، والقدرة على تشخيصها وتحديد احتياجاتها وترتيب أولويات الحركة فيها ، فمثل هذه القضايا على أهميتها تتطلب عناية من قبل الدعاة جميعا مع الأخذ في الحسبان أن الدعاة يتفاوتون في التحصيل والتنزيل والتفعيل إذ ليسوا كلهم على شاكلة واحدة وهذا أمر معلوم بداهة .

المبحث الثاني

تدريب الدعاة في إفريقيا العوائق والثمرات

المطلب الأول

حاجة التدريب إلى عمليتي الحصر والإحصاء

وإذا استشعرت مؤسساتنا ضرورة وأهمية التدريب والتأهيل فهذا يعني أنَّ العمل على تذليل الصعاب التي تقف في وجه التنفيذ أحياناً، وتمنعه أحياناً أمر لا مناص منه ويعني كذلك ضرورة إيجاد مواعين ومؤسسات تطوعية هدفها وهمها يتمركز في :

أولاً: حصر الدعاة ، وتأتي أهمية هذه الخطوة في أنها ستوفر للمؤسسات قاعدة بيانات ومعلومات أساسية من دونها يصعب علينا التقدم نحو الخطوات التالية، كما نستطيع من خلالها تحديد ما إذا كانت أعداد الدعاة الحالية كافية أم نحن في حاجة إلى إضافة أعداد أخرى[1].

ثانياً: تصنيفهم علمياً وتحديد قدراتهم الحالية، وذلك يتم بعد جمع المعلومات عن طريق الاستبانة الملحقة ، وهو مهم لأنه سيوفر للمؤسسات الكثير من الفوائد حيث يتم توظيف كل داعية والاستفادة منه في مجالات قد لا يصلح لها غيره من الإخوة والأخوات العاملين في حقل الدعوة.

ثالثا: تقسيمهم إلى مجموعات وفرق ، وذلك لأجل توفير المزيد من الدورات التدريبية التي تناسب كل مجموعة بحسب توصيفها وتقييمها .

وهنا لا بد من الحذر الشديد من أيَّ توجيه سياسي أو جهوي، لأنَّ أيَّ توجه من هذا النوع قد يفسد الفكرة بالكلية ، مع التأكيد على ضرورة التعاون من الدولة والسلطات القائمة في تنفيذ مثل هذه المشروعات، وذلك لأن الدولة يمكن أن توفر دعما مهما يتمثل في :

١- التصريح والإذن بقيام هذه المؤسسات.

٢- مساعدتها في إيجاد مقرات لهذه المؤسسات.

٣- المساعدة في تنفيذ وتمويل بعض الدورات التدريبية والبرامج التي تستهدف تنمية القدرات لدى الدعاة والداعيات .

(١) لم يتسن للباحثين حصر لأعداد الدعاة والداعيات بالقارة مجملة ، أو حتى بدولة من دولها المسلمة ، مثل – السودان أو نيجيريا ، أو السنغال الـــخ ، وهذا الحصر ضروري ومهم للغاية.

المطلب الثاني

عوائق التدريب

استطعنا حصر العوائق التي يمكن أن تكون عقبة في طريق إنفاذ الخطط والبرامج الرامية إلى رفع كفاءة الدعاة في إفريقيا وزيادة فاعليتهم عن طريق الإعداد والتدريب والتأهيل في النقاط الأربع التالية :

الأولى : الدولة : قد تكون الدولة عائقا من عوائق التدريب ، لذلك من الضروري جداً التعاون مع الدولة في مثل هذه المشروعات الرامية إلى تدريب كوادر الدعوة إلى الله الأمر الذي يجعلها مطلعة على هذا النشاط ومطمئنة عليها وكل ذلك الوضوح يؤدي إلى البعد عن المخاوف والشكوك والظنون والتهم ، ويجعل الدولة داعماً قوياً بل وراعياً لدورات التدريب والتأهيل المختلفة.

الثانية : ضعف كفاءة المسؤولين عن الشأن الدعوي : ربما كان العائق أحياناً ليس الدولة ولا السلطة المحلية القائمة في المنطقة المعنية ، إنما هو قدرات القائمين والمسؤولين عن إدارة الشأن الدعوي ، وهنا تبرز أهمية رفع قدرات الإداريين الذين يقودون مؤسسات الدعوة سواء كانت رسمية أو تطوعية .

الثالثة : عدم وجود المدربين المؤهلين القادرين على القيام بهذه المهمة : أحياناً قد يكون العائق عدم وجود المدربين أصلاً ولتجاوز ذلك فنحن في حاجة إلى تفعيل الاتصالات والتواصل بين المؤسسات لأجل التعاون وتبادل الخبرات والقدرات بين المؤسسات والمناطق والدول داخل القارة وخارجها، لا سيما بعض الدول التي لها دور فعال في مثل هذه المجالات، مثل السودان والسعودية ومصر وغيرها ، وكذلك ضرورة الاستفادة القصوى من الجامعات والمعاهد المتخصصة في مجال الدراسات الإسلامية أو الفكر الإسلامي .

الرابعة : نقص التمويل : كما أنَّ العائق أحياناً قد يكون بسبب نقص التمويل أو انعدامه بالكلية لأننا نعلم أنَّ إقامة دورة تدريبية لمدة ثلاثة أيام لعدد (٤٠) داعية فقط تكلف كثيرا من الجهد والمال ناهيك عن إقامة دورة لمدة (٦) أيام مثلاً لعدد (٦٠) من الدعاة ، ومثل هذه الدورات لا شك أننا نحتاج في الدولة الواحدة إلى إقامة الكثير منها في كل عام ، كما نحتاج إلى أن تكون مستمرة غير منقطعة ، ولذا فنحن في حاجة إلى عمل استراتيجي أو إلى وضع خطة عشرية نستهدف بها إقامة دورات تدريبية وتأهيلية للدعاة في القارة على مدى العشر سنوات القادمة بإذن الله ولا شك أن ذلك يتطلب المزيد من الحوار والتفاهمات مع جهات كثيرة مثل الوزارات والإدارات المختصة والجامعات والمعاهد ومؤسسات أخرى قد يكون لها إسهام فاعل في تحقيق هذا الهدف وبلوغ تلك الغاية .

المطلب الثالث

ثمرات التدريب

إنَّ قضية تدريب الدعاة ينبغي أن تكون قضية حاضرة في أذهان قادة العمل الدعوي في قارة إفريقيا والمؤسسات ذات الصلة تعليمية كانت أو منظمات في القارة لما تكتسبه قضية التدريب من أهمية بالغة لا سيما في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة ، فنحن في حاجة ماسة إلى تدريب العدد الحالي من الدعاة كما نحن أيضاً في حاجة إلى أعداد إضافية مقدرة من الدعاة المؤهلين ، وذلك لعِدَّة أسباب أهمها : أَنَّ كثيراً من القرى والمناطق في كثير من البلدان والدول المسلمة تحتاج إلى جهود هؤلاء الدعاة فالداعية في هذه المناطق هو الفقيه الذي يسأل فيجيب ، ويستفتى فيفتي ، وهو الإمام الذي

يصلي بالناس ، وهو الذي يغسل الموتى وهو الذي يصلي علي الجنائز، وهو الذي يعالج المشكلات الأسرية المعقدة التي تتعلق بالطلاق أحياناً وبالميراث أحياناً ، وهو المطلوب منه أن يخاطب الشباب والمرأة والنشء ومن هنا تأتي أهمية دوره وضرورة تأهيله ، ولذا لابد من استشعار عام لهذه المسؤولية، لأننا ربما نصدق أو لا نصدق إذا علمنا أنَّ هناك بعض الموتى من المسلمين في بعض دول إفريقيا يدفنون من غير أن يصلى عليهم لأنه ببساطة لا يوجد في القرية أو المنطقة من يعرف كيف يصلي على الميت ، وقس على ذلك حيث توجد أيضا قرى بأكملها ليس فيها من يحسن الأذان فضلاً عن حفظ سور قصيرة لتؤدى بها الصلاة جماعةً أو فرادى ، وبعض المسلمين لا أقول يجهلون غسل الجنابة بل يظنون أن الرجل لا يجب عليه الغسل من وقاع زوجه لأنها حل له وإنما يجب الغسل على من واقع امرأة وقاعاً حراماً، للأسف هذا واقع تحياه وتعيشه جملة غير قليلة من المسلمين في البوادي والأرياف الموجودة بكثرة في بلادنا الإسلامية عموماً وفي القارة الإفريقية خصوصاً، لذا عندما يكون الحديث عن الدعاة وأدوارهم المرجوة منهم أن يقوموا بها فإنَّ ذلك يتطلب منا إبداء مزيد من العناية بالريف والبوادي وكذلك بالمرأة في تلك المناطق لا أن نقصر حديثنا واهتمامنا على المدن التي فيها التعليم كثير والمعرفة منداحة ومتاحة .

المبحث الثالث

طبيعة التدريب المطلوب للدعاة في إفريقيا

إذا سلمنا واتفقنا على أن العاملين في الحقل الدعوي ذكوراً وإناثاً في القارة الإفريقية بحاجة ماسة وباستمرار إلى التدريب لرفع قدراتهم وتنمية

مهاراتهم ، غير أننا نرى أن التباين في البيئات والمجتمعات ربما يفرض نوعاً معيناً من التأهيل والتدريب لكل مجموعة من الدعاة ، وهذا بالطبع يتجاوز المسائل الأساسية إذ هي مطلوبة للجميع بلا تجاوز ولا استثناء.

المطلب الأول

أساسيات في عملية التدريب للدعاة

والمقصود بها المسائل الأساسية التي يتطلبها الأمر من الجهات المختلفة المهتمة بأمر الدعاة ورفع قدراتهم وتنمية مهاراتهم حتى يتسنى لهم الإسهام في توعية المجتمع ورفع مستوى الوعي والتدين الصحيح لدى كافة فئات المجتمع خصوصا الشباب والمرأة ، وتتمثل بعض هذه الأساسيات في الآتي:

أولاً : **معرفة القرآن الكريم** : من الضرورة بمكان أن يلم الداعية بقدر معتبر من القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً صحيحة وذلك لغرض الاستدلال والتعليم، وهذه مسألة جد مهمة وعزيزة في هذا الزمان وتمثل تحدياً ماثلاً أمام الجهات المعنية بأمر الدعوة والدعاة في القارة الإفريقية .

ثانياً : **معرفة السنة النبوية** : السنة النبوية وحي ولها مكانها الذي لايشغله غيرها في حقل الدعوة إلى الله لذلك يتوجب على الداعية أن يكون ذا حظ وافر من المعرفة بها متوناً وأسانيد وطرائق فهم واستدلال .

ثالثاً : **معرفة اللغة العربية** : رسالة الإسلام عربية لغةً وفهماً وتبليغاً لذلك نركز بشدة على تخصيص دورات بعينها في اللغة العربية للدعاة في القارة الإفريقية ودول مثل السودان ومصر والسعودية يمكن أن يكون لها سهم وافر في تحقيق هذه الغاية لما لها من أهمية عالية الدرجة في التأهيل والتدريب ، فالكثير من الدعاة في قارة إفريقيا ينقصهم هذا الجانب وهم متعطشون ومستعدون

وراغبون في الحصول على جرعات مركزة ومكثفة في اللُّغة العربية وفنونها المختلفة ، لذلك يرى البحث أن السعي لتوفير هذه الفرص للدعاة يمكن أن يحقق دفعة إيجابية كبيرة للغاية سواء تم تنفيذه في داخل الدولة المعنية أو تم تنفيذه في دولة أخرى ولو لعدد قليل .

رابعاً : معرفة السيرة النبوية : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل الحياة العملية للنبي عليه الصلاة والسلام ومن خلال دراسة السيرة يتعرف الداعية على كثير من معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما يتعرف على كيفيات التعامل مع مجتمع الدعوة بكل تنوعاته وتلوناته والظروف المختلفة التي يمر بها المجتمع سلماً وحرباً.

خامساً : معرفة الفقه : الفقه هو الفهم لأمور الدين ومن يرد الله به خيراً يفقه في الدين فلابد للداعية أن يكون ملماً ودارساً لبعض كتب الفقه حتى يتسنى له الإجابة عن أسئلة المجتمع والأفراد رجالاً ونساءً ، في كل محاور الفقه وأبوابه ، والجدير بالذكر هنا أن معرفة المذهب الفقهي للدولة مهم للغاية فمثلاً كل شرق إفريقيا يتمذهون بالمذهب الشافعي ، بينما دول غرب إفريقيا يتمذهبون بالمذهب المالكي هذا في الغالب الأعم ، وهناك وجود للمذهب الحنبلي بكل هذه الدول نتيجة لانتشار الكتب والمطبوعات التي تقدمها المملكة العربية السعودية ونتيجة لذهاب أعداد مقدرة من أبناء هذه الدول للدراسة في المملكة العربية السعودية عن طريق المنح التي تقدمها مؤسسات تعليمية ودعوية سعودية .

سادساً : معرفة واقع المجتمعات: التي تمثل الميدان الذي يتحرك فيه الداعية ومحاولة إجراء عملية فرز شرائحية بحيث تكون لدى الداعية فكرة أولية

عن المشكلات والاحتياجات والإيجابيات والسلبيات لدى كل شريحة من الشرائح التي يتألف منها مجتمع القرية أو الحي أو المؤسسة أو المدينة ونعني بها الشرائح التي يتألف منها المجتمع : الكبار ، والشباب ، والمرأة والأطفال، إضافة إلى تقسيم آخر للمجتمع فقد تتألف شرائحه من : القادة والساسة ، ومن أرباب المال والتجارة ، أو من المفكرين والمثقفين ، أو غير ذلك ، وبناء على معرفة الواقع يتم تحديد الأولويات[1].

سابعاً : **معرفة المؤثرات**: التي تتحكم بدرجة أعلى ولو في بعض سلوك وممارسات مجتمع الدعوة[2]، فقد يكون في بعض الأحيان المؤثر المتحكم اقتصادياً ، وأحياناً يكون جهوياً أو طائفياً وأحياناً يكون المؤثر هو دافع التنافس والغيرة ، وأحياناً يكون المؤثر فكرياً أو ثقافياً أو فنياً ، وفي كل ذلك قد يكون التأثير إيجابياً صالحاً أو سلبياً فاسداً ، فالداعية مطلوب منه أن يتعرف على هذه المؤثرات وأمثالها ، مع العلم بأن محاولات معرفة وفهم المؤثرات التي تتحكم في سلوك وممارسات بعض الشرائح في المجتمع قد تستغرق وقتاً ليس بالقصير وهي بالضرورة تتطلب من الداعية أن يكون على اتصال وتواصل مع هذه الشرائح والفئات، فلا ينتظر أن يحكى له أو ينقل إليه الخبر بل هو بتواصله وتداخله مع شرائح المجتمع يتعرف على الكثير من الأشياء (المؤثرات) الطيبة فيؤكدها ويسعى إلى تعميقها ، وعلى كثير من الأشياء التي تحتاج إلى تغيير وتبديل أو تصويب وتعديل فيضع الخطة المناسبة بحسب تقديره للأمر وعلى كل فالإخوة الدعاة يتفاوتون في هذه الجزئية تفاوتاً نسبياً كتفاوتهم في الجزئيات الأخرى ، وإلى حد ما ، نظن أن نجاح الداعية إلى الله يتعلق بمدى

(١) محمد الوكيلي ، فقه الأولويات – دراسة في الضوابط ، ط\١ ، ١٤١٦هـ ١٩٩٧م – المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٢) د\ محمد زين الهادي ، علم نفس الدعوة ، ط\١ ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة.

قدرته على تحقيق نسب عالية في هذه الجزئيات مجتمعة والكمال لله وحده والعصمة للأنبياء فقط .

المطلب الثاني

نوعية التدريب المطلوب للدعاة في إفريقيا

في رأي الباحثين فإنَّ التأهيل الذي ينبغي أن يخص به الداعية المعاصر الذي يجب علينا أن نعده للحاضر والمستقبل بإذن الله يتمثل في إضافة مفردات مفاهيمية جديدة علمية وفكرية تاريخية ومعاصرة تكون أساسية في تشكيل الداعية وصياغته ، وتنبع أهمية ذلك خصوصاً في المدن والحضر حيث كثرت مؤسسات التعليم الرسمي سواء في دولنا أو في العالم الخارجي الأمر الذي أوجد مجموعات كبيرة من المتعلمين المختصين في مختلف مجالات العلوم في العصر الحديث كالهندسة والفلسفة والقانون والطب والكيمياء والفيزياء والنقد والأدب والاقتصاد والفنون إلى غير ذلك من العلوم التي يتخرج فيها في كل عام أعداد مقدرة من أبناء وبنات قارتنا ، سواء درسوا وتعلموا داخل القارة أو خارجها ، ولا شك أن هناك أفكاراً كثيرة تتجاذبهم وتحيط بهم منها الليبرالي ومنها القومي وغير ذلك كلها أفكار تنظر إلى الإنسان على أنه جزء واحد فقط (جسد) فهي تسعى جاهدة لإشباع الحاجات المادية لهذا الجزء ، وفي المقابل أهملت وجهلت أنَّ ثمة جزءاً آخر في الإنسان (الروح) له أيضاً حاجات إشباعها ضروري وبه يتحقق التوازن المطلوب للفرد والمجتمع ، وبالطبع فإن هذه المجموعات المقدرة تعد شريحة مهمة للغاية فهي التي تدير الدولة وتدير المؤسسات التي تحرك المجتمعات في كثير من بلدان العالم الإسلامي حالياً وأيضاً هذه المجموعات سوادها الأعظم يتمركز في المدن وليس في الريف مما يجعل منظومة المتطلبات التدريبية والتأهيلية للداعية

داخل المدن ووسط مثل هذه المجتمعات بالضرورة أن تكون منظومة متكاملة لذا فمن المفيد أن تحتوي هذه المنظومة على الآتي :

١- الدراسات التاريخية .

٢- دراسة المذاهب والأفكار المعاصرة .

٣- التمكن من بعض اللغات الحية .

٤- دراسة علمي الاجتماع والنفس .

٥- القدرة على التعامل مع التقنية المعاصرة ، والإفادة منها في كل الجوانب.

٦- معرفة أحوال الأمم والثقافات القريبة والبعيدة .

وهذا قد لا يكون مهماً ولا ضرورياً بالنسبة للدعاة الذين هم في الريف والقرى البعيدة عن المدينة بينما هو لازم وضروري للدعاة الذين يتمركزون في العواصم والمدن .

المطلب الثالث

مهارات ضرورية للداعية المعاصر

بناء على ما مضى من قول نرى أن الداعية رجلاً كان أو امرأة من اللازم في حقه أن يمتلك ويتحصل على مهارات كثيرة لأن ميدان الدعوة يجمع الداعية بأصناف مختلفة من الناس مشاربهم متباينة وكذلك مقاصدهم وغاياتهم ، ووسائلهم وأساليبهم خصوصا في عصرنا الحاضر ، مما يحتم على الداعية أن يكون متمكناً من بعض المهارات الأساسية التي تجعله قادراً بتوفيق الله على الصمود والثبات ، وقادراً على مواجهة المواقف المختلفة ، غير منهزم ولا ضعيف ، وكلما كان الداعية متمكناً من أدوات الدعوة ومن المهارات والقدرات اللازمة كان أكثر ثقةً وأكثر ثباتاً في الميدان وبالتالي أكثر

إيجابيةً في مواقفه وحركته ، ومن هذه المهارات الضرورية اللازمة ما يلي :

١- القدرة على الحوار .

٢- القدرة على التخطيط .

٣- القدرة على الإقناع .

٤- القدرة على الامتصاص .

٥- القدرة على الإفحام .

٦- القدرة على تقدير المواقف .

٧- القدرة على تشكيل شرائح المجتمع .

هذه المهارات تتضح أهميتها وغيرها لمن يقف الآن على كثرة الأفكار والأطروحات التي تنتهج وتتبنى رؤى تصادم روح الإسلام ، وتطرح هذه الأفكار في كثير من الأحيان أسئلة تتطلب من الدعاة تمكناً ووعياً وامتلاكاً للمهارات المذكورة آنفاً ، ذلك أن طبيعة الأسئلة والأفكار المطروحة تتناول مختلف جوانب الحياة مثل الحديث عن الحريات ومفاهيمها وحدودها ومرجعياتها أو عن المرأة وحقوقها ، أو عن حقوق الإنسان عموماً ، أو الحديث عن الدين وعلاقته بالدولة وفاعليته في الحياة ودوره ، أو عن الشورى وعلاقتها بالديمقراطية ، أو الحديث عن العلمانية وموقف الإسلام منها وموقفها من الأديان جملة ، أو الحديث عن الليبرالية بوصفها منظومة فكرية ونسق معرفي متكامل يتبنى رؤية لها نظرتها الخاصة المتعلقة بكل جزئيات الحياة وتفاصيلها، وغير ذلك هناك قضايا كثيرة مطروقة ومطروحة في ساحتنا الداخلية أو في الساحة العالمية مطلوب من الدعاة أن يقدموا لها إجابات من أجل تثبيت أعداد كبيرة من أبناء وبنات أمتنا حتى لا تتزعزع قناعاتهم

أو تتشوه أفكارهم لا سيما وهذه غاية تسعى إلى بلوغها قوى كثيرة معادية للإسلام تمتلك الكثير من الآليات والوسائل التي تقدم من خلالها هذه الأفكار والمفاهيم بغرض اكتساب أعضاء وأنصار لها في كل العالم وليست إفريقيا ببعيدة عن مقاصد هذه القوى ، وكل ما ذكر من متطلبات للتكوين والتأسيس الجيد للداعية يمكن الاستدلال عليه بآيتين من القرآن الكريم الأولى: قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والثانية قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالبصيرة والحكمة والموعظة الحسنة تعني القدرة على الحوار والامتصاص وتقدير المواقف والقدرة على تشكيل شرائح المجتمع ... الخ ، كما يضيف إليها بعض الباحثين ما اصطلحوا على تسميته بوسائل تأليف القلوب فالداعية مطلوب منه أن يكون على علم بالأساليب والطرائق التي يؤلف بها قلوب المدعوين سواء كانوا أفراداً أو مجموعات أو مجتمعات ، ومن هذه الوسائل على سبيل التمثيل:

١ ـ **الهدية**: فلقد حث عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين أنها سبب من أسباب التحابب والتآلف ، والتقارب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تهادوا تحابوا)[1]، ولقد كان صلى الله عليه وسلم يهدي ويقبل الهدية ، ويكافئ عليها فالهدية لها تأثير كبير في النفوس والقلوب .

٢ ـ **عيادة المرضى**: من حق المسلم على أخيه المسلم أن يعوده إذا مرض وذلك

(١) أخرجه البيهقي – السنن الكبرى ، ج\٦ ص\١٦٩ ، وانظر صحيح الأدب المفرد ، ص\ ٢٢١ .

لغرض إيناسه وإدخال السرور عليه ، وطمأنته ، والتحدث إليه بما ينفعه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حق المسلم على المسلم خمس . . . وذكر منها : وعيادة المريض)[1].

فعلى الداعية إلى الله إذا زار أخاه المسلم أن يبشره بالبرء والكفارة ، ويدعو له ويجتهد في أن ينتقي له أطيب الكلام ، مثل ما ورد : (لا بأس عليك طهور إن شاء الله)[2]، ونحن نرى أن على الدعاة أن ينظموا زيارات دورية للمرضى في المستشفيات العامة ويقدموا لهم بعض الإعانات والمساعدات ففي ذلك مردود إيجابي عظيم لصالح الدعوة بإذن الله.

٣ـ **الزيارة** :إن للزيارة سحراً تصنعه في قلوب كثير من الناس خاصة العصاة والمذنبين ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يزور الناس في أنديتهم، وبيوتهم، وأماكن عملهم ، بل كان يزور الكفار بغرض دعوتهم وهدايتهم بإذن الله[3].

فهذه وتلك تتضافر كلها ليكون ناتجها داعية مؤهلاً ومدرباً ومتمكناً من فنون الدعوة ومهاراتها ، متبعاً القول بالعمل ، تقياً ، ورعاً ، مخلصاً صادقاً ، مؤمناً بقوله تعالى : ﴿ . . .وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى . . . ﴾ [الأنفال: ١٧].

(١) أخرجه البخاري ، ج\ ٣ ، ص\١١٢ ، ومسلم ، ج\١٤ ، ص\١٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ، ج\١٣ ، ص\٤٧٧.

(٣) لمزيد من الوقوف على وسائل تأليف القلوب ، انظر ، عزيز بن فرحان العنزي ، البصيرة في الدعوة إلى الله ، ط\١ ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ، دار الإمام مالك – أبو ظبي .

خـاتمـــــــــــة

في خاتمة هذا البحث الذي نرجو أن يكون إسهاماً مفيداً في هذا الباب نسأل الله جلَّ في علاه أن يجعله خالصاً لوجهه إذ كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه ، ولما كان في مثل هذه الدراسات لا بد من خلاصات تتلخص فيها النتائج التي توصل إليها البحث الذي يهدف إلى الإِسهام في وضع منظومة متكاملة لمتطلبات واحتياجات الداعية المعاصر الذي يمتلك القدرة والخبرة التي تمكنه من أن يسهم إيجاباً في تثبيت دعائم الرسالة النبوية الخاتمة ، في ظل تجاذبات وتحديات عظيمة تمر بها أمتنا عموماً وقارتنا(إفريقيا) خصوصاً ، وقد ناقش البحث قضايا تأهيل الدعاة وتدريبهم وتنمية قدراتهم ووقف على أهمية ذلك وقد توصل إلى جملة من النتائج، أهمها :

١- تدريب الداعية إلى الله ضروري وملح لا سيما في هذا العصر ، وهو يوفر لنا الشخصية التي يتحمل صاحبها أعباء تبليغ الرسالة ، وذلك بما يحمله من علم يؤهله للاستمرار والبقاء ، ومن قدرات وخبرات تجعله إيجابياً في عطائه وتوجهاته .

٢- الأمان على الدعاة من أن تزل أقدامهم ، أو يسقطوا أمام شبه المناوئين لهذا الدين ويتحقق لهم ذلك متى ما اجتهدوا في تنمية مهاراتهم وتطوير قدراتهم .

٣- كسب أكبر قدر ممكن من الناس الذين هداهم الله تعالى وذلك عن طريق قنوات متعددة ووسائل شرعية متنوعة ، يُعملها الدعاة في واقع دعوتهم.

٤- إقامة مجتمعات ربانية في قارتنا(إفريقيا) قائمة على مفاهيم الوسطية في كل قضايا الدين والتعامل مع الآخر استيعاباً وتعايشاً.

٥- الحصول على عدد ليس بالقليل من الدعاة والداعيات الراسخين، الذين يقودون النشاط الدعوي في قارة إفريقيا على علم وبصيرة بكل متطلباته وتحدياته .

٦- التأكيد على المهمة الكبيرة التي ينتظر أن يؤديها الداعية في قارة إفريقيا، والمتمثلة في التقليل من إثارة النعرات والجهويات الأمر الذي يسهم في إيقاف الحروب الأهلية والنزاعات المسلحة وبالتالي يؤدي إلى ازدهار الحياة واستتباب الأمن والطمأنينة ، ونشر الفضيلة وانتشال الأجيال القادمة من براثن الوثنية والرذيلة وتصحيح كثير من المفاهيم التي تتعلق بالدين والتمسك به والانحياز إليه وبدوره في صياغة وصناعة الإنسان الإيجابي من حيث المفاهيم ومن حيث السلوكيات والممارسات .

التـوصيـات:

التوصيات التي يقدمها الباحثان إسهاماً في دفع قضية تدريب الدعاة وتأهيلهم واستشعاراً لأهميتها تتمثل في الآتي :

١- إشراك الجامعات الإسلامية والمعاهد في هذه القضية التي لا تخفى أهميتها .

٢- تفعيل دور المؤسسات والمنظمات المعنية بأمر الدعوة في القارة وذلك بتأهيل الكادر الذي يعمل على إدارة هذه المنظمات ، وتوفير الدعم المادي اللازم لهذه المؤسسات .

٣- وضع خطة عشرية تهدف إلى حصر الدعاة وتصنيفهم وتقسيمهم إلى مجموعات وفرق حتى يسهل تدريبهم والاستفادة منهم بصورة أكثر فاعلية .

٤- الاتجاه نحو الاستفادة من حفظة القرآن الكريم الذين تحتضن قارتنا أعداداً مقدرةً منهم خصوصاً في دول مثل: الصومال ، والسودان ونيجيريا ، وموريتانيا ، ومالي ، وجيبوتي إلخ .

٥- مساعدة الدعاة في القارة للالتحاق بالجامعات والمعاهد والدراسات العليا ، لما لذلك من أثر كبير في عصرنا الحاضر .

٦- مساعدة الدعاة في القارة على تحسين أوضاعهم الحياتية وتوفير المكتبات والمعينات الأخرى لهم .

هذا ما هدى الله إليه ووفق ونرجو أن يكون هذ البحث وما تمخض عنه من توصيات ومقترحات موفقة وأن تجد طريقها للعمل بها أو ببعضها وأن ينفع الله بها ، آمين .

ملحق

مقترح استمارة حصر للدعاة بالقارة الإفريقية

تشتمل الاستمارة على معلومات أساسية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول

معلومات شخصية

الاسم : .....

تاريخ الميلاد : .....

الدولة : .....

المنطقة التي تقيم فيها : .....

الحالة الاجتماعية : .....

عدد أفراد الأسرة : .....

المهنة : .....

القسم الثاني

المؤهـــــــلات

١- تعليم أساسي . .....

٢- ثانوي . .....

٣- جامعي . .....

٤- فوق الجامعي . .....

٥- التخصص . .....

القسم الثالث

معلومات عامة

١- كم جزءاً تحفظ من القرآن الكريم ؟.....

٢- هل تخطب الجمعة .....

٣- معدل المحاضرات والدروس التي تقدمها خلال الشهر؟ .....

٤- هل لديك مكتبة شرعية متكاملة ؟ .....

٥- عدد الدورات التدريبية التي شاركت فيها ؟ .....

٦- مدة الدورة التدريبية ؟ ..... مكانها وتاريخها ؟.....

٧- هل تتصفح شبكة المعلومات ؟ .....

٨- التفرغ للدعوة: - كامل - جزئي

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – المجلد الأول ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق .

٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، دار إحياء التراث العربي .

٤- صحيح مسلم ، بشرح الإمام النووي ، الجزء الرابع عشر ، مؤسسة مناهل الفرقان.

٥- البيهقي – السنن الكبرى ، الجزء السادس .

٦- حسني أدهم جرار – الدعوة إلى الإسلام مفاهيم ومنهاج وواجبات من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٧- على بن عمر با دحدح – مقومات الداعية الناجح ، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٨- عزيز بن فرحان العنزي – البصيرة في الدعوة إلى الله ، الطبعة الأولى – دار الإمام مالك – أبو ظبي ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

٩- محمد الوكيلي ، فقه الأولويات – دراسة في الضوابط ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٧م من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٠- محمد زين الهادي ، علم نفس الدعوة ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، الدار المصرية اللبنانية

١١- يوسف القرضاوي – المبشرات بانتصار الإسلام ، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

الريح والرياح في القرآن الكريم «دراسة دلالية»

د. حنان محمد أبوليدة •

ملخـــــص

جاء هذا البحث لتوضيح المعاني الدلالية لِـ (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم؛ للكشف عن الإعجاز الدلالي في استخدام لفظتي (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم ؛ لما لذلك من أثر في التدبر والتفكر في ما خلقه الله من ظواهر الطبيعة، وبيان أثره في حياة البشر من جهة، ولتوظيف لفظتي (الريح) و(الرياح) توظيفًا صحيحًا لدى أبناء العربية نطقًا وكتابة من جهة أخرى. وخلص إلى عدد من النتائج والتوصيات، وتمثّلت النتائج في توضيح دلالة كلمتي (الريح) و (الرياح) في الآيات التي وردت فيها ، أمّا (الريح) فجاءت للدلالة على معان عدّة ، أبرزها الدلالة على العذاب ، وتوضيح حالات معينة خاصة بالبشر، يجمع بينها معنى الضرر، وأمّا (الرياح) فجاءت للدلالة على إثبات وحدانية الله، وتوضيح أدلة قدرته عزّ وجلّ. وظهر اتفاق بين الريح والرياح في الدلالة على معنى التسخير، أي تسخيرها لخدمة البشر. و ظهر فرق بين (الريح) و(الرياح) مفاده أن الريح المرتبطة بذكر العذاب جاءت مفردة، والريح التي ارتبطت بالرحمة جاءت بالجمع (رياح).

Abstract

This research come to explain semantic meanings of two words in the holy Quran, “ Rieh” and “ Riyah” (two Arabic words which mean “Wind” the first word is singular and the second one is plural as in the Arabic morphological structure). This come to show the impressive of semantics in using these two words “ Rieh” and “ Riyah” in Quran, and how this can impact on meditation

• جامعة الملك خالد .

and thinking of God creation, and it is impact on human life as well, and to show Arabs how these two words can be correctly used and written. Many results and recommendations have been reached, the result can be represented in the explanation of the semantic meaning of these two words “ Rieh” and “ Riyah” , as it has been mentioned in verses of the holy Quran, the first word comes to explain different semantic meanings, it is most semantic gist is “ torture”, and also comes to explain special conditions of human which affect them badly, while the second word comes to explain the grandeur of God and his majority. There is also a similar semantic gist for both words, both of them used to explain importance and significant of wind in human life. There is also two different semantic gist, saying that the singular form of the word wind comes to signify “ torture”, while the plural form comes to signify “ Mercy”.

مُقَدِّمَـــــــة

لا شك أن القرآن الكريم بما فيه من ألفاظ وتراكيب وصور بلاغية، وإيحاءات دلالية وحقائق علمية، وغيرها من علامات الإعجاز المعين الذي لا ينضب للدراسات والدارسين، للكشف عن جوانب الإعجاز التي جعلت منه معجزة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم).

وستبقى محاولات الكشف عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم من قبل الباحثين إلى أن يرث الله الأرض وما عليها؛ وذلك للتعمق في فهمه وتدبُّره، بغرض العمل بما جاء فيه كما أمرنا الله عز وجل.

وللوقوف على جانب من جوانب الإعجاز الدلالي في القرآن الكريم جاءت هذه الدراسة تتناول دلالة (الريح) و(الرياح) كما وردت في مواضعها

في آيات القرآن الكريم.

ومن أجل هذه الغاية تتبعت المعنى اللُّغوي لـ(الريح) و(الرياح) كما وردت عند اللُّغويين، ثم تناولت دراستها من ناحية دلالية وأوضحت إعرابها وإعراب قراءاتها إن وجدت؛ لما يضيفه الإعراب من توجيه وتوضيح لدلالتها في النص القرآني، وبدأت بِـ(الريح) ثم أتبعتها بِـ(الرياح).

وتناولت الآيات حسب ترتيبها في السور التي وردت فيها، وخلص البحث إلى خاتمة توضح النتائج والتوصيات .

واعتمدت لإتمام هذه الدراسة عددًا من التفاسير والمصنفات اللُّغوية التي رأيت أنها تفي بهذا الغرض، كما اعتمدت كتب القراءات لتخريج القراءات الواردة في بعض الآيات.

أهداف البحث:

١- توضيح المعنى اللغوي لِـ (الريح) و (الرياح).

٢- توضيح المعاني الدلالية لِـ (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم.

٣- بيان دور القراءات القرآنية لمفردتي (الريح) و(الرياح) – إن وجدت- في توجيه المعنى الدلالي لكل منهما.

٤- تنمية الثروة اللغوية من خلال الوقوف على صفات الريح مثل : عاصف ، صرصر وغيرها.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الكشف عن الإعجاز الدلالي في استخدام لفظتي (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم لما لذلك من أثر في التدبر والتفكر في ما خلقه الله من ظواهر الطبيعة، وبيان أثره في حياة البشر من

جهة، ولتوظيف لفظتي (الريح) و(الرياح) توظيفًا صحيحًا لدى أبناء العربية نطقًا وكتابة من جهة أخرى.

سبب اختيار الموضوع:

ملاحظة الاختلاف الدلالي بين مفردتي (الريح) و(الرياح) في السياقات التي وردت فيها في القرآن الكريم. ومن ثمّ جاءت هذه الدراسة للكشف عن المعاني التي تضمنتها اللفظتان، وتلمّس العلاقة الدلالية بينهما إنْ وجدت.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي، باستقراء الآيات الكريمة التي تضمنت لفظتي الريح والرياح، وتتبعها في المظانّ والمصادر التي وردت فيها، وتحليل المعاني الدلالية لكل منها.

هيكل البحث:

المبحث الأول: **(الريح) و(الرياح) في اللغة.**

المبحث الثاني: **المعنى الدلالي لـِ(الريح) في القرآن الكريم وتضمّن المعاني الآتية:**

١- جاءت دالة على العذاب.

٢- جاءت في بعض الآيات لتوضيح حالات معيّنة، تتضح من خلال كل آية.

٣- جاءت ترتبط بمعنى التسخير.

٤- جاءت في كل آية تدلّ على معنى خاص، مثل: الدولة، القوة، الرائحة الزكية.

المبحث الثالث: **المعنى الدلالي لـ(الرياح) في القرآن الكريم، وتضمّن المعاني الآتية:**

١- إثبات وحدانية الله عزّ وجلّ.

٢- توضيح قدرة الله بتسخيرها للرحمة والخير للبشر.

٣- ذكرها كدليل من أدلة قدرة الله عزّ وجلّ.

خاتمة البحث: وتتضمّن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

الريح والرياح في اللغة ودلالاتها في القرآن الكريم

تعددت المعاني التي ذكرها اللغويون لمعنى (الريح) وهي تكاد تنحصر في ما يلي:

"الريح: نسيم الهواء، وكذلك نسيم كلّ شيء، وهي مؤنثة"[١]، "والريح: وهو الهواء المسخر بين السماء والأرض"[٢]، ومن معانيها الغلبة والقوة[٣]، "والرحمة والنصرة والدولة والشيء الطيب الرائحة"[٤]، وحين نقول: "رجل ساكن الريح: نعني وقورًا"[٥].

والريح مفردة والجمع رياح وأرياح[٦]، وتجمع أرواح؛ وذلك لأن أصلها واو، غير أنها جاءت بالياء لانكسار ما قبلها[٧].

(١) لسان العرب، ابن منظور، م٢/٤٥٥، (روح).
(٢) تاج العروس، الزبيدي، ج٢/١٤٨، (روح).
(٣) انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج١/٢٣٢،(روح)، وانظر الصحاح، ج١/٣٦٨، (روح).
(٤) القاموس المحيط، ج١/٢٣٢، (روح).
(٥) انظر المعجم الوسيط، أخرجه د. إبراهيم أنيس وآخرون، ج١/٣٨١، (روحة).
(٦) الصحاح، ج١/٣٦٧، (روح).
(٧) جمهرة اللغة، ابن دريد، ج٢/١٤٧، (روح).

المعنى الدلالي لـ(الريح) في القرآن الكريم:

معنى (الريح) في السياقات الواردة فيها في القرآن الكريم؛ بغرض دراسة معناها الدلالي، وكيفية توظيفها في تلك السياقات.

من خلال البحث عن السياقات التي وردت فيها كلمة (الريح) وجدت أنها وردت بمعان متعددة، سأحددها وأذكر الآيات التي تندرج تحت كل منها، وهي كالآتي:

أولاً: (الريح) التي وردت في سياق الحديث عن العذاب، وكانت الوسيلة التي عذب الله بها الكافرين وكل من عصاه.

ومن الآيات التي وردت فيها قوله تعالى: ﴿فَيُرسِلَ عَلَيكُم قَاصِفا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغرِقَكُم بِمَا كَفَرتُم﴾ [الإسراء: ٦٩].

والخطاب هنا للكافرين وللمعرضين عن عبادة الله[١]، وكانت عقوبتهم على فعلهم أن أرسل الله عليهم ريحًا قاصفًا أغرقتهم لم تبقِ لهم بقية[٢]، والقاصف: تقصف كل شيء وتحطمه[٣]، وهي الريح ذات الصوت الشديد، كأنها تتقصّف، أي تتكسّر، ولا تمرّ بشيء إلاّ قصفته[٤]، وقيل: هي البحار التي تكسر المراكب وتغرقها[٥]، وقيل: القاصف، أي العاصف[٦].

وجميع هذه المعاني كما يظهر تجعل من الريح وسيلة لتحقيق العذاب.

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٣٢٨.
(٢) انظر إعراب القرآن، ج١/٣٨٥.
(٣) انظر إعراب القرآن، ج١/٣٨٥.
(٤) انظر الكشاف، ج٢/(٦٧٩-٦٨٠).
(٥) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٣٢٨.
(٦) الدر المنثور، ج٤/٣٤٩.

ومن هذه الآيات التي اقترن فيها معنى الريح بالعذاب قوله تعالى: ﴿فَتَخطَفُهُ ٱلطَّيرُ أَو تَهوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

والآية الكريمة تتناول عقوبة الكافر، الذي أهلك نفسه إهلاكاً لا نهاية بعده، فشبه حاله بحال من خرَّ من السماء، فاختطفته الطير، أو عصفت به الريح، في مكان بعيد(١).

والذي خرّ من السماء سقط منها، إلى أن تخطفه الطير فتقطعه في الهواء، أو تهوي به الريح، بمعنى تهلك بأثرها من هوى في ذلك المكان البعيد(٢).

وبذا نجد أن فعل الريح هنا جاء متممًا لصورة العذاب الذي يلحق بالكافر المُعرض عن ذكر الله.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِذ جَاءَتكُم جُنُودٌ فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَّم تَرَوهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

نزلت الآية الكريمة في سياق الحديث عن العذاب الذي ألحقه الله بالأحزاب، "في يوم الخندق وهو يوم الأحزاب"(٣)، فالجنود المذكورون في أول الآية هم الأحزاب الذين تكاتفوا لحرب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهم قريش وغطفان وبنو قريظة(٤)، وكانت عقوبتهم أن أرسل الله عليهم ريحًا هدمت بيوتهم، وأطفأت نيرانهم، وقلبت قدورهم، لم تمكنهم من قرار، وأرسل الله مع الريح (جنودًا) أي ملائكة تعينها وتفعل فعلها(٥).

(١) انظر الكشاف، ج٣/١٥٥.
(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٦٣٨.
(٣) معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/٣٣٦.
(٤) انظر إعراب القرآن ومعانيه، الزجاج، ج٤/٢١٧.
(٥) انظر البحر المحيط، ج٨/٤٥٧.

وكانت هذه الريح أعظم دليل للنبي (صلى الله عليه وسلم) على أن الله عز وجل أرسل على أعدائه ريحًا شديدة البرد أضرَّت بهم، والمؤمنون قربهم لم يلحقهم منها أذى[١].

وبذا نجد أن الريح المذكورة في الآية سخرها الله تعالى لإلحاق العذاب بأعداء الدين، وتحقيق النصر للرسول والمسلمين.

من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا صَرصَرا فِي أَيَّام نَّحِسَات﴾ [فصلت: ١٦].

نزلت الآية الكريمة في (عاد) بدليل الآية التي سبقت وهي: ﴿فَأَمَّا عَاد فَٱستَكبَرُواْ فِي ٱلأَرضِ﴾ [فصلت: ١٥]، و(عاد) من الأقوام التي كفرت وكذبت رسولها؛ ولذا أرسل الله عز وجل عليهما العقاب، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا صَرصَرا﴾ [فصلت: ١٦]، واختار الله عز وجل لهذه العقوبة الريح الصرصر.

وتعددت معاني (صرصر)، فذكر الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، أنها الباردة التي تحرق كما تحرق النار[٢]، وذكر أبو عبيدة (ت٢١٠هـ)، أنها الشديدة الصوت العاصف[٣]، وهي كما ذكر الزمخشري (ت٦٠٦هـ) العاصفة التي تصوت في هبوبها[٤]، وذكر ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) أنها قد تكون من (الصرة) وهي الصيحة[٥]، وجميع هذه المعاني تدل على شدة وقوة هذه الريح؛ لتكون العقوبة التي نزلت بهم من جنس غرورهم بقوتهم[٦].

(١) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٣٠٥.
(٢) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٣/١٣.
(٣) انظر مجاز القرآن، ج٢/١٩٦.
(٤) انظر الكشاف، ج٤/١٩٣.
(٥) انظر البحر المحيط، ج٩/٢٩٥.
(٦) انظر تفسير ابن كثير، ج٦/١٦٧.

ولتحقيق هذه العقوبة النازلة بهم بـ(الريح) أرسلها الله عز وجل عليهم في أيام نحسات، ومعناها "أيام مشؤومات"[1]، مما يجعل تأثيرها في نفوسهم أشد وأقسى.

ومن الآيات التي ارتبط فيها معنى الريح بالعذاب قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

نزلت هذه الآية في عاد[2]، وقد استبشروا بقدوم المطر والخير الذي يحمله[3] كما يفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

غير أن الحقيقة لم تكن كما شاءوا من مطر يحمل الخير، بل كانت كما في قوله تعالى[4]: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

ومن هنا حدث الأمر الذي لم يكن في حسبانهم، ففي الوقت الذي ظنوا فيه بنزول المطر، وفرحهم بقدومه نزل بهم العذاب.

وكان عذابهم بالريح التي نشأت من (العارض) أي السحاب الذي شاهدوه[5].

وملخص القول: إن اختلاف التفسير لـ(الريح) تبعاً لقراءتها بالرفع والنصب لا ينفي معنى التسخير فيها، فحسب ما جاء في القراءتين أراد الله عز وجل أن يبين تسخيرها لسليمان تسير بحسب مشيئته بقدرة الله، وهي بذلك من معجزاته، وممّا فضّله الله به على العالمين.

(١) إعراب القرآن، النحاس، ج٤/٥٤، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٣٨٢.
(٢) انظر الدر المنثور، ج٦/١٥.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٦/٢٨٧.
(٤) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٣/٥٥.
(٥) انظر فتح القدير، ج٥/٢٣.

أمّا وصف هذه الريح المسخَّرة لسليمان (عليه السلام) بقوله (عاصفة)، وفي موضع آخر وصفها بقوله: ﴿رخاء﴾ [سبأ: ١٢]، فسأناقشه عند مناقشة تفسير (الريح) في الآية ١٢: من سبأ، وأرجأت الحديث فيها هنا تجنباً للتكرار.

ومن الآيات التي ورد فيها الريح بمعنى التسخير قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢].

وقد جاءت (الريح) في الآية الكريمة بقراءتين: النصب، والرفع، والنصب هو قراءة أكثر القراء[١]، وهو على معنى (وسخرنا لسليمان الريح)[٢]، وجعله بعض المفسرين على معنى (وألنَّا لسليمان الريح) نسقاً على (وألنَّا له الحديد)[٣]، والرفع على معنى (ثبتت له الريح) مؤول في معناه إلى معنى (سخرنا الريح)[٤]، أو على إضمار الخبر.

وأول معرفتهم بأن هذه الريح ريح عذاب رأوا رحالهم ومواشيهم تطير بين السماء والأرض كالريش، فدخلوا بيوتهم، وأغلقوا أبوابها، وكان من شدة تأثير هذه الريح أن فتحت الأبواب، وغمرتهم بالرمل، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم صوت أنين، فأمر الله عز وجل الريح، فكشفت عنهم الرمل وقذفت بهم في البحر، هالكين[٥].

وبذا تحقق الغرض الذي أرسل الله عز وجل الريح من أجله وهو العذاب الشديد الذي يصعب على العقل تصوّر تفاصيل أثره في قوم عاد الكافرين. ومن

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٢٤٥.
(٢) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/٣٥٦.
(٣) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٣٣٥.
(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٢٤٥.
(٥) انظر الدر المنثور، ج٦/١٥.

هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

وقد تقدم ذكر العذاب الذي نزل بعاد في الآيات التي سبق وأوضحتها بواسطة الريح.

وفي هذه الآية وصفت الريح بـ(العقيم)، "وهي التي لا خير فيها ولا بركة"(١)، وهي "التي لا يكون معها لقحْ، أي لا تأتي بمطر، وإنما هي ريح الإهلاك"(٢)، وقيل هي: "المفسدة التي لا تنتج شيئاً"(٣)، و"التي لا تنبت"(٤).

وجميع المعاني التي ذكرت في معنى (عقيم)، تدل على انعدام الخير، بمختلف أشكاله كالمطر والنبات وغيرها، وجلب الفساد، وتحقيق الهلاك لمن أرسلت إليه؛ وبذا تحقق بها هلاك عاد، كما شاء الله عز وجل. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩].

وقد نزلت في عاد، وتقدم الحديث حول عذابهم بـ(الريح الصرصر) في سورة: فصلت:١٦، في موضع سابق من هذا البحث، وأوضحت فيه معنى صرصر(٥).

وأرسلت هذه الريح عليهم في (يوم نحس)، وقيل: النحس الشديد(٦)، وهو المشؤوم(٧)، و"البلاء والشدة"(٨)، ولم ينزل العذاب في يوم نحس وحسب، وإنما هو يوم نحس (مستمر)، فهو "دائم الشؤم"(٩)، "استمر

(١) فتح القدير، ج٥/٩٠.
(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٥/٥٦.
(٣) تفسير ابن كثير، ج٦/٤٢٣.
(٤) الدر المنثور، ج٦/١٤٠.
(٥) انظر ص (٧) من هذا البحث.
(٦) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٤/٢٩١.
(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٥/٨٨.
(٨) الدر المنثور، ج٦/١٨١.
(٩) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٥/٨٨.

عليهم شره"[1]، وقد يكون المراد به (المستمر): الشديد المرارة والبشاعة[2]، اتصف باستمرار دماره وشره؛ لأنه يوم تحقق فيه اتصال عذابهم الدنيوي بالأخروي[3].

وهكذا لمّا أرسلت هذه الريح المهلكة الباردة الشديدة، في يوم مشؤوم مستمر بما فيه من دمار وشر، عذبت عادًا بقدومها إلى أن أهلكتهم.

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٦].

تؤكد هذه الآية مرة أخرى عقاب عاد (قوم هود (عليه السلام)) جزاء لهم على كفرهم بالريح التي أرسلت إليهم.

وقد سبق ذكر معنى وصفها (صرصر) في موضع سابق من هذا البحث[4].

ووصف الله عز وجل هذه الريح بوصف ثانٍ، وهو قوله: (عاتية)، وقد ذكر المفسرون معاني متعددة لها فقوله: "عاتية زائدة على مقدار هبوبها"[5]، وشديدة الهبوب، عتت على عاد، فلم يقدروا على ردّها بأية حيلة، كاستتار ببناء، أو احتماء بجبل، أو اختفاء في حفرة، فكانت تنزعهم من أماكنهم وتقضي عليهم[6]، بلا رحمة[7]، وقيل: (عاتية) التي "عتت على خزانها فخرجت بغير مقدار"[8]؛ مما يؤكد شدتها، وقيل: هي "الغالبة"[9]، ولعلّ من ذهب إلى هذا

(١) الدر المنثور، ج١٨١/٦.
(٢) انظر الكشاف، ج٤٣٦/٤.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤٧٥/٦.
(٤) ص (٧) من هذا البحث ////////////////.
(٥) إعراب القرآن، النحاس، ج١٩/٥.
(٦) انظر الكاشف، ج٥٩٩/٤.
(٧) انظر تفسير ابن كثير، ج١٠٠/٧.
(٨) البحر المحيط، ج٢٥٥/١٠.
(٩) الدر المنثور، ج٤٠٥/٦.

المعنى تنبّه إلى الغرض والغاية من إرسالها في تحقيق الغلبة على أعداء الله، وإهلاكهم.

وجميع ما تقدم من معان لـ(عاتية) يحمل معنى تجاوز الحد في التأثير والشدة، التي يصل تأثيرها الى حد الإهلاك والموت، ولا يخفى ما يحمله تكرار الحديث حول العقاب الذي أنزله الله عز وجل بعاد في غير موضع في القرآن الكريم من معان عظيمة تتضمن تثبيت قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) وترسيخ عقيدته، وإعانته على الصبر وتحمل أذى الكافرين، وتأكيد نصر الله عز وجل لرسله الذين حُمِّلوا أمانة نشر رسالته في الأرض، وتثبيت المؤمنين الذين نصروا دين الله عز وجل على دينهم، ذلك أن توضيح شدة عقوبة من كفر بالله ورسله من الأمم السابقة، يقوي عزيمة هؤلاء المؤمنين، ويرسخ إيمانهم؛ لأنهم سيدركون أن الله سيضاعف ويبارك جزاءهم بالخير، وبما وعدهم من جنات ومغفرة، تماماً كما صدق وعده، ويصدق وعده في إنزال أشد عقوبة بالكافرين الذين تمادوا في عصيانه، وتكذيب رسالته، وفي ذلك أيضًا ردع للكافرين وإرهابهم؛ ليعلموا أن مَنْ عصى الله لن يفلت من عقابه.

ثانياً: جاءت كلمة (الريح) في بعض الآيات لتوضيح حالات معيَّنة، تتضح من خلال كل آية، وردت فيها كلمة (الريح)، وتدل على معنى يتضمن الضرر والبعد عن الخير، وتتضح هذه المعاني التي ارتبطت بوصف الريح من خلال الآيات الآتية:

أ- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ [آل عمران: ١١٧].

تتحدث الآية الكريمة عمّا ينفقه الكافرون في الدنيا، وضرب له مثلاً يقتضي بطلانه، وذهابه دون عوض[١]، فمثل ما ينفقه الكافرون في بطلانه وعدم الانتفاع، كمثل زرع أصابته ريح فيها (صِرّ)[٢]، شديدة البرد أو النار، ممّا يتسبب في إهلاكه وعدم انتفاع أصحابه بشيء منه، بعد أن طمعوا بتحقيق النفع والفائدة منه[٣].

ولم يتحقق لهم خير من إنفاقهم؛ لأنهم قصدوا به كسب الثناء، وحسن الذكر ولم يقصدوا به وجه الله عز وجل[٤].

وتقدير ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ [آل عمران: ١١٧]، كما يرى النحاس (ت٣٣٨هـ)، "كمثل مهلك ريح"[٥]، ولعلّ هذا التقدير ينبئ بالهلاك والأذى الذي حملته الريح.

ب- ومن الآيات التي وصف الله عز وجل فيها حال الكافرين من خلال توظيف الريح قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

تتناول الآية الكريمة أعمال الكافرين التي قصدوا بها الخير من صلة الأرحام، وعتق الرقاب، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف وغيرها من أفضال بأنها في انعدام الفائدة منها وذهابها، كالرماد الذي طيّرته الريح[٦]، فهم لا يتمكنون من الانتفاع بأعمالهم كما لا يُتمكن من الرماد

(١) انظر البحر المحيط، ج٣/٣١٤.
(٢) الصِرّ بالكسرة، والصرة شدة البرد، وقيل: هو البرد عامَّة، لسان العرب، ج٤/٤٥٠ باب (صِرّ).
(٣) انظر فتح القدير، ج١/٣٧٤.
(٤) انظر الكشاف، ج١/٤٠٥.
(٥) إعراب القرآن، النحاس، ج١/٤٠٢.
(٦) انظر الكشاف، ج٢/٥٤٧.

الذي حملته الريح العاصفة[1]؛ وذلك لقيامها على أساس لا يرتبط بمرضاة الله والإيمان به[2].

ومن الواضح فيما سبق من تفسير لمعنى الآية أن تأثير (الريح) هنا تأثير سلبي يتضمن إلحاق الضرر، وإذهاب النفع، وقد اكتمل التعبير عنه بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، "أي ذي ريح شديدة عاصفة قوية"[3].

وقد يقول قائل: بأن الضرر إنما تحقق من: العصوف الذي هو صفة لليوم وليس للريح، فأردّ بما يلي: أولاً: ذكر أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) في تفسيره لـ(عاصف) بأن العرب حين تقول (عصف يومنا) تقصد اشتدت الريح فيه[4]، ثانياً: ما ذهب إليه الفرّاء (ت٢٠٧هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، إذ يقول: جاء (عاصف) هنا صفة لليوم في إعرابه، والعصوف للريح: وهذا يجوز على وجهين: الأول: أن العصوف وإن كان للريح فاليوم يوصف به؛ لأن الريح تكون فيه؛ ولذا جاز قولنا)يوم عاصف) كما جاز(يوم بارد) و(يوم حار)، والثاني: أن يكون المقصود (يوم عاصف الريح)، فحذف (الريح) لذكرها في أول الكلام[5].

وبهذا يثبت بأن إلحاق الضرر بالكافرين تحقق بعون الله بالريح العاصفة.

(١) انظر فتح التقدير، ج١٠٢/٣.
(٢) انظر الكشاف، ج٥٤٧/٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ج١١٧/٤.
(٤) انظر مجاز القرآن، ج٣٣٩/١.
(٥) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/(٧٣-٧٤).

ج- ومن الآيات التي وصفت حال الكافرين بذكر الريح قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن أَرسَلنَا رِيحا فَرَأَوهُ مُصفَرّا ﴾ [الروم: ٥١].

تتحدث الآية الكريمة عن حال ابن آدم، وتصف جحوده للنعم، بأنه إذا رأى الغيث، استبشر وفرح به؛ لما يسببه من إنبات الزرع، وإذا بعث الله ريحًا، اصفرَّ بها هذا الزرع كفر بالله وجحد نعمه[١].

والريح التي تجعل النبات مصفرًّا قد تكون (حرورًا)[٢]،أو (احرنجمًا)[٣]، وكلتاهما تجعل النبات يابسًا ثم يصبح هشيمًا[٤].

وقد اختلف في تفسير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿ فَرَأَوهُ مُصفَرّا ﴾ [الروم: ١٢]، والمقصود بها كما يرى أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) النبات[٥]، وقيل: التقدير فرأوا السحاب[٦]، "لأن السحاب إذا اصفرّ لم يمطر"[٧]، وقيل: الضمير عائد على الريح[٨].

والتفسيران الأخيران ضعيفان في ما يرى أبو حيان (ت٧٥٤هـ)[٩]، وأرى ما يراه؛ بأن الأرجح أن الضمير عائد على النبات؛ يتضح هذا من سياق الآية الكريمة التي سبقت قوله تعالى: ﴿ فَرَأَوهُ مُصفَرّا ﴾ [الروم: ٥١]، وفيها يقول تعالى: ﴿ فَٱنظُر إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحمَتِ ٱللَّهِ كَيفَ يُحيِ ٱلأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا ﴾ [الروم: ٥٠]، فرحمة الله التي تحيي الأرض هي (الغيث)، وآثاره النبات الذي ينتفع به الإنسان.

(١) انظر البحر المحيط، ج٢/٤٠٠.
(٢) الحرور: الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار، لسان العرب، ج٤/١٧٧(حرّ).
(٣) المحرنجم: "المجتمع، العدد الكثير"، لسان العرب، ج١٢/١٣٠، (حرجم) والكثرة هنا تدل على شدة الريح.
(٤) انظر الكشاف، ج٣/٤٨٥.
(٥) انظر مجاز القرآن، ج٢/١٢٥.
(٦) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٢٧٧.
(٧) البحر المحيط، ج٨/٤٠٠.
(٨) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٢٧٧.
(٩) انظر البحر المحيط، ج٨/٤٠٠.

والقول بأن الضمير (الهاء) عائد على الريح، يضعف حسب ظني من جهة تذكيره، فـ(الريح) وردت في القرآن الكريم مؤنثة، بدليل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقوله: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وغيرهما من الآيات، فلو كان الضمير عائداً على (الريح) لقال تعالى: (فرأوها)، وبهذا يضعف القول بأن الضمير عائد على (الريح).

أمَّا القول بأن (الهاء) عائدة على السحاب فيضعف بذكر (الريح) قبله في الآية؛ لما ثبت من تأثير الريح على النبت بإفساده وإهلاكه، فارتباط أثر الريح على النبت أقوى وأثبت من ارتباط أثر الريح على السحاب.

كل هذا - حسب ظني - يقوِّي القول بأن الضمير (الهاء) عائد على النبات ويضعف ما سواه، وبالتالي يثبت الأثر السلبي للريح المتضمن لمعنى الإضرار والإفساد لنعمة من نعم الله تمثلت بما تنبته الأرض من زرع؛ في سياق الحديث حول الجحود والكفر الذي يظهره البشر إذا فقدوا نعمة من نعم الله التي كانوا يستبشرون بوجودها وينعمون بخيرها، وكان حريًا بهم أن يصبروا على ما أصابهم من ابتلاء بفقدانها.

ثالثاً: جاءت كلمة (الريح) في بعض الآيات ترتبط بمعنى التسخير، أي أنها مظهر من مظاهر الطبيعة سُخِّر لخدمة الإنسان، وهي في جميع الآيات مرتبطة بسليمان (عليه السلام)؛ لأن الله سخرها لتجري بأمره كما يشاء.

وأول هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [الأنبياء: ٨١].

ويتضح معنى التسخير للريح في الآية من خلال القراءات التي جاءت بها، فمن قرأ (الريح عاصفة)، بنصب الريح فهي عطف على الجبال المذكورة في

الآية السابقة لهذه الآية وفيها: ﴿وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلجِبَالَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، والمعنى (وسخرنا مع داود الجبال وسخرنا لسليمان الريحَ)، وهذا التفسير في نصب الريح أجمع عليه غير واحد من المفسرين[١]، وعاصفة حسب هذا التفسير منصوبة على الحال، العامل فيها سخرنا[٢]، وقد أوضحت معناها في موضع سابق من هذا البحث، ويتضمن الريح الشديدة القوية[٣].

ومن قرأ (الريح)[٤] مرفوعة جعلها مبتدأ، فإن ﴿وَلِسُلَيمَنَ ٱلرِّيحَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، كقولنا (لزيد مال)، و(الريح) حسب هذا الإعراب أيضاً تدل على معنى التسخير؛ لأن الله عز وجل قال بعدها: ﴿تَجرِي بِأَمرِهِ إِلَى ٱلأَرضِ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وفي هذا دليل على أن الله عز وجل سخرها له[٥]، وعاصفة حسب هذه القراءة حال العامل فيها ما يتعلق به الجار[٦].

والتقدير (ولسليمان الريحُ مسخرة)، أو برفع الريح على الابتداء والخبر في المجرور المتقدم عليها[٧].

وسواء كان تقدير الريح على النصب أو على الرفع فهي لا تخلو من معنى التسخير، وتسخيرها خاص بسليمان (عليه السلام) بإذن الله.

وفي هذه الآية -إلى جانب معنى التسخير- صفة لهذه الريح تتضح من قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهر وَرَوَاحُهَا شَهر﴾ [سبأ: ١٢]، والمعنى أن جريها الغداة يقدّر شهر، وجريها بالعشيّ كذلك[٨]، ومعنى هذا أنَّ مسيرَها شهرين

(١) انظر معاني القرآن، الزجاج، ج٣/٤٠٠، وانظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٧٦، وانظر البحر المحيط، ج٧/٤٥٧، وانظر تفسير ابن كثير، ج٤/٥٧٩.
(٢) انظر البحر المحيط، ج٧/٤٥٧.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/١١٧.
(٤) وهي قراءة عبد الرحمن الأعرج والسلمي وأبي بكر، انظر فتح القدير، ج٣/٤١٩.
(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٣/٤٠١.
(٦) انظر البحر المحيط، ج٧/٤٥٧.
(٧) انظر البحر المحيط، ج٨/٥٢٦.
(٨) انظر الكشاف، ج٣/٥٧٢.

يتم في يوم واحد[1] وهذا يؤكد ما أراده الله في هذه الريح من إعجاز وفضل لسليمان (عليه السلام) بتسخيرها له.

ومن الآيات التي وردت فيها كلمة الريح بمعنى التسخير قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجرِي بِأَمرِهِ رُخَاءً حَيثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

فمن الواضح أن تسخير الريح لسليمان (عليه السلام) جاء مباشرًا بقوله تعالى: ﴿فَسَخَّرنَا﴾، وبالتالي امتنع ضبط الريح بغير النصب.

وجاء تسخير الريح الواضح من قوله (فسخرنا) يتضمن تطويع هذه الريح وجعلها منقادة لأمر سليمان (عليه السلام)[2]، ويمثل المرحلة الأولى في التسخير، أما قوله (تجري بأمره) بمعنى أنها تطيعه إذا أراد جريها[3] فجاء متممًا ومكملًا لمعنى التسخير؛ كي لا يتبادر إلى الذهن أن الريح قد لا تنصاع لأمر سليمان ولو مرة واحدة؛ فهي مطيعة له دومًا وبصورة مطلقة بإذن الله.

وقوله عز وجل: ﴿رُخَاءً﴾[ص: ٣٦]: أي أن هذه الريح لينة، ليست عاصفة[4]، وقيل: هي المطيعة التي لا تمتنع عليه[5]، وقيل: "هي التي "ليست عاصفًا ولا ليِّنة، وإنما هي بينهما"[6].

وفي موضع سابق من هذا البحث عند تناولي لقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجرِي بِأَمرِهِ﴾[الأنبياء: ٨١]، ذكرت أن الريح وصفت بقوله تعالى (عاصفة) وفي قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجرِي بِأَمرِهِ رُخَاءً﴾[ص: ٣٦]، وصفت الريح نفسها المسخرة لسليمان (عليه السلام) بأنها رُخاء، فكيف

(١) انظر الدر المنثور، ج٥/٤٢٧.
(٢) انظر فتح القدير، ج٤/٤٣٣.
(٣) انظر البحر المحيط، ج٩/١٥٧.
(٤) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/٣٦.
(٥) انظر الكشاف، ج٣/٩٠.
(٦) الدر المنثور، ج٥/٥٨٧.

تكون عاصفة تارة ورخاء أخرى والمعنيان متغايران؟، والجواب يتضمن تفسيرين إمّا أن تجمع بين الأمرين، فتكون رخاء ليِّنة في نفسها، عاصفة في عملها مع هبوبها على حسب ما يريد سليمان (عليه السلام)، وإمَّا أنها لا تجمع بين الأمرين، وإنما تكون في وقت (رخاء)، وفي وقت (عاصف) حسب إرادة سليمان (عليه السلام)[1].

وهناك آية واحدة جاءت في سياق إثبات قدرة الله عز وجل، وهي قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٣].

ولا يخفى ما في الآية الكريمة من دليل على قدرة الله عز وجل، تمثل في تطويع الريح لإرادته ومشيئته.

فبواسطة الريح يسيّر الله عز وجل السفن في البحر، ولو سكنت بمشيئته لبقيت راكدة لا تجيء ولا تذهب بل واقفة على وجه الماء[2].

ولا تخلو الآية الكريمة من معنى التسخير إذ إنَّ الله سخّر الريح لخدمة الإنسان؛ لقضاء مصالحه؛ بارتحاله وتجارته وقضاء كل ما يبغيه من التنقل عبر البحر؛ ليتمَّ عليه نعمه، غير أن السياق الذي وردت فيه يتضمن الآيات التي تدل على قدرته عز وجل وفيها توضيح لمشيئته في إيقاف حركة الريح، فلا يقدر على هذا أحد سواه عز وجل، وفي هذا إثبات لوحدانيته وإبداعه في ما خلق.

وإن قيل بم تختلف هذه الآية عن الآيات التي ورد فيها معنى (التسخير) أقول: تلك الآيات جاءت خاصة بتسخير الريح لسليمان (عليه السلام) دون غيره من البشر؛ لبيان المعجزات التي كرم الله بها رسله، وهي لا تخلو من

(١) انظر الكشاف، ج٣/١٣٠.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٦/٢٠٦.

إثبات قدرة الله عز وجل وبيان إعجازه، غير أن معنى التسخير فيها غالب وواضح أكثر، كما بيَّنت في شرح الآيات، أمَّا هذه الآية وإن كانت الريح فيها لا تخلو من معنى التسخير فإنها جاءت في سياق إثبات وحدانيّة وقدرة الله عز وجل، بدليل قوله تعالى في نهاية الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣].

رابعاً: وهناك آيات وردت فيها كلمة (الريح) تحمل في كل آية معنى خاصًّا حسب السياق الذي وردت فيه، وهي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

الخطاب في الآية للمؤمنين، أمرهم الله بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن التخاصم، وإن لم يلتزموا بأمره فشلوا بالجبن عن لقاء العدوّ وهزموا وذهبت ريحهم(١).

وتعددت معاني الريح في الآية، وتلخصت في ما يلي:

أ. الدولة، والمعنى تذهب دولتكم(٢)، إذ شبهت الدولة في نفوذ أمرها، بالريح وشدة هبوبها.

ب. فيقال(٣): "هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره"(٤).

ج. القوة، أي تذهب قوتكم(٥).

د. النصر، أي يذهب نصركم(٦).

(١) انظر البحر المحيط، ج٥/٣٣٢.
(٢) انظر مجاز القرآن، ج١/٢٤٧.
(٣) انظر الكشاف، ج٢/٢٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ج٢/٢٢٦.
(٥) انظر تفسير ابن كثير، ج٣/٣٣٠.
(٦) انظر الدر المنثور، ج٣/٣٤٣.

وكما نلحظ فإن هذه المعاني متقاربة، يجمع بينها معنى الغلبة والانتصار وعلوّ الشأن.

ومما لاشك فيه أن الله عز وجل إذا ألزم عباده المؤمنين بأمر فإنما يكون ذلك لخيرهم وصلاحهم في الدنيا، وفوزهم في الآخرة، وإن لم يفعلوا حذّرهم من نتيجة تقصيرهم، ففي الآية إلزام للمؤمنين بطاعته عز وجل، وإن لم يلتزموا فشلوا وضعفوا وهزموا بذهاب انتصارهم وعلوّ شأنهم وما تتضمنه من معنى القوة، وهي معان تفهم كلها من كلمة ﴿ رِيحُكُم ﴾ [الأنفال: ٣٦].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُم فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ حَتَّى إِذَا كُنتُم فِي ٱلفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ ٱلمَوجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِم دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ. . . . ﴾ [يونس: ٢٢].

قد يتبادر إلى الذهن عند القراءة الأولى للآية الكريمة أن الله عز وجل ذكر الريح في سياق حديثه عن تسخيرها لخدمة الإنسان إلى جانب تسخيره للبر والبحر وتمكين الإنسان من الإفادة منهما لقضاء شؤونه وتسهيل حياته، والحقيقة أن الآية لا تخلو من معنى التسخير، غير أن الغاية التي ذكرت من أجلها الريح أبعد من هذا المعنى وتتمثل في توضيح أحوال البشر.

ذلك أن الناس إذا أصابهم الضرر لجأوا إلى الله عز وجل وإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى طبعهم من إهمال ذكر الله، وارتكاب الظلم الذي نهى عنه الله عز وجل[1].

ولما كان الخوف في البحر أكثر على الإنسان منه في البر جاء المثال به للتعبير عن هذا المعنى الكلي المتمثل في التجاء العبد لربه تعالى حال الشدة

(١) انظر البحر المحيط، ج٦/٣٢.

والإهمال لجانب حال الرخاء[1].

وبهذا فالريح الطيبة وهي اللينة التي توافق رغبة الإنسان عند هبوبها[2]، وظفت في الآية الكريمة لتدل على حال البشر في الرخاء، فهم لا يذكرون الله حينها ولا يعملون ما يأمر به، بل يرتكبون ما حرّمه ونهى عنه.

وأمَّا الريح العاصف والتي تشتد عند هبوبها[3]، ولا توافق رغبة البشر، وتعصف بهم حتى تكاد تهلكهم، فوظفت هنا للتعبير عن حالهم في الشدة، بذكرهم لله ودعائهم له والالتجاء إليه، طلباً للنجاة، فإذا ما استجاب لدعائهم عادوا إلى ظلمهم وطغيانهم بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُم إِذَا هُم يَبغُونَ فِي ٱلأَرضِ بِغَيرِ ٱلحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣].

وبهذا نجد الطباق في وصف الريح بِـ(طيبة) و(عاصف) جاء معبرًا تعبيرًا تامًا عن حال البشر وتقلب فعلهم، وعدم التزامهم بما أمر الله، والكشف عمّا في نفوسهم وتوضيح انعدام صدقهم في التعامل مع الله عز وجل.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلعِيرُ قَالَ أَبُوهُم إِنِي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤].

جاءت كلمة الريح في سياق قصة يوسف (عليه السلام)، بعد أن التقى بإخوته في مصر، وبعد أن عرفوه، ودعا لهم بالمغفرة، وطلب منهم أن يأخذوا قميصه ويضعوه على وجه أبيه، فيرتدّ -كما أخبرهم- بصيراً، حسب ما جاء في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة[4].

ولما خرجت العير هبَّت ريح فأتت يعقوب (عليه السلام) بريح قميص

(١) انظر نفسه، ج٦/٣٣.
(٢) انظر البحر المحيط، ج٦/٣٢.
(٣) انظر فتح القدير، ج٢/٤٣٤.
(٤) يوسف: (الآيات ٩٢-٩٣).

يوسف فقال[1]: ﴿إِنِي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤]، وقيل: وجد هذه الريح من مسيرة ستة أيام، وقيل من مسيرة سبعة أيام[2]، وقيل من مسيرة ثمانية أيام[3]، وقيل من مسيرة عشرة أيام، وقيل من مسيرة ثلاثين يوماً[4]، وقيل: كانت مدة فراق يوسف (عليه السلام) عن أبيه سبعة وسبعين عاماً[5].

من كل ما تقدم يتضح أن معنى الريح في الآية الكريمة (الرائحة)، وليست الرائحة وحسب وإنما الرائحة الزكية العطرة؛ ذلك لأن هذه الريح (ريح يوسف) كانت سببًا في ارتداد بصر يعقوب (عليه السلام)؛ لأنها دليل على أن يوسف مازال حيًّا، وبهذا تحقق الفرج والفرح ليعقوب والد يوسف عليهما السلام؛ ونال جزاء صبره ما يزيد على سبعين عامًا.

ولعلّ ما يؤيد القول بأن الريح بمعنى الرائحة الزكية العطرة ما "قال مجاهد: صفقت الريح القميص فراحت روائح الجنة في الدنيا، واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلاَّ ما كان من ذلك القميص"[6].

فمن الواضح من خلال هذا النص أن الريح التي أتت من قميص يوسف وأحسّ بها يعقوب والده، وجدها من روائح الجنة، ولا يوجد غيرها في الدنيا، وهل ينبثق من ريح الجنة إلا الطيب والعطر؟.

إلى جانب هذا كله فإن السياق الذي وردت فيه (الريح) في الآية جاء متضمنًا للإعجاز الذي يرتبط بذكر الأنبياء عليهم السلام؛ وذلك بأن

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٤٧.
(٢) انظر الدر المنثور، ج٤/٦٦.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٤٧.
(٤) انظر البحر المحيط، ج٦/٣٢٣.
(٥) انظر نفسه، ج٦/٣٢٣.
(٦) البحر المحيط، ج٦/٣٢٣.

الريح المنبعثة من قميص يوسف (عليه السلام) كانت سببًا في ارتداد بصر أبيه يعقوب (عليه السلام)؛ لأنها دليل لديه على بقاء يوسف (عليه السلام) حيًّا؛ وانبعاث هذه الريح في الدنيا من الجنة بإذن الله، ومعرفة يعقوب النبي لهذا، لما أوتي من وحي من الله عز وجل.

المبحث الثاني

المعنى الدلالي لـ (الرياح) في القرآن الكريم

جاءت كلمة (الرياح) في سياقات عديدة في القرآن الكريم، وهي:

أولاً: إثبات وحدانية الله عز وجل من خلال تسخيرها بقدرة الله بصورة مطلقة دون تحديد لغرض هذا التسخير، ومن الآيات التي وردت فيها:

١- قوله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وفي تصريف الرياح وإرسال السحاب وغيرها من الآيات أدلة على قدرة الله عز وجل وإثبات لوحدانيته[١].

وتصريف الرياح معناه أنها في هبوبها تأتي جنوبًا و شمالًا، وقبولًا ودبورًا[٢]، "وفي أحوالها حارّة، وباردة وعاصفة وليِّنة وعقمًا ولواقح"[٣]، "وقيل: تصريفها أن تأتي السفن الكبار بقدر ما يحملها، والصغار كذلك"[٤]، وقيل: التصريف إرسالها للنصر أو للهلاك[٥]، وهي تارة تأتي للرحمة وتارة تأتي للعذاب[٦].

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج١/٢٣٧.
(٢) انظر معاني القرآن، الفراء، ج١/٩٧.
(٣) الكشاف، ج١/٢١٠.
(٤) البحر المحيط، ج٢/٨١.
(٥) انظر فتح القدير، ج١/١٦٤.
(٦) انظر تفسير ابن كثير، ج١/٣٥٤.

ومن خلال ما تقدم من معان لمعنى (تصريف الرياح) يتضح لنا أنه يتضمن تسخيرها بقدرة الله عز وجل كيف شاء له أن يسخرها بخير أو شر، منفعة أو ضرر، حسب إرادته للغرض الذي بعثها من أجله، وفي كل هذا دليل على وحدانيته وقدرته عز وجل.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٥].

ويقال فيها ما قيل في الآية السابقة.

ثانياً: وردت كلمة (الرياح) لتوضيح قدرة الله عز وجل بتسخيرها للرحمة والخير للبشر في عدد من الآيات، وهي:

١. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ [النمل: ٦٣].

هذه الآيات الكريمة جمعيها تؤكد قدرة الله عز وجل التامة وسلطانه العظيم من خلال إرساله الرياح[(١)].

أمَّا قوله (بُشْرا)[(٢)] فإذا قرأت بالتنوين وتسكين الشين فهي جمع، بمعنى أنها مبشرات تبشر بالغيث، وقرئت (بُشُرا)[(٣)] بضم الشين والتنوين، فهي بمعنى الجمع أيضًا، وإذا قرئت (بُشرى)[(٤)] بضم الباء بغير تنوين فهي بمعنى البشارة[(٥)]، و(بَشْرا)[(٦)] بفتح الباء أي مبشرات[(٧)].

وقرئت (نَشَرا) بفتح النون والشين ومعناه الإحياء الذي ينشر

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٥/١٥٦.
(٢) قرأ عاصم بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين، انظر النشر في القراءات العشر، ج٢/٢٧٠.
(٣) ورويت عن عاصم، وهو جمع بشيرة، انظر البحر المحيط، ج٥/٧٧.
(٤) وقرأ ابن السميقع وابن قطيب بشرى بألف مقصورة كرجعى وهو مصدر، انظر نفسه، ج٥/٧٧.
(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٧١.
(٦) وهي قراءة السلمي ورويت عن عاصم، انظر البحر المحيط، ج٥/٧٧.
(٧) انظر معاني القرآن، الفراء، ج١/٣٨١.

السحاب وفيه المطر، الذي فيه حياة كل شيء، وقرئت (نُشُرا) بضم النون والشين فهي جمع (نشور) و(نُشر)[1]، "والنُشُر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب"[2]، وهي "متفرقة من كل مهبّ وجانب وناحية"[3]، وإذا قرئت بإسكان الشين (نشْرا) أسكن الشين للخفة وهي بمعنى (نُشُرا)[4].

ويتضح من خلال المعاني التي تقدمت لقراءة (بشرا) بالباء والنون أنها كلها تدل على الخير والرحمة للبشر، فإذا كانت بالباء(بشرا) فهي تبشر البشر بقدوم المطر الذي فيه حياة لهم وإذا كانت (نشرا) ففيها معنى الإحياء والخير المرتبط بقدوم المطر.

ولم يختلف القراء في نصبها في جميع قراءاتها، وهي منصوبة على الحال[5]، وهذا الإعراب يتفق والمعنى الذي ذكرناه، فالله عز وجل أرسل الرياح في حال كونها (بشراً) أو (نشراً) وفي كل منهما خير ور حمة كما تقدم.

أمَّا قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فمعناها أمام نعمة الله وهي المطر، الذي هو من أعظم النعم وأفضلها أثراً، وفي قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ [الأعراف: ٥٧]، تشبيه للمطر بإمام الرحمة على سبيل الاستعارة[6]؛ فهو أول الرحمة، ورأسها وأهمها وأكثرها خيرًا للإنسان، وقد جاء هذا التعبير عن المطر بالاستعارة من أدقّ التعبيرات وأجملها في وصف أثره الطيب، وخيره العظيم.

(١) انظر معاني القرآن، الزجاج، ج٤/٧٠، "قرأ ابن عامر بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأ الباقون بالنون وضمها، وضم الشين"، النشر، ج٢/٢٧٠.

(٢) معاني القرآن، الفراء، ج١/٣٨١.

(٣) مجاز القرآن، ج١/٢١٧.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٧٠.

(٥) انظر الكشاف، ج٢/١١١.

(٦) انظر البحر المحيط، ج٥/٧٧.

وإذا كانت حقيقة إرسال الله عز وجل للرياح ناشرات أو مبشرات بقدوم الغيث تكررت في غير موضع في القرآن كما بينت في الآيات التي ذكرتها فإن الغاية منه التأكيد على قدرة الله عز وجل وإعجازه في ما خلق، وتوضيح فضله على البشر؛ ليتفكروا بها ويطيعوا الله ويشكروه على نعمه، بدلاً من عصيانه وإنكار فضله.

٢. قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٦].

أي من دلالات قدرة الله عز وجل إرسال الرياح مبشرات[١].

ولا تختلف هذه الآية عن الآيات السابقة سوى في قوله (بشراً) أو (نشراً) في تلك الآيات، وهنا قال: (مبشرات)، وبذلك تحددت الغاية من إرسال الله للرياح بـ"أنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرحمة، وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه"[٢]، و" إزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب، وغير ذلك"[٣].

ولا يخفى ممّا تقدم ما تحمله الرياح من خير ورحمة للبشر، بفضل الله عز وجل وقدرته على تسخيرها لهذه الغاية التي ذكرها في الآية نفسها بقوله: ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٦]، فما أتم نعمه عز وجل وما أعظم فضله!.

٣. قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [الروم: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [فاطر: ٧].

من تمام نعم الله ودلائل قدرته عز وجل إرسال الرياح التي تثير السحاب، ومعنى فتثير "أي تجمع وتجيء به وتخرجه"[٤]، فكأن هذه الرياح

(١) انظر فتح القدير، ج٤/٢٢٩.
(٢) الكشاف، ج٣/٤٨٤.
(٣) البحر المحيط، ج٨/٣٩٨.
(٤) مجاز القرآن، ج٢/١٥٢.

تهيئ السحاب للمرحلة التالية التي تصل في النهاية إلى إنزال المطر.

أما عن سبب مجيء الفعل (تثير) مضارعًا فيحكي الحال التي تتم فيها إثارة الرياح للسحاب، وتستحضر الصورة البديعة الدالة على قدرة الله، وهكذا يعبر العرب عن الفعل الذي فيه تمييز، وفيه شيء من الخصوصية للدلالة على حال تهمّ المخاطب[1].

٤. قوله تعالى: ﴿وَأَرسَلنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

وتتجلّى قدرة الله عز وجل في إرسال الرياح كما تبيَّن لنا في مناقشة الآيات السابقة، ويتم الله عز وجل نعمته علينا بجعل هذه الرياح لواقح.

ومعنى (لواقح) أنها تلقح السحاب، فتأتي بخير من إنشاء السحاب الماطر[2]، وتلقح الشجر فتفتح أوراقه، وتساعد على نضجه[3]، وبهذا يتحقق الخير الذي سببته هذه الرياح للبشر.

وقد ذكر بعض المفسرين أصناف الرياح التي يبعثها الله عز وجل خيرًا ورحمة للبشر.

وأول هذه الرياح المبشرة التي تبشر بقدوم المطر، ثم يبعث المثيرة التي تثير السحاب، ثم المؤلفة التي تؤلفه، ثم اللواقح التي تلقح الشجر[4]، وبذا تكون الرياح اللواقح هي المسببة لإنزال المطر، ونضج النبات، وهذا من تمام فضل الله علينا، فهل نحن له شاكرون؟.

ثالثًا: وردت كلمة (الرياح) في سياق ذكر أدلة قدرة الله عز وجل وتسخيرها لفعل لا منفعة فيه، وذلك في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿وَٱضرِب لَهُم مَّثَلَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱختَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلأَرضِ فَأَصبَحَ هَشِيمًا تَذرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ

(١) انظر الكشاف، ج٣/٦٠١.
(٢) انظر معاني القرآن، الأخفش، ج٢/٦٠٢.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/١٥٧.
(٤) انظر البحر المحيط، ج٦/٤٧٤.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

في الآية الكريمة يخبر الله عز وجل عن اقتداره على كل شيء من الإنشاء والإفناء وغير ذلك، مما يدل على قدرته تعالى[١]، وما يفهم من الآية أن الحياة الدنيا فانية، والدليل على ذلك أن الذي مضى منها كأنه لم يكن[٢].

وفي الآية تشبيه لحال الدنيا في نضرتها، وما يتبعها من هلاك وفناء، بحال النبات يكون أخضر يانعاً ثم يهيج ويصبح هشيمًا فتذروه الرياح كأنه لم يكن[٣]، والهشيم هو اليابس، وتذروه الرياح أي تفرقه وتطرحه يمينًا وشمالا[٤]، وقيل: تنسفه[٥].

ومن الواضح من سياق الآية أن الرياح هنا لم ترد لفعل فيه خير البشر كما وردت في الآيات الأخرى السابقة الذكر، وإنما جاءت في سياق ذكر تحوّل حال الحياة من البهجة والخير إلى الهلاك وانعدام الفائدة، إذ جاءت الرياح؛ للقيام بتبديد ما آل إليه النبات من هلاك، فعملها متمّم ومؤكد لمعنى الفناء، و في فعلها هذا تأكيد لاقتدار الله عز وجل.

وأخيرًا بقيت مسألة مهمة أود الوقوف عندها وردت في معرض التفريق بين دلالة الريح والرياح في القرآن الكريم.

وفي هذا يذكر أبو حيان (ت٧٥٤هـ) بأن الريح المرتبطة بذكر العذاب جاءت مفردة والريح التي ارتبطت بالرحمة جاءت مجموعة (رياح)؛ وذلك لأن الريح الخاصة بالعذاب شديدة متلاحمة الأجزاء كالجسم الواحد، أمَّا ريح

(١) انظر البحر المحيط، ج١٨٦/٧.
(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٢٩١/٣.
(٣) انظر الكشاف، ج٧٢٥/٢.
(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٣٩٠/٤.
(٥) انظر فتح القدير، ج٢٩٠/٣.

الرحمة فهي لينة متقطعة؛ ولذا فهي (رياح) غير أنها أفردت في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]؛ لأن ريح أجزاء السفن واحدة متصلة، وجاء وصفها بالطيب فانتفى الاشتراك بينها وبين ريح العذاب[١].

فمن خلال هذه الدراسة فإن ما ذكره أبو حيان حول مجيء الريح الخاصة بذكر العذاب بالإفراد صحيح في الآيات التي ذكرت عذاب عاد قوم هود (عليه السلام)، وقد ذكرت هذه الآيات بالتفصيل في موضعها من هذا البحث.

ولا خلاف بين القُرَّاء في قراءة (الريح) الخاصة بالعذاب م[٢]، فهي لم ترد بالجمع مطلقًا.

أمّا ما ذهب إليه أبو حيان في تحليله لمعنى (الريح الطيبة) في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، فهو تحليل لا يخلو من عمق ونظر، فسياق الآية يثبت أن الريح لم تدل على معنى العذاب ، وإنما جاءت في سياق توضيح أحوال البشر، كما سبق وأوضحت، عند تناولي هذه الآية، فالريح الطيبة تدل على حال البشر في الرخاء، فهم لا يذكرون الله حين ذاك، ولا يلتزمون بما أمر به، وإنما يذكرونه وقت الشدة طلباً للنجاة.

وما ذهب إليه أبو حيان لا ينفي المعاني الأخرى التي دلت عليها (الريح) في القرآن الكريم.

وكنت ذكرت هذه المعاني في موضعها من هذا البحث أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤]، وكنت ذكرت أن الريح هنا معناها (الرائحة الزكية)، وغيرها من الآيات التي وردت في سياق التسخير، بتسخير الريح لسليمان (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجرِي بِأَمرِهِ رُخَاءً﴾ [ص: ٣٦]، ولا يخفى ما في (رخاء) من

(١) انظر البحر المحيط، ج٢/٨٢.

(٢) انظر معاني القرآن، الفراء، ج٢/٢٦٩.

معانٍ فيها الخير، فهي اللينة الطيّعة، التي لا تعصف،.....الخ، وسخر الله عز وجل لسليمان (عليه السلام) الريح بهذه الحال كما سخرها عاصفة شديدة في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]؛ ليتم نعمته عليه بتسخيرها له في كل حال حسب ما يريد.

وهناك معان أخرى للريح سبق وذكرتها عند مناقشة دلالة الريح في الآيات الواردة فيها - في موضعها من البحث - ولا أودّ الإطالة في ذكرها تجنبا للتكرار.

وإنما أجملت ذكرها لأدل على أن الريح في القرآن الكريم وردت لمعان عديدة إلى جانب معنى العذاب حسب السياق الذي وردت فيه.

أمَّا ما ذهب إليه أبو حيان بأن (الرياح) جاءت مجموعة عندما ارتبطت بمعنى الرحمة فصحيح، ففي الآيات التي وردت فيها (الرياح) وتحمل معنى الرحمة وردت مجموعة.

وقد يقال: إن القُرَّاء اختلفوا في قراءة (الرياح) الخاصة بالرحمة، ومنهم من قرأها مفردة أي (ريح)[1]، منها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، قرئت ريح بالإفراد[2]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ﴾ [الروم: ٤٨]، قرئت ريح بالإفراد[3]، فأقول ما قاله أبو حيان: إن من قرأ الريح بالإفراد، إنما أراد الجنس، فهي كالجمع[4].

وبذلك فإن الريح الواردة في سياق العذاب مفردة، والواردة في سياق الرحمة بالجمع أي (رياح)، كما ذكر أبو حيان.

(١) انظر معاني القرآن، الفراء، ج٢/٢٦٩.
(٢) وهي قراءة حمزة وخلف، انظر النشر، ج٢/٣٠١.
(٣) وهي قراءة حمزة وخلف، انظر النشر، ج٢/٢٢٣.
(٤) انظر البحر المحيط، ج٢/٨٢.

خاتمـــــــــة

بعد استقراء الآيات التي وردت فيها كلمتا الريح و الرياح ، وإمعان النظر في دلالتها، تظهر النتائج الآتية:

١- وردت كلمة الريح في بعض الآيات في سياق الحديث عن العذاب، إذْ كانت الوسيلة التي أرسلها الله عز وجل لتعذيب الكافرين، وأعداء الدين كقوله تعالى: ﴿فَيُرسِلَ عَلَيكُم قَاصِفا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغرِقَكُم بِمَا كَفَرتُم﴾ [الإسراء:٦٩].

٢- جاءت الريح في بعض الآيات لتوضيح حالات معينة، تتضح من خلال كل آية وردت فيها كلمة الريح، ويجمع بينها معنى الضرر والبعد عن الخير كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران:١١٧].

٣- وردت (الريح) في بعض الآيات مرتبطة بمعنى التسخير، فهي مظهر من مظاهر الطبيعة سُخِّر لخدمة الإنسان، وهي في هذا السياق ترتبط بسليمان (عليه السلام)؛ لأن الله عز وجل سخرها لتجري بأمره كما يشاء؛ فتكون واحدة من معجزات الله لنبيه سليمان (عليه السلام)، ومما وهبه من فضل على العالمين، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجرِي بِأَمرِهِ﴾ [الأنبياء:٨١].

٤- هناك بعض الآيات وردت فيها كلمة (الريح)، تحمل في كل آية معنى خاصًّا حسب السياق الذي وردت فيه، وتتمثل في ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفشَلُواْ وَتَذهَبَ رِيحُكُم﴾ [الأنفال:٤٦].

وقد ذُكر للريح في الآية الكريمة معان تتلخص في ما يلي: الدولة، والقوة، والنصر.

ب- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُم فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ حَتَّى إِذَا كُنتُم فِي ٱلفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتهَا رِيحٌ عَاصِف ﴾ [يونس:٢٢].

والغاية التي وظفت من أجلها الريح هنا تتمثل في توضيح أحوال البشر؛ ذلك أن الناس يلوذون بالله عز وجل، ويتقربون منه عند إصابتهم بالضرر والبلاء، وإذا تبدل حالهم، وذاقوا الرحمة والرخاء عادوا إلى طبعهم من إهمال ذكر الله، وارتكاب المعاصي.

ت- قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلعِيرُ قَالَ أَبُوهُم إِنِي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٩٤]، ومعنى الريح هنا الرائحة الزكية العطرة.

أمَّا السياقات التي وردت فيها كلمة (الرياح) في القرآن الكريم فتمثلت في ما يلي:

١. إثبات وحدانية الله عز وجل من خلال تسخيرها بقدرة الله بصورة مطلقة دون تحديد لغرض هذا التسخير، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَصرِيفِ ٱلرِّيَحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلمُسَخَّرِ بَينَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرضِ ﴾ [البقرة:١٦٤].

٢. وردت كلمة الرياح لتوضيح قدرة الله عز وجل بتسخيرها للرحمة والخير للبشر في عدد من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرسِلُ ٱلرِّيَحَ بُشرَا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ ﴾ [الأعراف:٥٧].

٣. وردت كلمة (الرياح) في سياق ذكر أدلّة قدرة الله عز وجل وذلك في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَٱضرِب لَهُم مَّثَلَ ٱلحَيَوةِ ٱلدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱختَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرضِ فَأَصبَحَ هَشِيما تَذرُوهُ ٱلرِّيَحُ ﴾ [الكهف:٤٥].

ويتضح من سياق الآية أن الرياح لم ترد لفعل فيه خير للبشر، وإنما جاءت لتوضيح تحوّل حال الحياة من البهجة إلى الهلاك وانعدام الفائدة، بأن جاءت الرياح لتبدِّد ما آل إليه النبات من هلاك، وبذلك جاء فعلها متمِّمًا لمعنى الفناء، و مبيّنًا قدرة الله تعالى في خلقه.

وأستطيع القول: إن ثمة اتفاقًا في بعض السياقات بين دلالة الريح من جهة والرياح من جهة أخرى في معنى التسخير، أي تسخير الريح والرياح لخدمة الإنسان، مع فارق بسيط أنَّ تسخير الريح جاء مرتبطًا في جميع السياقات بسليمان (عليه السلام)، أمَّا تسخير الرياح فجاء للبشر عامة.

وفي معرض التفريق بين دلالة كل من الريح والرياح في القرآن الكريم فإن الريح المرتبطة بذكر العذاب جاءت مفردة، والريح التي ارتبطت بالرحمة جاءت بالجمع (رياح).

وإذا قيل: إن القراء اختلفوا في قراءة (الرياح) الخاصة بالرحمة، فمنهم من قرأها مفردة (ريح)، كقوله تعالى: ﴿وَأَرسَلنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر:٢٢]، قرئت ريح بالإفراد، فيرد عليه بما ذكره أبو حيان: إن من قرأ الريح بالإفراد إنما أراد الجنس، فهي بذلك كالجمع.

التوصيات:

انطلاقًا ممّا ورد في البحث أوصي نفسي والدارسين بدراسة المفردات المرتبطة بظواهر الطبيعة في القرآن الكريم، والوقوف على الفروق الدلالية الدقيقة بينها مثل: (المطر والماء والسحاب) في القرآن الكريم دراسة دلالية؛ لأثر ذلك في استخدامها الصحيح لدى أبناء العربية، ودراسة أثر استخدام مفردتي (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم في الأدب العربي شعرًا ونثرًا.

المصادر والمراجع

١- إعراب القرآن، النحاس (أحمد بن محمد)، ج(١،٣،٤،٥)، ت: د.زهير غازي زاهد، ط٣، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٨م.

٢- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، ج(٢،٣،٦،٧)، مراجعة زهير جعيد، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٢م.

٣- تاج العروس، الزبيدي (محمد مرتضى الزبيدي)، ج٢، ط١،المطبعة الخيرية-مصر، ١٣٠٦هـ.

٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (إسماعيل بن كثير)، ج(١،٣،٤،٥،٦،٧)، ط٢، دار الأندلس - بيروت،١٩٨٠م.

٥- جمهرة اللغة، ابن دريد (محمد بن الحسن)، ج٢، ط١،مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٣٤٥هـ.

٦- الدر المنثور، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ج(٣،٤،٥،٦)، ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٤م.

٧- الصحاح، الجوهري (إسماعيل بن حمَّاد)، ج١، ت: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٢، دار العلم للملايين- القاهرة، ١٩٧٩م.

٨- فتح القدير، الشوكاني (محمد بن علي)، ج(١-٥)، د.ت.

٩- القاموس المحيط، الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب)، ج١، دار الجيل- بيروت، د.ت.

١٠- الكشاف، الزمخشري (محمود بن عمر)، ج(١- ٤)، ت: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ١٩٤٧م.

١١- لسان العرب، ابن منظور (جمال الدِّين محمد بن مكرم)، م(٢، ٤)، دار صادر بيروت، ١٣٠٠هـ.
١٢- مجاز القرآن، أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، ج(١-٢)، ت: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٥٤م.
١٣- معاني القرآن، الأخفش (سعيد بن مسعدة)، ج٢، ت: عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٥م.
١٤- معاني القرآن، الفرَّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، ج(١-٣)، ط٢، عالم الكتب -بيروت،١٩٨٠.
١٥- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (أبو إسحق إبراهيم بن السري)، ج(١،٣،٤،٥)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٨م.
١٦- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس، و د. عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف أحمد، ج١، دار الفكر- بيروت، د.ت.
١٧- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (محمد بن محمد)، ج٢، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.

تحقيق كتاب الزكاة من خلال فتاوى ابن نجيم

الباحث/ بـــلال محمـــد حمـــد •

ملخـــــص

إن (فتاوى ابن نُجيم) من كتب الحنفية، قد اشتمل على جوانب مهمة من الفقه، لا غنى لأكثر الناس من الرجوع إليها، لا سيما وأنه استوعب فيها جميع أبواب الفقه ولم يقتصر على بعضها دون بعض، وقد أجاد المؤلِّف رحمه الله في تقديمها بأسلوب بسيط وسهل. هدفت الدراسة إلى التعريف بالمخطوط ، ومنهجية تحقيقه، وبيان أهميته وانقاذه من الضياع ، وإبراز مكانة المؤلَّف العلمية علماً بأن كتاب فتاوى ابن نُجيم رحمه الله ، كان في الأصل عبارة عن مسائل متناثرة، ثم قام تلميذه الإمام التمرتاشي رحمه الله بترتيبها على الأبواب الفقهية، وفق منهج الحنفية . اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والوصفي والموضوعي. توصلت الدراسة إلى عِدَّة نتائج، أهمها: أن الكتاب عبارة عن سؤال وجواب، التزم فيه الإمام ابن نُجيم بالاختصار في جوابه في جميع المسائل، اعتمد ابن نُجيم رحمه الله على الاستدلال العقلي في جوابه، لذا لم نجد في أجوبته أي دليل من الكتاب والسنة، وأحياناً يذكر آراء تخالف ما قاله في بعض كتب الحنفية، عقب تلميذه التمرتاشي في كثير من الأجوبة، وذلك بذكر أكثر من جواب للمسألة وترجيح الصحيح منها، وإن كان مخالفاً لقول ابن نُجيم، كما التزم الإمام التمرتاشي بترتيب مسائل الكتاب على أبواب الفقه حسب ترتيب من سبقه من العلماء، إذ بدأ بكتاب الطهارة وكتاب الصلاة ثم الزكاة وختم بكتاب الفرائض، نجد أنَّ الإمام التمرتاشي

• أستاذ باحث.

اعتمد كثيراً على كتب الحنفية الفقهية واعتمد على بعض علماء المذهب، ولم يذكر آراء المذاهب الفقهية الأخرى. ومن خلال الدراسة الفقهية المقارنة اتضح أنَّ فتاوى ابن نُجيم جميعها في هذا المخطوط توافق مذهب الحنفية في الفتوى. توصي الدراسة طلاب العلم وخاصة المنتسبين إلى تخصص الفقه أن يجتهدوا في إحياء كتب الفقه للعلماء القدامى الذين خدموا الفقه خدمة جليلة، وخاصة الكتب التي مازالت مخطوطة ولم تحقق؛ خدمة للتراث الإسلامي ولمكتبة الفقه الإسلامي.

Abstract

The book " Fatawa ibn Nogiem" one of the books of " Elhanafia (Islamic doctrine)", which include important aspect of Islamic "Fiqh (Islamic knowledge)" which is needed for all Muslims, for he is mentioned all aspects of fiqh without excluding any part of it, narrated in a simplified style. This study aim to define the book, how it has been acknowledged, explain its importance, and show the great scientific rank of the author, knowing that the book of " Fatawa ibn Nogiem", it was actually several matters answered by him, then his student " Elimam Eltameratashi" gathered them in this book and classified the matters into chapters, according to " Elhanafia" approach. The study followed the descriptive objective and inductive approach. The study reaches several results, the importance ones are: the book is formed in questions and answered style, briefed answered, Ibn Nojiem proofed his answers depending on his own opinion, for that there is no Islamic proofs can be found in his book, also in his answers he contradicted some of his previous opinions in different previous books, his student Eltameratashi made his comments on these contradicted answers and show which answer is preferred, even if his comments disagree with Ibn Nojiem opinions, Eltameratashi classification of the book follow other

Islamic scholars approachs, he strated with chapter of " Eltahara (Purity)", then chapter of" prayers" then chapter of" Elzaka (Imposed Islamic charity)", and finally concluded with chapter of " Elfaraid (Imposed Islamic instructions)". Elimam Eltameratashi depended on other books of " Elhanafia" and other Islamic hanafia scholars without reference or mentioning other different Islamic dictorine. this compared study showed that this book is in conformity with Elhanafia dictorine. This study recommend all students specially ones who are specialized in " Fiqh" to renew the old Islamic books by making researches on them, specially the books which are not researched yet, to serve the Islamic inheritance, and to enrich the Islamic library.

مقدمـــــــة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، أحمده سبحانه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أَنْ ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا (صلى الله عليه وسلم) عبده ورسوله الذي حثَّ على طلب العلم ورغَّب فيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ.

إنَّ تحقيق التراث الفقهي ونشره له أهميته في عالم البحث والمعرفة ولا سيما في هذا الوقت الذي يتعرض فيه أبناء الأمَّة لسيلٍ جرّارٍ، وموجاتٍ متتابعةٍ من التشكيك في تراثهم.

كما أَنَّ لهذا الفنِّ فوائده الجمَّة؛ إذ يقف المحقِّق على علوم كثيرة يتسع لها مجال التخصص، ويُكْسِبُهُ مَلَكَةَ التدقيق والتمحيص، وينمِّي عنده القدرة على البحث والتحليل، وكان هذا من جملة ما حُبِّبَ إليّ التخصص في هذا الباب فضلاً عن الرغبة في إبراز مآثر أئمَّة الإسلام، فأخذت أطالع

فهارس المخطوطات، وأميّز ما حُقِّق ممَّا لم يُحقَّق، حتَّى يسَّرَ الله سبحانه وتعالى عليّ بثلاث نسخ من مخطوطةٍ، لِعَلم من علماء المذهب الحنفي، ألا وهو: الإمام العلامة زين الدين بن إبراهيم الملقب بابن نجيم المصري المتوفى سنة (ت:٩٧٠هـ)، وأمَّا الكتاب فهو (فتاوى ابن نجيم المصري).

وقد تضمنت هذه الدراسة التي أقدمها اليوم كتاب الزكاة من فتاوى ابن نجيم رحمه الله.

أهمية البحث:

١. الدراسة بين يَدَي التحقيقِ من الأهمية بمكان؛ ذلك لأنها تُجَلِّي محاسنَ المخطوطِ، وتُبْرِزَ مميزاته، وتقوِّم عملَ مؤلفِ المخطوط، وتنبِّه على الأوهام والأخطاء التي وقع فيها، فكم من مخطوط لم تُعرَف قيمتُه إلا من خلال دراسة المحقِّق؛ وفي المقابل كُم مُن مُخطوط ذهبت بَهجته، وقلَّ الانتفاع منه لخلوه من دراسة تقربه للقارئ، وتعرف الناس به .

٢. كون البحث من الدراسات البحثية المهمة التي تتناول محتوى مخطوطات فقهية.

٣. أن هذا الموضوع يمثل أهمية خاصة بالنسبة لي، من حيث تنمية الملكة الفقهية، والقدرات البحثية، من خلال دراسة وتحقيق فتوى ابن نجيم وما وافق أو خالف فيها مذهبُه.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب عِدَّة دفعتني لاختيار هذا الموضوع أجملها في ما يلى:

١. الرغبة في إحياء كتب التراث الإسلامي خدمةً للعلم الشرعي عامةً والفقه خاصة.

٢. رغبةً مني في إظهار كتب السادة الحنفية الذين اتخذت الدولة العثمانيةُ فقهَهُمْ مذهباً لها قرابةَ خمسةِ قرونٍ؛ لما فيه من الشموليّة والاحتواء لحوادثَ وقعتْ، أو لم تقعْ افتراضًا منهم خدمةً لعالم لم يُحقَّقْ كتابُهُ من قبل، إظهاراً لعلمه وابتغاءَ الأجر والثواب مِنَ اللهِ تعَالَى.

٣. احتواء هذا الكتاب على إبراز المسائل الفقهية بين علماء المذهب.

٤. رغبتي الشديدة في التعمق في علم الفقه إذ من خلال التحقيق لكتاب هذا العلم يقع الطالب على خفايا العلم ودقائقه، فضلاً عن إحاطته بما احتوته من أحكام ومسائل، مما يزيد في التحصيل ويُنمي الملكه الفقهيه للدارس.

٥. إن علم التحقيق يوقف المحقق على علوم كثيرة، التي لولا التحقيق لما نظر فيها؛ فيحتاج المحقق للعلوم جميعها، فكما يحتاج للفقه، يحتاج للأصول، واللغة، والتفسير، والحديث، والعقيدة، والتاريخ، والتراجم.

٦. التأكيد على ضرورة الفقه في الدين قبل الخوض في مسارب الحياة، والعودة إلى الشريعة الإسلامية باعتبارها هي المرجع للجميع في حلّ المشكلات، وفي الوقت نفسه دفع الإشكالات، لئلا نقع فيما وقع فيه مَنْ سبقنا.

أهداف البحث:

١. تعريفُ الدارسينَ لعلم الفقه الإسلامي لشخصيةٍ إسلاميةٍ مندثرةٍ من خلال عرضنا لمصنفه الجَليل (فتاوى ابن نجيم).

٢. إطلاعُ الخَلَفِ مِنَ المُختصّينَ والمُهتمين على قدراتِ سلفِنا مِنَ الأمةِ في مجال الفقه والتأليف والتواصل؛ لتجديدِ ورفدِ المذهبِ الحنفيّ والمذاهب الأخرى باجتهاداتٍ ولفتاتٍ وإشاراتٍ وإضافاتٍ تخدمهُ وتجعلهُ متواصلاً مع حركةِ الزمنِ وتطورِ الحياة.

٣. إثراءُ المكتبةِ الإسلاميةِ بما هو جديدٌ من خلال ما عرضَهُ العلاّمة الفاضل الإمام زين الدين بن إبراهيم الملقب بابن نُجيم المصري، لإظهار ما هو مشكلٌ ومضمرٌ.

٤. شحذ الهِمَم والترغيبُ وتشجيعُ الطلبةِ والباحثينَ على المزيد من البحث والتنقيب؛ لاستخراج المزيد من المخطوطات، خدمةً للعلم وإظهاراً لجهود الجهابذةِ من الفقهاء وعلومِهِمُ المدفونةِ في خزائِنِ المكتبات في العالم.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي وكان عملي في التحقيق كالآتي:

١- بعد حصر النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق، قمت بالمقابلة فيما بينها، وجعلت النسخة (أ) أصلاً للكتاب؛ إذ هي أفضل النسخ؛ لأنَّها الأقدم، ولأنَّها بخط تلميذٍ من تلاميذه وهو التمرتاشي، فإنَّ اسم الناسخ موجود عليها، ولوضوح الخط، وقد جعلت النسختين (ب ، ج) مرجعاً للمقابلة وضبط النص، ولإكمال ما نقص من نسخة الأصل، وعند وجود اختلاف في النسخ أشير إلى ذلك في الهامش.

٢- ترجمت للأعلام الذين وردت أسماؤهم في هذا الكتاب عند أول ذكر لهم فيه فقط، باستثناء المُعرَّف، فإن المُعرَّف لا يُعرف، فلا أُعرف للأنبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، والخلفاء الأربعة والأئمة الأربعة، وأعتمدت في الترجمة على المصادر الخاصة بالمذهب الحنفي.

٤- قمت بشرح الكلمات الغامضة من الناحية اللُّغوية والاصطلاحية، مستعيناً بكتب اللغة ومصادر الفقه وكتب التعريفات.

٥- وضعت فهارس كاملة للمصادر.

٦- عرفت بالكتب التي ذكرها المُرَتِّب.

٧- قمت بتوثيق المسائل الفقهية والأقوال من مصادرها، وفي حالة عدم تمكني من الحصول على المرجع أو المخطوط ، أوثق من كتب ومصادر أخرى يمكن الوصول إليها.

٨- نسخت المخطوط على وفق قواعد الرسم الإملائي المعاصر من دون الإشارة إلى ذلك، مع العناية بضبط علامات الترقيم (النقطة، والنقطتين، والشارحتين، والفاصلة، والفاصلة المنقوطة، والاستفهام) التي تعين القارئ على فهم النص وخدمته.

٩- حققت الهمزة أينما سهلت بالضبط المعاصر مثلاً (مسايل ، إلى مسائل، الزكوة، إلى الزكاة) دون الإشارة إلى ذلك نظرًا لكثرتها.

١٠- إذا اشتركت النسخ الثلاث في الخطأ، أثبت الصواب من الكتاب المنقول منه فإنْ لم أجد فمن كتب المذهب المعتمدة متى وجد، فإنْ لم يوجد أثبت ما يتناسب مع سياق الكلام ومعناه، وأشير إليها في الهامش.

١١- وضعت العناوين الرئيسة باللون الأسود الغامق؛ لإبرازها.

١٢- التعريفُ بالكتب الواردة في الكتاب ونسبتُها إلى مؤلِّفيها في حال ورودها أول مرة، مع ذكر اسم الكتاب والمؤلف وتاريخ الوفاة.

١٣- وضعت صوراً لنسخ المخطوط، والصفحة الأولى والأخيرة من كل نسخة، والصفحة الأولى والأخيرة من عملي.

خطة البحث:

وبعد التوكل على الله سبحانه وتعالى قسمت عملي قسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: **حياة الإمام ابن نجيم الشخصية والعلمية.**

المبحث الثاني: **دراسة الكتاب ـ ووصفه، ومنهجي في تحقيقه.**

القسم الثاني: النص المحقق.

المبحث الأول

حياة الإمام ابن نجيم الشخصية والعلمية

المطلب الأول

حياته الشخصية

أولاً ـ اسمه وشهرته:

بعد مراجعة كتب التراجم يذكر بعض المؤلفين أنَّه: زين الدين بن إبراهيم[(١)]، في حين يذكر آخرون أنَّ اسمه: زين العابدين بن إبراهيم[(٢)].

والذي يبدو لي أن الصواب في اسمه: زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر الشهير بابن نجيم؛ لاتفاق أكثر المترجمين له على هذا الاسم[(٣)].

ثانياً ـ مولده ونشأته ووفاته:

ولدَ الإمام العلامة زين الدين بن نجيم بالقاهرة[(٤)] سنة (٩٢٦هـ)، وأخذ من علمائها ودرس على يد شيوخها، ونشأَ وترعرعَ في كنفها حتى وافاه

(١) شَذَرات الذَّهَب، ٣٥٨/٨، الطَّبَقات السَّنِيَّة، ٢٧٥/٣، الكواكب السائرة، ١٥٤/٣، هدية، ٣٧٨/١.

(٢) كشف الظنون، ٣٥٨/١، معجم المطبوعات العربية، ٢٦٥/١.

(٣) شذرات الذهب، ٣٥٨/٨، الطبقات السنية، ٢٧٥/٣، هدية العارفين، ٣٧٨/١.

(٤) القاهرة: أول من أحدثها جوهر الصقلي في عهد المعز، كان السبب في إحداثها: أن المعز أنفذ جوهراً الصقلي في أفريقية للاستيلاء على الديار المصرية، فدخل الفسطاط، ونزل تلقاء الشام بموضع القاهرة اليوم، فبنى فيها قصراً للمعز، وبنى حوله للجند فأنعم الموضع بذلك. انظر: معجم البلدان، ٣٤١/٤.

الأجل[1]. أمَّا وفاته فقد اختلف أصحاب التراجم في سنة وفاته إلى أقوال:

القول الأول: إنَّ الشيخ ابن نجيم توفي في صبيحة يوم الأربعاء في الثامن من شهر رجب سنة ٩٦٩هـ - ١٥٦٢م، هذا ما قاله تلميذه الشيخ محمد العلمي وكثير ممن ترجم له، ومنهم حاجي خليفة، ولكنه تردد في أحد مواضع كتابه بين سنة (٩٦٩هـ) وسنة (٩٧٠هـ)[2]، وأما ابنه احمد فأرخ وفاته سنة (٩٧٠هـ)[3].

القول الثاني: إنَّه توفي في صبيحة يوم الأربعاء في الثامن من شهر رجب سنة ٩٧٠هـ - ١٥٦٣م، هذا ما قاله ابنه أحمد عن وفاة والده[4].

والذي يظهر أنَّ الراجح هو القول الثاني القائل بوفاته سنة (٩٧٠هـ)؛ ويزيد في ترجيحه أنَّ راوي الخبر هو ابنه.

المطلب الثاني

حياته العلمية

أولاً: شيوخه:

أخذ العلامة ابن نجيم - رحمه الله - العلم عن جملة من علماء عصره، أبرزهم:

١- **شهاب الدين الشبلي**: شيخ الإسلام أحمد بن يونس شهاب الدين المصري الحنفي الشهير بابن شبلي، تُوفي رحمه الله سنة (٩٤٧هـ)[5].

٢- **سليمان الخضيري**: سليمان الخضيري المصري الشافعي الشيخ الصالح العارف بالله، أخذ العلم عن جلال الدين السيوطي والقطب الأوجاقي،

(١) الطبقات السنية، ٣/٢٧٥.
(٢) كشف الظنون، ١/٨٦٨.
(٣) معجم المطبوعات العربية، ١/٢٦٥.
(٤) كشف الظنون، ١/٣٥٨، ٢/١٢٢٣، الطبقات السنية، ٣/٢٧٥-٢٧٦، هدية العارفين، ١/٣٧٨، الأعلام، للزركلي، ٣/١٠٤.
(٥) الكواكب السائرة، ٧/١١٥-١١٦، شذرات الذهب، ٤/٣٥٨.

وتتلمذ على يديه خلائق لا يحصون، توفي رحمه الله في سنة (٩٦١هـ)[١].

٣- **ابن الشقير**: شهاب الدين أحمد ابن شقير المغربي التونسي المالكي النحوي الإمام المحقق المعروف بابن الشقير نزيل القاهرة أخذ عنه السيد عبد الرحيم العباسي وغيره، توفي رحمه الله بمصر سنة (٩٠٩هـ)، ذكره ابن العماد في شيوخ ابن نجيم[٢].

ثانياً: تلاميذه:

ومن هؤلاء الذين نهلوا من علم ابن نجيم رحمه الله:

١- عمر بن إبراهيم المنعوت بسراج الدين الشهير بابن نجيم الحنفي المصري، الفقيه المحقق، وألف كتابه الذي سمَّاه بالنهر الفائق شرح كنز الدقائق، توفي سنة (١٠٠٥هـ)[٣].

٢- محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد الخطيب التمرتاشي الغزي الحنفي المذهب، رأس الفقهاء في عصره كان إماماً فاضلاً، توفي سنة (١٠٠٤هـ)[٤].

٣- ابنه أحمد؛ وهو الذي جمع رسائل أبيه، قال: كتبتها سؤالا بعد سؤال من ابتداء أمري في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وتسعمائة، ثم رأيت أن أرتبها على كتب الفقه وعدتها نحو أربعمائة سؤال وجواب، خلا فتاوى كثيرة لم تتيسر كتابتها، وذلك الجمع بعد وفاة المرحوم في شعبان سنة (٩٧٠هـ)[٥].

(١) شذرات الذهب، ٣٥٨/٤ ، و٣٥٨/٨- ٣٥٩.
(٢) شذرات الذهب، ٣٥٨/٤ ، و٨ /٤٢.
(٣) كشف الظنون:١٥١٦/٢، خُلاَصة الأَثَر، ٢٠٧/٣، هدية العارفين، ٧٩٦/١، الأعلام، للزركلي، ٣٩/٥.
(٤) كشف الظنون، ١٧٤٦/٢، خلاصة الأثر، ١٩/٤-٢٠.
(٥) كشف الظنون، ١٢٢٣/٢.

ثالثاً: مؤلفاته:

أما أبرز مؤلفاته وأشهرها:

١- الأشباه والنظائر في الفروع: وهو مختصر مشهور[١].

٢- البحر الرائق شرح كنز الدقائق[٢].

٣- تحرير المقال في مسألة الاستبدال[٣].

٤- تعليق على الهداية للمرغناني، ذكره ابن نجيم في مقدمة الرسائل الزينية[٤].

٥- رفع الغشاء عن وقت العصر والعشاء[٥].

٦- شرح أوائل الهداية[٦].

٧- فتح الغفار في شرح المنار المعروف بمشكاة الأنوار في أصول المنار[٧].

المبحث الثاني

دراسة الكتاب

المطلب الأول

اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه

ذكرت بعض كتب التراجم والفهارس أنَّ اسم الكتاب هو: (الفتاوى الزينية)، للعلامة زين الدين بن ابراهيم الملقب بابن نجيم المصري[٨] وذكرت

(١) كشف الظنون، ٨١/١، هدية العارفين، ٣٧٨/١.
(٢) كشف الظنون، ١٥١٥/٢، هدية العارفين، ٣٧٨/١.
(٣) هدية العارفين، ٣٧٨/١.
(٤) كشف الظنون، ٩٨/١.
(٥) كشف الظنون، ٩١٠/١، هدية العارفين، ٣٧٨/١.
(٦) كشف الظنون، ٩١٠/١، هدية العارفين، ٣٧٨/١.
(٧) مقدمة فتح الغفار بشرح المنار، ٣/١، كشف الظنون، ١٨٢٤/٢، هدية العارفين، ٣٧٨/١.
(٨) كشف الظنون، ١٢٢٣/٢، الأعلام، للزركلي، ٦٤/٣، معجم المؤلفين، ١٩٢/٤.

بعضها أنَّ اسمه (فتاوى ابن نجيم، أو فتاوى الزينية)[1] وكذلك وجدت عنوان المخطوط في نسخة الأصل (الفتاوى الزينية)، أمَّا في نسخة (ب، ج)[2] فوجدت (فتاوى ابن نجيم).

ويتضح مما سبق: أنَّه لا اختلاف في ذلك، فمنهم من أضاف الفتاوى إلى اسم المصنف، ومنهم من أضافها إلى لقبة، وممَّا يؤكد ذلك ما ذكره صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة.

أمَّا نسبة الكتاب إلى مؤلفه: فهناك من الشواهد والأدلة ما يثبت نسبة الكتاب (فتاوى ابن نجيم) إلى الإمام زين الدين بن إبراهيم الملقب بابن نجيم المصري، والتي نلخصها في ما يأتي:

١- وجودها في نسخ المخطوط الثلاث (أ ، ب ، ج): (فتاوى ابن نجيم).

٢- ورد ذكرها في عدد من الكتب:

أ- ذكرها: صاحب كشف الظنون[3].

ب- ذكرها: خير الدين، الزِركلي في كتابه الأعلام[4].

ت- ذكرها: معجم المطبوعات العربية والمعربة[5].

ث- ذكرها: صاحب هدية العارفين[6].

ج- ذكرها: صاحب معجم المؤلفين[7].

ح- ورد ذكرها في خزانة التراث[8].

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة، ٢٦٦/١، ٨٢٨/٢.
(٢) انظر: مخطوط فتاوى ابن نجيم، نسخة (ب) لوحة: ٢، ونسخة (ج) لوحة: ٢.
(٣) كشف الظنون، ١٩٧٤/٢.
(٤) الأعلام، للزركلي، ٦٤/٣.
(٥) معجم المطبوعات العربية والمعربة، ٢٦٦/١.
(٦) هدية العارفين، ١٩٦/٢.
(٧) معجم المؤلفين، ١٩٢/٤.
(٨) خزانة التراث، فهرس مخطوطات، ٩٥٩/٥.

المطلب الثاني

وصف النسخ المخطوطة ومنهجي في التحقيق

وصف النسخ:

استطعت ولله الحمد الحصول على ثلاث نسخ من مخطوط فتاوى ابن نجيم للشيخ الإمام زين الدين بن إبراهيم الملقب بابن نجيم المصري، والتي لم أقف على غيرها وهي على النحو الآتي:

١ ـ **نسخة الأصل** (أ):

- مكان وجودها: توجد هذه النسخة في جامعة الملك سعود، الرياض كما هو مكتوب على غلافها تحت رقم ١٢٩٣.
- اسم المخطوط: الفتاوى الزينية.
- التصنيف: فقه حنفي.
- اسم المؤلف: زين الدين بن إبراهيم الملقب بابن نجيم المصري.
- اسم الجامع: جمعها ورتبها محمد بن عبدالله الخطيب التمرتاشي، (ت: ١٠٠٤).
- اسم الناسخ: عبدالوهاب بن أحمد بن عبدالوهاب بن احمد بن عبدالوهاب الخليفتي العباسي ١١٠٢هـ، كما هو مذكور في الغلاف.
- عدد الأوراق: (٧٣) ورقة، وكل ورقة صفحتان.
- عدد الأسطر: (٢٢-٢٤) سطراً في كل صفحة.
- القياس: (١٩،٥× ١٤سم).
- عدد الكلمات: (٩ - ١٠) كلمة في كل سطر تقريباً.
- رقم المخطوط: (١٢٩٣).

- تاريخ النسخ: (١١٠٢هـ).
- نوع الخط: نسخ جيد جداً.

٢ ـ النسخة الثانية، ورمزت بالرمز (ب):

- مكان وجودها: توجد هذه النسخة في المكتبة الأزهرية، مصر كما هو مكتوب على غلافها تحت رقم الخاص (٨٦٦).
- اسم المخطوط: فتاوى ابن نجيم.
- التصنيف: فقه حنفي.
- اسم المؤلف: زين الدين بن إبراهيم الملقب بابن نجيم المصري.
- اسم الناسخ: مجهول.
- عدد الأوراق: (٨٤) ورقة، وكل ورقة صفحتان.
- عدد الأسطر: (٢١) سطراً في كل صفحة.
- القياس: (١٩،٥× ١٤سم).
- عدد الكلمات: (١١- ١٣) كلمة في كل سطر تقريباً.
- رقم المخطوط رقم الخاص (٨٦٦)[1].
- تاريخ النسخ: مجهول.
- نوع الخط: نسخ جيد جداً.

٣ ـ النسخة الثالثة، ورمزت بالرمز (ج):

- مكان وجودها: توجد هذه النسخة في المكتبة الأزهرية، مصر كما هو مكتوب على غلافها تحت رقم الخاص (٢١٦٣) العام (٢٨٥٢٩).
- اسم المخطوط: فتاوى ابن نجيم.

(١) انظر: خزانة التراث، فهرس مخطوطات، ٨٥٨/٤٠.

- التصنيف: فقه حنفي.
- اسم المؤلف: زين الدين بن إبراهيم الملقب بابن نجيم المصري.
- اسم الناسخ: مجهول.
- عدد الأوراق: (١٠٥) ورقة، وكل ورقة صفحتان.
- عدد الأسطر: (١٨-١٩) سطر في كل صفحة.
- القياس: (١٩،٥× ١٤سم).
- عدد الكلمات: (١٠ــ ١١) كلمة في كل سطر تقريباً.
- رقم المخطوط رقم الخاص (٢١٦٣) العام (٢٨٥٢٩)[1].
- تاريخ النسخ: مجهول.
- نوع الخط: نسخ جيد جداً.

منهجي في التحقيق:

ويتلخص منهجي في التحقيق بما يأتي:

١- بعد حصر النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق، قمت بالمقابلة فيما بينها، وجعلت النسخة (أ) أصلاً للكتاب؛ إذ هي أفضل النسخ؛ لأنَّها الأقدم، ولأنَّها بخط تلميذٍ من تلاميذه وهو التمرتاشي، فإنَّ اسم الناسخ موجود عليها، ولوضوح الخط، وقد جعلت النسختين (ب، ج) مرجعاً للمقابلة وضبط النص، ولإكمال ما نقص من نسخة الأصل، وعند وجود اختلاف في النسخ أشير إلى ذلك في الهامش.

٢- عرّفتُ بالأماكن والأعلام والكتب التي ورد ذكرها في النص المحقق.

٣- قمت بشرح الكلمات الغامضة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، مستعيناً بكتب اللغة ومصادر الفقه وكتب التعريفات.

(١) خزانة التراث، فهرس مخطوطات، ٨٥٨/٤٠.

٤- وضعت فهارس كاملة بالنسبة ، للأبيات الشعرية، والأعلام والأماكن، والكتب، والمصادر.

٥- وضعت صوراً لنسخ المخطوط، والصفحة الأُولى والأَخيرة من كل نسخة، والصفحة الأولى والأَخيرة من عملي.

٦- قمت بجعل بطاقة الكتاب في فهرس المصادر في آخر الكتاب؛ خشية إثقال الهوامش.

القسم الثاني
النص المحقق

كتاب الزكاة[١]:

سُئِلَ: عن ولد[٢] صغير يملك مالاً كثيراً، هل تجب فيه الزكاة، ويؤمر وصيه بدفعها عنه[٣]، أم لا ؟ .

أجاب: لا زكاة في مال القاصر[٤] الصغير، ولا يؤمر وصيه بدفعها عنه؛ لعدم وجوبها عليه[٥].

سُئِلَ: عن الزكاة في الفلوس المتعامل بها، هل تلزم المالك أم لا ؟ .

أجاب: نعم تلزمه، إذا بلغت ما يساوي نصاباً فأكثر من الذهب أو الفضة[٦][٧].

(١) الزكاة لغة: هي الطهارة، والزيادة والنماء. انظر: المغرب في ترتيب المعرب، ٢٠٩/١، المصباح المنير ، للفيومي، ٢٥٤/١، وشرعاً: عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص. انظر، الاختيار، للبلدحي، ٩٩/١، المطلع، للبعلي، ١٢٢/١، التعاريف، للمناوي، ٣٨٧/١.

(٢) لفظة (ولد) ساقطة من (ب ، ج).

(٣) في نسخة (ب ، ج): بدفع الزكاة عنه .

(٤) لفظة (القاصر) ساقطة من (ب ، ج).

(٥) انظر: التجريد للقدوري، ١٢١١/٣، النتف في الفتاوى، للسُّغْدي، ١٦٦/١، المبسوط للسرخسي، ١٨٨/٣، العناية شرح الهداية، للبابرتي، ٢٨٥/٢، فتح القدير، لابن الهمام، ١٥٧/٢.

(٦) في نسخة (ب): من ذهب أو فضة ، وفي نسخة (ج): من الذهب والفضة.

(٧) انظر: المبسوط للسرخسي، ١٩٤/٢، فتاوى قارئ الهداية، للكناني، ٧٣/١، البحر الرائق، لابن نجيم، ٢٤٥/٢.

سُئِلَ: عن دفع الصدقة للذميّ، هل يجوز، ويثاب الدافع، أم لا ؟ .

أجاب: نعم يجوز، ويثاب الدَّافع المراد بها صدقة التطوع لا صدقة الزكاة[1][2].

سُئِلَ: هل يلزم الزوج أن يخرج صدقة الفطر عن زوجته، أم لا ؟.

أجاب: لا يلزمه ذلك[3].

سُئِلَ: إذا أراد الرجل أن يعجل صدقة الفطر قبل دخول رمضان، هل يجوز له ذلك، أم لا ؟.

أجاب: نعم يجوز له ذلك[4].

سُئِلَ: عن فقير ادَّعى على غني بالغ عند حاكم حنفي بوجوب الزكاة في ماله، وطلب منه الزكاة، فهل تسمع دعواه بذلك[5]، ويحكم عليه[6] بالدفع للمدعي المذكور[7]، أم لا ؟ .

أجاب: لا تسمع دعواه بذلك[8]، وليس للحاكم أن يحكم عليه[9] بالدفع للمدَّعي المذكور[10].

سُئِلَ: عمن جمع مالاً حراماً حال عليه الحول وهو في يده، هل تجب[11] عليه الزكاة فيه أم لا؟

(١) الجملة (المراد بها صدقة التطوع لا صدقة الزكاة) ساقطة من (ب ، ج).

(٢) انظر: الهداية، للمرغيناني، ١١١/١، العناية شرح الهداية، للبابرتي،٢٦٦/٢، فتح القدير، لابن الهمام،٢٦٦/٢، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٦١/٢.

(٣) انظر: المبسوط للسرخسي،١٠٥/٣، بدائع الصنائع، للكاساني،٧٢/٢، الهداية، للمرغيناني،١١٥/١، المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة،٣٠٠/١، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٧١/٢.

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي،١١٠/٣، المحيط البرهاني، لابن مازة،٤٠٩/٢، بدائع الصنائع، للكاساني،٧٤/٢، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٧٥/٢، غمز عيون البصائر،١٥٥/٤.

(٥) في نسخة (ب): دعواه عليه بذلك .

(٦) في نسخة (ب): ويحكم الحاكم عليه.

(٧) في نسخة (ب ، ج): بدفع الزكاة له.

(٨) في نسخة (ب ، ج): عليه بذلك.

(٩) في نسخة (ب): ولا يحكم الحاكم عليه ، وفي (ج): ولا يحكم عليه الحاكم.

(١٠) انظر: بدائع الصنائع، للكاساني،٢٦/٢، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٤٩/٢.

(١١) في نسخة (ب ، ج): يجب.

أجاب: لا تجب[1] عليه فيه زكاة[2].

سُئِلَ: عمن دفع من ماله الحرام عن ماله الحلال بقدر الواجب عليه من الزكاة هل يجزؤه ذلك[3] أم لا ؟ .

أجاب: نعم يجزئه ذلك[4]؛ لأنه ملكه بالغصب[5]؛ ويضمن مثله لمستحقه[6].

سُئِلَ: عمن عليه زكاة وعنده ولد[7] صغير يتيم يعوله، ويطعمه[8] ويكسوه من زكاة ماله، هل يجزؤه ذلك أم لا ؟ .

أجاب: نعم يجزؤه ذلك[9][10].

سُئِلَ: عن رجل له على آخر دين مؤجل وليس له مال سواه، هل يحلّ له أخذ الزكاة[11] أم لا؟

أجاب: نعم يحلّ له أخذ الزكاة إلى حلول الأجل[12][13].

سُئِلَ: عن تعجيل صدقة الفطر[14] قبل دخول شهر رمضان هل يجوز أم لا ؟

أجاب: نعم يجوز[15].

(١) في نسخة (ب ، ج): يجب.
(٢) انظر: فتح القدير، لابن الهمام،١٥٤/٢، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٢١/٢.
(٣) في نسخة (ب ، ج): هل يجزوه.
(٤) لفظة (ذلك) ساقطة من (ب ، ج).
(٥) الغصب لغة: أخْذُ الشيء ظلماً وقهراً. انظر: العين،٣٧٤/٤، لسان العرب، لابن منظور،٦٤٨/١، وشرعاً: أخذ مال متقوم محترم بغير إذن المالك على وجه يزيل يده عنه، وقيل الاستيلاء على حق الغير عدواناً. انظر: الجوهرة النيرة، للحدادي،٣٣٨/١ ، التعريفات، للجرجاني،١٦٢/١.
(٦) انظر: فتح القدير، لابن الهمام،١٥٤/٢، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٢١/٢.
(٧) لفظة (ولد) ساقطة من (ب ، ج).
(٨) في نسخة (ج): فيطعمه.
(٩) لفظة (ذلك) ساقطة من (ب ، ج).
(١٠) انظر: عيون المسائل، للسمرقندي،٤٠/١، تحفة الفقهاء، للسمرقندي،٣٠٨/١، بدائع الصنائع، للكاساني،٣٩/٢، فتح القدير، لابن الهمام،٢٧٠/٢.
(١١) في نسخة (ب ، ج): إلى حلول الأجل أم لا.
(١٢) الجملة (إلى حلول الأجل) ساقطة من (ب ، ج).
(١٣) انظر: بدائع الصنائع، للكاساني،٢٨٧/٢، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٥٩/٢.
(١٤) في نسخة (ج): إذا وقع القدر.
(١٥) المبسوط للسرخسي،١١٠/٣، المحيط البرهاني، لابن مازة،٤٠٩/٢، بدائع الصنائع، للكاساني،٧٤/٢، البحر الرائق، لابن نجيم،٢٧٥/٢، غمز عيون البصائر، للحموي،١٥٥/٤.

سُئِلَ: عمن وجب عليه صدقة الفطر، إذا دفع القدر الواجب عليه للفقراء فخصّ[1] كلَّ واحد منهم قدحٌ بالمصري، هل يجزؤه، ذلك أم لا ؟ .

أجاب: لا يجزؤه ذلك، والواجب عليه أن يدفع للفقير نصف صاع[2] من بُرّ، أو قيمته لا دون ذلك[3].

سُئِلَ: عمن عنده[4] مال وعليه دين، هل يجب[5] عليه الزكاة فيه أم لا ؟ .

أجاب: إن كان الدين محيطاً بماله[6] لا زكاة عليه فيه[7] وإن كان أقل منه أُدي عن الفاضل عنه إذا بلغ نصاباً[8].

سُئِلَ: عمن يملك[9] مالاً ووجب[10] عليه الزكاة فيه ولزوجته أولاد من غيره فقراء، هل يجوز له[11] دفع الزكاة إليهم أم لا ؟ .

أجاب: نعم يجوز له دفع الزكاة إليهم[12].

سُئِلَ: عمن جمع مالاً خبيثاً حتى بلغ نصاباً، هل تجب فيه الزكاة أم لا ؟ .

أجاب: لا تجب فيه الزكاة[13].

سُئِلَ: عن المجنون إذا كان له مال، هل تجب فيه الزكاة أم لا ؟ .

---

(١) في نسخة (ب): وخص ، وفي نسخة (ج): خص.

(٢) الصاع: الذي يكال به، وهو أربعة أمداد، أي أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما، انظر: القاموس المحيط ،١/٧٣٩.

(٣) انظر: تبيين الحقائق، للزيلعي،١/٣١١، فتح القدير، لابن الهمام،٢/٣٠٠، البحر الرائق، لابن نجيم،٢/٢٥٧.

(٤) في نسخة (ب ، ج): عمن خصه.

(٥) في نسخة (ب): تجب.

(٦) في نسخة (أ): بالمال.

(٧) لفظة (فيه) ساقطة من (ب ، ج).

(٨) انظر: المبسوط للسرخسي،٢/٢٨٧، بدائع الصنائع، للكاساني،٢/١٦٠، الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة،١/٥٨.

(٩) في نسخة (ب ، ج): عن شخص.

(١٠) في نسخة (ج): وجبت.

(١١) لفظة (له) ساقطة من (ب ، ج).

(١٢) أنظر: البحر الرائق، لابن نجيم،٢/٢٦٢، رد المحتار، لابن عابدين،٢/٣٥٤.

(١٣) انظر: الفتاوى البزازية،١/٤١، فتح القدير، لابن الهمام،٢/١٥٤، البحر الرائق، لابن نجيم،٢/٢٢١.

أجاب: لا تجب فيه الزكاة ما دام مجنوناً[1].

سُئِلَ: عمن دفع الزكاة إلى الشريف الفقير هل تجوز[2] وتسقط[3] عن المؤدي ويحل للشريف [الفقير][4] أخذها أم لا ؟.

أجاب: نعم يجوز دفع الزكاة إليه وتسقط[5] عن المؤدي ويحل للشريف الفقير أخذها[6][7].

قال شيخنا[8] ومولانا المُرَتِّب المذكور[9]: إن الشيخ رحمه الله تعالى[10] خالف[11] في فتواه هذه ظاهر الرواية، فإن المجزوم به في سائر المتون والشروح الموضوعة لنقل المذهب: إن الصدقة لا تحلُّ لبني هاشم ومواليهم[12]؛ لكن نقل في شرح المجمع[13] لابن عبد ملك[14][15] عن شرح الآثار[16] رواية

(١) انظر: الأَصْلُ، للشيباني، ٦٨/٢، التجريد للقدوري، ١٢١٣/٣، فتاوى قاضي خان، ١٢٦/١، بدائع الصنائع، للكاساني، ٥/٢، الهداية، للمرغيناني، ٩٥/١، فتح القدير، لابن الهمام، ١٥٧/٢.

(٢) في نسخة (ب ، ج): يجوز.

(٣) في نسخة (ب ، ج): ويسقط.

(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة (أ، ب)، وما أثبته من (ج)، والشريف: كُلُّ مَنْ كان مِنْ أَهل البيت علوِيًّا أَو جعفريًّا أَو عباسيًّا. انظر: فتاوى قاضي خان، ١٣١/١، رد المحتار، لابن عابدين، ٦٨٥/٦.

(٥) في نسخة (ب): ويسقط.

(٦) الجملة (أجاب: يجوز دفع الزكاة إليه وتسقط عن المؤدي ويحل للشريف الفقير أخذها) ساقطة من نسخة (ج).

(٧) انظر: فتح القدير، لابن الهمام، ٢٧٢/٢، البحر الرائق، لابن نجيم، ٢٦٦/٢، رد المحتار، لابن عابدين، ٣٥٠/٢، حاشية الطحطاوي، ٧٢١/١.

(٨) هو محمد بن عبد الله بن أحمد، الخطيب العمري التمرتاشي الغزي الحنفي. سبق تعريفه.

(٩) في نسخة (ب): قال شيخنا المُرَتِّب المذكور أقول ، وفي نسخة (ج): قال شيخنا وأستاذنا.

(١٠) الجملة (أن الشيخ رحمه الله تعالى) ساقطة من نسخة (ب ، ج).

(١١) في نسخة (ب): قد خالف شيخنا الشيخ زين رحمه الله تعالى، وفي نسخة (ج): قد خالف.

(١٢) انظر: فتاوى قاضيخان، ١٣١/١، البناية شرح الهداية، للعيني، ٤٧١/٣، درر الحكام، لملا خسرو، ١٩١/١، البحر الرائق، لابن نجيم، ٤٧١/٣.

(١٣) شرح المجمع، عبد اللطيف بن عبد العزيز الرومي الفقية توفي بها سنة ٨٠١ هـ ، وهو شرح مجمع البحرين لِابن الساعاتي في الفروع. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، ١٥٩٩/٥، هدية العارفين، للبابانى، ٦١٧/١.

(١٤) في نسخة (ج): المجزم لابن الملك.

(١٥) ابن ملك، هو عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين، المعروف بابن المَلَك، الحنفي، فقيه، أصولي، من مؤلفاته: شرح مشارق الأنوار في صحاح الأخبار للصغاني في الحديث، وشرح المنار للنسفي في أصول الفقه، وشرح مجمع البحرين لابن الساعاتي في فروع الفقه الحنفي، توفي سنة ٨٠١هـ. انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، للقسطنطيني، ٣٠٠/٢، الفوائد البهية، في تراجم الحنفية: ١٠٧/١، معجم المؤلفين، لرضا كحالة، ١١/٦.

(١٦) هو شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي (ت: ٣٢١هـ). انظر، كشف الظنون، لحاجي خليفة، ١٧٢٨/٢.

عن أبي حنيفة قائلاً بأن الصدقة أو[1] الصدقات كلها جائزة على بني هاشم وأن المحرمة[2] كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لوصول خمس الخمس إليهم فلما سقط ذلك بموته صلى الله عليه وسلم[3] حلت لهم[4]، قال الطحاوي: وبالجواز نأخذ انتهى[5]، وهذا هو سند شيخنا رحمه الله تعالى[6] في فتواه[7].

سُئِلَ: عمن دفع زكاته لشخص في ظُلمة ظاناً أنه مسلم، فظهر[8] أنه يهوديَّ، هل يجزؤه ذلك، أم عليه الإعادة ؟[9].

أجاب: نعم يجزؤه ذلك، ولا إعادة عليه[10].

سُئِلَ: عن رجل عليه زكاة لم يؤدها حتى قرب موته[11] وأوصى[12] أن يخرجها وصيه[13] من ماله ويدفعها للفقراء[14]، هل يخرجها من ثلث ماله أم من رأس المال[15]؟

أجاب: يخرجها من ثلث المال[16].

(١) لفظة (الصدقة أو) ساقطة من (ب ، ج).
(٢) في نسخة (ب): الحرمة.
(٣) الجملة (صلى الله عليه وسلم) لم ترد في نسخة (ب ، ج).
(٤) انظر: شرح معاني الآثار، ٣/٢، ١٠، البناية شرح الهداية، للعيني، ٤٧١/٣.
(٥) انظر: شرح معاني الآثار، ٦/٢، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ٧٢١/١.
(٦) في نسخة (ب): سنده رحمه الله تعالى ، وفي نسخة (ج): رحمه الله.
(٧) انظر: فتح القدير، لابن الهمام، ٢٧٢/٢، البحر الرائق، لابن نجيم، ٢٦٥/٢–٢٦٦، رد المحتار، لابن عابدين، ٣٥٠/٢، حاشية الطحطاوي، ٧٢١/١.
(٨) في نسخة (ب ، ج): بعد ذلك.
(٩) في نسخة (ب): هل يجزؤه ذلك ولا إعادة عليه أم لا يجزؤه وعليه الإعادة ، وفي نسخة (ج): هل يجزؤه ذلك ولا إعادة عليه أم لا يجزؤه ذلك وعليه الإعادة .
(١٠) انظر: كنز الدقائق، للنسفي، ٢١٧/١، ٣٣٢/١، البحر الرائق، لابن نجيم، ٢٦٦/٢، ١١٦، النهر الفائق شرح كنز الدقائق، ٤٦٧/١.
(١١) الجملة (حتى قرب موته) ساقطة من (ب ، ج).
(١٢) في نسخة (ب ، ج): فأوصى.
(١٣) في نسخة (ب ، ج): الوصي.
(١٤) في نسخة (ب ، ج): إلى الفقراء.
(١٥) في نسخة (ب): من ثلث المال أو من رأس المال ، وفي نسخة (ج): من ثلث ماله ويدفعها إلى الفقراء أو من رأس المال.
(١٦) انظر: تحفة الملوك، للرازي، ١١٩/١، الاختيار، للبلدحي، ١٠٤/١.

سُئِلَ: عمن ملك مالاً ولم يؤد[1] زكاته حتى هلك المال[2]، هل تصير الزكاة ديناً في ذمته[3] أو تسقط عنه[4] بهلاك المال ؟ .

أجاب: نعم تسقط الزكاة بهلاك المال[5].

سُئِلَ: عن الدرهم الشرعي كم هو قيراط، وكل قيراط كم شعيرة والمثقال كم مقداره من القراريط؟.

أجاب: الدرهم أربعة عشر قيراطاً والقيراط خمس شعيرات والمثقال عشرون قيراطاً[6].

سُئِلَ: عمن له أواني من فضة تزيد على مِئتي درهم فهل عليه زكاة فيها أم لا؟

أجاب: نعم عليه فيها[7] الزكاة بشرط حولين الحول في ملكه والله أعلم[8].

خاتمـــــــــة

الحمدلله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .. وبعد..

فهذه خاتمه البحث التي تحتوي على النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

١- إن كتاب فتاوى ابن نجيم رحمه الله كان في الأصل عبارة عن مسائل متناثرة، ثم قام التمرتاشي رحمه الله بترتيبها على الأبواب الفقهية، أي: نهج منهج الحنفية في ذلك.

(١) في نسخة (ج): يؤدي .
(٢) لفظة (المال) ساقطة من (ب ، ج).
(٣) في نسخة (د): الذمة.
(٤) لفظة (عنه) ساقطة من (ب ، ج).
(٥) انظر: التجريد للقدوري،٣/١١٥٩، بدائع الصنائع، للكاساني،٢/٧٥، مجمع الانهر، لشيخي زاده،١/٣٠١.
(٦) انظر: تبيين الحقائق، للزيلعي،١/٢٧٨، درر الحكام، لملا خسرو،١/١٨٠.
(٧) لفظة (فيها) ساقطة من (ج).
(٨) انظر: المبسوط للسرخسي،٣/٦٧، الجوهرة النيرة، للحدادي،١/١٢٣.

٢- الكتاب عبارة عن سؤال وجواب، فالتزم ابن نجيم في جوابه بالاختصار في المسائل جميعها، إلا أَنَّ التمرتاشي تعقبه في كثير من الأجوبة.

٣- اعتمد ابن نجيم رحمه الله على الاستدلال العقلي، لذا لم نجد في اجوبته أي دليل من الكتاب والسنة.

٤- لم يذكر ابن نجيم رحمه الله في أَجوبته اي كتاب أو عالم بمعنى أَنه خال من الإحالة، وما ذُكِرَ فيه من الإحالة فهو من عمل التمرتاشي رحمه الله.

٥- اعتمد المرتِّب على كتب الفقه الحنفي، لم يجاوزها إلى غيرها من كتب الحنفية الأخرى.

٦- اتَّسمَ عمل المرتِّب بالأمانة العلمية في النقل والاقتباس، ويظهر ذلك واضحاً في نهجه حين عَزْوِ الأقوال، إمَّا بالعزو المباشر أو بالواسطة مبيناً ذلك عند انتهاء النص المنقول بقوله (انتهى)، أو بقوله (كما في العمادية والخلاصة وغيرهما من الكتب المعتمدة) مثلاً.

٧- أحياناً يُعقّب على أجوبة ابن نجيم بذكر أكثر من جواب للمسألة ويرجح الصحيح منها، وإن كان مخالفًا لقول شيخه ابن نجيم، وهذا إن دلّ فإنَّما يدلّ على إخلاص التمرتاشي وبحثه عن الحق وإن كان مخالفًا لقول شيخه.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. كشف كنوز التراث الإسلامي المتمثل في الاهتمام بالمخطوطات، وإجراء البحوث عليها، وتحقيقها تحقيقاً علمياً، وفق قواعد التحقيق العلمي المتبع.

٢. إن في الوقوف على مجهودات من سبقنا لدروساً يبثها كل جانب من جوانبها نتربى خلالها على علومهم وفكرهم وعلمهم ومواقفهم، ونستقي العلم من صواب كتابتهم، ولا نحط لهم قدراً، ولا نغمط لهم حقاً.

٣. علم التحقيق من العلوم التي ينبغي علينا نحن المسلمين إيلاؤه اهتماماً كبيراً جداً لخطورته، حيث إن ترك مهمة التنقيب عن الكنوز الإسلامية، وتحقيقها لغير الإسلاميين من مستشرقين وعلمانيين أمر مستهجن بكل المقاييس، فإننا وإن شكرنا جهود غير الإسلاميين على ما قدّموه من جهد وأمانة في كثير من المواضع، إلا أننا ينبغي أن لا نترك أمر هذا التراث الجليل، في يد أناس إمّا مخالفين له فكراً وعقيدةً أو معادين أو منكرين.

٤. على العلماء المحققين، وطلبة العلم الباحثين الالتفاف إلى تحقيق المخطوطات وإعطائها جانباً مهماً في المسيرة العلمية، لما لها من قيمة تراثية وتاريخية، لأنها ثمرة تلك العقول المبصرة الفَذَّة لأولئك الذين آتاهم الله تعالى المواهبَ النادرة، والقدرةَ العجيبة الباهرة على احتواء العلم، وتحقيقه، وتدوينه عَذْباً مُضيئاً وَضيئاً، من شعاع الخاطر إلى رأس القلم، دون تردُّد أو تعثُّر، أو وهنٍ ذهنٍ أو عبارة أو تكدُّر، أو فُتورِ بيان، فأنفاسُهم وخواطرهم تحمِلُ العلَم مستقيماً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٥. توصي الدراسة طلاب العلم وخاصة المنتسبين إلى تخصص الفقه أن يجتهدوا في إحياء كتب الفقه للعلماء القدامى الذين خدموا الفقه خدمةً جليلة، وخاصة الكتب التي مازالت مخطوطة ولم تحقق؛ خدمة للتراث الإسلامي ولمكتبة الفقه الإسلامي .

المصادر والمراجع

١. الاختيار لتعليل المختار- لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي الحنفي، (ت:٦٨٣هـ)، مطبعة الحلبي، القاهرة، وصورتها دار الكتب العلمية، بيروت، وغيرها، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٢. الأعلام - لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٣. البحر الرائق شرح كنز الدقائق - لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، (ت:٩٧٠هـ)، وفي آخره، تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية، منحة الخالق لابن عابدين، ط٢، دار الكتاب الإسلامي.

٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، (ت:٥٨٧هـ)، ط١، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م، و ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥. البلدان، لأحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، (ت: بعد ٢٩٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦. البناية شرح الهداية - لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، (ت:٨٥٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ - لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، (ت:٧٤٣هـ)، والحاشية: لشهاب الدين أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ، (ت:١٠٢١هـ، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١٣هـ، تصوير دار الكتاب الإسلامي، ط١.

٨. تحفة الفقهاء، لمحمد بن أحمد بن أبي أحمد - أبي بكر علاء الدين السمرقندي، (ت: نحو ٥٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.

٩. الجوهرة النيرة - لأبي بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيدِيّ اليمني الحنفي، (ت:٨٠٠هـ)، المطبعة الخيرية،ط١، ١٣٢٢هـ.

١٠. حاشية ابن عابدين - المسماة (رد المحتار على الدر المختار)، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، (ت: ١٢٥٢هـ)، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار- لابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٢. خزانة التراث، فهرس مخطوطات - قام بإصداره مركز الملك فيصل.

١٣. الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار - لمحمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي،(ت:١٠٨٨هـ). تحقيق، عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٤. درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا خسرو، (ت:٨٨٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية.

١٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، (ت:١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية.
١٦. الطَّبَقات السَّنِيَّة في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التَّمِيْمي الدَّاري (ت: ١٠٠٥هـ)، تحقيق، عبد الفتاح محمّد، المجلس الأَعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٧. العناية شرح الهداية - لمحمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبي عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي، (ت:٧٨٦هـ)، ط، دار الفكر.
١٨. الفتاوى البزازية بهامش الفتاوى الهندية - للشيخ الإمام حافظ الدين محمد بن محمد ابن شهاب المعروف (ابن البزاز) الكردري، (ت:٨٢٧هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣١٠هـ.
١٩. الفتاوى الخانية – لقاضي خان فخر الدين حسن بن منصور الاوزجندي الفرغاني الحنفي، (ت:٥٧٢هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٢٠. فتاوى قارئ الهداية، عمر بن علي بن فارس الكناني الشهير بقارئ الهداية (ت:٨٢٩)، تحقيق الشيخ سعيد لقمان، دار الكتب العلمية، لبنان،١٩٧١م.
٢١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون- لحاجي خليفة مصطفى بن عبدالله، (ت:١٠٦٧هـ)، ط، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م. (صورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) و (طبعة الجديدة لدار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

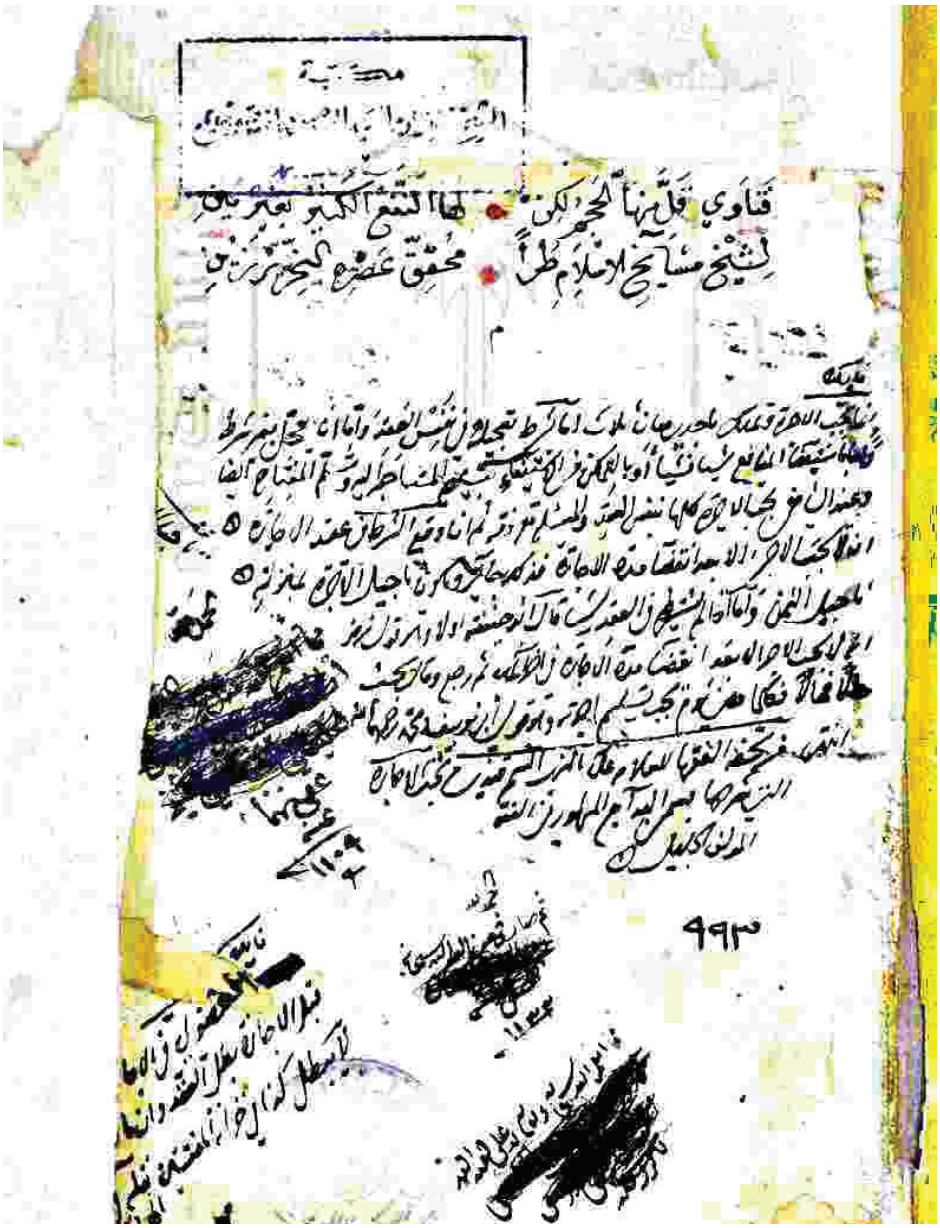
٢٢. لسان العرب - محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، (ت:٧١١هـ)، ط، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، و ، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٣. المبسوط - لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، (ت: ٤٨٣هـ)، تحقيق، خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٢٤. المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه - لبرهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي، (ت:٦١٦هـ)، تحقيق، عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٥. معجم البلدان- لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
٢٦. معجم المؤلفين - لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت:١٤٠٨هـ)، ط، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٧. الهداية في شرح بداية المبتدي - لعلي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، (ت:٥٩٣هـ) تحقيق، طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، (ت:١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩. الكواكب السائرة، بأعْيان المئة العاشرة، محمّد بن بَدر الدين محمّد بن رَضِيّ الدين محمّد الغَزّي، تحقيق، جبرائيل سليمان، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
٣٠. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٦٠هـ-١٩٤١م.
٣١. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا بن محمّد أمين سليم الباباني، إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٢. معجم المطبوعات العربية، يوسف بن اليان بن موسى سركيس، مطبعة سركيس، مصر.
٣٣. معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار الفكر، بيروت.
٣٤. خلاَصة الأَثَر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن محمد المحبي الحموي، الدمشقي دار صادر، مصر، ١٢٨٤هـ.
٣٥. مقدمة فتح الغفار بشرح المنار، زين الدين بن إبراهيم، ابن نجيم، ط١، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٥٥هـ.
٣٦. خزانة التراث، فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل.
٣٧. المغرب في ترتيب المعرب،علي بن المطرز، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩، تحقيق، محمود فاخوري.
٣٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الرافعي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٣٩. المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفضل البعلي، تحقيق، محمود الأرناؤوط، مكتبة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

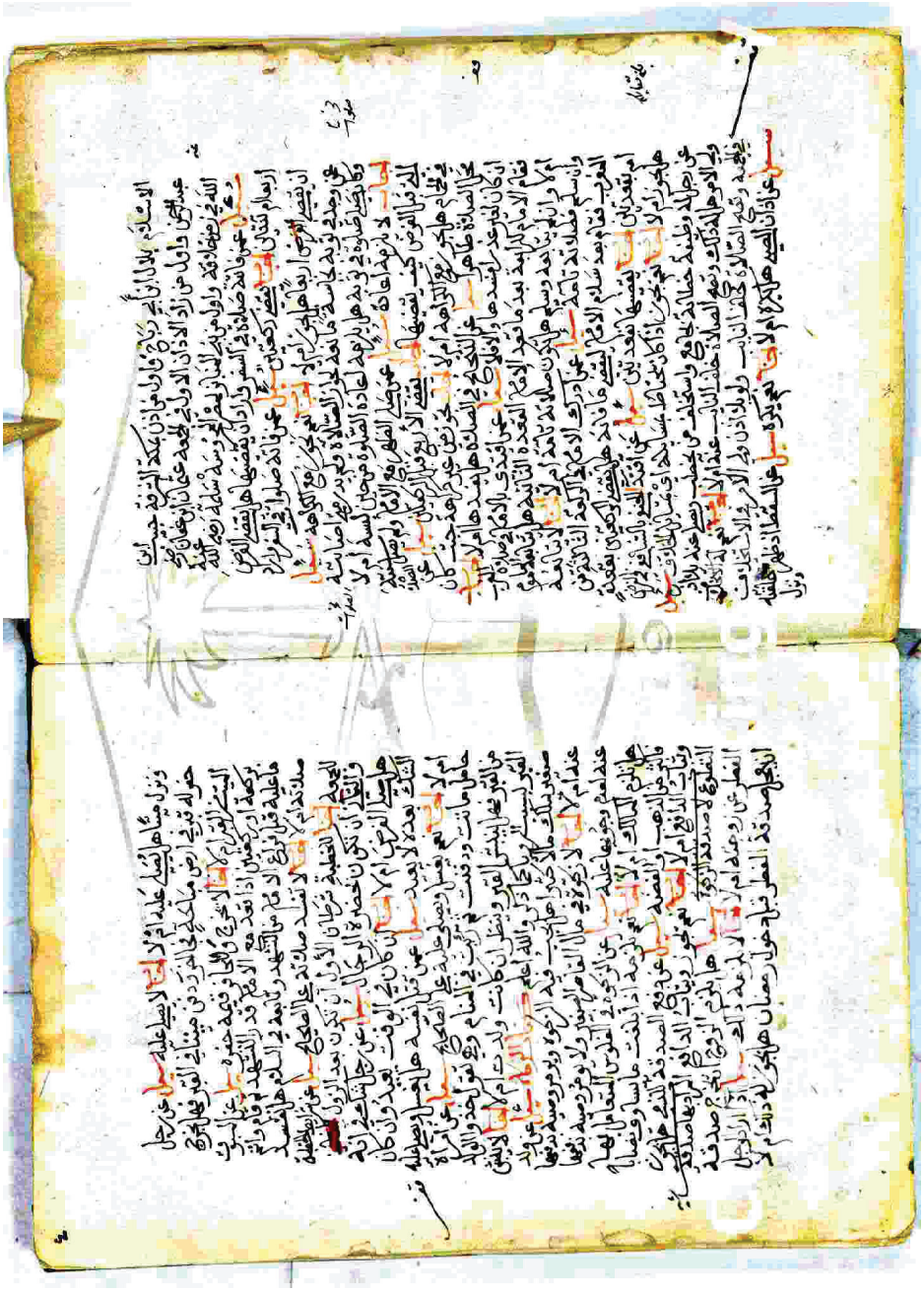
٤٠. التجريد للقدوري،أحمد بن محمد بن أحمد القدوري، تحقيق، مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، محمد أحمد سراج، علي جمعة، دار السلام ، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٤١. النتف في الفتاوى، علي بن محمد السُّغْدي، تحقيق، صلاح الدين الناهي، دار الفرقان، الأردن، ط٢، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.
٤٢. فتح القدير، محمد السيواسي، دار الفكر، بيروت.
٤٣. المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة، محمد بن عبد الله بن أبي بكر الحثيثي، تحقيق، سيد محمد مهنى، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٤٤. غمز عيون البصائر، في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكي، الحموي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٥. عيون المسائل، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق، صلاح الدِّين الناهي، مطبعة أسعد، بَغْدَاد، ١٣٨٦هـ.
٤٦. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ__٢٠٠٥م.
٤٧. الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة، عمر بن إسحق بن أحمد الهندي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٦-١٩٨٦ هـ.
٤٨. الأصل المعروف بالمبسوط - لمحمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، (ت:١٨٩هـ)، تحقيق، أبي الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية – كراتشي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٤٩. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، أحمد الطحطاوي، تحقيق، محمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٥٠. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، تحقيق، محمود الأرناؤوط.
٥١. الفوائد البهية، في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه، محمد النعساني، دار السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٤هـ.
٥٢. شرح معاني الآثار، المؤلف: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق، محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩.
٥٣. النهر الفائق شرح كنز الدقائق، عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي، تحقيق، أحمد عزو،دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٥٤. تحفة الملوك، محمد بن عبد القادر الرازي، تحقيق، عبد الله نذير، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٧م. مجمع الانهر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان زاده، تحقيق، خليل عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

صور نُسخ المخطوط



عنوان كتاب فتاوى ابن نجيم (أ)



الورقة الأولى من النص المحقق من النسخة (أ)



عنوان كتاب فتاوى ابن نجيم (ب)

الورقة الأولى من النص المحقق من النسخة (ب)



عنوان كتاب فتاوى ابن نجيم (ج)



الورقة الأولى من النص المحقق من النسخة (ج)

القيمة العلمية لمختصر جليل من كتاب معالم التنزيل للسيد محمد بن جرجبس القادري ـ ت ١٣٠٥هـ

الباحث/ إبراهيم عزيز أحمد أحمد •

ملخـــص

تبرز أهمية هذا البحث في أنه تناول دراسة القيمة العلمية لمخطوطة (السيد محمد بن جرجيس القادري، المسمى بـ(مختصر الجليل من كتاب معالم التنزيل). وهو أول مختصر لتفسير الإمام البغوي المسمى ب (معالم التنزيل) وهو جزء من تراث الأمة الذي مازال مخطوطاً، هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالمخطوطات وقيمتها العلمية في مجال تفسير القرآن الكريم، وبيان أثر تحقيق المخطوطات في فهم القرآن الكريم، وإبراز مكانة علمائنا الأجلاء وإظهار جهودهم العلمية وإنقاذها من الضياع. واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: إن هذا التفسير من التفاسير القيمة وذلك من خلال اهتمامه الكبير بالتفسير بالمأثور وذكره لأقوال السلف في التفسير. وتعرضه لمباحث علوم القرآن التي تتصل بتفسير كتاب الله وخاصة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني. مع اهتمامه بالتفسير بالمعقول والمنقول. كما توصلت إلى أنه تفسير يجمع بين الرواية والدراية فقد استوعب التفسير الآيات جميعها، ولم يقتصر على تفسير بعضها كما في بعض المختصرات الأخرى. وتوصي الدّراسة المسلمين جميعهم بتعلم القرآن الكريم وعلومه بكل صدق وأمانة من أجل مرضاة الله تعالى، كما توصيهم في جميع أقطار العالم الإسلامي حكاماً

• عراق ــ أربيل.

وشعوباً بأن يتمسّكوا بالقرآن الكريم ويعتنوا به، ويطبقوا تعاليمه في كل صغيرة وكبيرة كما طبقها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم ورقي وحضارة حتى استطاعوا قيادة العالم أجمع، وكتب الله لهم النصر والتأييد فقادوا العالم أجمع .

Abstract

The importance of this research is evident in that it dealt with the study of the scientific value of the (mkhtwt) ;manuscript of(Sayyid Muhammad ibn Jarjis al-Qadri), called (mkhatasir aljulayl min kitab maealim altunzila) "The Summary of the lofty from the Book of Milestones of the Revelation." It is the first summary of Imam al-Baghawi's called "Milestones of the Revelation" it is part of the nation's heritage. This study aimed at introducing manuscripts and their scientific value in the field of interpretation of the Holy Qur'an, showing the effect of manuscript in understanding the Holy Qur'an, highlighting the status of our venerable scholars and demonstrating their scientific efforts and saving them from being lost. The study adopted the inductive and descriptive analytical method. The study has reached to several results, the most important of which were: This interpretation is one of the valuable interpretations, it interested in interpretation with the tradition and mention of the sayings of the predecessors in the interpretation., it exposures to the investigations of the sciences of the Qur'an that relate to the interpretation, especially the causes and events of revelation, the transcript and the abrogated, the Meccan and the Medani. The researcher recommends all people in all countries of the Islamic world adhere to the Holy Qur'an and take care of it, and apply its teachings in all life aspects as the Prophet, may God's prayers and peace be upon him and his honorable companions applied them. May God grant them victory and support, so they led the whole world .

مقدمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى شاء في سابق علمه، وقضى في ماضي قدره أن يرحم هذه الأمة، فأنفذ قضاءه، وأبرم قدره، فلطف بها ورحمها واختارها على غيرها من الأمم، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وأكرمها عليه، منّةً منه وفضلاً، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأرسل إليها أفضل رسله، وأكرم أنبيائه، محمداً عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم القائل: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة))[1]. وأنزل عليه أفضل كتبه وأحسن حديثه، ليجعله مرجعاً للأصول الدينية الثابتة والأحكام الشرعية الخالدة، على مرّ الدهور والأعوام، وكرّ الليالي والأيام، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، وفصّل فيه كل شيء، وبيّن فيه كل أمر مما يحتاج إليه المسلمون في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، من أجل ذلك كان تفسير كتاب الله وتبيين معانيه وتوضيح مقاصده ومطالبه أصل الأصول، وأفضل العلوم، وأم المعارف الدينية، اجتمعت له جهات الشرف والفضل، وهي شرف الموضوع، وشرف الغرض، وشدة الحاجة إليه، أما شرف الموضوع فلأن موضوعه كتاب الله ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، وأما

(١) أخرجه الأمام مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت:باب تفضيل نبينا (صلى الله عليه وسلم)– ١٧٨٢/٤، رقم(٢٢٧٨).

شرف الغرض فلأن الغرض من التفسير هو فهم مراد الله في كتابه، ثم العمل بمقتضاه، ولا شرف فوق هذا الشرف، وأما شدة الحاجة إليه فلأن كل العلوم الشرعية والمعارف الدينية متوقفة على العلم بكتاب الله، فقام نخبة من علماء الأمة بالعناية بالقرآن العظيم عناية بالغة، فألَّفوا فيه وفي علومه مؤلفات لا تحصى كثرة ،ففسروا آيات القرآن الكريم، وبينوا معانيه، وأظهروا أسراره وكنوزه، كل بحسب علمه، وما أدَّاه إليه اجتهاده، فتركوا لمن بعدهم ثروة علمية هائلة، تمثلت في كتبهم المشتهرة، والتي تلقتها الأمة بالقَبول، وتداولها العلماء وطلبة العلم جيلاً بعد جيل،وممن نالهم هذا الشرف تباعاً السيد محمد بن جرجيس القادري الموصلي الذي قام برفد المسيرة العلمية في فترة خمدت فيها قوة التأليف لخدمة القرآن الكريم فأراد إحياء بعض ما جاء عن علماء الأمة في هذا الشأن فوضع مختصراً بمثابة العون والتيسير لتفسير من تفاسير علماء الأمة المتقدمين، في زمن قلَّ طلابه للعلوم الشرعية ولاسيما علم التفسير وقصرت هممهم في هذا المجال، فأراد بهذا التأليف تقريب الأذهان في فهم شيء يسير من القرآن الكريم حتى يتحصن به المؤمن في زمن عمَّ فيه الجهل وبعدت فيه الشقة بينه وبين القرآن الكريم. كان السيد محمد النوري ذا منزلة مرموقة بين علماء الموصل والمناطق المجاورة لها، وقد وصف بأنه شيخ السجادة القادرية النورية بالموصل، ومن أكابر علمائها، عمَّر وأصلح كثيراً من بناية الجامع النوري، وله فيه خزانة كتب تحوي كثيراً من مؤلفاته النفيسة في التفسير والتصوف والوعظ والإرشاد[1].

أهداف البحث:

١- التعريف بالمخطوطات.

(١) ينظر: أعلام الموصل: ٣٣١.

٢- بيان الحكمة من فهم بعض آيات الله سبحانه.

٣- بيان القيمة العلمية لمخطوطه لفهم القرآن الكريم.

٤- بيان مكانة علمائنا الأجلاء الذين كتبوا عن تفسير القرآن الكريم.

٥- بيان أوجه التفسير التي استخدمها في المخطوطة.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة هذا البحث في أنه لم يتم التحقيق في المخطوطة بسبب قدمها وعدم توافر الطباعة العصرية في ذلك الوقت. وتيسير "البحث عن الكلمات المفردة أو مجموعة الكلمات، أو الأحاديث، أو الآيات القرآنية، في أي مكان في الشبكة الدولية للمعلومات، وإحالتها إلى مصادرها المختلفة. والمشكلات المتعلقة بطبيعة النص التفسيري المختار، وقيمته العلمية، وضوابط اختياره.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتاريخي، والتحليلي، وذلك باستقراء الآيات موضوع الدراسة وتحليلها وتتبعها في كتاب الله تعالى.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

قلة المصادر التي ترجمت للمؤلف -رحمه الله- إذ يُعدّ من المتأخرين، ومنها: صعوبة التنقل في هذا الوضع الأمني السيئ في العراق، والظروف الصعبة التي يعيشها بلدنا الحبيب أعاده الله إلى صلاحه.

هيكل البحث:

خطة البحث تحتوي على مقدمة وقسمين وخاتمة، في المقدمة ذكرت فيها خطة البحث، وسبب اختياري للعنوان، والصعوبات التي واجهتني في أثناء البحث.

القسم الأول : القيمة العلمية لمختصر جليل من كتاب معالم التنزيل. ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : **مميزات مختصر جليل من كتاب معالم التنزيل.**

المبحث الثاني : **مآخذ على مختصر جليل من كتاب معالم التنزيل.**

القسم الثاني: صورة المخطوطة: الصفحة الأولى والأخيرة، مع تقاريظ العلماء على تفسيره، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : **صورة المخطوطة: الصفحة الأولى والأخيرة.**

المبحث الثاني : **تقاريظ بعض العلماء على تفسيره.**

وختاماً اللهَ أسأل، أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وجميع المسلمين، وإني لا أدّعي لنفسي الكمال، فالكمال لله وحده، وحسبي قول القاضي الفاضل[1]: ((إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا وقال في غده: لو كان غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولوتُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر))[2].

رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) القَاضِي الْفَاضِل أَبُو عَليّ عبد الرَّحِيم بن عَليّ صَاحب الرسائل وَزِير صَلَاح الدّين رحمهمَا الله، ينظر: إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا): محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت: ٦٢٩هـ)المحقق: د. عبد القيوم عبد رب النبي: جامعة أم القرى – مكة المكرمة:ط١ ، ١٤١٠هـ، ٤٣٨/١.

(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي: ٤/١.

القسم الأول

القيمة العلمية لمختصر جليل من كتاب معالم التنزيل

المبحث الأول

مميزات مختصر جليل من كتاب معالم التنزيل

إن مختصر جليل من المختصرات المميزة التي نجح السيد محمد النوري في تقديمه للقراء بأسلوب بسيط ميسر يعين القارئ على فهم تفسير الآيات القرآنية دون الغوص أو التعمق في تفصيلات قد لا يعنى بها القارئ العادي ،فقد كان موفقا في إبقاء روح الكتاب الذي ألفه البغوي إلى حد كبير، وقد صرح المؤلف في الطريقة التي تعامل بها مع التفسير ومنهجه في مقدمته ،فقد اقتصر على تفسير آياته ،وما ورد فيها من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين من أئمة التفسير وقد حذف الأسانيد منها مع أن البغوي ذكر أسانيد التفسير عن الصحابة والتابعين وأئمة التفسير في بداية تفسيره ولم يذكرها في تفسيره للآيات، إلا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد أسند الله له بيان تفسير الآيات، كما أن المؤلف لم يتطرق للقراءات القرآنية التي تعين على فهم الآية، وكذا الوجوه الإعرابية، كما أن منهجه في تفسير الآيات حذف بعض الأقوال التي أوردها البغوي في تفسيره للآية من ذلك عند قوله تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣]، قال ابن عباس هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة وماشطته[1]. فقد اقتصر على هذا قول لابن عباس رضي الله عنهما وترك اسم عطية في هذا الرواية وترك قول لابن عباس رضي الله عنهما

(١) معالم التنزيل" (٢/٤٣٠)،و"تفسير البيضاوي" (١٢١/٣).

الذي أورده البغوي. وهو وعن ابن عباس رواية أخرى: أنهم كانوا سبعين ألف أهل بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله. هذا يدل على علمية المؤلف فإن القول الآخر قد يكون مختلفاً في اللفظ إلا أنه يؤدي المعنى نفسه، ولهذا اقتصر عليه. وقد يكون القول واحداً لأشخاص عدَّة فيقتصر على ذكر بعضهم ،من ذلك ما ورد عنه عند قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧]، أكثر المفسرين: ذهبوا إلى أنه بني إسرائيل كانوا لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعهم، وكانت ظاهرة، فلما بعث مُوسَى عليه السلام أمر فرعون بتخريبها ومنعهم عن الصلاة فأمروا أن يتّخذوا مساجدَ في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من آل فرعون[1]، فلم يذكره. وهذا قول إبراهيم وعكرمة عن ابن عباس. وقال مجاهد: خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة، يصلون فيها سرا (واجعلوا بيوتكم قبلة)، معناه: واجعلوا وجوه بيوتكم إلى القبلة. وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه.، ولم يذكر ابراهيم وعكرمة عن ابن عباس و لا مجاهد ولا ابن جريج، اللذين ذكرهما البغوي.

وقد يقوم المؤلف بتغيير العبارة إلا أنها تؤدي المعنى نفسه من ذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، فقد ذكر المؤلف في ذلك عبارة (أهلكها - والطمس: المحق)[2][3]، في

(١) النص المحقق: ص ١٣١-١٣١.
(٢) "تفسير البغوي" (٢/٤٣١).
(٣) النص المحقق/ ١٣٢.

حين كانت عبارة البغوي في تفسيره (أهلكها، والطمس: المحو)، وقد يصرح البغوي بقول أحد المفسرين من ضمن الأقوال التي يوردها وينسبه له إلا أن المؤلف قد لا يرتضي هذا القول فيقول (وقيل) دون أن يصرح باسمه مما يدل على أنَّ للمؤلف اختياراً في ذلك قد يكون القول ضعيفاً لديه. من ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]، أي: حقاً في الخسارة وقيل: لا محالة[١]، كأنه يستبعد هذا القول الذي صرح به البغوي بلفظ (أي: حقا. وقيل: بلى. وقال الفراء: لا محالة،)[٢] وكأنه يستبعد قول الفراء.

وأيضاً من منهج المؤلف في هذا المختصر، تطرقه للمسائل الفقهية بإيجاز وفي المسائل المهمة فقط كما في مسألة الصّدقة ولم يتوسع في ذكر الخلافات إلا بالقدر الذي يخدم معنى الآية، كما في قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، أي: يثيب، المتصدقين، وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصَّدقة على نبيٍّ من الأنبياء سوى نبيّنا عليه الصلاة والسلام؟ فقال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المتصدّقين﴾ [يوسف: ٨٨]، يعني أنّ الصّدقة كانت حلالاً لهم. سمع الحسن رجلاً يقول: اللّهمّ تصدَّق عليَّ، فقال: إنّ الله لا يتصدَّق وإنّما يتصدَّق من يبغي الثواب، قل: اللّهمّ أعطني و تفضَّل عليَّ[٣].

كما أن من منهجه ذكر الآيات والأحاديث التي تسهم في بيان معنى الآيات. وعنايته بذكر أسباب النزول وذكر معاني الألفاظ باختصار، إلَّا في

(١) "تفسير البغوي"(٢/٤٤٤)، و"تفسير ابن عباس"(١/١٨٣)، و"زادالميسر"(٢/٣٦٦)،و "تفسير الماوردي" (٢/٤٦٤)،و "الكشاف"(٢/٣٨٦)، و"النسفي"(٢/٥٣)، و"تفسير الجلالين"(١/٢٨٧)، و"تفسير الخازن"(٢/٤٧٩)، و"اللباب"(١٠/٤٦١-٤٦٢)، وانظر"تفسير البيضاوي"(٣/١٣٢)، و"الوجيز للواحدي"(١/٥١٧)، و"تفسير ابن كثير"(٤/٢٧٣).

(٢) النص المحقق/ ١٥٢.

(٣) "تفسير البغوي"(٢/٥١١)، و "زاد الميسر"(٢/٤٦٧)، و "الكشاف"(٢/٥٠٠)، و "تفسير الخازن"(٢/٥٥٢)، وأنظر "تفسير البيضاوي"(٣/١٧٤-١٧٥)، و "تفسير الماوردي"(٣/٧٣-٧٤)، و "الوجيز للواحدي"(١/٥٥٨).

مواضع معينة استوجبت التوسع ، كما في تفسير معنى (البشرى)، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤]، اختلفوا في هذه البشرى[١]. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنّه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، فقال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»[٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ»[٣]، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ». وقيل: البشرى في الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة. قال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس ؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن » . وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت، قال الله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: البشرى في الحياة الدنيا يريد عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن تعالى (وتُبشَّر برضوان الله)[٤]. قوله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]، أي لا تغيير لقوله ولا خلف لوعده[٥]. وأخيراً فقد استوعب

(١) "معالم التنزيل" (٢/٤٢٦).

(٢) "تفسير ابن عباس" (١/١٧٦)، و"روح البيان" (٤/٦١)، و"تفسير الجلالين" (١/٢٧٦).

(٣) إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.
أبو اليمان هو الحكم بن نافع، شعيب هو ابن أبي حمزة، الزهري هو محمد بن مسلم.
وهو في «شرح السنة» ٣١٦٥ بهذا الإسناد، وفي «صحيح البخاري» ٦٩٩٠ عن أبي اليمان به.
وورد من وجه آخر عن زفر بن صعصعة بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة بمعناه.
أخرجه مالك (٢/ ٩٥٦) ومن طريقه أخرجه أبو داوود ٥٠١٧ وأحمد (٢/ ٣٢٥) والحاكم (٤/ ٣٩٠، ٣٩١) وابن حبان ٦٠٤٨.
وفي الباب من حديث ابن عباس أخرجه مسلم ٤٧٩ وأبو داود ٨٧٦ والنَّسائي (٢/ ١٨٨ و١٩٠) والشافعي (١/ ٨٢) وعبد الرزاق ٢٨٣٩ وابن أبي شيبة (١/ ٢٤٨ و٢٤٩) وأحمد (١/ ٢١٩) والحميدي ٤٨٩ وأبو عوانة (٢/ ١٧٠) وابن الجارود ٢٠٣ وابن حبان (١٨٩٦ و٦٠٤٥) والبيهقي (٢/ ٨٧ و٨٨).

(٤) "معالم التنزيل" (٢/٤٢٧)، وانظر "تفسير البيضاوي" (٣/١١٨).

(٥) "معالم التنزيل" (٢/٤٢٧)، و"تفسير البيضاوي" (٣/١١٨)، و"روح البيان" (٤/٦٢)، و "تفسير الجلالين" (١/٢٧٦).

التفسير الآيات جميعها، ولم يقتصر على تفسير بعض الآيات كما في بعض المختصرات الأخرى. هذه أبرز الملامح العامة لهذا المختصر، أخذتها من المقدمة ومن القراءة لمادة تفسيره.

المبحث الثاني

مآخذ على مختصر جليل من كتاب معالم التنزيل

إن تفسير الشيخ محمد النوري من التفاسير المعتبرة والقيمة بلا شك، والناظر في تفسيره يرى ما قلناه ويسلّم بما أشرنا إليه، إلَّا أنَّ كلَّ من ألف تأليفاً في أيّ فن لا يسلم من مآخذ يؤاخذ عليها وذلك بعد الاعتراف بمحاسن تأليفه وجمال أسلوبه. ونجمل القول على تفسيره بذكر محاسن تفسيره أولاً، والمآخذ ثانياً.

أولاً: محاسن تفسير مختصر خليل من كتاب معالم التنزيل:

١- اهتمامه الكبير بالتفسير بالمأثور وذكر أقوال السلف في التفسير.

٢- تعرضه في تفسيره لآيات الأحكام، على تلك الأحكام وأورد آراء الفقهاء فيها واختلافهم في بعض المسائل.

٣- تعرضه لمباحث علوم القرآن التي تتصل بتفسير كتاب الله وخاصة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني.

٤- جاء تفسيره جامعاً شاملاً لجوانب متعددة مما يجعله أكثر فائدة لأعداد كبيرة من القرّاء والمهتمين بفهم كتاب الله وتدبره على الوجه الأمثل.

٥- اهتمامه في تفسيره بالمعقول من التفاسير.

٦- التزامه بقراءة واحدة.

ثانياً: مآخذ على تفسير مختصر جليل من كتاب معالم التنزيل:

هناك بعض المآخذ على مختصر جليل من كتاب معالم التنزيل يقتضيها المنهج العلمي سوف ألخصها في نقاط للفائدة وهي:

١- عدّ الشيخ محمد النوري مقلداً في التفسير أكثر منه مجتهدا ومحققاً.

٢- إيراده للأحاديث الضعيفة دون التعقيب عليها بذكر بيان صحتها أو ضعفها أو حتى مصدرها.

٣- سرده لكثير من الأحاديث التي ليس لها تعلق بتفسير الآية مباشرة.

٤- إبقاؤه لكثير من أسباب النزول التي لم تثبت والتي أوردها البغوي في تفسيره.

٥- الإيجاز الشديد في تفسيره لبعض الآيات

٥- نقله لكثير من الإسرائيليات، بدون تعقيب.

٦- يكثر من عبارة (قيل) وعدم نسبة الأقوال إلى أصحابها.

٧- حذفه القراءات القرآنية التي أوردها البغوي والتي تعين على فهم الآية فهي مستند صحيح في تفسيرها وفهمها فهماً صحيحا ،أفضل من الأقوال التي أوردها عن بعض المفسرين والتي لا تصح (ولاسيما ما أورده عن الكلبي، ووهب بن منبه[1] ومقاتل بن حيان).

هذه أهم المآخذ التي أخذت على مختصر النوري التي رصدتها بعد قراءة متأنية للمختصر والتي يقتضيها المنهج العلمي.

(١) هو وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله ولد سنة (٣٤ هـ) مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبدالعزيز قضاءها. توفي سنة (١١٤هـ) . ينظر: تاريخ الإسلام، لأبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، (ت٧٤٨هـ) ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م: ١٤/٥-١٦ شذرات الذهب: ١٥٠/١.

القسم الثاني

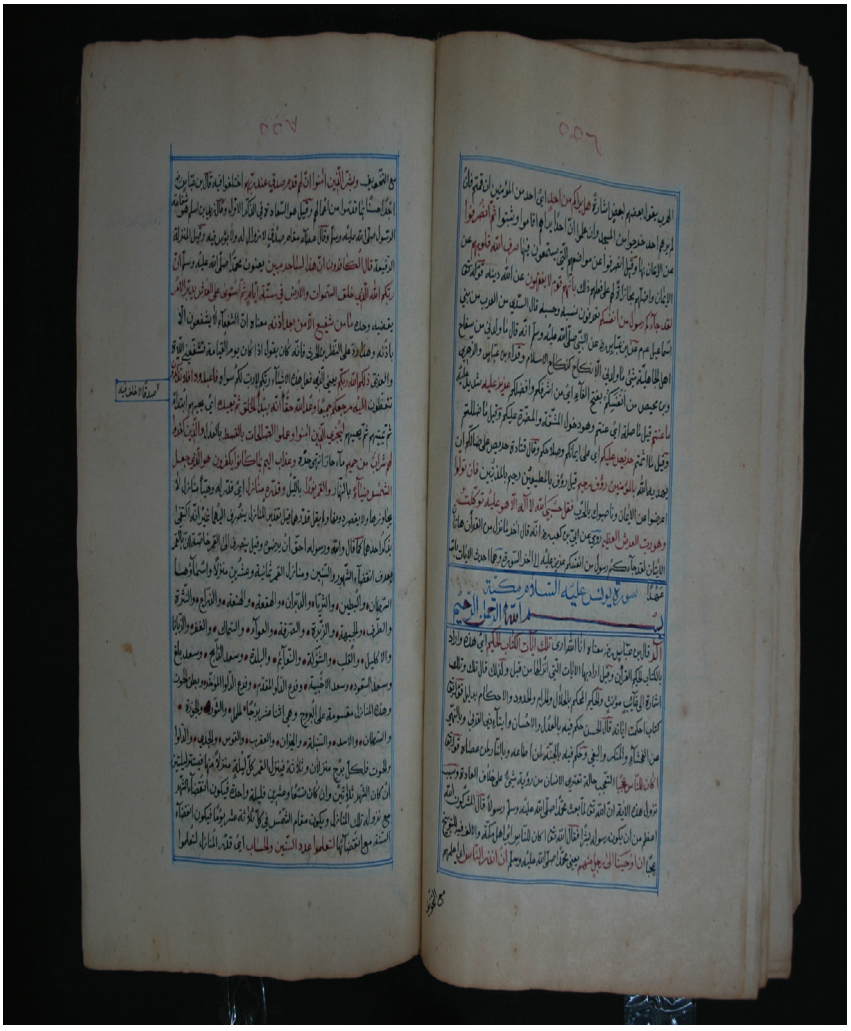
صورة المخطوطة: الصفحة الأُولى والأَخيرة

مع تقاريظ بعض العلماء على تفسيره

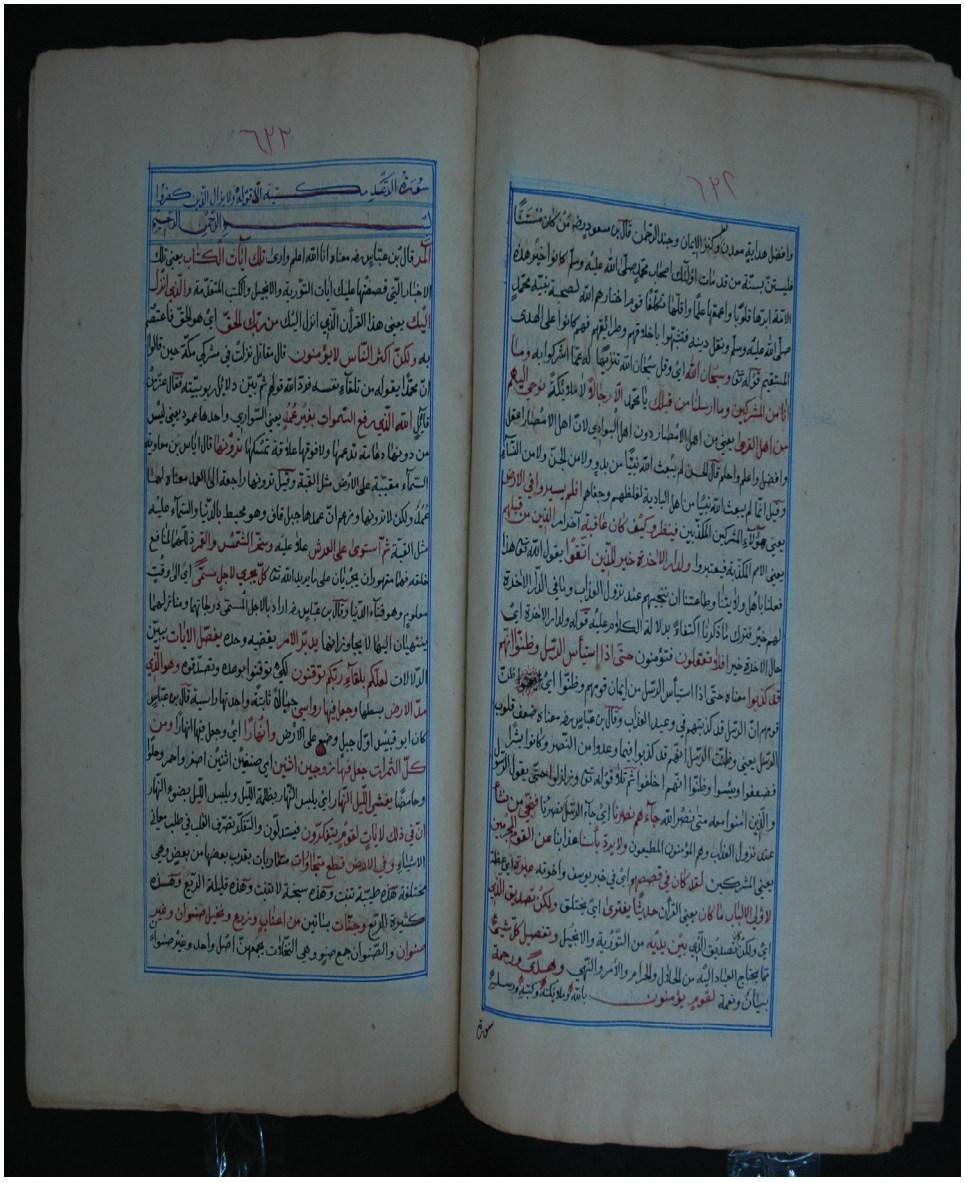
المبحث الأول

صورة المخطوطة: الصفحة الأولى والأخيرة

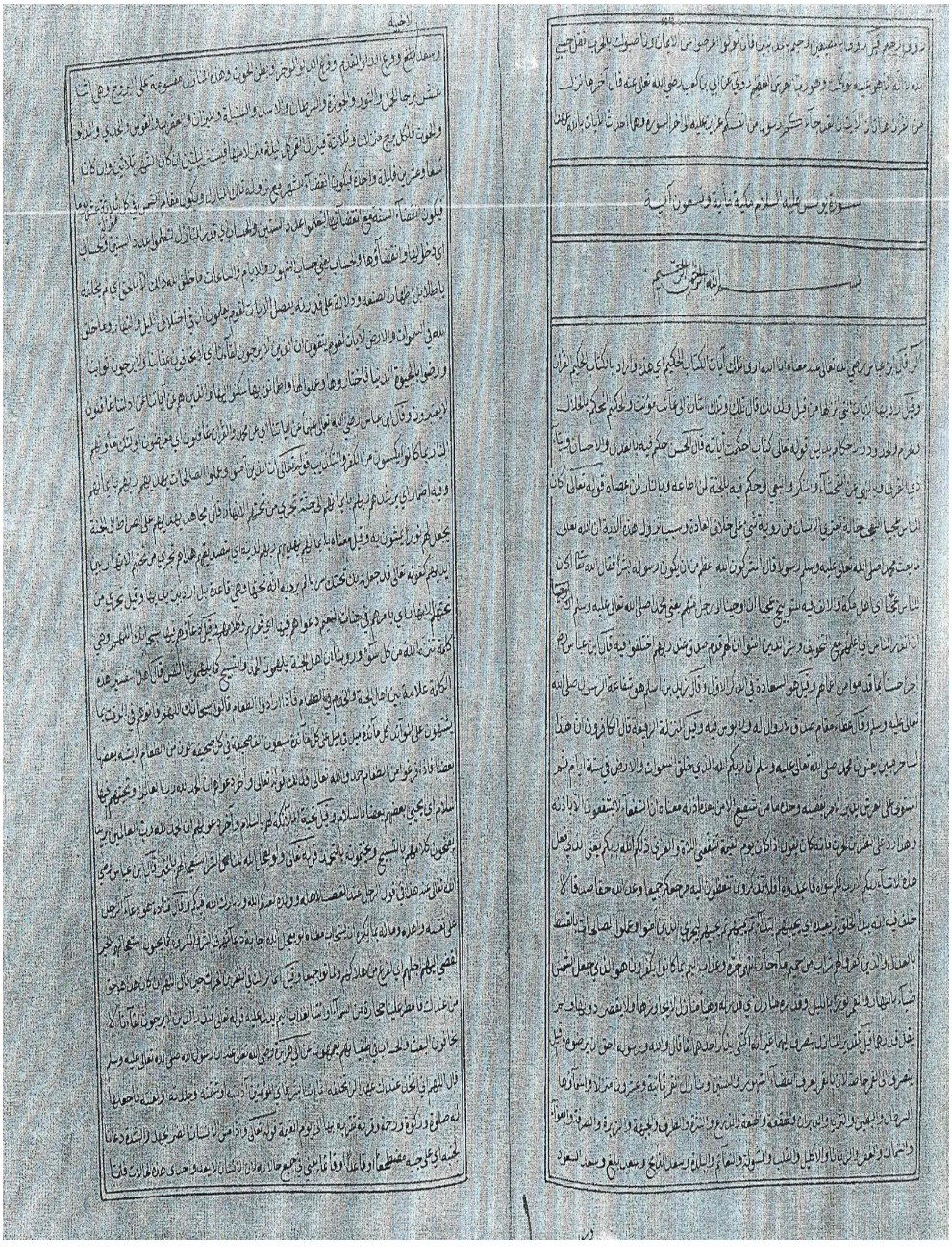
صورة المخطوط: الصفحة الأولى (نسخة -أ-)



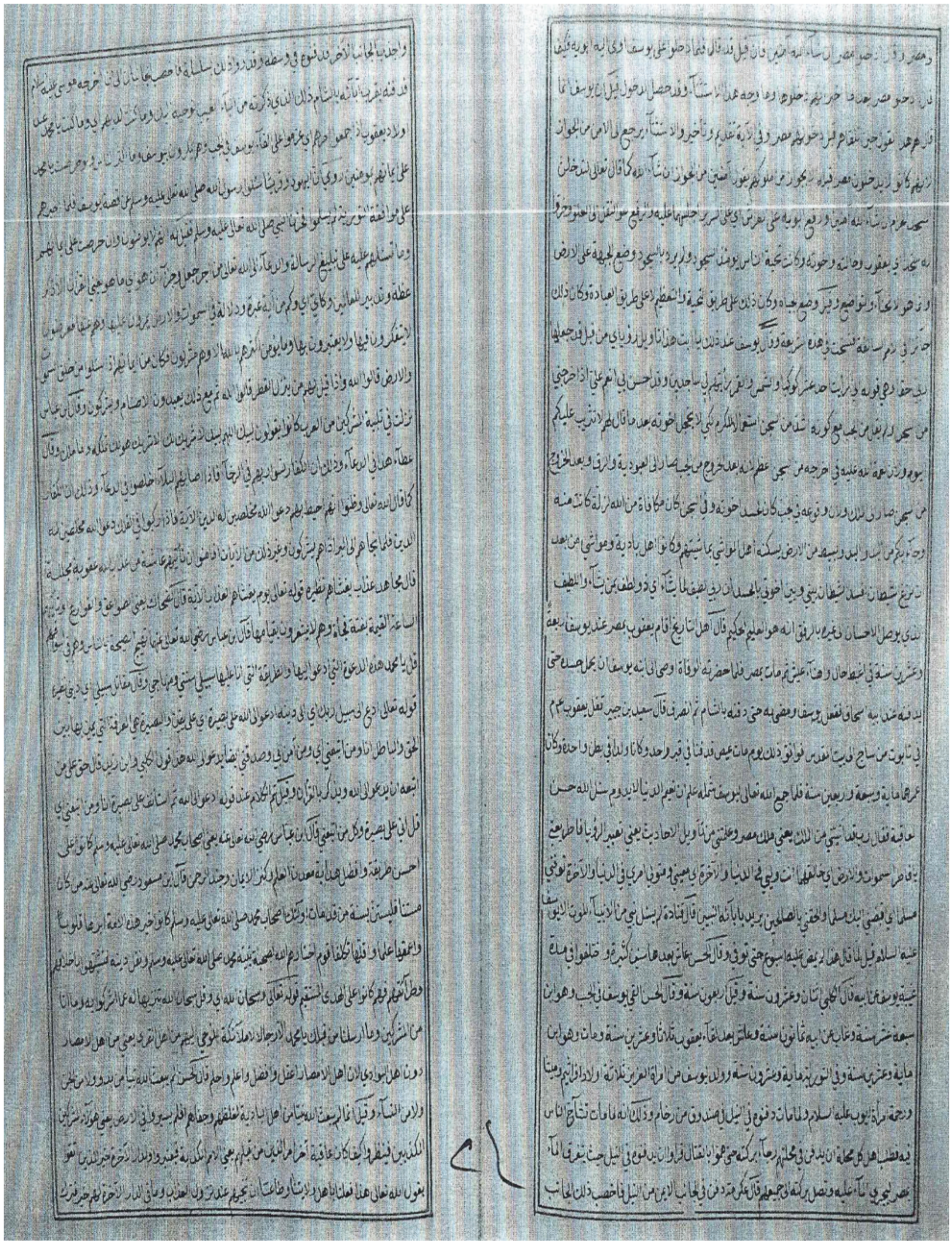
صورة المخطوط: الصفحة الأخيرة (نسخة -أ-)



صورة المخطوط: الصفحة الأولى (نسخة -ب-)



صورة المخطوط: الصفحة الأخيرة (نسخة -ب-)



المبحث الثاني

تقاريظ العلماء على تفسيره

١. تقريظ: عبد الله العمري.

٢. تقريظ: ابن الخياط.

٣. تقريظ: السيد حسن قاضي زاده.

٤. تقريظ: محمد فهمي العمري.

٥. تقريظ: السيد محمد أمين بصري زاده.

٦. تقريظ: عبد الله نوري صائغ زاده.

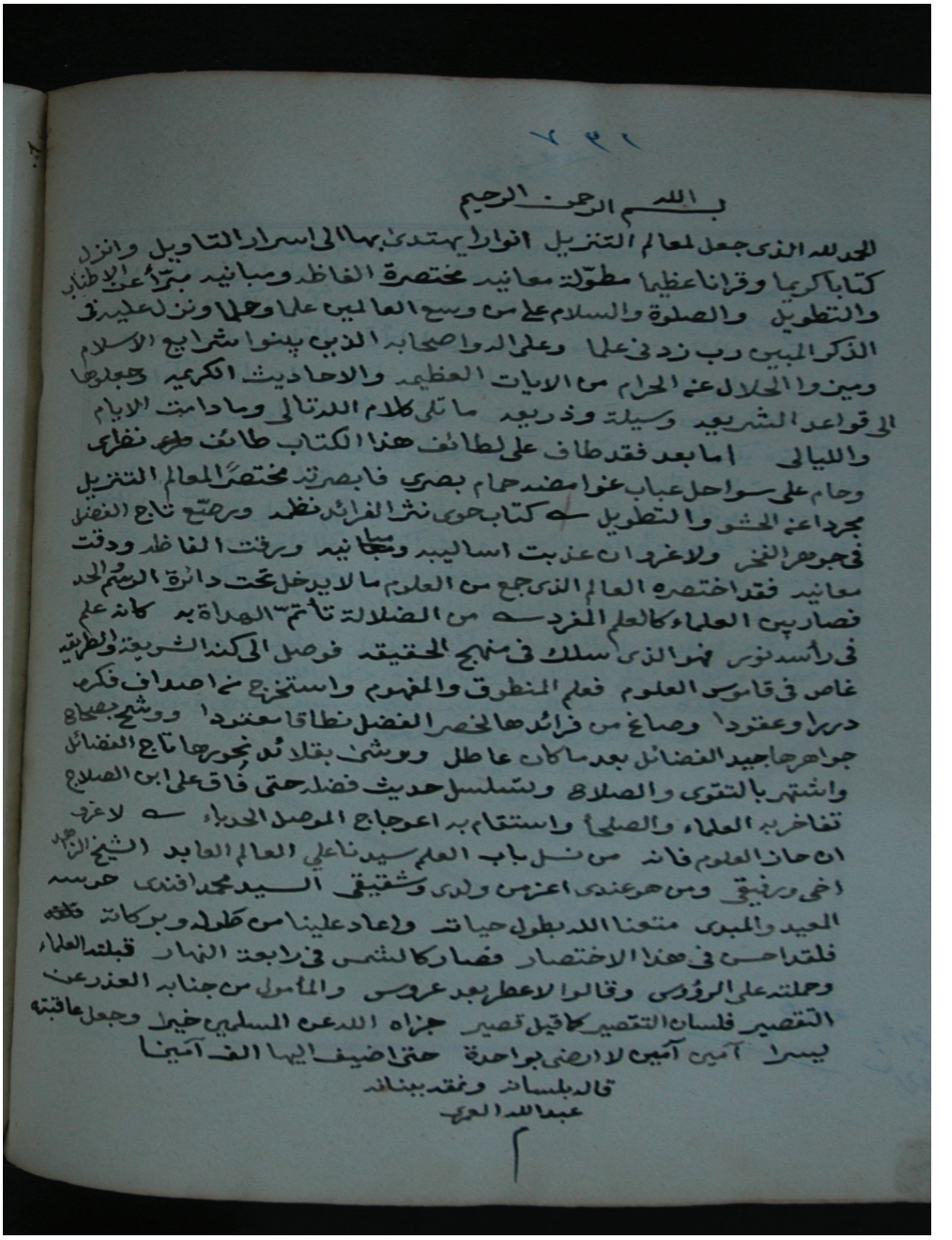
٧. تقريظ: عبد الله أفندي الطائي.

٨. تقريظ: السيد محمود فخري زاده.

٩. تقريظ: محمد صالح.

١٠. تقريظ: السيد على النوري القادري.

١١. تقريظ: السيد سليمان.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لمعالم التنزيل انوارا يهتدى بها الى اسرار التاويل وانزل كتابا كريما وقرانا عظيما مطولة معانيه مختصرة الفاظه ومبانيه بتراعت الاطناب والتطويل والصلوة والسلام على من وسع العالمين علما وحلما ومن لعليه نزل الذكر المبين وب زد في علما وعلى الد واصحابه الذين پنوا شرايع الاسلام وبين والحلال عن الحرام من الايات العظيمه والاحاديث الكريمه وجعلوها الى قواعد الشريعه وسيلة وذريعه ما تلى الدرتالى وما دامت الايام والليالى اما بعد فقد طاف على لطائف هذا الكتاب طائف طرف نظرى وحام على سواحل عباب غوامضه حمام بصري فابصرته مختصرًا لمعالم التنزيل مجردا عن الحشو والتطويل ـ كتاب حوى نثر الفرائد نظمه ورصع تاج الفضل في جوهر النحر ولاغرو ان عذبت اساليبه ومبانيه ورقت الفاظه ودقت معانيه فقد اختصره العالم الذي جمع من العلوم ما لا يدخل تحت دائرة الرسم والحد فصار بين العلماء كالعلم المفرد ـ من الضلالة تاتم الهداة به كانه علم في راسه نور فهو الذي سلك في منهج الحقيقه فوصل الى كنه الشريعة والطريقه غاص في قاموس العلوم فعلم المنطوق والمفهوم واستخرج من اصداف فكره درر اوعقودا وصاغ من فرائدها لجيد الفضل نطاقا معقودا ووشح جبهات جواهرها جيد الفضائل بعد ما كان عاطل ووشى بقلائد نحورها تاج الفضائل واشتهر بالتقوى والصلاح وتسلسل حديث فضله حتى فاق على ابن الصلاح تفاخر به العلماء والصلحاء واستقام به اعوجاج المرصد الحرباء ـ لاغرو ان حاز العلوم فانه من نسل باب العلم سيدنا علي العالم العابد الشيخ الزاهد اخي ورفيقي ومن هو عندي اعز من ولدي وشقيقي السيد محمد افندي حرسه المعبد والمبدى متعنا الله بطول حياته واعاد علينا من كماله وبركاته فلقد اجاد في هذا الاختصار فصار كالشمس في رابعة النهار قبلته العلماء وحملته على الرؤوس وقالوا لا عطر بعد عروس والمامول من جنابه العذر عن التقصير فلسان التقصير كما قيل تصير جزاه الله عن المسلمين خيرا وجعل عاقبته يسرا آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمين

قاله بلسانه وخطه ببنانه

عبد الله العمري

تقريظ: عبد الله العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لمعالم التنزيل أنواراً يُهتَدى بها، إلى أسرار التأويل، وأنزل كتاباً كريماً، وقرآناً عظيماً، مطوّلةً معانيه، مختصرة ألفاظه ومبانيه مُبرّأً عن الإطناب والتطويل، والصلاة والسلام على من وسع العالمين علماً وحلماً، ونُزِّلَ عليهِ في الذكرِ المُبين ﴿ربِّ زدني علماً﴾، وعلى آله وأصحابه الذين بيَّنوا شرائع الإسلام وميزوا الحلال عن الحرام من الآيات العظيمة والأحاديث الكريمة، وجعلوها إلى قواعد الشريعة وسيلةً وذريعةً، وما تلا كلام الله تالٍ وما دامت الأيام والليالي.

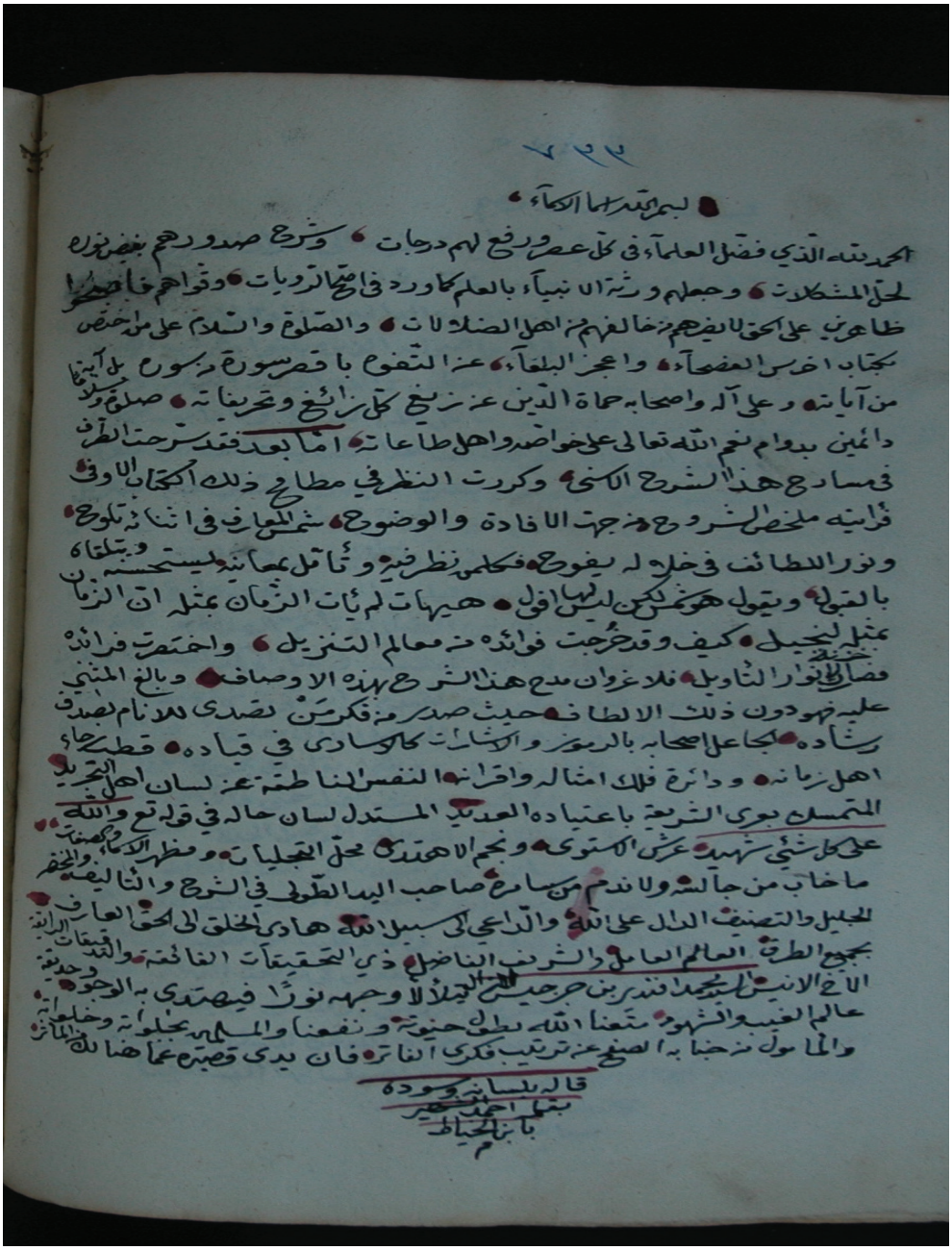
أما بعد: فقد طاف على لطائف هذا الكتاب طائف نظري ، وحام على سواحل عُباب غوامضه حمام بصري، فأبصرته مختصراً لمعالم التنزيل مجرداً عن الحشو والتطويل، كتابٌ حوى نثر الفرائد نظمه ورصَّع تاج الفضل في جوهر الفخر، ولا غروَ أَن عَذُبَتْ أساليبه ومبانيه ورقَّتْ ألفاظه ودقت معانيه، فقد اختصره العالم الذي جمع من العلوم مالا يدخل تحت دائرة الرسم والحد، فصار بين العلماء كالعلم المفرد، من الضلالة تأتمّ الهداة به، كأنَّه علم في رأسه نور فهو الذي سلَك في منهج الحقيقة فوصل الى كُنْهِ الشريعة والطريقة غاص في قاموس العلوم فعلم المنطوق والمفهوم، واستخرج من أصداف فكره درراً وعقوداً، وصاغ من فرائدها لخصر الفضل نطاقاً معقوداً، ووشح بصحاح جواهرها جيد الفضائل بعد ما كان عاطلاً، ووشى بقلائد نحورها تاج الفضائل ، واشتهر بالتقوى والصلاح ، وتسلسل حديث فضله حتى فاق على ابن الصلاح تفاخر به العلماء والصلحاء، واستقام به اعوجاج الموصل الحدباء، لا غَرْوَ وإن حاز العلوم فإنَّه من نسل باب العلم سيدنا (علي) العالم ، العابد، الشيخ الزاهد،

أخي ورفيقي، ومن هو عندي أَعز من ولدي وشقيقي السيد (محمد أفندي) (حرسه المعيد والمبدى)، متعنا الله بطول حياته وأعاد علينا من طَوله وبركاته، فلقد أحسن في هذا الاختصار، فصار كالشمس في رابعة النهار قبلته العلماء وحملته على الرؤوس، وقالوا لا عطر بعد عروس، والمأمول من جنابه العذر عن التقصير، فلسان التقصير كما قيل قصير. (جزاه الله عن المسلمين خيراً وجعل عاقبته يسراً)، آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمين

قاله بلسانه ونَمَّقَهُ ببنانه

عبدالله العمري

م



تقريظ: ابن الخياط

بسم الله اسمى الأسماء

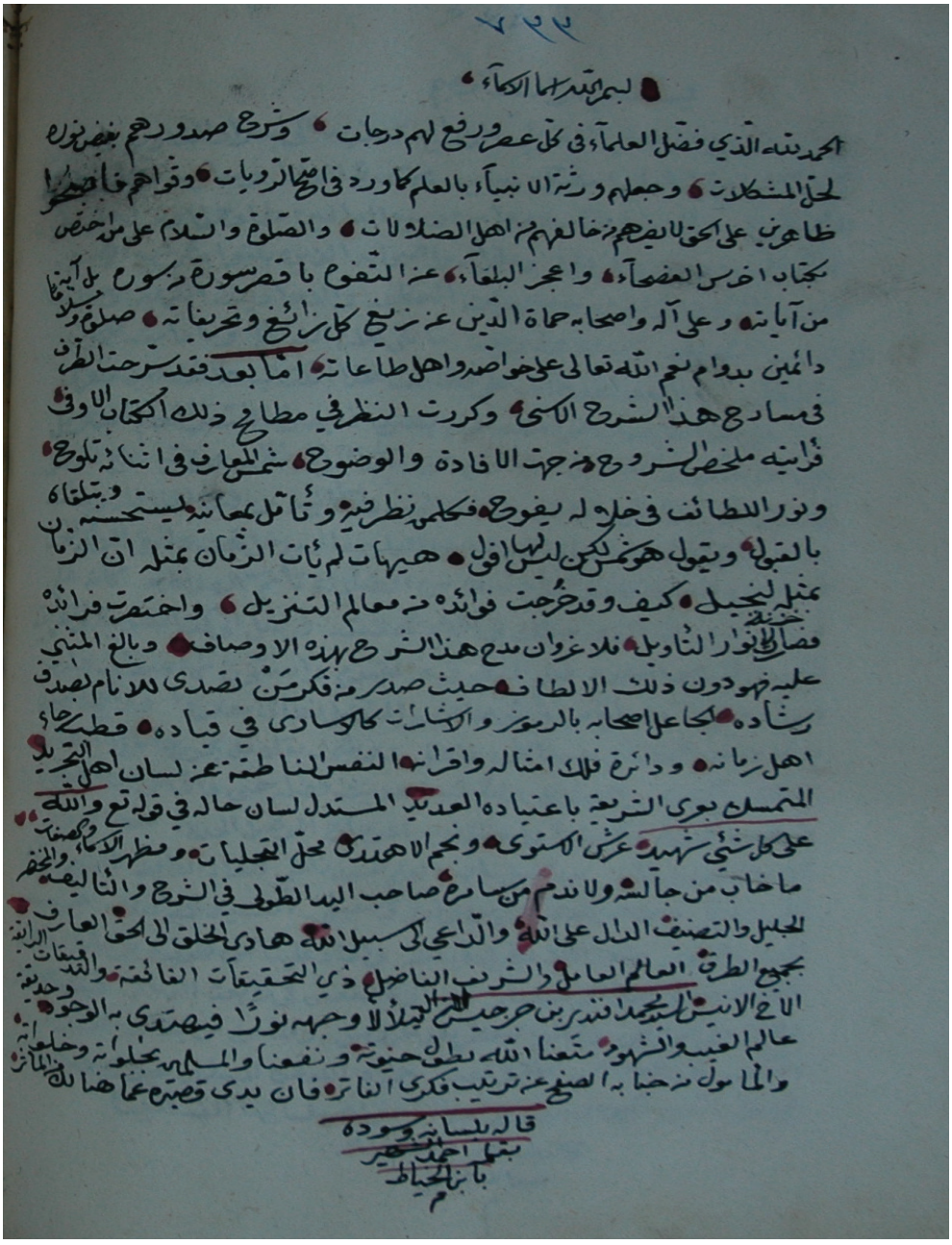
الحمد لله الذي فضَّل العلماء في كلّ عصر ورفع لهم درجات، وشرح صدورهم بفيض نوره لحلّ المشكلات، وجعلهم ورثة الأنبياء بالعلم كما ورد في أصحّ الروايات، "وقواهم فأصبحوا ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم من أهل الضلالات" والصّلاة والسلام على من اختص بكتاب أخرس الفصحاء، وأعجز البلغاء، عن التفّوه بأقصر سورة من سوره، بل آية من آياته. وعلى آله وأصحابه حماة الدّين عن زيغ كلّ زائغ وتحريفاته، صلاةً وسلاماً دائمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه وأهل طاعاته. أمّا بعد: فقد سرّحت الطّرف في مسارح هذا الشرح الأسنى، وكررت النظر في مطامح ذلك الكتاب الأوفي فرأيته ملخص الشروح. من جهة الإفادة والوضوح، شمس المعارف في أثنائه تلوح، ونور اللطائف في خلاله يفوح. فكل من نظر فيه وتأمل بمعانيه، يستحسنه ويتلقاه بالقبول، ويقول: هو شمس لكن ليس لها أفول هيهات لم يأت الزمان بمثله إنّ الزمان بمثله لنحي، كيف وقد خُرّجت فوائده من معالم التنزيل، واختصرت فرائده فصار خزنة لأنوار التأويل، فلا غرو أن مُدِحَ هذا الشرحُ بهذهِ الأوصافِ. وبالغ المثني عليه فهو دون ذلك الإلطاف، حيث صدر من فكر مَنْ تصدى للأنام بصدق رشاده الجاعل أصحابه بالرموز والاِشارات، كالأسارِي في قيادة. قطبِ رجاء أهل زمانه. ودائرة فلك أمثالهِ وأقرانه. النفس الناطقة عن لسان أهل التجريد، المتمسك بعُرَى الشريعة باعتياده العديد، المستدل لسان حاله في قوله تعالى: ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾، ﴿ عرش الاستوى ﴾، ﴿ ونجم الاهتدى ﴾، محلّ التجليات. ومظهر الأسماء والصفات، ما خاب من جالسه، ولا ندم من سامره. صاحب اليد الطّولي في الشرح والتأليف، والمختصر

الجليل، والتصنيف الدال على الله، والداعي إلى سبيل الله هادي الخلق إلى الحق، العارف بجميع الطرق، العالم العامل، والشريف الفاضل ذي التحقيقات الفائقة والتدقيقات الرائعة. الأخ الأنيس السيد (محمد أفندي بن جرجيس)، لا زال يتلألأ وجهه نوراً فيهتدى به الوجوه، وحديقة عالم الغيب والشهود. مَتّعنا الله لطول حِنوته ونفعنا والمسلمين بجلواته وخلواته، والمأمول من جنابه الصفح عن ترتيب فكري الفاتر. فإنَّ يدي قصيرة عما هنالك من المآثر.

قاله بلسانه وسوده بقلم أحمد الشهير

بابن الخياط

م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل العلماء في كل عصر ورفع لهم درجات، وشرح صدورهم بفيض نوره لحل المشكلات، وجعلهم ورثة الانبياء بالعلم كما ورد في صحاح الروايات، وقواهم فاصبحوا ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم من اهل الضلالات، والصلوة والسلام على من اختص بكتاب اخرس الفصحاء، واعجز البلغاء، عن التفوه باقصر سورة من سوره بل آية من آياته، وعلى آله واصحابه حماة الدين عن زيغ كل زائغ وتحريفاته، صلوة وسلاما دائمين ببدوام نعم الله تعالى على خواصه واهل طاعاته، اما بعد فقد شرحت الطرف في مسارح هذا الشرح الكافي، وكررت النظر في مطارح ذلك الكتاب الوافي فرأيته ملخص الشروح من جهة الافادة والوضوح، شمس المعارف في اثنائه تلوح، ونور اللطائف في خلاله يفوح، فكلهم نظر فيه وتأمل بعباءته ليستحسنه وبتلقاه بالقبول، ويقول هو شمس لكن ليس لها افول، هيهات لم يأت الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل، كيف وقد خرجت فوائده من معالم التنزيل، واحتفت فرائده فضائل الانوار التاويل، فلا غرو ان مدح هذا الشرح بهذه الاوصاف، وبالغ المثني عليه فهو دون ذلك الالطاف، حيث صدر من فكر من تصدى للانام لصدف رشاده، فجاء على اصحابه بالرموز والاشارات كالكاسادي في قياده، فطبق جاء اهل زمانه، ودائرة فلك امثاله واقرانه، النفس لنا طمئنة عن لسان اهل التحريد المتمسك بعرى الشريعة باعتياده العديد المستدل لسان حاله في قوله تع والله على كل شيء شهيد، عرش الاستوى، ونجم الاهتدى، محل التجليات، ومظهر الاسماء والصفات، ما خاب من جالسه ولا ندم من سارح صاحب اليد الطولى في الشرح والتاليف والتحقيق والتصنيف الدال على الله، والداعي الى سبيل الله هادي الخلق الى الحق العارف بجميع الطرق العالم العامل والشريف الفاضل ذي التحقيقات الفائقة والتدقيقات الرائقة الاخ الانيس السيد محمد قدري بن حريص الله ليلا لا وجهه نورا فيهتدي به الوجود وحديقة عالم الغيب والشهود متعنا الله بلطفه الجنوني ونفعنا والمسلمين بحلواته وخلعاته والمامول من جنابه الصفح عن ترتيب فكري الفاتر فان يدي قصيرة عما هنالك

قاله بلسانه وسوده
بنقله احمد المختار
بابن الحياط

تقريظ: السيد حسن قاضي زاده

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

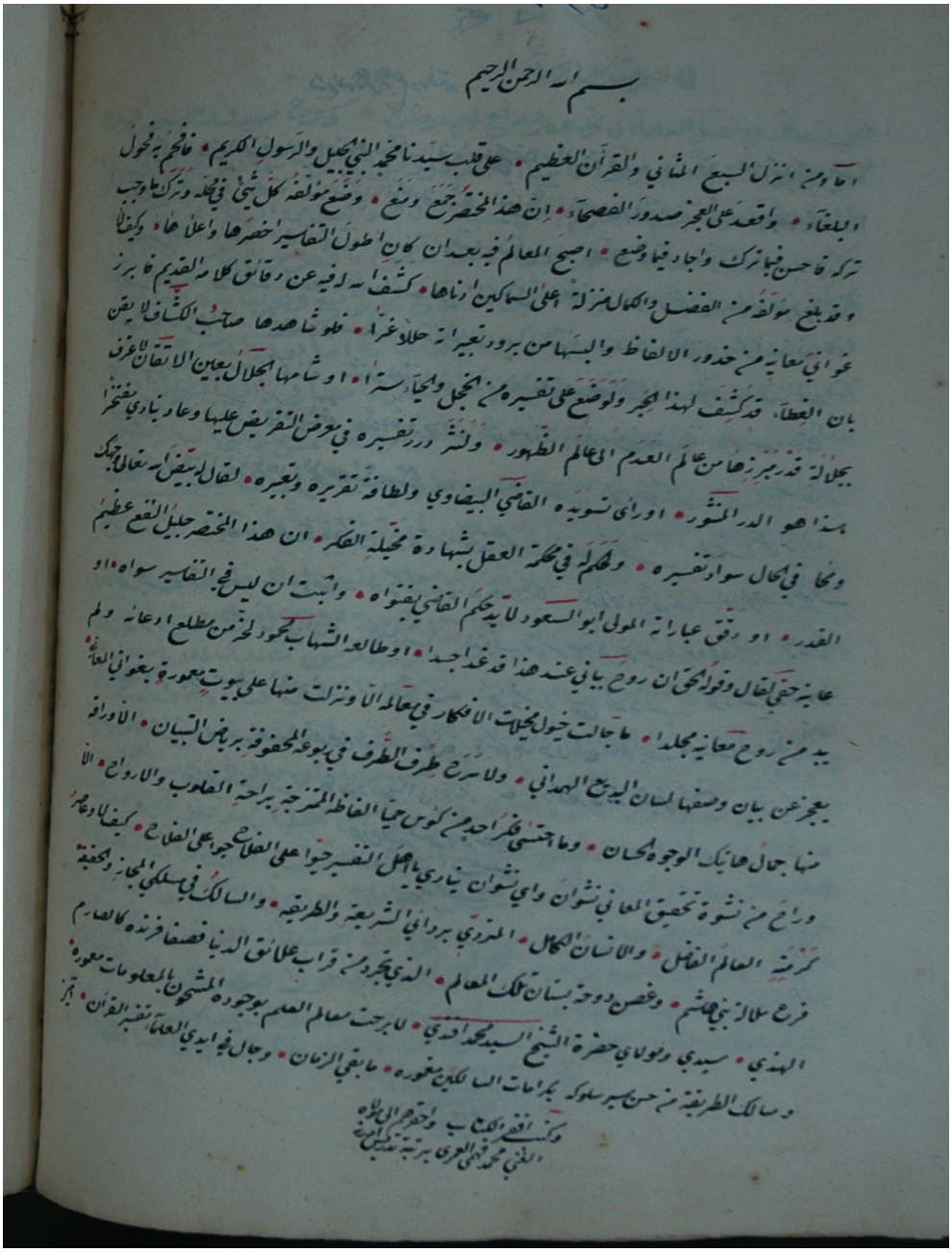
الله أكبرُ ما هذه التحقيقاتُ التي لم تقرعْ معانيها إلّا براحة الاستمداد من الحقيقة المحمدية، والتدقَيقات التي ركع لروح مبانيها دوح بابه العُصْبة الفاطمية، فهذا السجّاد التقي لعليّ قدرها النقي قائما على ساقِ الخدمة تنتظر المعسكرَ فيض مبتكرها الذي بقر العلم سابحاً على جواد الهمّة مستوردا من جعفر زلال مُنهلها بصدق اللهجة شائحاً من محاسن بوارقها الحسن البَهجة وما هذا السمط النضيد والعقد الفريد الذي تحلّى به عاطلُ جيد الدهر واكتسى من حُلى معانيه بُردي مجد وفخر، ولمعت منه لوامع أنوار التأويل، وسطعت منه سواطع اسرار التنزيل، إذ غدا كشافاً الحقائق كنزاً للدقائق مخلصاً عن الحشو والتطويل، مطنباً بمعناه مشتملاً على دُرَر الغرر أخذاً في فصل الخطاب صورته وهيئته ولعمري إن هذا المختصر قد صيغ ممّا انتثر في يد الفراء، أيُّ: صياغة، وأودعَ فيه من الدر المنثورِ مايزري بالنظم فصاحةً وبلاغة، فأين لسعود جدّه السعود من أبيه وأين للمقدّم المجلي في حلبة المجد مصلّيه وتاليه، لا يدرك الواصف المُطري خصائصه وان يك سابقاً في كل ما وَصفَ، كيف لا؟ وهو نخبة فكرة الألمعي، ونتيجة بصيرة الفطن اللّوذعي هندسة شكل الدراية وفذلكة أقيسة الرواية، ذي الفيوضات الأقدسية والفتوحات المكية المبرز في دقائق الخفايا ما يكلُّ عنه الخفاجي، فهما المظهرُ من مراسم معالم ما يُفجّرُ القاضي عنها دوما، المُتَرَدِّي في الشريعة والطريقة ببردين جليلين فأين وحين الوسيطَ والبسيط من هذين الجلالين أعني به أخي وسندي الشيخَ (محمد أفندي) لو زالت عطاش الوصول في منهله ناهلةً وأرباب السلوك بفضل فيوضاته رافلة ويكفي للناظر في هذه الصحائف ما ينشده لسان الحال قائلاً ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار فانظر إلى آثار رحمة ربِّكَ.

صَوَّرهُ العبد المستجدي من الطافَ

مولاه الزياده السيد حسن

الشهير بقاض زاده

م



بسم الله الرحمن الرحيم

اما من انزل السبع المثاني والقرآن العظيم • على قلب سيدنا محمد النبي الجليل والرسول الكريم • فالحمد بفحول البلغاء • والقعد على العجز صدور الفصحاء • ان هذا المختصر جمع ومنع • ووضع مؤلفه كل شيء في محله وترك ما وجب تركه فاحسن فيما ترك واجاد فيما وضع • اصبح المعالم فيه بعد ان كان اطول التفاسير اخصرها واعلاها • وكيف لا وقد بلغ مؤلفه من الفضل والكمال منزلة اعلى السماكين ارتاها • كشف الله له فيه عن دقائق كلامه القديم فابرز غوامض معانيه من خدور الالفاظ والبسها من بروده تعبيراته حللا غرا • فلو شاهدها صاحب الكشاف لايقن بان الغطاء قد كشف لهذا البحر وللوضع على تفسيره من الخجل والحياء سترا • او شاهدها الجلال البعين الاتقان لاعترف بجلالة قدر مبرزها من عالم العدم الى عالم الظهور • ولنشر ر تفسيره في بعوض التقريض عليها وعاد يادي بفقر هذا هو الدر المنثور • او راى تسويده القاضي البيضاوي ولطافة تقريره وتعبيره • لقال البيضاء الله تعالى جهك ويحا في المحال سواد تفسيره • ولحكم له في محكمة العقل بشهادة مخيلة الفكر • ان هذا المختصر جليل النفع عظيم القدر • او رقى عبارته المولى ابو السعود لايد بحكم القاضي بفتواه • واثبت ان ليس في التفاسير سواه • او عاينه حقي لقال وقوله الحق ان روح بيانه في عنده هذا قد غدا جسدا • او طالعه الشهاب محمود لخر من مطلع ادعائه ولم يد من روح معانيه مجلدا • ما جالت خيول مخيلات الافكار في ميدانه الا ونزلت منها على بيوت معونة بغوالي اللغة يعجز عن بيان وصفها لسان البديع الهمذاني • ولا سرح طرف الطرف في بوغه المحفوفة برياض البيان • الا اوراقه منها جال هاتيك الوجوه الحسان • وما اجتنى فكر احد من كؤس حيا الفاظه المترجة براحة القلوب والارواح • الا وراح من نشوة تحقيق المعاني نشوان واي نشوان ياري يا اهل التقصير حيوا على الفلاح حيوا على الفلاح • كيفا وعامر كرمته العالم الفاضل • والانسان الكامل • المزدي بردائي الشريعة والطريقة • والسالك في مسلكي المجاز والحقيقة فرع سلالة بني هاشم • وغصن دوحة بستان تلك المعالم • الذي تجرد من قراب علائق الدنيا فصفا فرنده كالصارم الهندي • سيدي ومولاي حضرة الشيخ السيد محمد افندي • لا برحت معالم العلم بوجوده المشحون بالمعلومات معمورة وسالك الطريقة من حسن سيره سلوكه بكرامات السالكين مغموره • ما بقي الزمان • وجال في ايدي العلماء تقرير القرآن • تبرز

وكتبه افقر الكتاب واحقرهم الى ربه
الغني محمد فهمي العمري برتبة مدرس ابن

تقريظ: محمد فهمي العمري

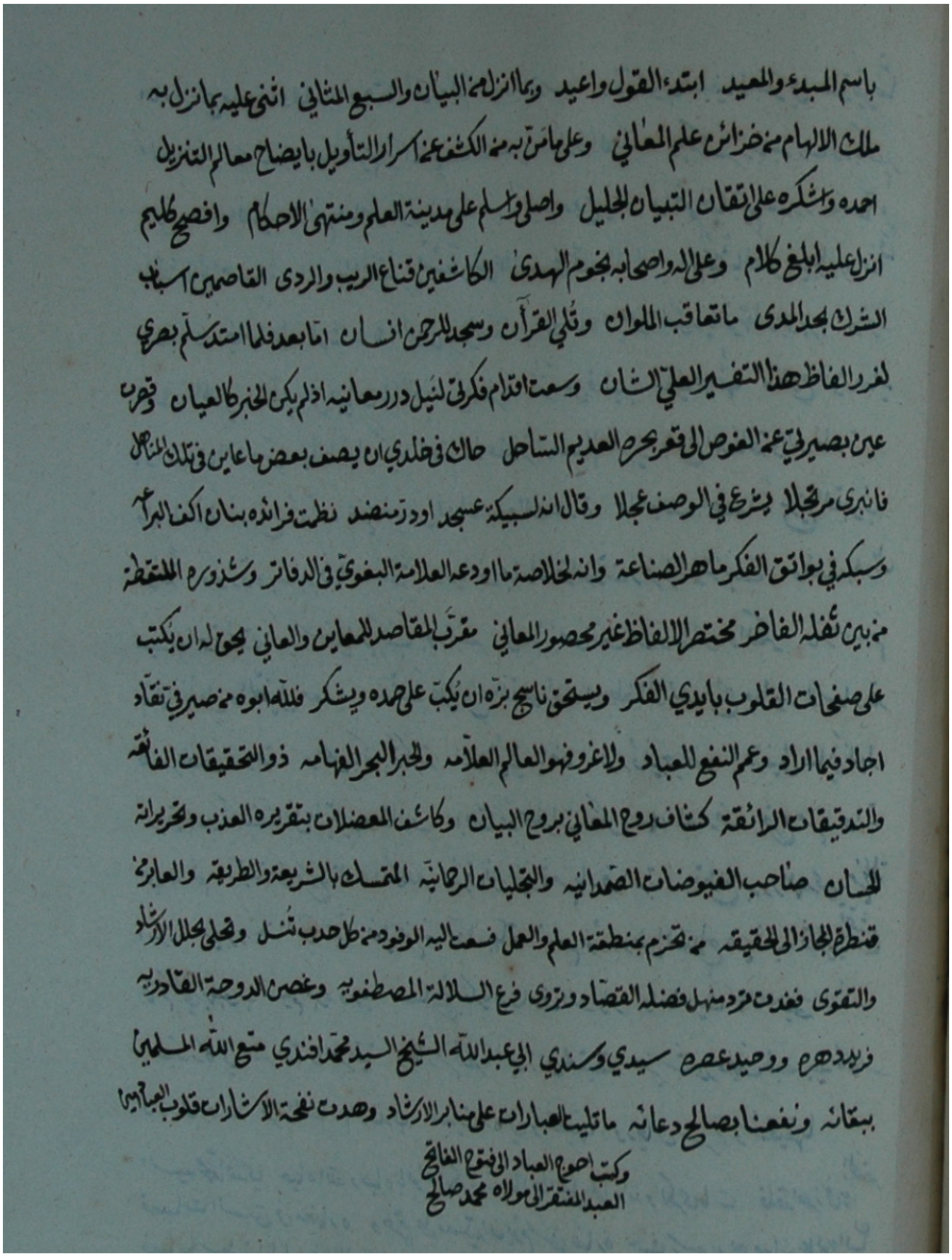
بسم الله الرحمن الرحيم

أما ومن أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم، على قلب سيدنا محمد النبي الجليل والرسول الكريم، فأفحم به فحول البلغاء، وأقعد على العجز صدور الفصحاء، إنّ هذا المختصر جَمَعَ ومَنَع ، وَضَعَ مؤلفُه كلَّ شيءٍ في محلّه وَتَرَكَ ما وجب تركه، فأحسن فيما ترك وأجاد فيما وضع ، أصبح المعالمُ فيه بعد أن كان أطولَ التفاسير أخصَرها وأعلاها، وكيف لا وقد بلغ مؤلّفُه من الفضل والكمال منزلة أعلى السماكين أدناها، كَشَفَ الله له فيه عن دقائق كلامه القديم فأبرز غواني معانيه من خدور الألفاظ، وألبسها من برود تعبيراته حللاً غرّاً. فلو شاهدها صاحبُ الكشاف لأيقن بأن الغطاء قد كُشفَ لهذا الحبر ولَوَضَع على تفسيره من الخجل والحياء ستراً، أوشامها الجلالُ بعين الإتقان لاعترف بجلالة قدْر مُبْرِزِها من عالَم العدم إلى عالَم الظهور، وَلَنَثَرَ درر تفسيره في معرض التقريض عليها، وعاد ينادي مفتخراً هذا هو الدر المنثور. أو رأى تسويدَه (القاضي والبيضاوي) ولطافة تقريره وتعبيره، لقال له بيّض الله وجهك ومحا في الحال سواد تفسيره، وَلَحَكَمَ لَه في محكمة العقل بشهادة مخيّلة الفكر، إنَّ هذا المختصر جليلُ النفع عظيمُ القدر، أو دقق عباراته المولى (أبو السعود) لأيَّدَ حكَم القاضي بفتواه، وأثبت أن ليس في التفاسير سواه، أو عاينه(حقي) لقال وقوله الحق:(ان روح بياني عند هذا قد غدا جسداً)، أو طالعه(الشهاب محمود) لخرَّ من مطلع ادعائه ولم يبدِ في روح معانيه مجلداً، ما جالت خيول مخيلات الأفكار في معالمه، إلّا ونزلت منها على بيوتٍ معمورةٍ بخواني المعاني، يعجز عن بيان وصفها لسان (البديع الهمداني)، ولا سَرَح طِرْف الطّرف في ربوعه المحفوفةِ برياض التبيان، إلَّا وراقه منها جمالُ هاتيك الوجوه الحسان، وما

احتسى فكرُ أحدٍ من كؤوس حميّا ألفاظه الممتزجةِ براحةِ القلوب والأرواح، إلا وراح من نشوة تحقيق المعاني نشوان، وأيْ نشوان ينادي يا أهل التفسير حيّوا على الفلاح حيوا على الفلاح، كيف لا وعاصر كَرْمَتِه العالم الفاضل، والإنسان الكامل، المرتدي بردائي الشريعة والطريقة، والسالكُ في مسلكي المجازِ والحقيقة، فرع سلالة بني هاشم، وغصن دوحة بستان تلك المعالم، الذي تجرد من تراب علائق الدنيا، فصفا فرنده كالصارم الهندي، سيدي ومولاي حضرة الشيخ (محمد أفندي). لابرحت معالم العلم بوجوده المشحون بالمعلومات معمورة ومسالك الطريقة من حسن سير سلوكه بكرامات السالكين مغمورة، ما بقي الزمان، وجال في أيدي العلماء تفسير القرآن، آمين.

وكتب أفقر الكتاب وأحقرهم إلى مولاه

الغني محمد فهمي العمري برتبة تدريس أدنى



باسم المبدء والمعيد ابتدء القول واعيد وبما انزل من البيان والسبع المثاني اثني عليه بما نزل به ملك الالهام من خزائن علم المعاني وعلى ما نوّر به من الكشف عن اسرار التأويل بايضاح معالم التنزيل احمده واشكره على اتقان التبيان الجليل واصلي واسلم على مدينة العلم ومنتهى الاحكام وافصح كليم انزل عليه ابلغ كلام وعلى آله واصحابه نجوم الهدى الكاشفين قناع الريب والردى القاصمين اسباب الشرك بحد المدى ما تعاقب الملوان وتلي القرآن وسجد للرحمن انسان اما بعد فلما استدرك بصري لغرر الفاظ هذا التفسير العلي الشان وسعت اقدام فكري لنيل درر معانيه اذ لم يكن الخبر كالعيان وقصرت عين بصيرتي عن الغوص الى قعر بحره العديم الساحل حال في خلدي ان يصف بعض ما عاين في تلك المناهل فانبري مرتجلا يشرع في الوصف عجلا وقال انه لسبيكة عسجد اودر منضد نظمت فرائده بنان الكف البراعه وسبكه في بواتق الفكر ماهر الصناعة وانه لخلاصة ما اودعه العلامة البغوي في الدفاتر وشذور ما التقطه من بين ثفله الفاخر مختصر الالفاظ غير محصور المعاني مقرب المقاصد للمعاين والعاني يحق له ان يكتب على صفحات القلوب بايدي الفكر ويستحق ناسج بزه ان يكب على حمده ويشكر فلله ابوه من صيرفي نقاد اجاد فيما اراد وعم النفع للعباد والاغر وفهو العالم العلامه والحبر البحر الفهامه ذو التحقيقات الفائقه والتدقيقات الرائقة كشاف روح المعاني بروح البيان وكاشف المعضلات بتقريره العذب وتحريراته اللسان صاحب الفيوضات الصمدانيه والتجليات الرحمانيه المتمسك بالشريعة والطريقه والعابر بمتنطرة المجاز الى الحقيقه من تحزم بمنطقة العلم والعمل فسعت اليه الوفود من كل حدب تنسل وتحلى بحلل الارشاد والتقوى فغدت ترد منهل فضله القصاد وتروى فرع السلالة المصطفويه وغصن الدوحة القادريه فريد دهره ووحيد عصره سيدي وسندي ابي عبدالله الشيخ السيد محمد افندي متع الله المسلمين ببقائه ونفعنا بصالح دعائه ما تليت العبارات على منابر الارشاد وهدت نفحة الاشارات قلوب العباد آمين

وكتب اصبح العباد الى فتح الفاتح
العبد المفتقر الى مولاه محمد صالح

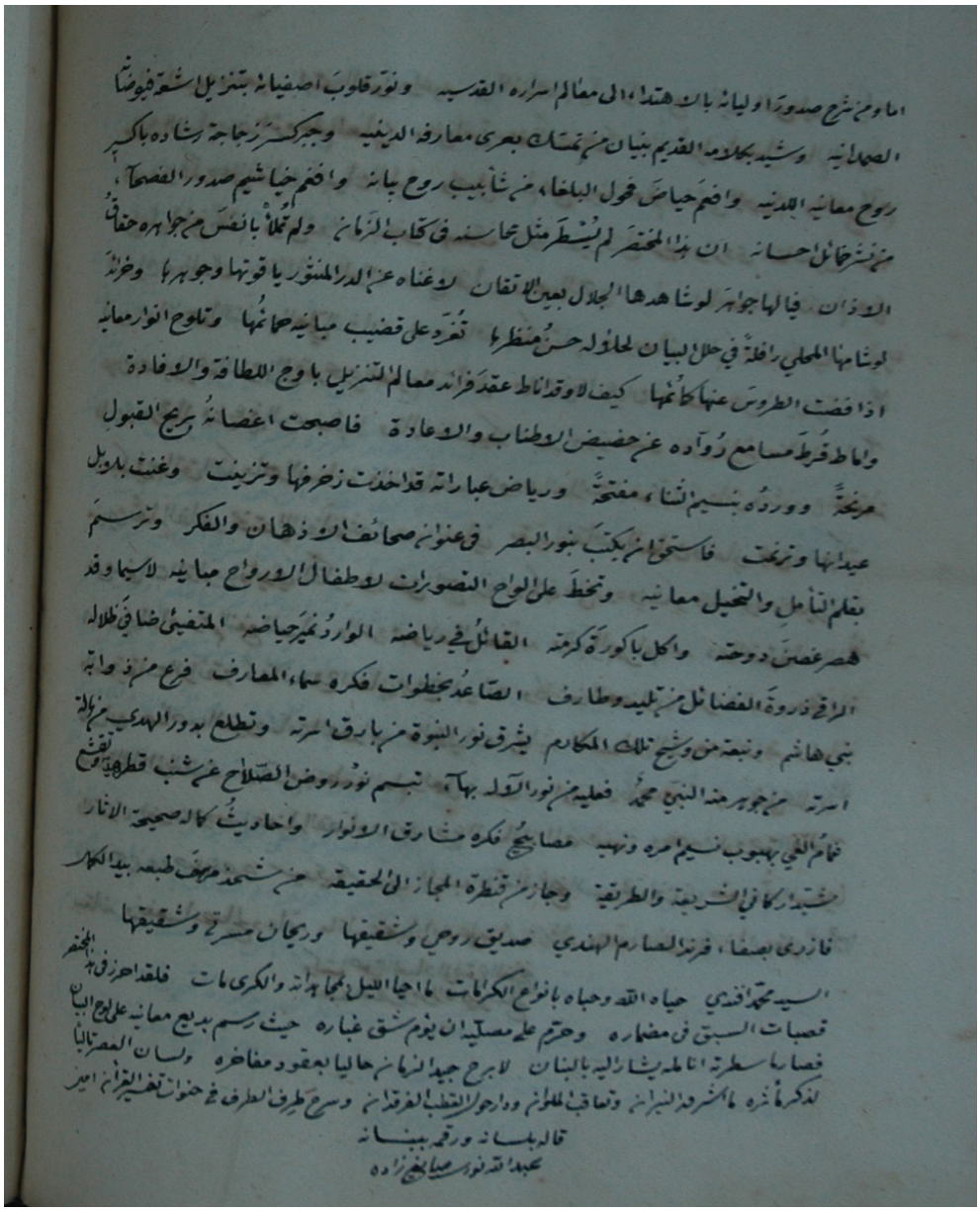
تقريظ: محمد صالح

باسم المبدئ، والمعيد أبتدئ القول وأعيد، وبما أنزل من البيان والسبع المثاني أثني عليه بما نزل به ملك الإلهام، من خزائن علم المعاني وعلى ما مَنّ به من الكشف عن أسرار التأويل بإيضاح معالم التنزيل، أحمده وأشكره على إتقان التبيان الجليل، وأصلي وأسلم على مدينة العلم ومنتهى الأحكام وأفصح كليم أنزل عليه أبلغ كلام، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى الكاشفين قناع الريبً والردى، القاصمين أسباب الشرك بحد المدى ما تعاقب الملوان، وتُلي القرآن وسجد للرحمن إنسان.

أما بعد: فلما امتد سُلّم بصري لفرد ألفاظ هذا التفسير العليّ الشأن أوسعت أقدام فكرتي لنَيل درر معانيه إذ لم يكن الخبر كالعيان، وقصرت عين بصيرتي عن الغوص إلى قعر بحره العديم السّاحل حاك في خلدي أن يصف بعض ما عاين في تلك المناهل، فانبرى مرتجلا يشرع في الوصف، عجلا وقال: (انه لسبيكة عسجدٍ، أو درّ منضد، نظمت فرائده بنان أكف البراعة، وسبكه في بواتق الفكر ماهر الصناعة) وإنه لخلاصة ما أودعه العلامة البغويّ في الدفاتر، وشذوره الملتقطة من بين نفله الفاخر، مختصر الألفاظ غير محصور المعاني، مقرّب المقاصد للمعاين والعاني، يحق له أن يُكتب على صفحات القلوب بأيدي الفكر، ويستحق ناسج بزّه أن يُكبّ على حمده ويشكر، فللّه أبوه من صيرفيّ نقّاد، أجاد فيما أراد وعمم النفع للعباد، ولا غرو فهو العالم العلاّمة، والحبر البحر الفهامة، ذو التحقيقات الفائقة ، والتدقيقات الرائقة، كشاف روح المعاني، بروح البيان، وكاشف المعضلات، بتقريره العذب وتحريراته الحسان، صاحب الفيوضات الصّمدانية، والتجليات الرحمانية، المتمسك بالشريعة والطريقة، والعابر من قنطرة المجاز إلى الحقيقة من تحزم بمنطقة العلم والعمل، فسعت إليه

الوفود من كل حدب تُنسل وتحلى بحلل الإرشاد والتقوى، فغدت ترد منهل فضله القصّاد، وتروى فرع السلالة المصطفوية وغصن الدوحة القادرية، فريد دهره، ووحيد عصره، سيدي وسندي (أبي عبدالله) الشيخ السيد(محمد أفندي) متع الله المسلمين ببقائه ونفعنا بصالح دعائه، ما تليت العبارات على منابر الإرشاد وهدت نفحة الإرشادات قلوب العباد آمين.

وكتب أحوج العباد إلى فتوح الفاتح
العبد المفتقر إلى مولاه محمد صالح



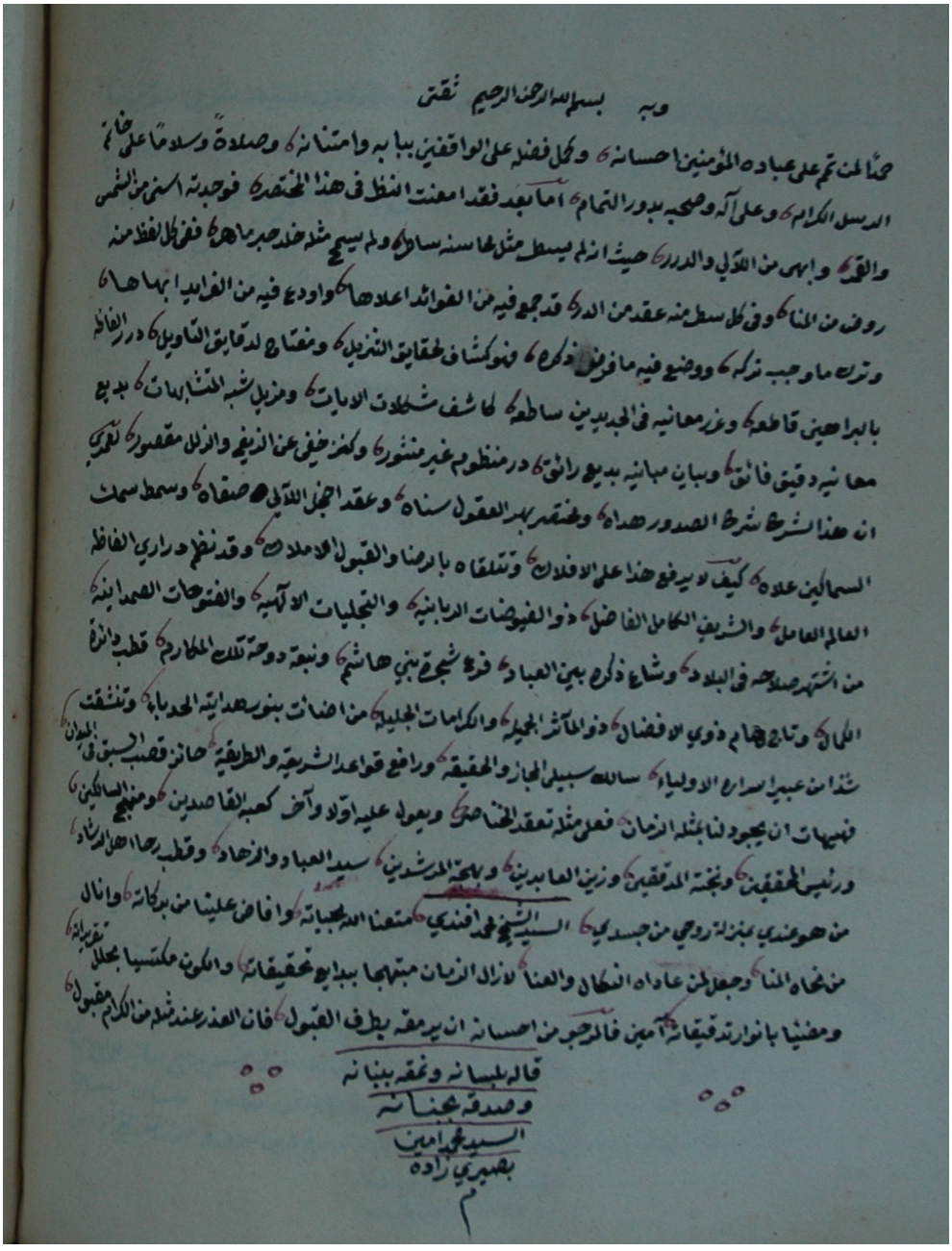
تقريظ: عبد الله نوري صائغ زاده

أما ومن شرح صدور أوليائه بالاهتداء إلى معالم أسراره القدسية، ونوّر قلوبَ أصفيائه بتنزيل أشعّة فيوضاته الصمدانية، وشيد بكلامه القديم بنيان من تمسّك بعرى معارفه الدينية، وجبر كسرَ زجاجة رشاده بأكسير روح معانيه اللدنية، وأفحم حياضَ فحول البلغاء في شأبيب روح بيانه، وأفحم خياشيم صدور الفصحاء في نشر خمائل إحسانه، إن هذا المختصر لم يُسْطَر مثل محاسنه في كتاب الزّمان، ولم تُملأ بأنفسَ من جواهره حقاقُ الاَذان، فيا لها جواهرَ لو شاهدها(الجلال) بعين (الإتقان)لأغناه عن (الدر المنثور)، ياقوتها وجوهرها، وفرائدَ لوشاهدها(المحلي) رافلةً في حلل البيان لحلاله حسنُ منظرها، تُغَرِّدُ قضيب مبانيه حمائُمها، وتلوح أنوار معانيه إذا قضت الطروسَ عنها كمائمها، كيف لا ؟ وقد أناط عقدَ فرائد(معالم التنزيل) بأوج اللطافة والإفادة وأماط قُرطَ مسامع رُوّاده عن حضيض الإطناب والإعادة، فأصبحت أغصانُه بريح القبولِ مرنحةً ووردُه بنسيم الثناء مفتحةً، ورياض عباراته قد أخذت زخرفها وتزينت، وغنت بلابل عيدانها وترنمت، فاستحق أن يكتبَ بنور البصر في عنوان صحائف الأذهان والفكر، وترسمَ بقلم التأملِ والتخيل معانيه، وتخطَ على ألواح التصورات لأطفال الأرواح مبانيه، لاسيما وقد هصر غصنَ دوحته، وأكل باكورة كرمته القائلُ في رياضه الواردُ نميرَ حياضه، المتفيىء ضافيَ ظلاله الراقي ذروةَ الفضائل من تليد وطارف، الصّاعدُ بخطوات فكره سماء المعارف، فرع من ذؤابة بني هاشم، ونبعة من وشيج تلك المكارم، يشرق نور النبوة من بارق أسرته، وتطلع بدور الهدي من هالة أسرته من جوهر منه النبّي محمدٌ فعليه من نور الإله بهاء، تبسم نورٌ روض الصّلاح عن شنب فطريتها وتقشع عمام الغي بهبوب نسيم أمره ونهيه، مصابيح فكره مشارق الأنوار وأحاديثُ كماله

صحيحة الأثار فشيد أركاني الشريعة والطريقة، وجاز من قنطرة المجاز إلى الحقيقة من شحذ مرهف طبعه بيد الكمال، فازرى بصفاء فرند الصارم الهندي صديق روحي وشقيقها وريحان مسرتي وشقيقها، السيد (محمد أفندي) حياه الله وحباه بانواع الكرامات ما أحيا الليل بمجاهداته، والكرامات فلقد أحرز في هذا المختصر قصبات السبق في مضماره وحرّم على مصلّيه أن يؤم شق غباره حيث رسم بديع معانيه على لوح البيان فصار ما سطرتْهُ أنامله يشار إليه بالبنان لا برح حيد الزمان حالياً بعقود مفاخره، ولسان العصر تالياً لذكر مآثره ما أشرق النيران وتعاقب الملوان ودار حول القطب الفرقدان، وسرحَ طِرف الطرف في حنوات تفسير القرآن آمين .

قاله بلسانه ورقمه ببنانه

عبدالله نوري صائغ زاده



وبه نستعين

حمدًا لمن تمم على عباده المؤمنين احسانه، وكمل فضله على الواقفين ببابه وامتنانه، وصلاة وسلامًا على خاتم الرسل الكرام، وعلى آله وصحبه بدور التمام، أما بعد فقد امعنت النظر في هذا المختصر، فوجدته اسنى من الشمس والقمر، وابهى من اللآلي والدرر، حيث انه لم يسبق مثل اساسه سابق، ولم يلحق شأو حدسه لاحق، ففي كل لفظة منه روض من المعاني، وفي كل سطر منه عقد من الدرر، قد جمع فيه من الفوائد اعلاها، واودع فيه من الفرائد ابهاها، وترك ما وجب تركه، ووضع فيه ما فرض ذكره، فهو كشاف لحقايق التنزيل، ومفتاح لدقايق التاويل، درر الفاظه بالبراهين قاطعة، وغرر معانيه في الجد يدين ساطعة، كاشف مشكلات الايات، ومزيل شبه الشبهات، بديع معانيه دقيق فائق، وبيان مبانيه بديع رائق، درر منظوم غير منثور، وكنز خفي عن الذهن والزلل مقصور، تحرى ان هذا الشرط شرح الصدور هداه، ومختصر بهر العقول سناه، وعقد اجمل اللآلي صفاه، وسمط سمك السماكين علاه، كيف لا يدفع هذا على الافلاك، وتتلقاه بالرضا والقبول الاملاك، وقد نظم دراري الفاظه العالم العامل، والشريف الكامل الفاضل، ذو الفيوضات الربانية، والتجليات الالهية، والفتوحات الصمدانية من اشتهر صلاحه في البلاد، وشاع ذكره بين العباد، فرع شجرة بني هاشم، ونبعة دوحة تلك المكارم، قطب دائرة الكمال، وتاج مفارق ذوي الافضال، ذو المآثر الجميلة، والكرامات الجليلة، من افنانه بنور هدايته الحدباء، وتشققت شذا من عبير اسرار الاولياء، سالك سبيل المجاز والحقيقة، ورافع قواعد الشريعة والطريقة، حائز قصب السبق في الميدان فنهيات ان يجود لنا بمثله الزمان، فعلى مثله تعقد الخناصر، ويعول عليه اولا وآخرا كعبة القاصدين، ومنهج السالكين، ورئيس المحققين، ونخبة المدققين، وزين العابدين، وبهجة المرشدين، سيد العباد والزهاد، وقطب رحا اهل الرشاد من هو عندي بمنزلة روحي من جسدي، السيد الشيخ محمد افندي، متعنا الله بحياته، وافاض علينا من بركاته، وانال من نحاه المنا، وجعل من عاداه النكال والعنا، لازال الزمان مبتهجا ببدايع تحقيقاته، والكون مكتسيا بحلل تدقيقاته، ومغنيا بانوار تدقيقاته آمين فالمرجو من احسانه ان يديمه بطرف القبول، فان العذر عند مثله من الكرام مقبول

قاله بلسانه وخطه ببنانه
وصدقه بجنانه
السيد محمد امين
بصيري زاده

تقريظ: السيد محمد آمين بصيري زاده

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

حمداً لمن تَمَّم على عباده المؤمنين إحسانه، وكمل فضله على الواقفين ببابه وامتنانه، وصلاةً وسلاماً على خاتم الرسل الكرام، وعلى اَله وصحبه بدور التمام، أما بعد فقد أمعنت النظر في هذا المختصر، فوجدته أسنى من الشمس والقمر، وأبهى من اللَّآلئ والدرر، حيث إنه لم يسطر مثل محاسنه ساطر، ولم يسمح مثله خلد حبر ماهر، ففي كل لفظ منه روض من المنا، وفي كل سطر منه عقد من الدر، قد جمع فيه من الفوائد أعلاها، وأودع فيه من الفرايد أبهاها، وترك ما وجب تركه، ووضع فيه ما فرض ذكره، فهو كشاف لحقائق التنزيل، ومفتاح لدقايق التاويل، درر ألفاظه بالبراهين قاطعة، وغرر معانيه في الجديدين ساطعة، كاشف مشكلات الاَيات، ومزيل شبه المتشابهات، بديع معانيه دقيق فائق، وبيان مبانيه بديع رائق، در منظوم غير منثور، وكنز خفي عن الزيغ والزلل مقصور، لعمري إن هذا الشرط شرط الصدور هداه، ومختصر بهر العقول سناه، وعقد أخجل اللآلي صفاه، وسمط سمك السماكين علاه، كيف لا يرفع هذا على الافلاك، وتتلقاه بالرضا والقبول الأملاك، وقد نظم دراري ألفاظه العالم العامل، والشريف الكامل الفاضل ذو الفيوضات الربانية، والتجليات الإلهية، والفتوحات الصمدانية، من اشتهر صلاحه في البلاد، وشاع ذكره بين العباد، فرع شجرة بني هاشم، ونبعة دوحة تلك المكارم، قطب دائرة الكمال، وتاج هام ذوي الإفضال، ذو المآثر الجميلة، والكرامات الجليلة، من أَضاءت بنور هدايته الحدباء، وتنشقت شذا من عبير أسراره الأولياء، سالك سَبِيْلَي المجاز والحقيقة، ورافع قواعد الشريعة والطريقة، حائز قصب السبق في الميدان، فهيهات أن يجود لنا بمثله الزمان، فعلى مثله تقعد الخناصر، ويعول

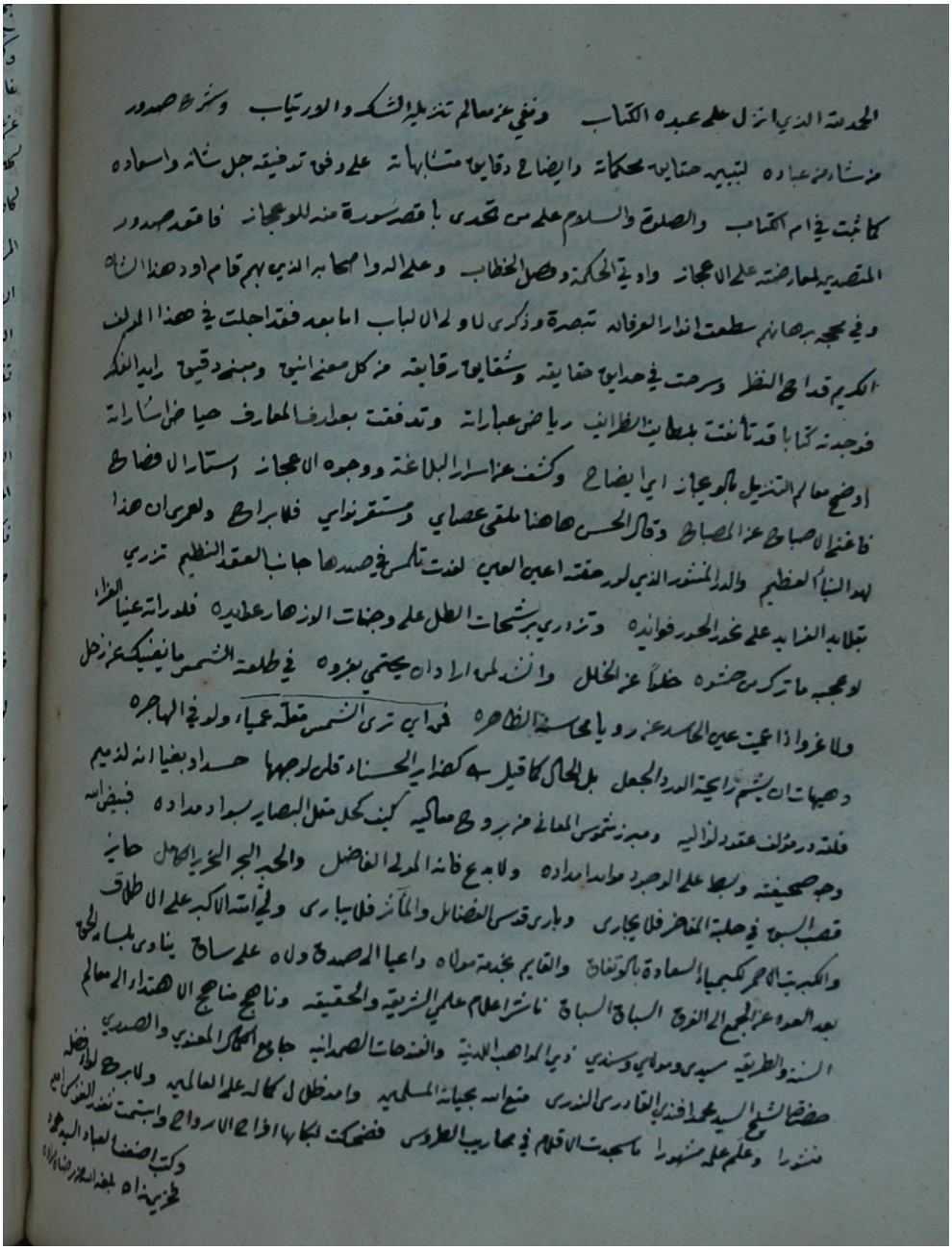
عليه أوّلاً وآخر كعبة القاصدين، ومنهج السالكين، ورئيس المحققين، ونخبة المدققين، وزين العابدين، وبهجة المرشدين، سيد العباد والزهاد، وقطب رحى أهل الرشاد، من هو عندي بمنزلة روحي من جسدي، السيد الشيخ(محمد أفندي)، متعنا الله بحياته، وأفاض علينا من بركاته، وانال من نحاه المنا، وجعل لمن عاداه النكال والعنا، لازال الزمان مبتهجا ببدايع تحقيقاته، والكون مكتسياً بحلل تقريراته، ومضيئا بانوار تدقيقاته، آمين فالمرجو من إِحسانه أن يرمقه بطرف القبول، فإن العذر عند مثله من الكرام مقبول.

قاله بلسانه ونمقه ببنانه .وصدق بجنانه

السيد محمد أمين

بصيري زادة

م



تقريظ: السيد محمود فخري زاده

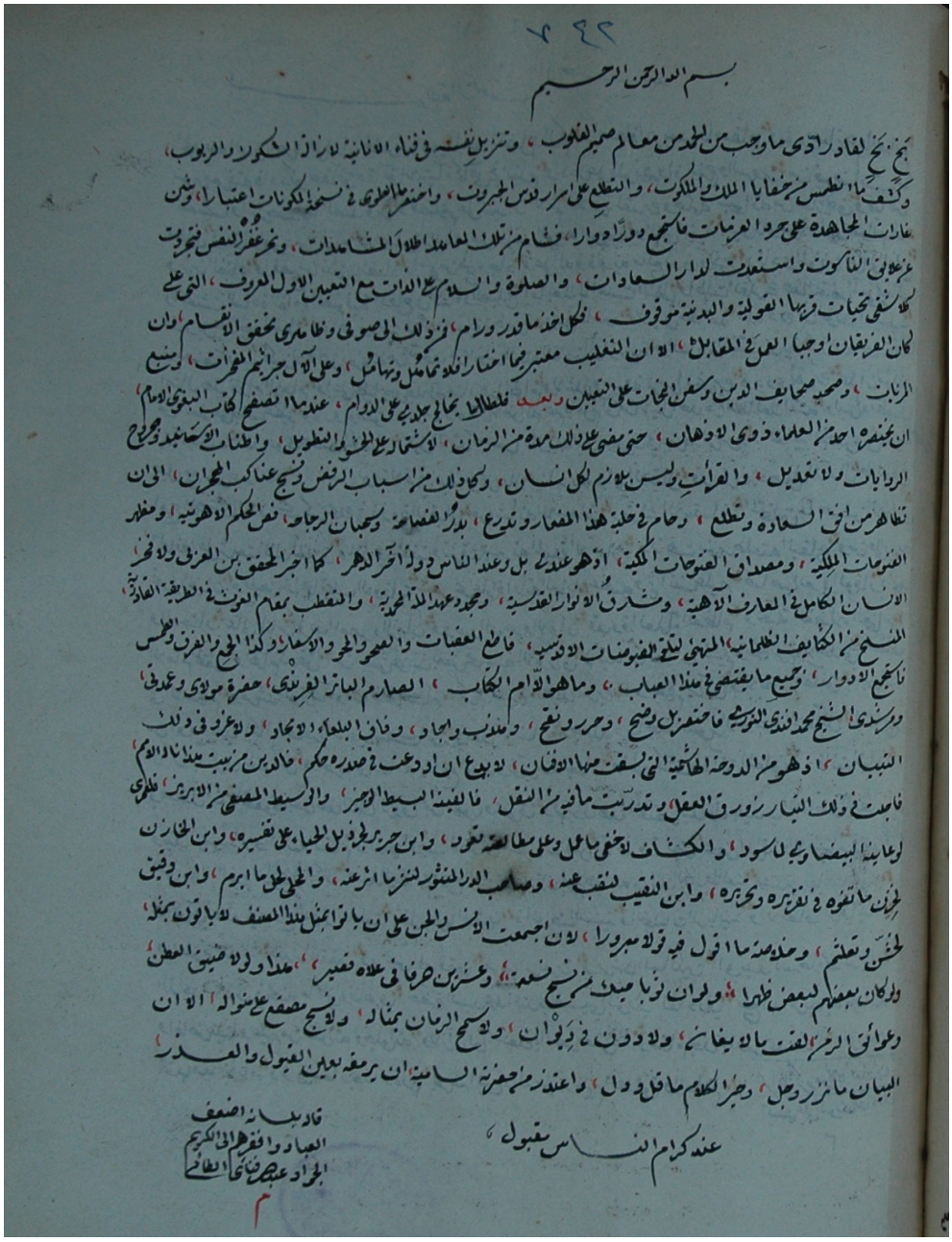
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ونفى عن معالم تنزيله الشك والارتياب وشرح صدور من شاء من عباده لتبيين حقائق محكماته وإيضاح دقائق متشابهاته على وفق توفيقه جل شانه وإسعاده كما ثبت في أم الكتاب، والصلاة والسلام على من تحدى باقصر سورة منه للإعجاز فأقعد صدور المتصدين لمعارضته على الاعجاز، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه الذي بهم قام أود هذا الشأن وفي محجة برهانهم سطعت أنوار العرفان تبصرة وذكرى لأولي الألباب.

أما بعد: فقد أجلت في هذا المؤلَّف الكريم قداح النظر وسرحت في حدائق حقائقه وشقائق زقائقه من كل معنى أنيق ومبنى دقيق رائد الفكر فوجدته كتاباً قد تأنقت بلطائف الظرائف رياض عباراته وتدفقت بعوارف المعارف حياض إشاراته أوضح معالم التنزيل بالإيحاء، أي إيضاح وكشف عن أسرار البلاغة ووجوه الإعجاز، أستار الإفصاح فأغنى الإصباح عن المصباح، وقال الحسن هاهنا ملقى عصاي ومستقر نداي فلا براح ولعمري إن هذا لهو النبأ العظيم والدر المنثور الذي لودحقته أعين العين لغدت تلمس في صدرها جانب العقد النظيم تزري بقلائد الفرائد نحور الحور فوائده، وتزدري برشحات الطل على وجنات الأزهار عطيره فلو رأته عينا الفراء لأَعجبه ما ترك من حشوه خلواً عن الخلل، وأشد لمن أراد أن يحتمي بقروه في طلعة الشمس ما ينفك عن زحل، ولا غرو إذا عميت عين الحاسد عن رؤية محاسنه الظاهره، فمن أين ترى الشمس مقله عمياء، ولو في الهاجره، وهيهات أن يشم رائحة الورد الجمل بل الحالي كما قيل، (كضراية الحسناء قلى لوجهها حسداً وبغياً إنه لذميم فلته) در مؤلف عقود لؤالية ومبرز شموس المعاني من بروج معاليه كيف كحل

مقل البصائر سواد مداده فبيض الله وجه صحيفته، وبسط على الوجود موائد مداده ولا بدع فانه المولى الفاضل والحبر البحر النحرير الكامل حائز قصب السبق في حلبة المفاخر، فلا يجاري، وباري قدس الفضائل والمآثر، فلا يباري، ولي الله الأكبر على الإطلاق، والكبريت الأحمر لكيمياء السعادة بالاتفاق والقائم بخدمة مولاه، داعياً إلى صدق وله على ساق ينادي بلسان الحق بعد العدل عن الجمع إلى الفرق، السباق، ناشر أعلام علمي الشريعة والحقيقة، وناهج مناهج الاهتداء الى معالم السنة والطريقة، سيدي ومولاي وسندي ذي المواهب اللدنية، والفتوحات الصمدانية جامع الكمالي المعنوي والصدري، حضرة الشيخ السيد (محمد أفندي القادري الندري) متع الله بحياته المسلمين، وأَمدَّ ظلال كماله على العالمين، ولا برح لواء فضله منشوراً وعلم علمه مشهوراً ما سجدت الأقلام في محاريب الطروس فضحكت لبكائها أفراح الأرواح وابتسمت ثغور.

وكتب أضعف العباد السيد محمود

فخري زاده بلغه الله من رضاء مراده



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك لقادر اذى ما وجب من الحمد من معالم صمم القلوب ، وتنزيل نفسه في غناء الانانية لازالة الكدورات والريوب ، وكشف بها نطس من حجفابا الملك والملكوت ، والتطلع على اسرار قدس الجبروت ، واختص بما اطوى في نسخة الكونات اعتبارا ، وثنى عنان المجاهدة على حرد العزمات فانجح دورا دوارا ، فسام من تلك المعامد اطلال المشاهدات ، ونحر غفر النفس فجرت عن عيون الناسوت واستعذبت لدار السعادات ، والصلوة والسلام على الذات مع التعين الاول المعروف ، التي على كل شئ تجليات فيها القوابل والبدنية موقوف ، فكل اخذ ما قدر ورام ، فمن ذلك الى صوفي وظاهري محقق الاقسام ، وان كان الفريقان اوجبا العمل في المقابل ، الا ان التغليب معتبر فيما اختار فلا تتأمل وتهامل ، وعلى آل جرائم الفجرات ، ومنبع الزلات ، ومحمد صحايف الدين وسقف الفجات على التعين وبعد فلطالما بتجالي جلدي على الدوام ، عند ما تصفح كتاب البغوي الامام ان يختصره احد من العلماء ذوي الافهام ، حتى مضى على ذلك مدة من الزمان ، لاشتغاله على الحشو والتطويل ، واطناب الاسانيد وتجريح الروايات والتعديل ، والقرات وليس يلزم لكل انسان ، وكان ذلك من اسباب الرفض وتنجح عنا كب الحجران ، الى ان تظاهر من افق السعادة وتطلع ، وحام في خلبة هذا الفخار وتدرع ، بدر الفصاحة وسحبان الرجاحة ، نفس الحكم الالهوتية ، ومظهر الفتوحات الملكية ، ومصداق الفتوحات المكية ، او هو عندي بل وعند الناس دولة آخر الدهر ، كما اخبر المحقق بن العربي ولا فخر ، الانسان الكامل في العارف الآلهية ، وشرق الانوار القدسية ، ومجدد عهد الملة المحمدية ، والمنقطب بفهم الغوث في الطريقة القادرية ، المنسخ من الكثائف الظلمانية ، المنهي للتلقي الفيوضات الالوهية ، قاطع العقبات والمحو والاسكار ، وكذا الجمع والفرق والطمس ناجح الادوار ، وجميع ما يقتضي في هذا الباب ، وما هو الامام الكتاب ، الصارم البائر الفريدي ، حضرة مولاي وعمدتي ومرشدي الشيخ محمد افندي النورسي فاختصره بوضح ، وحرر ونقح ، وهذب واجاد ، وفاق البلغاء الامجاد ، ولا غرو في ذلك التبيان ، اذ هو من الدوحة الهاشمية التي سبقت منها الاقران ، لا يبعد ان او دعته عنده حكم ، فالدين من نبت هذا نا والام فاجتث في ذلك النهار زورق العقل ، وتدرب ما فيه من النقل ، فالفيته البسيط الوجيز ، والوسيط المصفى من الابريز ، فلوى لوعاينه البيضاوي لاسود ، والكشاف لاخفى ما عمل وعلى مطالعته تعود ، وابن جرير لجوز بل الحيا على تقصيره ، وابن الخازن لحزن ما تحوه في تقريره وتحريره ، وابن النقيب لنقب عنه ، وصاحب الدر المنثور لنثر ما انثر عنه ، والمحلي لحلا ما ابرم ، وابن وقيق لحش وتعلم ، وخلاصة ما اقول فيه قولا مهرورا ، لان اجمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا الصنف لا ياتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهرا ، ولو ان نوابغ من نسج منعه ، وعشرين حرفا في علاه تقصر ، هذا ولا ضيق العطن وعوائق الزمن لقلت بالا يغادر ، ولا دون في ديوان ، ولا سمح الزمان بمثاله ، ولا نسج مصقع على منواله ، الا ان البيان ما نزر وجل ، وخير الكلام ما قل ودل ، واعتذر من حضرة العالية ان يرمقه بعين القبول والعذر عند كرام الناس مقبول

قاله بلسانه اضعف العباد وافقرهم الى الكريم الجواد عبد الله فنائي الطائي

تقريظ: عبد الله أفندي الطائي

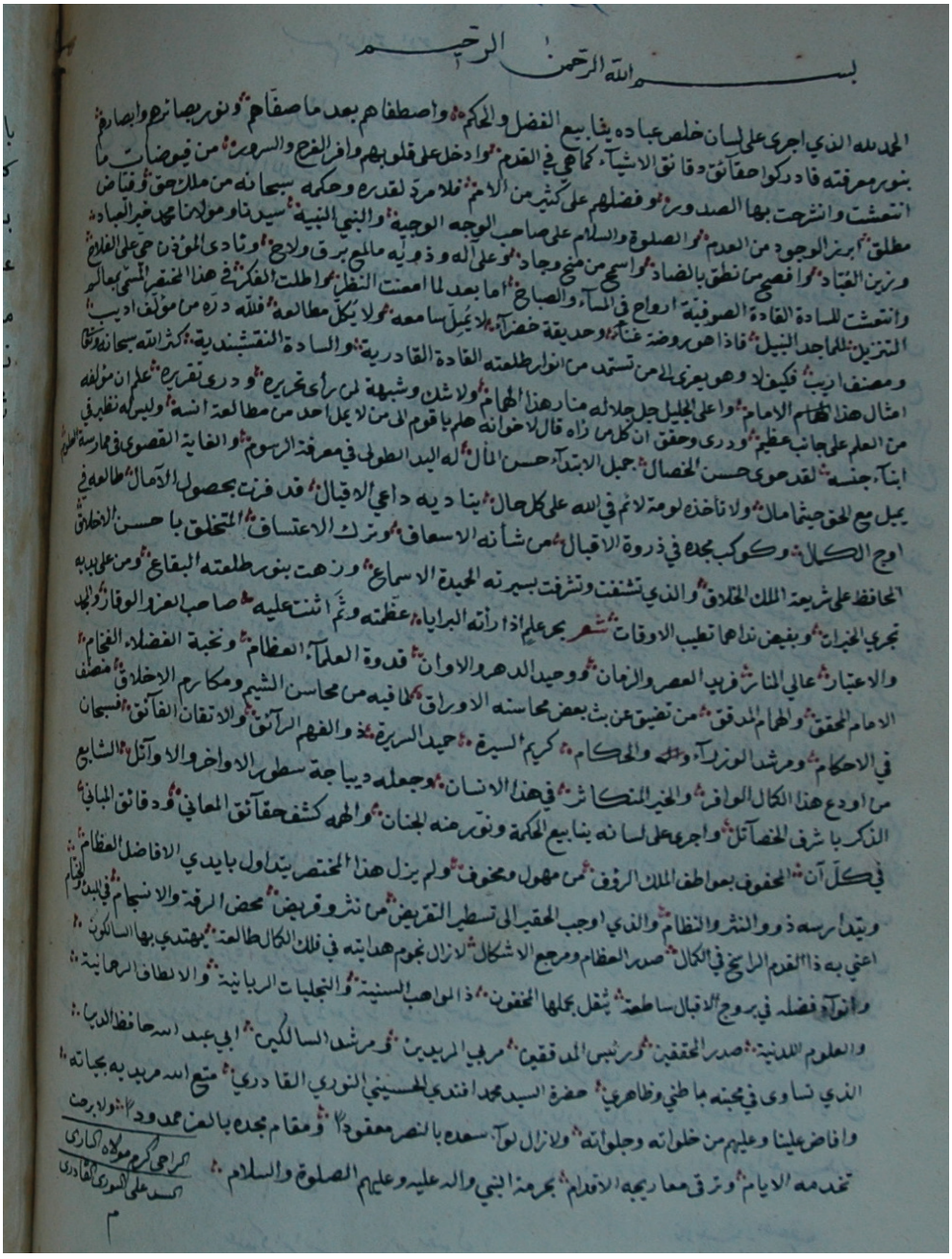
بسم الله الرحمن الرحيم

بَخ بَخ لقادر أدّى ما وجب من الحمد من معالم صميم القلوب، وتنزيلِ نفسه في فَناءِ الأنانية لِازالة الشكوك والربوب، وكشف ما انطمس في خفايا الملك والملكوت، والتطلع على أسرار قدس الجبروت، واختصر ما انطوى في نسخة المكونات اعتباراً، وشن غارات المجاهدة على جرد العزمات فاستجمع دوراً دوارا، فشام من تلك المعاهد أطلالَ المشاهدات، ونحر غُفْرَ النفس فتجردت عن علائق الناسوت واستعدت لدار السعادات، والصلاة والسلام على الذات مع التعيين الأول المعروف، التي على كل شقي تحيات فمن بينهما القولية والبدنية موقوف، فكل أخذ ما قدر ورام، فمن ذلك إلى صوفي وظاهري تحقق الانقسام، وإن كان الفريقان أوجبا العملَ في المقابل، إلا أن التغليب معتبر فيما اختارا فلا تماهُل وتهامُل، وعلى الآل جراثيم المفخرات، ومنبع المزيات، وصحبه صحائف الدين وسفن النجاة على التعيين. وبعد: فلطالما يخالج خلدي على الدوام، عندما اتصفح كتاب البغوي الإمام، ان يختصره أحد من العلماء ذوي الاذهان، حتى مضى على ذلك مدة من الزمان، لاشتماله على الحشو والتطويل، وإطناب الأسانيد وتجريح الروايات ولا تعديل، و القراءاتِ وليس بلازم لكل انسان، وكل ذلك من أسباب الرفض ونسج عناكب الهجران، إلى أن تظاهر من أفق السعادة وتطلع، وحام في حلبة هذا المضمار وتدرع، بدرُ الفصاحة وسحبان الرجاحة، فص الحكم اللاهوتية، ومظهر الفتوحات المِلكية، ومصداق الفتوحات المكية، إذ هو عندي بل وعند الناس دولة آخر الدهر، كما أخبر المحقق ابن العربي ولا فخر، الإنسان الكامل في المعارف الإلهية، ومشارقُ الأنوار القدسية، ومجدد عهد الملة المحمدية، والمتقطب بمقام الغوث في الطريقة القادرية، المنسخ من الكتايف

الظلمانية، المتهيء لتلقي الفيوضات الأقدسية، قاطع العقبات والصحو والمحو والأسفار، وكذا الجمع والفرق والطمس فاستجمع الأدوار، وجميع ما يقتضي في هذا العباب، وما هَو إلاّ أم الكتاب، الصارم الباتر الفِرِنْدى، حضرة مولاي وعمدتي، ومرشدي الشيخ(محمد أفندي النوري) فاختصر بل وضح، وحرر ونقح، وهذَّب وأجاد، وفاق البلغاء الأمجاد، ولا غرو في ذلك التبيان، إذ هو من الدوحة الهاشمية التي بسقت منها الأفنان، لأ بدع إِن أودعت في صدره حكم، فالدين من بيت هذا نادى الأمم، فأجلت في ذلك التيار زورق العقل، وتدرّبت ما فيه من النقل، فألفيتُهُ البسيط الوجيز، والوسيط المصفى من الابريز، فلعمري لو عاينه البيضاوي لما سود، والكشاف لا خفي ما عمل وعلى مطالعته تعود، وابن جرير لجر ذيل الحياء على تفسيره، وابن الخازن لِخزن ما تفوه في تقريره وتحريره، وابن النقيب لنقب عنه، وصاحب الدر المنثور لنثر ما اثر عنه، والمحلي لحل ما أَبرم، وابن دقيق لخشّن وتعلَّم، وخلاصة ما أَقول فيه قولاً مبروراً، لإن أجمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا المصنف لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً× ولو أن ثوبا حيك من نسج نسعة× وعشرين حرفاً في علاه قصير× هذا ولولا ضيق العطن، وعوائق الزمن ألقت مالا يغاني، ولا دون في دِيوان، ولا سمح الزمان بمثاله، ولا نسج مصقع على منواله، إلا أن البيان ما نزر وجل، وخير الكلام ما قل ودل، واعتذر من حضرته السامية، أن يرمقه بعين القبول والعذر، عند كرام الناس مقبول.

قاله بلسانه اضعف العباد وافقرهم الى الكريم الجواد

عبدالله فنائي الطائي م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اجرى على لسان خلص عباده ينابيع الفضل والحكم، واصطفاهم بعد ما صفاهم، ونور بصائرهم وابصارهم بنور معرفته فادركوا حقائق دقائق الاشياء كما هي في القدم، وادخل على قلوبهم وافر الفرح والسرور، من فيوضات ما انتعشت وانشرحت بها الصدور، وفضلهم على كثير من الانام، فلا مرد لقدره وحكمه سبحانه من ملك حق وفاض مطلق، ابرز الوجود من العدم، والصلوة والسلام على صاحب الوجه الوجيه، والنبي النبيه، سيدنا ومولانا محمد خير العباد، ورزين الحياد، وافصح من نطق بالضاد، واسمح من منح وجاد، وعلى آله وذويه مالمع برق ولاح، وتادى الموذن حي على الفلاح، وانتعشت للسادة القادة الصوفية ارواح في المساء والصباح، اما بعد لما امعنت النظر، واطلت الفكر في هذا المختصر المسمى بمعالم التنزيل للماجد النبيل، فاذا هو روضة غناء، وحديقة خضراء، للسادة النقشبندية، كثر الله سبحانه وتعالى امثال هذا الامام، واعلى الجليل جل جلاله منار هذا الهمام، ولا شك وشبهة لمن رأى تحريره، ودرى تقريره، علم ان مؤلفه من العلم على جانب عظيم، ودرى وحقق ان كل من راه قال لاخوانه هلم بنا قوم الى من لا يمل احد من مطالعة انسه، وليس له نظير في ابناء جنسه، لقد حوى حسن الخصال، جميل الابتداء حسن المآل، له اليد الطولى في معرفة الرسوم، والغاية القصوى في ممارسة العلوم، يميل مع الحق حيثما مال، ولا تاخذه لومة لائم في الله على كل حال، يناديه داعي الاقبال، قد فرغت بحصول الآمال طالعه في اوج الكمال، وكوكب مجده في ذروة الاقبال، من شانه الاسعاف، وترك الاعتساف، المتخلق باحسن الاخلاق، المحافظ على شريعة الملك الخلاق، والذي تشققت وتشرفت بسيرته الحميدة الاسماع، وزهت بنور طلعته البقاع، ومن على يديه تجري الخيرات، وبفيض ندائها تطيب الاوقات، شهر بحر علم اذا رأته البرايا، عظمته وثمنت اثنت عليه، صاحب العز والوقار، والجد والاعتبار، عالي المنار، فريد العصر والزمان، ووحيد الدهر والاوان، قدوة العلماء العظام، ونخبة الفضلاء الفخام، الامام المحقق، والهمام المدقق، من تضيق عن بث بعض محاسنه الاوراق، كلما فيه من محاسن الشيم ومكارم الاخلاق، منصف في الاحكام، ومرشد الوزراء والحكام، كريم السيرة، حميد السريرة، ذو الفهم الرائق، والاتقان الفائق، فسبحان من اودع هذا الكمال الوافر، والخير المتكاثر، في هذا الانسان، وجعله ديباجة سطور الاواخر والاوائل، الشايع الذكر باشرف الخصائل، واجرى على لسانه ينابيع الحكمة ونور رضه الجنان، والهمه كشف حقائق المعاني ودقائق المباني، في كل آن، المحفوف بعواطف الملك الرؤف، من مهول ومخوف، ولم يزل هذا المختصر يتداول بايدي الافاضل العظام، ويتدارسه ذوو النشر والنظام، والذي اوجب الحقير الى تسطير التقريض من نثر وقريض، محض الرقة والانسجام في البدو والختام، اعني به ذا القدم الراسخ في الكمال، صدر العظام ومرجع الاشكال، لازال نجوم هدايته في فلك الكمال طالعة، يهتدي بها السالكون، وانوار فضله في بروج الاقبال ساطعة، يثقل بحملها المحفون، ذا المواهب السنية، والتجليات الربانية، والالطاف الرحمانية، والعلوم اللدنية، صدر المحققين، ورئيس المدققين، مربي المريدين، ومرشد السالكين، ابي عبد الله حافظ الدنيا، الذي تساوى في محبته باطني وظاهري، حضرة السيد محمد افندي الحسيني النوري القادري، متع الله مريده بحياته، وافاض علينا وعليهم من خلواته وجلواته، ولازال لواء سعده بالنصر معقودا، ومقام مجده بالعز مشهودا، ولا برح تخدمه الايام، وترقى معاريجه الاقدام، بحرمة النبي واله عليه وعليهم الصلوة والسلام.

اخراجي كرم مولاه الكاري
الحسن على النوري القادري

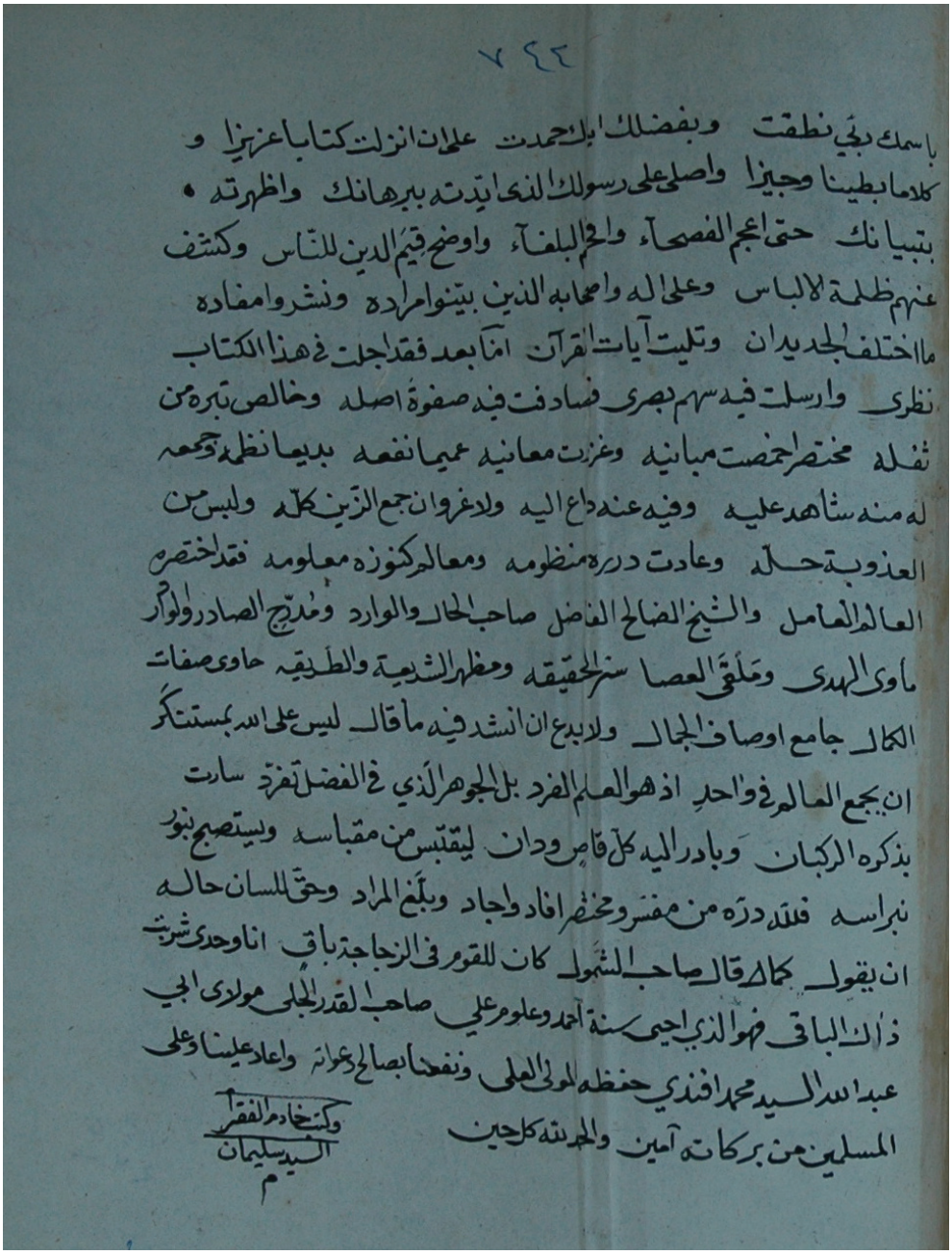
تقريظ: السيد على النوري القادري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجرى على لسان خلّص عباده ينابيع الفضل والحكم، وأصفاهم بعد ما صفّاهم، ونور بصائرهم وأبصارهم، بنور معرفته فأدركوا حقائق دقائق الأشياء كما هي في القدم، وأدخل على قلوبهم وافر الفرح والسرور، من فيوضات ما انتعشت وانشرحت بها الصدور، وفضلهم على كثير من الأمم، فلا مردّ لقدره وحكمه سبحانه من ملك حق،وفيّاض مطلق، أبرز الوجود من العدم،والصلاة والسلام على صاحب الوجه الوجيه، والنبي النبيه، سيدنا ومولانا محمد خير العباد، وزين العُبّاد، وأفصح من نطق بالضاد، وأسمح من منح وجاد، وعلى آله وذويه مالمع برق ولاح،ونادى المؤذن حي على الفلاح،وانتعشت للسادة القادة الصوفيّة أرواح في المساء والصباح، أما بعد لما أمعنت النظر،وأطلت الفكر، في هذا المختصر المسمّى بمعالم التنزيل، للماجد النبيل،فإذا هو روضة غناء، وحديقة خضراء،لا يُمِلّ سامعه،ولا يَكِلُّ مطالعه، فللّه درّه من مؤلّف أديب، ومصنف أريب، فكيف لا؟ وهو يعزى إلى من تستمد من أنوار طلعته القادة القادرية،والسادة النقشبندية، كثر الله سبحانه وتعالى أمثال هذا الهمام الإمام،وأعلى الجليل جل جلاله منار هذا الهمام،ولا شك وشبهة لمن رأى تحريره، ودرى تقريره، علم أن مؤلَّفه من العلم على جانب عظيم،، أن كل من رآه قال لإخوانه: هَلُمَّ يا قوم إلى من لا يمل أحد من مطالعة أنسه،وليس له نظير في أبناء جنسه، لقد حوى حسن الخصال، جميل الابتداء حسن المآل، له اليد الطولى في معرفة الرسوم،والغاية القصوى في ممارسة العلوم، يميل مع الحق حيثما مال، ولا تأخذه لومة لائم في الله على كل حال، يناديه داعي الإقبال، قد فزت بحصول الآمال، طالعه في أوج الكمال،وكوكب مجده في

ذروة الإقبال،من شأنه الإسعاف،وترك الاعتساف، المتخلق بأحسن الأخلاق، المحافظ على شريعة الملك الخلاق،والذي تشنفت وتشرفت بسيرته الحميدة الأسماع،وزهت بنور طلعته البقاع،ومن على يديه تجري الخيرات، وبفيض نداها تطيب الأوقات،شمر بحر علم إذا رأته البرايا،عظمته وثَم أثنت عليه، صاحب العز والوقار، والمجد والاعتبار، عالي المنار، فريد العصر والزمان، ووحيد الدهر والأوان، قدوة العلماء العظام، ونخبة الفضلاء الفخام، الإمام المحقق، والهمام المدقق، من تضيق عن بث بعض محاسنه الأوراق، لما فيه من محاسن الشيم ومكارم الأخلاق، منصف في الأحكام، ومرشد الوزراء والحكام، كريم السيرة، حميد السريرة، ذو الفهم الرائق، والإتقان الفائق، فسبحان من أودع هذا الكمال الوافر، والخير المتكاثر، في هذا الإنسان، وجعله ديباجة سطور الأواخر الأوآئل، الشايع الذكر بأشرف الخصائل، وأجرى على لسانه ينابيع الحكمة ونوّر منه الجنان، وألهمه كشف حقائق المعاني، ودقائق المباني، في كل آن، المحفوف بعواطف الملك الرؤوف، من مهول ومخوف، ولم يزل هذا المختصر يتداول بأيدي الأفاضل العظام، ويتدارسه ذوو النثر والنظام، والذي أوجب الحقير إلى تسطير التقريض، من نثر وقريض، محض الرقة والانسجام، في المبدأ والختام أعني به ذا القدم الراسخ في الكمال، صدر العظام ومرجع الإشكال، لازال نجوم هدايته في فلك الكمال طالعة، يهتدي بها السالكون، وأنواء فضله في بروج الإقبال ساطعة، يثقل بحملها المخفون، ذو المواهب السنية، والتجليات الربانية، والألطاف الرحمانية، والعلوم اللدنية، صدر المحققين، ورئيس المدققين، مربي المريدين، ومرشد السالكين، ابو عبدالله حافظ الدين، الذي تساوى في محبته باطني وظاهري، حضرة السيد محمد

أفندي الحسيني النوري القادري، متع الله مريديه بحياته، وأفاض علينا وعليهم من خلواته وجلواته، ولا زال لواء سعده بالنصر معقوداً، ومقام مجده بالعز ممدوداً، ولا برحت تخدمه الأيام، وترقى معاريجه الأقدام، بحرمة النبي وآله عليه وعليهم الصلوة والسلام.



باسمك ربي نطقت وبفضلك ايا احمدت علي ان انزلت كتابا عزيزا و
كلاما بطينا وجيزا واصلي على رسولك الذي ايدته ببرهانك واظهرته
بتبيانك حتى اعجم الفصحاء والحم البلغاء واوضح قيم الدين للناس وكشف
عنهم ظلمة الالباس وعلى اله واصحابه الذين بينوا مراده ونشروا مفاده
ما اختلف الجديدان وتليت آيات القرآن اما بعد فقد اجلت في هذا الكتاب
نظري وارسلت فيه سهم بصري فصادفت فيه صفوة اصله وخالص تبره من
ثفله مختصرا حضت مبانيه وغزرت معانيه عميما نفعه بديعا نظمه وجمعه
له منه شاهد عليه وفيه عنه داع اليه ولا غروان جمع الزين كله ولبس من
العذوبة حلله وعادت درره منظومه ومعالم كنوزه معلومه فقد اختصر
العالم العامل والشيخ الضالع الفاضل صاحب الحال والوارد ومدرج الصادر والوارد
ماوى الهدى وملقى العصا سر الحقيقة ومظهر الشريعة والطريقة حاوي صفات
الكمال جامع اوصاف الجمال ولا بدع ان انشد فيه ما قال ليس على الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد اذ هو العلم الفرد بل الجوهر الذي في الفضل تفرد سارت
بذكره الركبان وبادر اليه كل قاص ودان ليقتبس من مقباسه ويستصبح بنور
نبراسه فلله دره من مفسر ومختصر افاد واجاد وبلغ المراد وحق للسان حاله
ان يقول كما قال صاحب الشمول كان للقوم في الزجاجة باقٍ انا وحدي شربت
ذاك الباقي فهو الذي احيى سنة احمد وعلوم علي صاحب القدر الجلي مولاي ابي
عبد الله السيد محمد افندي حفظه المولى العلي ونفعنا بصالح دعواته واعاد علينا وعلى
المسلمين من بركاته آمين والحمد لله كما حين

وكتبه خادم الفقراء
السيد سليمان
م

تقريظ: السيد سليمان

باسمك ربّي نطقت وبفضلك إياك حمدت على أن أنزلت كتاباً عزيزاً وكلاماً بطيناً وجيزاً وأصلي على رسولك الذي أيّدته ببرهانك وأظهرته، بتبيانك حتى أعجم الفصحاء وأفحم البلغاء وأوضح قِيَم الدين للنّاس وكشف عنهم ظلمة الإلباس وعلى اَله وأصحابه الذين بيّنوا مراده ونشروا مفاده ما اختلف الجديدان وتليت آيات القرآن أَمّا بعد فقد أجلت في هذا الكتاب نظري، وأرسلت فيه سهم بصري فصادفت فيه صفوة أصله وخالص تبره، من ثقله مختصر أخمصت مبانيه وغزرت معانيه عميماً نفعه بديعاً نظمه وجمعه له منه شاهد عليه وفيه عنه داع إليه ولا غرْو أنْ جمع الزّين كلّه ولبس من العذوبة حُلّة وعادت دره منظومة ومعالم كنوزه معلومة فقد اختصره العالم العامل والشيخ الصَّالح الفاضل صاحب الحال والوارد ومُدرِّج الصادر والوارد مأوى الهدى ومَلْقَى العصا سرّ الحقيقة ومظهر الشريعة والطّريقة حاوى صفات الكمال جامع أوصاف الجمال ولا بدع أن أنشد فيه ما قال ليس على الله بمستنكَر أن يجمع العالم في واحدٍ إذ هو العلم الفرد بل الجوهر الذي في الفضل تفرّد سارت بذكره الركبان وبادر إليه كلّ قاصٍ ودان ليقتبس من مقباسه ويستصبح بنور نبراسه فللّه درّه من مفسّر ومختصرٍ أفاد وأجاد وبلَّغ المراد وحقّ للسان حاله أن يقول كما قال صاحب الشمّول كان للقوم في الزجاجة باقٍ أنا وحدي شربت ذاك الباقي فهو الذي أحيا سنة أحمد وعلوم علي صاحب القدر الجلي مولاي أبو عبدالله السيد محمد أفندي حفظه المولى العلي ونفعنا بصالح دعواته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين والحمد لله كل حين.

وكتب خادم الفقراء السيد سليمان

م

خاتمـــــــــة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين. وبعد ..

نحمد الله على التمام، ونسأله تبارك وتعالى التوفيق والغفران، فإن أصبنا فيما كتبنا فمن الله العزيز المنان، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، هذا وقد عملنا جاهدين على إخراج هذا الجزء من المخطوط في خير حلة نستطيعها، مع الاعتراف بالقصور، فالكمال لله -تعالى- وحده .فهذه من أهم النتائج والتوصيات التي توصل اليها الباحث:

١. كان السيد محمد النوري صاحب وجه بشوش، وذا ثقافة واسعة، وذا منزلة عالية ومرموقة بين علماء الموصل والمناطق المجاورة لها، وقد قرظ له بعض العلماء.

٢. إنه رحمه الله طلب العلم الشرعي منذ وقت مبكر من حياته، فحفظ القرآن، وأخذ علمي المعقول والمنقول من علماء عصره، وعلمي التفسير والحديث، وتفقه على مذهب الحنفية والشافعية، وقد أجازه علماء عصره إجازة مطلقة في العلوم، ولاسيما علم التفسير، الى أن تصدر للتدريس، وأصبح لديه تلاميذ كثيرون، فأخذ يدرس علم الأصول، والتفسير، والحديث، والفقه بالإضافة إلى ذلك فقد سلك طريق التصوف، الذي أخذه عن شيوخ عصره وخاصة شيخه"نورالدين البريفكاني الكوردي" حتى صار إماماً بارعاً في التصوف، يطلبه المريدون من كل مكان.

٣. اعتمد الشيخ في تفسيره على تفسير البغوي، وتفسير الثعلبي، وتفسيرالخازن، وتفسير الوسيط للواحدي، وتفسير الجامع لأحكام القرآن

للقرطبي، وتفسير السمعاني لأبي المظفر السمعاني، اعتمادًا كثيراً، وغير ذلك من التفاسير والمصادر الأخرى.

أهم التوصيات:

١. إن (مختصر الجليل في كتاب معالم التنزيل) قد حوى دررًا نفيسة، لاغِنى لأهل القرآن عن الرجوع إليها- إذا ما طُبع وأخذ مكانه في المكتبات الإسلامية، فهو لا زال بكرًا في هذه الناحية، وبهذا يكون مرجعًا ومصدراً للدارسين والباحثين.

٢. توصى الدّراسة جميع المسلمين بتعلم القرآن الكريم وعلومه بكل صدق وأمانة من أجل مرضاة الله تعالى، وينبغي للمسلمين أن يلقنوا أولادهم القرآن الكريم منذ الصغر، وأن يعودوهم العناية به لأنه المصدر الأول، الذي به تعرف الشريعة الإسلامية، وهو منهج الحياة.

٣. الاستمرار الدائم في الدعم المادي والمعنوي لدراسة القرآن الكريم – حفظاً وتدريسًا وتعلمًا- رجاء ثواب الله تعالى ومرضاته.

٤. الاهتمام أكثر بالمخطوطات، وإنقاذُها من الضياع بتحقيقها وطباعتها وإخراجها ، والمحافظة على جهد العلماء حتى لا يذهب هباءً منثوراً.

وصلى الله على حبيبنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العامين.

إسهامات ودور الشيخ العبيد والأسرة البدرية

في تنمية مجتمع الطريقة بأم ضواً بان «دراسة اجتماعية وصفية تحليلية»

الباحث/ محمد الطيب عبد المطلب •

ملخـــص

تناولت الدراسة أحد أبرز رواد حركة التصوف الإسلامي الحديث في السودان ودوره في الحياة الاجتماعية بمركز الطريقة البدرية بأم ضواً بان، وهو الشيخ العبيد ود بدر المسلمي الذى كانت له جهود دينية و تنموية بمنطقة أم ضواً بان و مراكزها الدينية المتفرعة عنها بريفي شرق النيل و منطقة وسط السودان. وقد هدف البحث إلى دراسة دور وإسهام وجهود الطريقة البدرية في تنمية المجتمع المحلي بمركز الطريقة بأم ضواً بان والكشف عن الدور القيادي لشيخ الطريقة المؤسس و شيوخها خلفائه في مجتمع أم ضواً بان ، بالإضافة إلى الاستفادة من النموذج الصوفي بمركز الطريقة البدرية في إرساء دعائم التنمية المجتمعية في السودان. اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي و المنهج الوصفي التحليلي، وصلت الدراسة الى نتائج منها أن الشيخ العبيد ود بدر يُعد من رواد الفكر الصوفي (الإسلامي) الحديث في السودان وكذلك أثّر الشيخ العبيد ود بدر و أسرته من خلال مركزه الصوفي بأم ضواً بان في وجدان أهل السودان في كل المناحي الثقافية والاجتماعية والتنموية والسياسية حيث أسهم في حصار الخرطوم مع الامام المهدى. وأوصت الدراسة بأهمية الجمع بين منهج التصوف الإسلامي ومنهج العمل الاجتماعي التقليدي في المجتمع المحلى في السودان. وكذلك تعميم

• محمد الطيب عبد المطلب الصديق، مراجع داخلي – وزارة المالية ولاية الجزيرة من ٢٠٠٥ حتى الآن .

نموذج التنمية الإسلامية للطريقة البدرية وسط الطرق الصوفية في السودان تذليلاً للصعاب التي تواجه حركة التغيير و الإصلاح الاجتماعي في المجتمع المحلى. بالإضافة تطوير الأوقاف الخيرية من خلال حشد وتنمية طاقاتها لتسهم بدورها في تمويل نشاط الطريقة الدعوي والتنموي بمراكزها الإسلامية في المجتمع المحلي.

Abstract

The study examined one of the most prominent pioneers of the modern Islamic mysticism movement in Sudan and its role in social life at the Badriya Center in Umm Dabban, Sheikh Al-Ubaid and Dr. Badr Al-Muslimi who had religious and development efforts in the area of Umm Dabban and its religious centers in the countryside in the eastern Nile and the central Sudan region. The research aimed to study the role, contribution and efforts of the Badriya method in developing the local community in the center of the method in Umm Dabban, and to reveal the leadership role of the founding sheikh and elders of his successors in the community of Umm Dabban, in addition to making use of the Sufi model in the Badriya Center in establishing the foundations of societal development in Sudan. The study followed the inductive analytical deductive approach and the descriptive analytical approach, the study reached results, including that Sheikh Al-Ubaid and Dr. Badr is one of the pioneers of modern (Islamic) Sufi thought in Sudan as well as the influence of Sheikh Al-Ubaid and Dr. Badr and his family through his Sufi position in Um Dabban in the conscience of the people of Sudan In all cultural, social, developmental and political aspects, he contributed to the siege of Khartoum with the Imam Al-Mahdi. The study recommended the importance of combining the Islamic mysticism approach with the traditional social work approach in the local community in

Sudan. As well as generalizing the Islamic development model of the Badriya method among the Sufi orders in Sudan, in order to overcome the difficulties facing the movement for change and social reform in the local community. In addition to developing charitable endowments through the mobilization and development of their energies to contribute in turn to financing the activities of the propaganda and developmental paths in their Islamic centers in the local community.

مقدمـــــــة

تعد مؤسسات (الطرق الصوفية) التقليدية من خلوة ومسيد واحدة من المؤسسات التى تُعد الإنسان الصالح، علمياً عن طريق التدريب والتأهيل، وخلقياً عن طريق غرس قيم الإسلام كالصدق و الأمانة، و القوة و حب العمل والصبر وهى في رأي الباحث مقومات البناء البشري الذى يجب أن ترتكز عليها التنمية قبل أن تنطلق[1].

أهمية البحث:

١- يكتسب البحث أهميته بوصفه إحدى الدراسات الاجتماعية التي تتناول قضية مهمة و هي استخدام أدوات الطريقة الصوفية و مراكزها الدعوية القرآنية كأسلوب في التنمية المحلية.

٢- تناول إسهامات و دور الشيخ ود بدر وخلفائه و الأسرة البدرية في تنمية مجتمع أم ضواً بان المحلي.

٣- نال موضوع تنمية المجتمعات المحلية عبر منظومة الطرق الصوفية اهتمام الباحثين و العلماء و علماء الاجتماع على اختلاف انتماءاتهم العلمية و

(١) نفيسة الحلو حمد، دور المؤسسات الدينية التقليدية في التنمية الريفية في السودان(حالة دراسة أم ضبان و الزريبة)، رسالة دكتوراه" غير منشورة" جامعة الخرطوم كلية التربية قسم الجغرافيا – يونيو ٢٠٠٥م.

الاجتماعية ، حيث يعتبر التصوف الإسلامي من ركائز الدعوة إلى الله ورسوله.

٤- فتح المجال أمام دراسات تهتم بمثل هذه الموضوعات.

٥- الطرق الصوفية لها سلطانها القوي على المجتمع السوداني جماهيرياً و سياسياً ، ومن جانبها تقوم الطرق بالتواصل الفعلي مع الناس عن طريق خدمات مفيدة تقدمها لهم مثل إنشاء "الخلاوى" لتحفيظ القرآن والمدارس والمراكز الصحية والمعاهد الدينية كذلك.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

١- بيان دور وإسهام وجهود الطريقة البدرية في تنمية المجتمع المحلي بمركز الطريقة بأم ضواً بان.

٢- الكشف عن الدور القيادي لشيخ الطريقة المؤسس و شيوخها وخلفائه في مجتمع أم ضواً بان.

٣- الاستفادة من النموذج الصوفي بمركز الطريقة البدرية في إرساء دعائم التنمية المجتمعية في السودان.

٤- بيان المنهج الصوفي للطريقة في الإصلاح الاجتماعي و التنمية المحلية.

٥- دراسة تطور السيرة الذاتية للشخصية الاجتماعية القومية الصوفية ممثلة في سيرة الشيخ ود بدر.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تحديد و بيان دور شيخ ومركز الطريقة الصوفية في تعزيز و تنمية مجتمع الطريقة المحلي ويمكن إيجازها في الأسئلة الآتية:

١- ما دور و إسهام شيخ الطريقة و أسرته في تنمية مجتمع أم ضواً بان المحلي ؟

٢- كيف تم تحويل مركز الطريقة القرآني من نواة خلوة إلى مسيد إلى بقعة قرآنية إلى قرية إلى مركز حضري؟

٣- إلى أيَّ مدى نجحت الطريقة البدرية و خلفاؤها و شيوخها في استخدام المنهج الصوفي و أدواته الدعوية بوصفها من وسائل التنمية الاقتصادية و الاجتماعية المعاصرة؟

٤- ما أثر ودور منهج الطريقة القادرية في بناء شخصية الشيخ العبيد ود بدر و تعزيز سماتها الدعوية الإسلامية؟

منهج البحث:

١- المنهج الفكري: اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي و المنهج الوصفي التحليلي

خطة البحث:

ينتظم هذا البحث في مقدمة و أربعة مباحث

المبحث الأول : **نبذة تعريفية عن منطقة أم ضواً بان.**

المبحث الثاني : **أثر الشيخ العبيد كمصلح اجتماعي و دوره في تنمية مجتمع أم ضواً بان.**

المبحث الثالث : **دور المسيد في تربية و تنمية المجتمع المحلي.**

المبحث الرابع : **إسهامات الأسرة و الطريقة البدرية في تنمية المجتمع المحلى.**

الخاتمة، النتائج و التوصيات.

الدراسات السابقة:

(١) دراسة هاشم عبد الرازق[١]:

هدفت دراسته إلى تقصى سيرة مؤسس الطريقة القادرية البدرية، الشيخ العبيد ود بدر ، و الطريقة الصوفية التى أنشأها .

استخدم الباحث المنهج التاريخي، و توصل إلى أن العلاقة بين التصوف الإسلامي، و المجتمع الإسلامي ، من حيث التأثير بعلاقة تبادلية، فمثلما أثر التصوف الإسلامي في المجتمع السوداني فإن المجتمع أثر في التصوف الإسلامي القادم إليه من الخارج، و إن الشيخ العبيد ود بدر جسَّد صورة الصوفي الفاعل الذي استطاع أن يقوم بإنزال الدين الإسلامي إلى مناهج ومقررات حياتية، كانت أهم نتائجه تذويب الفوارق الإجتماعية و العرقية، و إحلال أخوة الطريقة بدلاً من عصبية القبيلة وساد التكافل بين الأفراد قويهم وضعيفهم.

كما توصل الباحث إلى أن أسباب نجاح الطريقة البدرية يرجع إلي حاجة المجتمع المحلى إلى الطريقة كمؤسسة اجتماعية و سياسية متكاملة الأدوار، وقدرة الشيخ العبيد التنظيمية المتمثلة في وسائله التنظيمية من مركزية مرنة ،ودعوة مبسطة .

(٢) دراسة نفيسة الحلو حمد[٢]:

تنضوي هذه الدراسة تحت الجغرافية الاجتماعية جغرافية الريف وتركز على ضرورة اعتماد التنمية الريفية على معطيات الريف التى هى مؤهلات التنمية الريفية فيه. و هدفت هذه الدراسة إلى:

(١) هاشم عبد الرازق صالح ، السيرة و الطريقة البدرية ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم ، ١٩٩٥م.

(٢) نفيسة الحلو حمد، دور المؤسسات الدينية التقليدية في التنمية الريفية في السودان (حالة دراسة أم ضبان و الزريبة)، رسالة دكتوراه " غير منشورة" من جامعة الخرطوم كلية التربية قسم الجغرافيا في العام يونيو ٢٠٠٥م .

١- التعرف على الدور الذى تقوم به المؤسسات الدينية التقليدية من مسيد وخلوة في مناطق أم ضوا بان والزريبة لتحقيق التنمية الريفية.

٢- معرفة القيم والمفاهيم السائدة في المناطق المبحوثة وتأثيرها على التنمية الريفية الصحيحة والمطلوب فيها.

٣- التعرف على أهم معوقات التنمية الريفية في المناطق المبحوثة .

٤- وإلى أيَّ مدى يمكن للمؤسسات التقليدية أن تلعب دوراً في الحد من النتائج السلبية لهذه المعوقات والتحديات التي تقف أمام عمليات التنمية والتحديث في تلك المناطق.

٥- التوظيف الأمثل للطاقات والإمكانات البشرية في مناطق أم ضواً بان والزريبة وتوجيهها وتنميتها للمناطق وتطويرها لتحقيق التنمية الريفية المستدامة في تلك المنطقة .

وفى خاتمتها وصلت إلى نتائج أهمها:

١- أنَّ مؤسستي المسيد و الخلوة هما السبب في وجود أم ضواً بان و الزريبة و انه يوجد تكامل بين هذه المؤسسات الصوفية و المؤسسات الحديثة في أم ضواً بان بينما ينعدم هذا التكامل في الزريبة .

٢- أن الخدمات الموجودة في المنطقتين أوجدها شيوخ الطريقتين على نفقتهما الخاصة.

إلاَّ أَنَّ هذه الدراسة ركزت على العوامل الروحية فقط ، و أهملت المادية و لم توضح العوامل الموضوعية لنشأة الطريقة البدرية.

(٣) **دراسة إدريس سالم الحسن**[١]:

هدفت الدراسة إلى معرفة أسباب الصحوة التي شهدتها الطرق الصوفية آنذاك في السودان، وعلاقة التغيرات الفكرية بالتغيرات الاقتصادية و الاجتماعية الأخرى، و لذلك قام الباحث بتحليل العلاقات المتبادلة بين المتغيرات الاقتصادية و السياسية ، و الفكرية للتكوين الاجتماعي في السودان ومدى أهمية الدين في المجتمع السوداني.

استخدم الباحث المنهج التاريخي و منهج دراسة الحالة، كان ميدان الدراسة في قرية أم ضواً بان مركز الطريقة الصوفية القادرية البدرية، وقد توصل الباحث إلى أنَّ الطرق الصوفية قد أصبحت موجهة فكرياً، بعد أن كانت تنظيم اجتماعي قائم على الأفكار الدينية ، فبعدما فشل النظام المايوي "١٩٦٩-١٩٨٥م" في تكوين حزب سياسي قوى: الشيء الذى دفع النظام المايوي إلى اللجوء إلى الطرق الصوفية ومنها الطريقة البدرية ، لإيجاد سند جماهيري عبر الطرق، فوجدت الطرق الصوفية الدعم السياسي من النظام الحاكم مما مكنها من تقوية وتزايد نفوذها الديني و السياسي بين الأتباع في ظل ذلك النظام الحاكم .

إن دراسة إدريس للطريقة البدرية قامت على تحليل العلاقة بين ثلاثة متغيرات هي السياسة و الدين والأيديولوجيا، بمعزل عن المتغيرات الأخرى، كان يمكن أن تكشف الدراسة عن خلل بنائي في دور النظم الاجتماعية يستدعي مساندتها تنظيمياً بواسطة الطرق الصوفية و منها الطريقة البدرية ، إذا ما تمت دراسة الظاهرة في إطارها البنائي أو الثقافي الشامل.

(١) إدريس سالم الحسن، الدين في المجتمع السوداني، نميري و الطرق الصوفية ١٩٧٢-١٩٨٠م ترجمة : محمد بكري الشريف ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، وحدة الترجمة و التعريب ٢٠٠٢م.

خاتمة و تعقيب على الدراسات السابقة :

من استعراضنا لهذه الدراسات السابقة نجدها اهتمت في مجملها بالعامل الديني ودوره في نشأة الطرق الصوفية و انتشارها و تأثيرها في المجتمع السوداني و لكنها لم تعط اهتماماً للظروف الموضوعية التى في ظلها أسهمت الطرق الصوفية بدورها في نشأة وتطور و تنمية القرى و المدن في المجتمعات المحلية السودانية. من هذا المنطلق قام الباحث بالكشف عن العلاقة التي تربط بين هذه الطرق و نشأة وتطور هذه المجتمعات و من هنا يتضح أننا في حاجة إلى دراسة هذا الدور وهذا ما تود أن تقوم به هذه الدراسة.

مصطلحات البحث:

١ ـ **الدور**: الدور في اللغة العربية: يقال دار الشيء دوراناً و استدار ودورته[١]. وأيضاً يعرف الدور بأنه الجانب الدينامي لمركز الفرد أو وضعه أو مكانته في الجماعة[٢]. المعنى الاصطلاحي للدور هو : السلوك الذي تتوقعه الجماعات والمجتمعات من الأفراد في مراكز معينة بحيث يكون هذا السلوك مميزاً للفرد من غيره ممن يشغلون مراكز أخرى[٣].

٢ ـ **مفهوم الطريق** : ورد في اللغة أن أصل الكلمة من (طرق) فيقال : طرق النجم يطرق طروقاً : طلع ليلاً وهو النجم الطارق وفى التنزيل العزيز ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ [الطارق: ١]، وطرق القوم طرقاً و طروقاً : أتاهم ليلاً. وطرق الطريق: سلكه. و الطريق المطروق الممر الواسع الممتد أوسع من الشارع .

(١) ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، معجم لسان العرب ، ج٥ ، بيروت، دار صادر ،ط١ ،٢٠٠٠م ، ص ٣٢٣.
(٢) منير البعلبكي ، المورد ، دار العلم للملايين ، ط٣٧ ، ٢٠٠٣م ، ص ٧٩٤.
(٣) معن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، دراسة تحليلية و نقدية ، جامعة بغداد ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة، ط١٩٩١،٢م، ص ٢٤٢.

٣ـ **الطريق عند الصوفية**: مسلك الطائفة من المتصوفة. والجمع: طرق وطرائق[١]. و الطريقة كالطريق هي الحال و السيرة حسنة أو سيئة[٢].
ويعرفها الفاشانى (*) بقوله: هى السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات[٣]. ويقول ابن عجيبة الحسني (*): (..فطريق الصوفية ترك الدنيا و أهلها، و آثار الوهد و الخمول)ويقصد بالخمول عدم الاهتمام بالدنيا والتكالب عليها والاشتغال بها ويواصل التعريف بالطريقة و الطريق فيصف أخلاق القوم و يحدد معالم الطريق[٤]

٤ـ **مفهوم التصوف** : حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى شدة العبادة و الزهد في الدنيا كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري ثم تطورت تلك النزعات حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية[٥].

٥ـ **مفهوم التنمية**: يمكن تحديدها بأنها ذلك الشكل المعقد من الإجراءات والعمليات المتتالية المستمرة التى يقوم بها الإنسان للتحكم في مضمون واتجاه وسرعة التغير الثقافي أو الحضاري في مجتمع من المجتمعات بهدف إشباع حاجاته، أيْ أنَّ التنمية ما هى إلاّ عملية تغيير مقصود

(١) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٥٧٦.
(٢) محمد عقيل بن علي المهدلي ، دراسة في الطرق الصوفية القاهرة ، دار الحديث ، ط٢ ، ص١٢.
(*) أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الشافعي اللغوي المؤدب الشهير بـ أبو عبيد الهروي، ويقال له الفاشاني نسبة إلى فلشان وهي قرية من قرى هراة، فقيه شافعي، ولغوي، صاحب كتاب الغريبين في القرآن والحديث، أخذ العلم عن أبي منصور الأزهري اللغوي، روى الحديث عن أحمد بن محمد بن ياسين، وأبي إسحاق أحمد بن محمد بن يونس البزاز الحافظ. حدث عنه: أبو عثمان الصابوني، وأبو عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي بكتاب "الغريبين"، قال ابن خلكان أنه: «كان يحب البذلة، ويتناول في الخلوة، ويعاشر أهل الأدب في مجالس اللذة والطرب»، وأشار سيف الدين الباخرزي في ترجمته لأدباء خرسان إلى ذلك، توفي سنة ٤٠١ هـ.
(٣) الفاشانى ، اصطلاحات الصوفية تحقيق محمد كمال جعفر ، الهيئة المصرية العامة ،١٩٨١ ،ص٦٥.
(*) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف، وُلد في مدشرا عجيبش في مدينة تطوان المغربية سنة ١١٦١هـ الموافق ١٧٥٨م. واشتغل بتعلم القرآن الكريم والطاعات من صلاة وذكر منذ طفولته المبكرة.
(٤) ابن عجيبة الحسني : الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية ، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود ، عالم الفكر ، ص٣٤٣.
(٥) محمد عبد الحميد عبد الفتاح موسوعة الأديان و المذاهب و الفرق و الجماعات، كنوز للنشر، (د ت) ، ص ٢٠٥.

وموجه له مواصفات معينة بهدف إشباع حاجات الإنسان[١].

٦ـ **تنمية المجتمعات المحلية**: يعرفها محي الدين صابر بقوله: "مفهوم حديث لأسلوب العمل الاجتماعي والاقتصادي في مناطق محددة يقوم على أسس وقواعد من مناهج العلوم الاجتماعية والاقتصادية، وهذا الأسلوب يقوم على إحداث تغير حضاري في طريقة التفكير والعمل والحياة عن طريق إثارة وعي البيئة المحلية جميعاً في كل المستويات عملياً وإدارياً[٢].

وتعرف أيضا بأنها: (العملية التي يتم من خلالها العمل على دفع السكان فى المجتمعات المحلية لمناقشة احتياجاتهم و التخطيط من أجل إشباع هذه الاحتياجات)[٣].

٧ـ **المجتمع المحلي**: يقصد به مجموعة من الناس يسكنون في منطقة صغيرة و محددة و يتقاسمون طريقة مشتركة في الحياة تجمع بينهم العلاقات الاجتماعية الأولية و المتشابكة[٤].

٨ـ **القيادة المحلية**: تعرف بأنها (مجموعة من الأفراد و الجماعات يقيمون في المجتمع المحلي يستشعرون مشكلات هذا المجتمع ، و يقومون بتشجيع المجموع نحو المشاركة و الإسهام في علاج هذه المشكلات باستثمار أفضل لموارد البيئة المحلية)[٥].

(١) صلاح العبد ، موجز التحديات و التنمية في البلدان النامية ، الكتاب السنوي الأول في التنمية الريفية ، ص ٧٨–٧٩.
(٢) عبد المطلب عبد المجيد، التمويل المحلي والتنمية المحلية. الإسكندرية، الدار الجامعية، ٢٠٠١، ص١٤، ١٥.
(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب ، مفاهيم و نماذج المجتمع المحلي المعاصر ، القاهرة ، مؤسسة الشرق الأدنى ،١٩٨٨م ص ٣٦.
(٤) منال طلعت محمود، التنمية و المجتمع، مدخل نظري لدراسة المجتمعات المحلية، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١م ص ٢٤٣.
(٥) اسماعيل حسن البارى ، دور القيادات المحلية في تنمية المجتمع ، مقال بالكتاب السنوي لعلم الاجتماع ، العدد الثاني ، القاهرة ، دار المعارف،١٩٨١، ص ٨١.

٩ ـ **مفهوم التنمية**: يمكن تحديدها بأنها ذلك الشكل المعقد من الإجراءات و العمليات المتتالية المستمرة التى يقوم بها الإنسان للتحكم في مضمون و اتجاه و سرعة التغير الثقافي أو الحضاري في مجتمع من المجتمعات بهدف إشباع حاجاته، أي أن التنمية ما هى إلا عملية تغيير مقصود وموجه له مواصفات معينة بهدف إشباع حاجات الإنسان[١].

١٠ ـ **التنمية الاجتماعية**: هي عملية دينامية مقصودة تتم من خلال التدخل الإرادي بغرض التحكم و التوجيه في التغيير الاجتماعي المقصود عن طريق استثمار الموارد البشرية ودعم العلاقات بين أفراد و جماعات المجتمع بدرجة تسمح لهم بالاستخدام الأفضل للموارد المتاحة وذلك من خلال فرص المشاركة الفعالة لتحقيق الأهداف المجتمعية[٢].

المبحث الأول
نبذة تعريفية عن منطقة أم ضواً بان

الموقع:

تقع جنوب شرق الخرطوم بحري بولاية الخرطوم، بين خطي طول ٣٣ شرقاً و٣٢ غرباً وخطي عرض ١٦ شمالاً و١٥ جنوباً، في نطاق مناخي يعرف بالسافانا الفقيرة متداخل مع شبه الصحراوي ، في سهل منخفض منحدر إلى اتجاه الغرب الجنوبي باتجاه النيل الأزرق ، وتحيط بها أشجار صحراوية تعرف بأشجار (السَمُر) وهي أشجار على شكل مخروطي أشبه بالمظلة (umbrella) وذات أشواك حادة تخضر وتزهر في فصل الخريف أزهاراً تسمى عند المحليين (البرم) وثمارها

(١) صلاح العبد ، موجز التحديات و التنمية في البلدان النامية ، الكتاب السنوي الأول في التنمية الريفية ، ص ٧٨–٧٩.

(٢) أحمد مصطفى خاطر: طريقة تنظيم المجتمع – مدخل تنمية المجتمع المحلي: المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية ١٩٨٤م.

شبيهة (بالتمر هندي) ويطلق عليها (العليف) أو (العليق)[1].

القطاع الحيواني و النباتي:

يشكل رعي الماشية في أشكاله المختلفة النشاط الأكثر انتشاراً بالقياس مع زراعة المحاصيل بين سكان أم ضواً بان شبه الرعاة. و كانت تزرع في الماضي أنواع مختلفة من الذرة سريعة النضوج في وديان المناطق الداخلية للبطانة (وادي الحسيب) مثلاً باستخدام تقنيات تقليدية،لكن لم تعد الزراعة و تربية الحيوان أعمالاً مهمة إذ لا نجد أي مجموعة من سكان أم ضواً بان تعتمد في معيشتها على أيَّ منهما. فأغلبية سكانها يكتسبون معاشهم من العمل بالأجر و تجارة القطاعي وعمال غير منتظمين و مزارعين في مشروعي الجزيرة و الجنيد، كعمالة غير ماهرة[2]. وفيما عدا التجارة البسيطة والعمل في المؤسسات الحكومية (مثل المدارس والمستشفيات) والأعمال سابقة الذكر.

التربـــــة:

تربة أم ضواً بان تربة رسوبية ، مخلوطة بالرمل والطين منقولة من سهل البطانة حيث تحمل السيول الجارفة معها كميات من طمي أرض البطانة ومن أعالي الأرض (أو الضهرة كما يصطلح المحليون على تسميتها) والطبقة الثانية من الأرض عبارة عن تربة طينية (خضراء) في بعض أجزاء القرية بعمق قد يصل إلى حوالي أربعة أمتار ويعقبها طبقة حجرية مسامية صفراء اللون درج السكان المحليون على تسميتها (بالطينة الصفراء) ثم يلي ذلك طبقة جيرية.

(١) مجلس ريفي أم ضواً بان مستند رقم (١/A/٥٣).

(٢) إدريس سالم الحسن ، الدين في المجتمع السوداني، نميري و الطرق الصوفية ١٩٧٢–١٩٨٠م ترجمة : محمد بكري الشريف ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، وحدة الترجمة و التعريب ٢٠٠٢م.

وقد كان يتخلل المدينة العديد من الخيران(أشهرها خور جارة) والجداول ومجاري المياه الطبيعية بجانب العديد من(الميعات) المستنقعات والحفائر، التي حفرت لأغراض متعددة مثل حفير الشيخ العبيد ، حفير الشيخ الجيلي ، حفير ود جاد الله[1].

مصادر المياه:

كانت مصادر المياه في أم ضواً بان عبارة عن الحفائر التي تتجمع فيها مياه السيول والأمطار، وتستخدم هذه المياه لأغراض الشرب وسقي الماشية والدواب والطبخ وتنظيف الملابس والأبدان ومزج التربة (الطين) للبناء وكافة استخدامات المياه ، ثم أعقبها حفر آبار لاستخراج المياه الجوفية، ثم قام الخليفة يوسف الفكي عمر بدر بتمديد شبكة مياه من المسيد إلى داخل القرية، ولم يكن الذين حُدَّتْ إليهم هذه الشبكة يقومون بسداد فواتير للمياه في مقابل تلك الخدمات. وبعد ذلك توسعت الشبكة وأصبح هناك الصهريج الذي يقع في منتصف القرية بجوار منزل الشيخ عبدالرازق الشيخ صالح رحمه الله وتوجد أيضاً بئر الحسانية وأيضاً آبار أخرى نسبة للتوسع الأفقي للقرية.

خلفية تاريخية عن نشأة المنطقة:

الشيخ محمد بدر عندما أسس مسيد أم ضواً بان سنة ١٢٦٤هـ-١٢٨٥هـ، لم يكن في هذه المنطقة مواطن ، فقد كانت منطقة خلوية ، ومرعى للبهائم. لذلك كانت مباني أسرته فقط مع المسيد. ووزع مباني زوجاته وأبنائه حول المسيد. وحتى اليوم تجد منازلهم شرق وغرب وشمال المسيد[2].

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥.

(٢) عمر العبيد صالح بدر ، الشيخ العبيد ود بدر، مسيده و آثاره ، ١٨١٠-٢٠٠٨م ج١، (مطابع المجموعة الدولية)، ٢٠٠٩م ص ١١٧.

على حسب ما ذكر بعض الأشخاص كبار السن أن المنطقة كانت في بعض أطوارها عبارة عن غابة كثيفة ملتفة الأشجار وكانت الأدغال ظاهرة على بعد ما يقارب الكيلومتر من مركز المدينة، وهذه الأدغال مأهولة بالحيوانات البرية، إلَّا أنَّ الغطاء الشجري قد انحسر الآن بصورة ملحوظة. ولكن يلاحظ القليل من الأشجار في الفضاء الواقع إلى الغرب من المدينة بين أم ضواً بان وقرية العيلفون حيث لقيت الحملة المعروفة بجردة محمد علي (الجردة) إبان العهد التركي هلاكها في منطقة الكرنوس وكذلك إلى الشرق في نواحي وادي (ودعجيل).

أوجه التسمية:

وردت على ثلاثة أوجه:

الأول : **أم ضواً بان** :

الكلمة هي مركب إضافي تتكون من أم وهي في اللغة الوالدة والأصل ويكنى بها كما في (أم زرع) وفي عامية أهل السودان كلمة يراد بها نسب صفة إلى موصوف أي بمعنى (ذات) كما في قولهم ام ضفائر أي ذات الضفائر أو قولهم (أم جضوم) أي ذات الخدود[1].

الثاني : **أم ضواً بان**:

الكلمة أيضًا مركبة من ثلاث كلمات هي (أم –ضواً –بان) ضواً (وتنطق– ضَوّنْ): هي كلمة ضوء محركة بالتنوين والضوء معروف إلا أن الضوء المعني هنا هو النور المتولد من نار كثيرة الحطب كان طلبة القرآن يقرءون عليه القرآن ، حيث لم تكن الإنارة الكهربائية معروفة وكان السكان القدماء يستضيئون بها، وتعرف نار القرآن بـ التُقابة أو تقابه القرآن، وما زالت

(١) يوم الخميس الموافق ٢٠١٩/١٢/٥ م الساعة ٩ مساء https://.wikipedia.org/wiki/.

آثار هذه النار موجودة حتى اليوم وتتمثل في كوم عظيم من الرماد يتوسط (القرآنية) داخل خلاوى مسيد الشيخ العبيد ود بدر ويطلق عليها(نار القرآن) ومازالت توقد حتى اليوم في عملية رمزية إشارة إلى تواصل وديمومة رسالة مسيد الشيخ العبيد في تدريس وخدمة القرآن.

بان: فعل ماضي من يبين وبان بمعنى ظهر. فيكون معنى أم ضواً بان البقعة ذات الضوء الظاهر، ويذهب التفسير إلى أن قوافل كانت تمر بأم ضواً بان وهي ملتقى طرق وكان يلوح ضوؤها للقادمين في الليل فيستبشرون بوصلهم ويتصايحون مع بعضهم بعضاً أنه وصلوا إلى أم – ضواً- بان[1].

الثالث : **السروبة أم ضواً بان** :

السروبة هي المرتفع من الأرض عليه قليل من أشجار الطندب أو الأراك وفي تفسير معلم مادة الجغرافيا/ الماحي عبد الله الماحي بمدرستنا (أم ضواً بان المتوسطة بنين٢) أن المدينة كان يطلق عليها السروبة أم ضواً بان لأن الرعاة كان يردون لسقي بهائمهم فيموت بعضها وينفق فيتجمع الذباب على جيفها فأطلق عليها الرعاة هذا الاسم وهو الأقرب إلى الصحة لأن تعليل الاسم الأول لا يدعمه أي سند أركو لوجي سوى وجود الشجرة المذكورة آنفاً كما يستبعد وجود نحل في هذه المنطقة.

والاسم الثاني أطلق على المدينة لاحقاً بواسطة الرئيس الأسبق جعفر نميري ومما يدعم رواية أستاذ الماحي أن المنطقة هي امتداد لتخوم سهل البطانة الرعوي والثابت تاريخياً أن سكان السهل الشرقي للنيل الأزرق كانوا يردون النيل لجلب مياه الشرب لهم و لأبقارهم.

(١) عمر العبيد صالح ، الشيخ العبيد ود بدر و الطريقة القادرية البدرية ، أم ضواً بان، المكتبة الإسلامية ،١٩٩٨م، ص ٨.

مركز المدينة:

يعد مركز أم ضواً بان (المسيد) أقدم أجزاء المدينة تاريخياً إذ يعود إنشاؤه إلى المراحل الأولى من إنشاء أم ضواً بان ، مما يفسر ملامح الماضي مثل الأزقة الضيقة المتعرجة الممتدة و المنازل الطينية ذات الاكتظاظ السكاني، و سكن العديد من الأقرباء في منازل يحيطها سور واحد و ذات مدخل واحد.

تخطيط أم ضواً بان :

يتسق هذا التخطيط مع البنية الاجتماعية بسكانها ، فنجد في مركز المدينة حوالى المسيد يعيش أحفاد ود بدر (البادراب) الذين يستحوذون على الموقع المهيمن في الشئون الدينية و السياسية على حد سواء، إذ يعتبرهم أهل المجتمع المحلي أفراد عائلة دينية شهيرة يتمتعون بمكانة اجتماعية متميزة – كما هو الحال في العديد من الدول الإسلامية– إذ يعتقد أن البركة تنتقل من الولي إلى أحفاده[1].

وصف مسيد أم ضواً بان (البنية الكيان):

شيّد المسجد القديم في المركز من أم ضواً بان و يحتل مسيد أم ضواً بان موقعاً جغرافياً واجتماعياً ، تنعقد أمام هذا المسيد كل المناسبات الدينية برعاية خليفة ود بدر الذى يتمتع بنفوذ واسع في كل الشئون (حتى السياسية و غيرها).

يحتل مساحة واسعة مسورة تشمل المسيد الخلوة والقرآنية والمسجد وسكن طلاب القرآن والمرضى والزوار ومكان إقامة الخليفة ومساعديه وعماله.

(١) شرف الدين الأمين عبد السلام ، كرامات الأولياء في سياقها الثقافي و الاجتماعي، .جامعة الخرطوم ،مركز الدراسات الأفريقية و الأسيوية .دراسات في التراث الشعبي (٤٠)، ترجمة : يوسف حسن مدني ، محمد المهدي البشرى ، رسالة دكتوراه منشورة ،٢٠٠٧م. ص ١١٠.

وأيضاً تشمل كل القباب وعلى رأسها ضريح وقبة ود بدر وقباب أبنائه الخليفة أحمد وأبنائه وقباب أحفاده الخليفة يوسف والخليفة عثمان[1].

نشاط المسيد في أم ضواً بان : تُقام في المسيد و داخله حلقات الذكر في عصر كل جمعة، ويفد الناس إليه لمدح النبي صلى الله عليه وسلم والاستماع للإنشاد الديني والقصيد الصوفي في مدح أولياء الله الصالحين وذكر مناقبهم- و على رأسهم الشيخ محمد بدر.

السوق، الموقع، البناء، والخدمات بأم ضواً بان :

ينقسم الى قسمين الأول سوق دائم أما الثاني يقام مرتين في الأسبوع ، يقع السوق اليومي الدائم المكون من مباني من الطوب الأحمر في وسط أم ضواً بان جوار مسيد ود بدر، و يلبي الاحتياجات الأساسية، أما السوق الثاني فهو الذى يعقد يومين في الأسبوع وهما الاثنين و الخميس حيث يحتل مساحة أكبر من السوق الدائم ويفد إليه المئات من القرى المجاورة ومن المشاهد الخاصة لهذا السوق الأعداد الضخمة من الماشية، كما يتميز أيضاً بالحدادين و الإسكافيين و الخزافين و الحرفيين[2].

منطقة أم ضواً بان من المناطق الصوفية المشهورة ويوجد بها خلوة لتعليم القرآن ومن المعلوم أن نار القرآن التي أوقدها الشيخ العبيد ود بدر لم تطفأ حتى الآن ويخلف الشيخ العبيد ود بدر حالياً الخليفة الطيب الجد الشيخ العباس بدر الذي تولى الخلافة ٢٠٠٢م أمد الله في أيامه ونفع المسلمين بعلمه وحكمته.

(١) احمد عبد الرسول سعد – سيد بقعة أم ضبان، دار شهيرة للطباعة والنشر. ص ٦٧.

(٢) إدريس سالم الحسن ، مرجع سابق، ص ٢٧.

المؤسسات الصحية ،التعليمية ، الخدمية، و التنظيمية بأم ضواً بان:

التعليم النظامي:

بدأت محاولات التعليم النظامي فيها منذ العشرينيات من القرن العشرين حيث أنشئت أول مدرسة أولية تحت إشراف البادراب عام ١٩٤٢م، ولم تفتح مدرسة أولية للبنات إلاّ في أواخر عام ١٩٥٨م وفي فترة ما بين ١٩٦٦-١٩٧٦م، افتتحت مدرسة متوسطة للبنين وأخرى للبنات ومدرسة ثانوية زراعية للبنين، وأنشئت مدرسة ثانوية للبنات بمبادرة من الخليفة يوسف عام ١٩٧٩م. كذلك يوجد العديد من المدارس والمعاهد بمنطقة أم ضواً بان كمعهد ابن البان ومعهد ود الرضى بالإضافة للمدارس بتنوعها من أساس، ومتوسط و ثانوي بنين وبنات. فيما يخص بقية المؤسسات نشير الى أن هناك العديد من المنشآت الخدمية منها:

مركز شرطة أم ضواً بان :

أنشئ في عام ١٩٥١م، وفى ١٩٧٩م كان يتكون من ١٢ شرطياً، درس أربعة منهم القرآن في خلوة المسيد مما يظهر نفوذ الخليفة.

مكتب البريد:

وأنشئ مكتب البريد في عام ١٩٧٥م ليقوم بحفظ المدخرات وإرسال واستقبال الحوالات والنقود والرسائل والطرود البريدية، ويوجد أيضاً مكتبان يمثلان وزارة الزراعة ووزارة الثروة الحيوانية تستوعبان عدداً من الموظفين[1].

(١) أحمد عبد الرسول سعد – سيد بقعة أم ضبان، مرجع سابق ص ٧١.

مستشفى أم ضواً بان :

يعد المستشفى الأكبر من نوعه في منطقة شرق النيل / شرق الخرطوم، أكمل الخليفة يوسف بناء مستشفى أم ضواً بان في عام ١٩٧٢م، وجاءت معظم مواد البناء وخاصة الطوب الأحمر و الرمل من مريدي ود بدر في (الجريف) وكان أغلبية العمل من الزوار، وكان الخليفة يمر على موقع العمل أثناء اليوم، وطلب من أى زائر العمل لبضع ساعات في بناء المستشفى لقاء (البركة).

ويخدم المستشفى لكل المنطقة التى يشملها مجلس ريفي أم ضواً بان وتقديراً لجهود الخليفة سمح له بتوظيف سبع ممرضات من أتباعه و عشرة عمال من "الموالي" الموالين للخليفة.

في يناير ١٩٧٩م شهد وزير الصحة افتتاح مسجد المستشفى (غرفة صغيرة) و انتهز المناسبة للقاء الخليفة و التشاور معه ، بفضل علاقات الخليفة مع الرئيس نميري و وزير الصحة ازداد نفوذه على العاملين بالمستشفى ، بما فيهم المدير التنفيذي، و تبعاً لتوصية من الخليفة يتلقى بعض المرضى معاملة طيبة خاصة و بهذا تتكرس صورة الخليفة كمحسن.

المبحث الثاني

أثر الشيخ العبيد كمصلح اجتماعي و دوره في تنمية مجتمع أم ضواً بان

في رحاب المسجد وفي ظل نهجه القويم ولدت الخلوة فكانت قوية في نهجها فريدة في نظامها التعليمي الذي يستجيب لمطلوبات الإسلام ومطلوبات المجتمع السوداني. فهو نظام يخدم الأهداف التربوية والروحية من ناحية،

ويحل مشكلة التمويل من ناحية أخرى. فالتعليم على الطريقة الإسلامية لدى شيوخ الطرق الصوفية لا ينحصر في جانب العلم الديني بل يمتد إلى تعليم الطلاب وسائل كسب من خلال تعليمهم المنازل المناسبة لزراعة المحاصيل، والطب البلدي البدني والطب النفسي ، ويتعلمون طريقة بناء المساجد وكيفية رعاية الحيوانات صحياً. وبذلك نجد أن طلاب الخلاوى يعتمدون على ذاتهم ويشاركون في تمويل العملية التعليمة[1].

ونسبة لأهمية دور شيخ الطريقة وشيخ الخلوة في تأسيس نظام تعليمي يسهم في تنمية مجتمعه المحلي. رأينا ضرورة توضيح هذا الدور في ما يلي:

دور شيخ الطريقة في تنمية المجتمع المحلي: (١٢٢٦ـ١٣٠٢هـ/ ١٨١٠ـ١٨٨٤م).

نعني به الشيخ العبيد ود بدر شيخ الطريقة البدرية في مركزه وتلاميذه في فروعها في المجتمع المحلي في السودان الوسط. يعتبر شيخ الطريقة وتلاميذه أنفسهم أصحاب رسالة دعوية خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى لا يبقوا من أحد جزاء ولا شكوراً، ولا يطلبوا مقابل أتعابهم عوضاً مالياً ولكنهم توكلوا على الله منذ بداية هذا العمل الإسلامي الكبير ووقفوا على باب واحد هو باب الله سبحانه وتعالى، ففتحت أمامهم كل الأبواب وجاءتهم الدنيا منكسرة تجري وهم يبتعدون عنها ويفرون منها.

وفي ذلك يقول الشيخ ود بدر:(مثل الدنيا كمثل امرأة شوهاء برصاء قبيحة المنظر ولكنها لبست أحسن الثياب وتطيبت بأحسن الطيب فنظر أهل الظاهر إلى ظاهرها فجروا خلفها ونظر أهل الباطن إلي باطنها ففروا منها)[2].

(١) مجلة الفيض، تصدر عن المجلس الأعلى للذكر والذاكرين ، العدد الأول ١٤١٨هـ ، ص١٧.

(٢) عمر العبيد صالح ، الشيخ العبيد ود بدر و الطريقة القادرية البدرية مرجع سابق ، ص ١٢.

شيخ الطريقة :

هو المربي المرشد والموجه وهو القاضي الذي يلجأ إليه المجتمع لحل مشكلاتهم وهو الأب الروحي لمريده. وهو المأذون والداعية للزيجات الجماعية كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث معناه : (تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم)[1].

وشيخ الطريقة هو الطبيب خاصة للأمراض النفسية والعقلية وهو السياسي الذي يلتف حوله المجتمع وهو المشرف على تنمية مجتمعه المحلي، فيوهب كل وقته وماله الذي سخره الله سبحانه وتعالى له ويوهب عقله لتنمية مجتمعه المحلي بحفر الآبار وبناء الخلاوى والمدارس والمراكز الصحية[2].

المرافق الدينية التي أسسها الشيخ العبيد وأحفاده :

أ ـ **مسجد النخيرة:** عندما بلغ الشيخ العبيد سن الأربعين أي في عام ١٢٦٤هـ أوقد نار القرآن هدى للناس وتعليماً لهم لأمر الله ... وهنا يقف التاريخ طويلاً .

ما سن الأربعين ؟

منها بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته وأمر بالتبليغ ، فياله من توافق رباني .

سن الأربعين هذه بداية الرسالة المحمدية ومنها انطلق الشيخ مؤدياً عملاً دينياً عظيماً يرتبط برسالة الرسول مقتفياً أثرها. بعد عودة الشيخ من الحج اختار منطقة خلوية كان يتعبد فيها تقع غرب قرية الشيخ حسن بحوالي

(١) أخرجه الروياني في ((مسنده)) (١١٨٨) باختلاف يسير، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (١٣٥/٦)، والبيهقي (١٣٨٣٩) واللفظ لهما.

(٢) عمر العبيد صالح بدر : دور مشائخ الخلاوى في تربية وتنمية المجتمع المحلى- ورقة عمل- المؤتمر العام الأول لهيئة علماء السودان أكتوبر ١٩٩٨م ص ١٠.

خمسين كيلو متر، فأشعل فيها نار القرآن وسماها النخيرة، وسكن بالقرب منه شقيقه الفكي سعد ، وأسس قرية سماها السيال.

أنشأ الشيخ محمد بدر مسجده الأول بقرية النخيرة ، شرق أم ضواً بان على مسافة خمسين كيلومتر، وبالقرب من سيال الفكي سعد، والنخيرة منطقة رملية تحيط بها التلال والقيزان فظل بخلوته تلك ناسكاً عابداً معلماً مرشداً وطبيباً. بعد ذلك اختار منطقة أم ضواً بان الحالية والتي تقع شرق الخرطوم بحري . وظل الشيخ يتنقل بين أم ضواً بان و النخيرة واحد وعشرين عاماً يقضي الخريف والشتاء بالنخيرة ، والصيف بأم ضواً بان يعلم القرآن ويستقبل الضيوف الذين كانوا يهتدون بنار القرآن ليلاً في سيرهم إذ كان السفر بالدواب[1].

أما تسمية أم ضواً بان فيقال إنَّها تنسب لشجرة كبيرة كان بها كثيراً من النحل، وعندها كانت البداية والمستقر للشيخ في هذه البقعة . ولقد ظلت هذه الشجرة موجودة لوقت قريب حتى قطعت وشيدت في مكانها المظلة التي تقع شمال المسجد وتقام عندها حلقة الذكر عصر كل جمعة. واستقر الشيخ نهائياً في أم ضواً بان عام ١٢٨٥هـ حيث أسس مسجده الحالي .

١ ــ مسجد أم ضواً بان :

أسس الشيخ هذا المسجد في (١٢٨٨هـ/ ١٨٦٧م) وتم تجديد بنائه في عهد ابنه الخليفة حسب الرسول عام ١٩٣٠م، ومازال يشهد تطويراً وتوسعة كلما تطلبت مقتضيات الحاجة.

جدده الخليفة يوسف في عام (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، و تعاقب الأئمة على إمامة مسجد أم ضواً بان الفكي حسب الرسول عباس شيخ الفقراء ،ثم

(١) أحمد عبد الرسول سعد – سيد بقعة أم ضبان، دار شهيرة للطباعة والنشر، ص ٧–٩.

الفكي يوسف (ود العيدج) و يؤم المصلين يوم الجمعة الأستاذ/ محمد على المهدي الشهير بود الدبيبة .

ويقوم بأداء الأذان بالمسجد الفكي عبدالرحمن إبراهيم ناصر، والذي ورث هذا العمل الجليل عن والده المرحوم إبراهيم ناصر، أما الإشراف على خلوة النفقة فيقوم به الفكي الزين بابكر الزين ويشرف على خلوة التكية حسب الرسول ود التويم أما المقدم بابكر منصور هو مقدم حلقة الذكر.

الطلاب :

عدد الطلاب بمسيد الشيخ العبيد اليوم يبلغ الف ومائة طالب معظمهم من غرب السودان، وقليل منهم من بعض الدول الأفريقية المجاورة ، حيث يقيمون في خلاوى معدة للسكن ويجدون المأكل والملبس. كما يقصد المسيد المئات من الزوار، أرباب الحاجات، والمرضى والفقراء، ومنهم من يقيم في المسيد بأسرته[1].

٣ـ المعاهد العلمية البدرية :

ذكرها صديق محمد البادي في كتابه الشيخ الطيب ود السائح[2]:

١- معهد الخليفة يوسف الفكي عمر بدر بأم ضواً بان للقرآن الكريم وعلومه.

٢- أسس الشيخ الطيب حاج الصديق محمد بدر الملقب (بود السائح) خمسة معاهد علمية بمناطق مختلفة على النحو التالي :

أ- معهد ود السائح العلمي بقوز العلم غرب شندي وهو إحياء لمعهد الشيخ صغيرون العلمي الذي اندثر بعد أن أسسه في حياته .

(١) الشيخ إبراهيم عبدالرازق، الشيخ العبيد ود بدر، ط٢ المطبعة الحكومية – ١٩٦٧م ، ص ١٧– ٢٥.

(٢) صديق محمد البادي ، الشيخ الطيب ود السائح ، (د ن) ١٩٨٢ ، ص ٢٦.

ب- معهد ود السائح العلمي بالجريف شرق.

ت- معهد ود السائح العلمي بقرية فطيس بالجزيرة غرب الحصاحيصا.

ث- معهد ود السائح العلمي برفاعه .

ج- معهد ود السائح العلمي بأبي قوته.

معهد الخليفة يوسف ود بدر بأم ضواً بان :

تم تعيين الشيخ يوسف عباس على ، مديراً لهذا المعهد قبل افتتاحه وهو من أبناء أم ضواً بان الذين حفظوا القرآن الكريم في خلوة والدهم الشيخ محمد بدر ثم واصل دراسته في العلوم الدينية و الإسلامية والتحق بالشئون الدينية في مجال التدريس، كما اختير عضواً في لجنة تصحيح المصحف الكريم وهو شرف عظيم وتكريم له واعتراف رسمي بمستواه في الحفظ والتجويد والقراءات.

تم افتتاح المعهد عام(١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) كمرحلة ثانوية تخصص عامين للتجويد ثم أربع سنوات للقراءات وهو معهد قومي يقبل الطلاب المتقدمين للالتحاق به من جميع أنحاء السودان.

نقاط مهمة عن المعهد :

- يعتبر هذا المعهد الأول من نوعه في ولاية الخرطوم بل على مستوى السودان فهو متخصص في التجويد والقراءات معاً.
- الخريج الجامعي من قسم القراءات تحتاج له كل دُور العلم داخل وخارج السودان.
- توجد داخليات للطلاب وميز (سكن وإعاشة) للمعلمين .

- جاء نجاحه في امتحان شهادة الأهلية لعام ١٩٩٦م بنسبة ١,٨١٪.
- أما نتيجة المعهد في لشهادة الأهلية والقراءات لعام ١٩٩٧م والتي تؤهلهم لدخول الجامعات القرآنية ممتازة تفاصيلها كالآتي:
- نال معهد الخليفة يوسف ود بدر بأم ضواً بان المركز الأول على مستوى السودان ولايزال منذ ١٩٩٦م .
- اشتراك طلاب المعهد في مسابقة مكة المكرمة الدولية للقرآن الكريم كممثلين لمعاهد السودان ونالوا جوائز قيمة في عام ١٩٩٧م[١].

المبحث الثالث

دور المسيد في تربية و تنمية المجتمع المحلي

إن معظم مشائخ المسيد و شيوخ القرآن بدأوا هذه التنمية للمجتمعات المحلية من الصفر وذلك عندما توكلوا على الله ثم قاموا باختيار موقع الخلوة القرآنية أو المسيد في منطقة تكون على نهر النيل أو الأنهار الصغيرة الأخرى أو في منطقة خلوية. و غالباً ما يبدأ شيخ الطريقة خلوته أو مسيده من تحت شجرة أو راكوبة يستظل بها، ثم يواصل المشروع حتى يكتمل فيلتف الناس حوله من هنا و هناك بدأ ليساعدوه.. ثم يستقر عدد منهم و يجاوره. وكلما زاد عددهم كلما احتاجوا للخدمات التي ذكرناها فيبدأ الشيخ و ذريته من بعده في تنفيذ هذه الخدمات الضرورية وفى مقدمتها الماء و الإعاشة[٢].

و نجد أنَّ مشايخ الطريقة البدرية كنموذج لشيوخ التصوف قاموا بربط المسيد بالمجتمع المحلى متعاونين مع المواطنين و المسئولين في مختلف

(١) عمر العبيد صالح، الشيخ العبيد ود بدر (الطريقة القادرية البدرية أم ضواً بان) ، ١٩٩٨م ، ص١٣ – ١٦.
(٢) عمر العبيد صالح ، مسيد الشيخ العبيد ود بدر حياته و آثاره ،مطابع المجموعة الدولية ،ص ٢٦٢.

المناشط الاجتماعية بمركز الطريقة البدرية بمحلية أم ضواً بان و مراكزها الدينية بريفها و في وسط السودان[1].

نبذة تاريخية عن نشأة الخلوة القرآنية:

يرجع إنشاء الخلوة القرآنية " المدرسة القرآنية " إلى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي عندما قدم الشيخ غلام الله بن عائد إلى دنقلا حيث أسس أول خلوة لتعليم القرآن الكريم وعمّرَ المسجد وبدأ يدرس علوم الفقه والعلوم الدينية لأولاده وأبناء المسلمين.

الجدير بالذكر أنَّ الشيخ ود بدر أسس خلوة للقرآن الكريم في منطقة طبقة و تزوج فيها الرسالة بنت الحاج قنوته كما أسس خلوة أخرى في جزيرة أم جركي و تزوج فيها زوجته بنت فزارى[2].

نبذة تعريفية لخلوة الشيخ ود بدر:

في عام ١٢٦٤هـ أسس الشيخ محمد بدر مدرسة قرآنية بالإضافة إلى المباني اللازمة لسكنه و أولاده ومساعديه في التدريس و زواره ومسجد للصلاة ، ثم حفر حفيراً شرق المسيد لحفظ مياه الأمطار في موسم الخريف .

وكان اختياره لهذه المنطقة الخلوية لأنها تساعده في أداء رسالته الدعوية، وتهيئ له جو العبادة والذكر وحفظ القرآن . وسرعان ما اشتهر اسم أم ضواً بان فأصبحت قبلة لطلاب العلم والعلوم الدينية، فارتفعت تقابة القرآن ونورها وامتلأت المدرسة القرآنية بالطلاب من جميع أنحاء السودان.

الخدمات التي يقدمها المسيد بمركز أم ضواً بان :

١- ملجأ للعجزة والفقراء والمساكين و اليتامى وعابري السبيل.

(١) مجلة الفيض، العدد الأول ، ربيع أول ١٤١٨هـ ، ص ١٦.
(٢) عمر العبيد صالح، مرجع سابق ، ص٧.

٢- مركز لحل مشكلات المسلمين وفض النزاعات القبلية التي تنشب بين القبائل المختلفة فيجمع بينهم الشيخ بهدى القرآن والإسلام فينبذوا النعرات القبلية الجاهلية ويتمسكوا بتعاليم الإسلام ويتحابوا و يكونوا عباد الله إخواناً.

٣- أسس مشايخ الطرق الصوفية خلاواهم في مناطق خلوية وسرعان ما التف حولهم الناس بقيام المؤسسات التعليمية والتكايا وقضاء حوائجهم فنمت وازدهرت قراهم وصارت مدن كبيرة .

٤- القبول للخلوة مفتوح للطلبة من سن الخامسة إلى السبعين فأكثر . وهو التعليم مدى الحياة[١].

وفي الجملة أنَّ دور المسجد والخلوة دور تكافلي يصب في إناء واحد فالخلوة تعلم الدارس صغيراً كان أم كبيراً مبادئ الكتابة والقراءة وصولاً إلى مرحلة الحفظ والتجويد والقراءات . وبجانبها مباشرة المسجد لأداء الصلاة والعبادات والوعظ و الإرشاد ومأوى للغرباء والضيوف وعابري السبيل، كما أنه مركز للقاءات المسلمين لمناقشة شئونهم الدينية و الدنيوية والسياسية.

ومن هذا المنطلق يظهر لنا دور خلفاء الطريقة البدرية و رسالتهم الدينية الاجتماعية في إحياء و تجديد دور المسجد و الخلوة و المشيخة البدرية في مجتمع أم ضواً بان وهم :

(١) عمر العبيد صالح ، الشيخ العبيد ود بدر(الطريقة القادرية البدرية أم ضواً بان) ص ١٣ –١٦ – ١٩٩٨م .

خُلَفاء الشّيْخ محمد بَدْر:

١. المرحلة الأولى: مرحلة الشيخ الخليفة المؤسس[١]:

الاسم	الميلاد	الوفاة	مدة الخلافة	من	إلى
١ ـ الشيخ محمد بدر (المؤسس)	١٢٢٦هـ	١٣٠٢هـ	٣٨ سنة	١٢٦٤هـ	١٣٠٢هـ

٢ ـ المرحلة الثانية:

١. الخليفة أحمد بدر	١٢٤٥هـ	١٣٢٧هـ	٢٥ سنة	١٣٠٢هـ	١٣٢٧هـ
٢. الخليفة كرار بدر	١٢٥٤هـ	١٣٣١هـ	٤ سنة	١٣٢٧هـ	١٣٣١هـ
٣. الخليفة حسب الرسول بدر	١٢٨٢هـ	١٣٤٩هـ	١٨ سنة	١٣٣١هـ	١٣٤٩هـ
٤. الخليفة مصطفى بدر	١٢٨٨هـ	١٣٦٨هـ	١٩ سنة	١٣٤٩هـ	١٣٦٨هـ

المرحلة الثالثة: خلفاء ود بدر من أحفاده:

١ ـ الخليفة يوسف الفكي عمر بدر	١٤٠٦هـ	١٩٨٦م	٣٧ سنة	١٩٤٨م	١٩٨٦م
٢ ـ الخليفة عثمان الفكي عمر	١٩١٩م	٢٠٠٢م	١٦ سنة	١٩٨٦م	٢٠٠٢م
٣ ـ الخليفة الطاهر الشيخ الطيب	١٩١٩م	٢٠٠٢م	١٤ سنة	١٩٨٦م	٢٠٠٠م

المرحلة الرابعة: خلفاء ود بدر من أحفاد الأحفاد:

الخليفة الطيب الشيخ الجد الشيخ العباس	١٩٣٠م	نهاية أكتوبر ٢٠٠٢م	أمد الله في أيامه

علاقات الطريقة البدرية الخارجية:

نظراً لأهمية الطريقة البدرية وحيويتها بوصفها مركزاً للطريقة القادرية فقد حظيت بزيارة أعلام الطريقة القادرية وهم:

١- زيارة خليفة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ببغداد.

٢- زيارة الشيخ الشريف حازم أبو غزاله شيخ الطريقة القادرية بالأردن (٢٠٠٢م).

مثل هذه الزيارات ذات المستوى الرفيع من رئاسة الطريقة القادرية لمركز الطريقة البدرية بام ضواً بان تدل على أهمية دور هذا المركز في

(١) عمر العبيد صالح، مسيد الشيخ العبيد، مرجع سابق، ص ٧١.

السودان، وتعود هذه الزيارات بفوائد كثيرة تخدم الإسلام والمسلمين في كل البلاد الإسلامية فمن فوائدها :

- مزيد من الترابط والإخاء الإسلامي بين الطرق الصوفية داخل السودان وخارجه .
- امتداد لنشر الدعوة الإسلامية والمزيد من المدارس القرآنية.
- هذه الزيارات تكسبنا أعداداً كبيرة جديدة للطريقة القادرية المتجددة والمتطورة مع تقدم الزمن ولكن بما يتماشى مع الكتاب والسنة وتحدث فتوحات جديدة .
- التصدي الجماعي لأعداء الإسلام من خلال جمع كلمة المسلمين بالتفاكر والتشاور بين أئمة الإسلام في العالم الإسلامي[1].

دوره وخطته الدعوية و الرسالية:

لأن المشايخ المصلحين هم أكثر الناس إدراكاً لحالة مجتمعهم ،أمثال الشيخ العبيد و أبنائه و أحفاده فيما بعد فقد اختار الشيخ ود بدر أربعين شيخاً من بين تلاميذه ، خبرهم بما وهبه الله من نفاذ البصر والبصيرة، ثم عكف على تحفيظهم القرآن الكريم وتزويدهم بالعلوم الدينية والتربية الروحية الصوفية بمسيده، ثم أعلن شياخة كل واحد منهم بوضع التاج القادري على رءوسهم[2].

ويتمثل منهجه الدعوي في الوعظ المباشر من خلال:

أ- الدعوة للعلم.

ب- التربية و السلوك.

ت- تعليم العبادات.

(١) عمر العبيد صالح ، الشيخ العبيد ود بدر(الطريقة القادرية البدرية أم ضواً بان) مرجع سابق ،ص ٧١.

(٢) عمر العبيد صالح بدر، دور مشايخ الخلاوى في تربية تنمية المجتمع – ورقة عمل– المؤتمر العام الأول لهيئة علماء السودان – أكتوبر ١٩٩٨م .ص٩.

ث –الاقتصاد ومحاربة التبذير والنعرات القبلية.

ج– مدح المصطفى وآل البيت و المتصوفة.

ح– تنمية المجتمع المحلي بموارده الذاتية وسواعد بنيه.

وتمثل الطريقة البدرية نموذجاً فريداً للطريقة الصوفية السودانية فهي أمسكت بأطراف ثلاث حقب من حقب الطرق الصوفية السودانية وهي حقبة القدوم والتوطن، وحقبة مودة الأحياء والتجديد الصوفي ، وحقبة التفريع . حيث تفرع بها من الطريقة القادرية إذ كان من أهم أسباب هذا التفريع محاولة إحياء المنهج الصوفي بعد أن أصابه الضعف والخمول، ومقاومة كل الأمراض الكامنة في جسد المجتمع السوداني كالعصبية القبلية التي انتهزت ضعف المد الصوفي – كعنصر توحيد – لتطل برأسها من جديد ثم فوق هذا وذاك النتائج التي أفرزتها حملة الفتح التركي المصري وما رافق الحملة و أعقبها من تنكيل وتشريد للسكان[1].

فروع الطريقة البدرية:

في حوالى العقد الخامس من القرن التاسع عشر قام الشيخ العبيد بتسليك الطريق القادري البدري لاثنين وعشرين شيخاً ، وفيما بعد أكمل ابنه الخليفة أحمد ١٨٣٠هـ / ١٩٠٧م هؤلاء الشيوخ إلى أربعين شيخاً عليهم مدار الطريقة البدرية . وقد امتد تأثير هذه الطريقة إلى كافة نواحي السودان فأنشأت المساجد وخلاوى القرآن، وتعدى نشاطها وتأثيرها عبر خريجي مدارسها إلى الحبشة و أريتريا .

كما أن تأثير مركز الطريقة البدرية على السياق الاجتماعي قد أحدث نقلة واضحة في قيام مراكز حضرية استقر بها الكثير من السكان مودعين

(١) هاشم عبدالرزاق، السيرة والطريقة البدرية، رسالة ماجستير في التاريخ جامعة الخرطوم، ١٩٩٥م، ص ٧٠ .

حياة البداوة إلى الحضر. ويعد هذا بدوره إسهاماً في عملية تنمية المجتمع المحلي.

ويورد هاشم عبد الرازق أن للطريقة البدرية أدبيات ثرة غطت كافة أشكال ونظم التأليف والتصنيف . وقد لعب أبناء الشيخ العبيد ومريدو الطريقة البدرية دوراً مهماً في انتصار الثورة المهدية[1].

ثم أمر كل شيخ أن يعود إلى منطقته لإقامة مركز دعوي إسلامي مصغر لتدريس القرآن الكريم والسنة المحمدية ثم تكية للنفقة ما أمكن ذلك بحسب الاستطاعة.

بعدها اختار عدداً آخر من المشايخ دون إعلان شياخاتهم بوضع التاج القادري، فأجازهم وأوكل اليهم دور نشر الإسلام وبناء الخلاوى القرآنية ومساجد الصلاة وتنمية مجتمعهم المحلي تنمية إسلامية خالصة لوجه الله تعالى .

تعريف بمجمع الشيخ ود بدر الإسلامي :

عبارة عن مدينة قرآنية تفصلها أربعة شوارع رئيسة من مباني مدينة أم ضواَبان وتتكون من الآتي :

خلوة لتحفيظ القرآن الكريم يتراوح عدد الطلاب فيها بين سبعمائة إلى ألف وخمسمائة طالب تتكون مبانيها من حجرة كبيرة وأمامها صالتان واسعتان .

ومنذ تأسيس الخلوة بمركز الطريقة البدرية تعاقب على التدريس فيها شيوخ القرآن الوارد ذكرهم.

(١) صديق البادئ ، الشيخ الطيب ود السائح ، مرجع سابق – ص ٤–٥.

المشايخ الذين درّسوا الطلبة القرآن بخلوة الشيخ ود بدر منذ بدايتها بالنخيره ١٢٦٤هـ حتى تاريخ هذا العام ١٤٤١هـ.

م	الاسم	بداية تاريخ التدريس	المنطقة
١	الفكي محمد ود الحاج	١٢٦٤هـ	
٢	الفكي أحمد ود بله	١٢٦٤هـ	
٣	الفكي محمد الفكي أحمد ود بله	١٢٦٦هـ	
٤	الخليفة أحمد الشيخ محمد بدر	١٢٦٩هـ	
٥	الخليفة كرار الشيخ محمد بدر	١٢٦٩هـ	
٦	الفكي عبد الرحمن الفكي محمد المهلاوي	١٢٧٤هـ	
٧	حاج الطيب الشيخ محمد بدر	١٢٨٥هـ	
٨	الشيخ العباس الشيخ محمد بدر	١٢٩٦هـ	
٩	الفكي عبد الرحمن الفكي أحمد حنضول	١٣٠٢هـ	
١٠	الفكي حاج نور	١٣٠٨هـ	
١١	الفكي حسب الرسول الشيخ محمد بدر	١٣١١هـ	
١٢	الفكي خالد الشيخ محمد بدر		أم ضواً بان
١٣	الفكي إبراهيم شيخ الفقراء		مسيد ود عيسى
١٤	الفكي هارون عمر		الكسمبر
١٥	الفكي محمد ود البشير		الكسمبر
١٦	الفكي أحمد ود على الفكي محمد الفكي سعد بدر		أم ضواً بان
١٧	الفكي الجاك بابكر		المعيلق
١٨	الفكي على ود صالح		ود بانقا
١٩	الفكي حسب الرسول عباس		ود الأمين
٢٠	الفكي يوسف عباس	شيخ القرآن الحالي	العيدج
٢١	الفكي عثمان الريح(ود الحضور)	شيخ القرآن الحالي	الحضور

ويقدم مركز الطريقة الخدمات الاجتماعية التالية:

١- داخليات لسكن الطلبة حول مبنى المدرسة القرآنية .

٢- مسجد كبير مكون من طابقين لأداء الصلوات والعبادات.

٣- مباني التكيه لإعداد الطعام للطلاب والضيوف والنفقة.

٤- مخازن لتخزين الذرة او الطعام الرئيس.

٥- منزلين للضيافة ومنازل الشيوخ بالمسيد وسكن للضيوف.

٦- مباني للمرضى والمرافقين لهم.

٧- مكتبة إسلامية ثقافية لحفظ وعرض تراث الشيخ العبيد ود بدر وتاريخ أولاده وأحفاده ولتزويد الطلاب بالمصاحف والتفاسير القرآنية والمراجع والكتب الإسلامية والصوفية .

والجدير بالذكر أنَّ هذه المكتبة قد أسسها الأستاذ عمر العبيد الفكي صالح وهو وكيل لوزارة التربية بالمعاش تنقل في أرجاء مختلفة من السودان، مما ساعده على نجاح سعيه الدؤوب لجمع تراث الطريقة البدرية . وتكمن أهمية ما جمعه من تراث أنَّ فيه دلالة قاطعة على نفوذ الطريقة وتأثيرها في المجتمع المحلي في السودان الأوسط.

٨- آبار ارتوازية حول المجمع لتزويد المجتمع بالمياه العذبة الصالحة للشرب.

أما الخدمات التي يقدمها مركز الشيخ العبيد ود بدر تتمثل في:

١- مدرسة قرآنية كبيرة عدد طلابها يتراوح ما بين سبعمائة إلى أَلف وخمسمائة طالب، بعد حفظهم القرآن الكريم يلتحق بعضهم بمعهد الخليفة يوسف بدر للقرآن الكريم وعلومه .

٢- حلقات العلم والوعظ والإرشاد اليومية.

٣- ملجأ للعجزة والفقراء واليتامى وعابري السبيل.

٤- مستشفى الأمراض الباطنية، الجراحة وبعض الأمراض النفسية والعصبية وفي عام ١٩٧٢م أسس الخليفة يوسف مستشفى ريفي كبير بأم ضواً بان به قسم للأمراض النفسية والعصبية وبه أطباء أختصاصيون لكل التخصصات .

٥- مركز لحل مشاكل المسلمين وفض النزاعات القبلية التي تنشب بين القبائل المختلفة وتجمع بينهم بهدى الإسلام.

٦- يتعاون كل أبناء الطريقة القادرية البدرية مع الشيخ ود بدر وأولاده وأحفادهم من بعدهم في كل الأعمال الخيرية مثل بناء المساجد والخلاوى وحفر الآبار والمدارس والمراكز الصحية لتنمية قراهم عن طريق العمل الجماعي.

٧- يتعاون المجمع الإسلامي مع الحكومات المختلفة في كل مشاريع التنمية الريفية بصفة خاصة.

٨- تمثل قيادة هذا المجمع الإسلامي بمركز الطريقة البدرية للمجتمع المحلي بأم ضواً بان القيادة الحربية العليا في حالة الحاجة الى الدفاع عن النفس والعرض والمال أسوة بمسجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه.

ونخلص إلى أنَّ دور مركز الطريقة البدرية لم ينحصر في تقديم الخدمات التعليمية للخلوة القرآنية و لا على خدمات الطريقة الصوفية الإرشادية بل يقدم مركزها الديني الاجتماعي خدماته التنموية ، الاجتماعية ،

الدينية ، الثقافية، و الصحية لكل مواطني المنطقة و عموم الوافدين إليها من أرجاء السودان و خارجه.

المبحث الرابع

إسهامات الأسرة و الطريقة البدرية في تنمية المجتمع المحلى

لا ريب أن أسرة الشيخ العبيد قد اضطلعت بجهد كبير في إرساء ركائز الطريقة البدرية و انتشارها و ذيوع صيتها، وكان أكبر إسهام هو أن زيجات أبناء و بنات الشيخ من قبائل المنطقة المحيطة بمركز الطريقة البدرية قاد إلى توسع الأسرة البدرية المباشرة، و تجذيرها في قبائل المنطقة مما خلق رباط قوي بينه و بين قبائل المنطقة و يسّر اجتذاب العديد من الأتباع و المريدين الى سلك الطريقة البدرية و كان له دوره أيضاً في امتداد الطريقة في مساحات أرحب. من خلال زيجات الشيخ العبيد و ميلاد الأسرة البدرية بأعضائها الذين أسهموا في تنمية مجتمع الطريقة المحلي و ساروا على نهج والدهم[1].

تكوين و ميلاد الأسرة البدرية : (زوجات و أبناء الشيخ العبيد ود بدر):

تزوج الشيخ ١٠ نساء وأنجب ٢١ولداً و١٩ بنتاً.

الزوجة الأولى : **ابنة عمه ستنا بت علي ود محمد ود علي ود موسى (جد الشيخ)** واشتهرت(بـ : بت عجيل) (القبيلة بكرية).

الأبناء الذكور:

١- الخليفة أحمد ٢- الفكي موسى ٣- الخليفة كرار

٤-بابكر (مات صغيراً) ٥- حسن (مات صغيراً)

البنات:

(١) هاشم عبد الرازق صالح، الشيخ العبيد ود بدر (السيرة و الطريقة البدرية) مطبعة النشر الذهبي، القاهرة ،٢٠٠١م. ص ٦٢.

١- أم كلثوم. ٢- فاطمة أم بركة. ٣- حليمة . ٤- الجاز

الزوجة الثانية: **العازة بت بركات القبيلة حمدية** (الأحامدة):

الأبناء الذكور:

١- الشيخ العباس. ٢- عبد الرحمن (مات صغيرا).

٣- خالد الكبير (مات صغيراً). ٤- الشيخ الطاهر .

٥- حاج الطيب . ٦- الفكي إبراهيم.

البنات: لا يوجد.

الزوجة الثالثة: **السرة بت الحاج حامد** (القبيلة محسية).

الأبناء الذكور:

١- حاج الصديق (السائح) ٢- الشيخ الطيب (الناظر)

البنات:

١- دار الخلود.

الزوجة الرابعة: **فاطمة بت علي ود أحمد** (القبيلة: جعليه).

الأبناء الذكور:

١- الخليفة حسب الرسول ٢-الخليفة مصطفى.

٣ - الشيخ إدريس (مات صغيرا).

البنات:

١- زينب. ٢- رقية. ٣- بتول ٤- آمنة

الزوجة الخامسة: **هدية بنت أبو سبيب** (القبيلة: بكرية).

الأبناء الذكور:

١- الزبير وقد مات صغيراً.

البنات:

١- عائشة. ٢- طيبة. ٣- خديجة.

الزوجة السادسة: رقية بت عبد الله (القبيلة: عسيلاوية).

الأبناء الذكور: لا يوجد

البنات:

١- أم كلثوم الشريفية.

الزوجة السابعة: **فاطمة بنت الهنقول** - لم تنجب.

الزوجة الثامنة: **الرسالة بت الحاج ودقنوتة** (القبيلة: جعلية) - لم تنجب.

الزوجة التاسعة: **آمنة بت فزاري** (القبيلة: جعلية) - لم تنجب.

الزوجة العاشرة: **أمنة بت علي ود أبو زيد** (القبيلة كاهلية).

الأبناء الذكور:

١- الفكي عمر. ٢- الفكي خالد.

٣-عثمان (مات صغيراً). ٤- عبد الله (مات صغيراً).

البنات:

١- خادم الله. ٢- ستنا. ٣- حاجة فاطمة.

٤- دار النعيم. ٥- ريا. ٦- فاطمة الغرقانة.

ويأتي في المقام الثاني الإسهام المباشر لأسرة الشيخ العبيد في إرساء القاعدة التربوية و التعليمية للطريقة البدرية ، فقد كان للكفاءة العلمية الكبيرة لأبناء الشيخ العبيد و المكتسبة في مسجد والدهم في النخيرة و أم ضواً بان

و أيضاً مسجد كترانج و مدارس الحجاز أثره الكبير في إعانة هؤلاء الأبناء لوالدهم في تدريس القرآن على وجه الخصوص. فقد أشرف ثلاثة من أبناء الشيخ العبيد و هم على التوالي حاج.

بعد أن أسس الشيخ محمد بدر وأولاده هذا المجمع الإسلامي من قبل قرن ونصف ، قام الشيخ العبيد وأبناؤه بوضع خطة متكاملة لنشر خلاوى القرآن، ودور العلم ومساجد الصلاة والعبادة وتكايا النفقة للطلبة والضيوف وعابري السبيل وحفر الآبار السطحية والجوفية .

حزن المهدي كثيراً لوفاة الشيخ فقد فقده في أحرج الظروف الحربية وصلى عليه صلاة الغائب، ألا رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً[1].

تناولنا باختصار حياة الشيخ العبيد ودوره الجهادي في محاربة الأتراك ومناصرة الدعوة المهدية الإسلامية.

ثم سار أبنائه من بعده على نهج والدهم في إحياء منهج المسيد والخلاوى ونشاطات الطريقة في مجتمع أم ضواً بان المحلى ومراكزها الدينية وخلفه ابنه الأكبر الخليفة أحمد وقام بتأييد ثمانية عشر شيخاً بمراكز الطريقة البدرية إكمالا للمشيخة الفرعية التى استنها والده و أكمل معه نصاب عدد شيوخ الطريقة إلى أربعين شيخاً كان عليهم مدار الطريقة البدرية في مسيرتها بمجتمع أم ضواً بان المحلي.

(١) عمر العبيد صالح – دور مشايخ الخلاوى في تربية وتنمية المجتمع – ورقة عمل – ص١٣–١٨ المؤتمر العام الأول لهيئة علماء السودان.

نموذج الانتشار لمراكز الطريقة البدرية

الشيوخ الذين تم تنصيبهم بواسطة الشيخ محمد بدر:

الرقم	الاسم	تاريخ التأييد بالسنة الهجرية	تاريخ الوفاة بالسنة الهجرية	ملحوظات
١	الشيخ محمد المقابلي	١٢٧٠	١٣٢١	المصدرالرازقي: القلائد ص ٤٨_٤٩ و مريد من رش (١) ر ش (٢) رش (٣). الملاحظ لأن الشيخ العبيد قد سمّى الاثنين والعشرين شيخاً في الفترة ١٢٧٠_١٢٩٧هـ .. أى بواقع شيخ كل عام تقريباً و تسعة عشر سيخاً منهم تم تنصيبهم في الفترة ١٢٧٠_١٢٩٤هـ أى أثناء تراوح الشيخ بين النخيرة و بقعة أم ضواً بان وتم تنصيب الثلاثة الباقين بعد الاستقرار بالأخيرة. وكان الشيخ محمد عبد الرحمن هو آخر شيخ الذين تصيهم الشيخ العبيد في سنة ١٣٩٨هـ وبعدها شغل الشيخ بنصرة الثورة المهدية حتى وفاته عام ١٣٠٢هـ.
٢	الشيخ الامين بله	١٢٧١	١٣١٥	
٣	الشيخ محمد أبو صالح	١٢٧٢	١٣٠٤	
٤	الشيخ محمد ود الأمين	١٢٧٤	١٣٠١	
٥	الشيخ مقبول حمزة	١٢٧٥	١٣٠٣	
٦	الشيخ الشيخ محمد النذير	١٢٧٦	١٣١٠	
٧	الشيخ الماحى عبد الرحمن	١٢٧٨	١٢٨٢	
٨	الشيخ على الهواد	١٢٨٠	١٣٠٣	
٩	الشيخ عبد القادر ابو كساوى	١٢٨٤	ـــ	
١٠	الشيخ حمد الغرقان	١٢٨٤	١٢٩٥	
١١	الشيخ فضل المولى السدرانى	١٢٨٥	١٣١٠	
١٢	الشيخ منصور الجامعى	١٢٨٦	١٢٣١	
١٣	الشيخ محمد صالح الفلاتى	١٢٨٦	١٢٣٦	
١٤	الشيخ تاى الله النفيدى	١٢٨٧	١٣٣٦	
١٥	الشيخ البشير ود مساعد	١٢٨٩	١٣٠٣	
١٦	الشيخ شنبول ود حمزة الدويحى	١٢٩١	١٣٠٨	
١٧	الشيخ عوض الجيد	١٢٩١	١٣٠١	
١٨	الشيخ بابكر ود النور	١٢٩٤	١٢٩٥	
١٩	الشيخ محمد المحسى	١٢٩٤	١٣١٠	
٢٠	الشيخ حاج الطيب العبيد	١٢٩٥	١٢٩٥	
٢١	الشيخ أحمد كرقوس	١٢٩٧	١٣٣٤	
٢٢	الشيخ محمد عبد الرحمن	١٢٩٨	١٣٢٧	

الشيوخ الذين تم تنصيبهم بواسطة الخليفة أحمد الشيخ محمد بدر:

٢٣	الطيب بن الفكي سعد			المصدر: الخليفة الطيب بن الخليفة الشيخ: الدرر الوهبية في سيرة بلاع المية. الشيوخ من الرقم ٢٣ ـ ٤٠ شمّاهم الخليفة أحمد بن الشيخ ذاكراً أنَّ عليهم مدار الطريقة و لم يثبت المصدر تاريخ تأييد الشيوخ أو تاريخ وفاتهم.
٢٤	الطيب بن الشيخ العبيد			
٢٥	الشيخ صالح بن تاج الدين			
٢٦	الشيخ محمد أبوقرون			
٢٧	الشيخ محمد المبارك حاج العربي			
٢٨	الشيخ مصطفى الفادني			
٢٩	الشيخ أحمد ود سليمان			
٣٠	الشيخ حبيب الله عبد القادر			
٣١	الشيخ محمد المكي			
٣٢	الشيخ حسن ود موسى			
٣٣	الشيخ سعد ود حاج فضيل			
٣٤	الشيخ عبد القادر محمد النذير			
٣٥	الشيخ خالد محمد علي			
٣٦	الشيخ كمال الدين أحمد			
٣٧	الشيخ علي بلال			
٣٨	الشيخ محمد الفكي بابكر			
٣٩	الشيخ أحمد عوض			
٤٠	الشيخ محمد علي			

وسنتعرض لسيرة اثنين من أبنائه، كنموذج لدور وإسهام أبناء الأسرة البدرية في تنمية المجتمع المحلي في وسط السودان في منطقة الجزيرة:

الفكي عمر الشيخ العبيد:

أسس قرية في ريفي المعيلق سماها (المحيريبا الفكي عمر) استقر بها لما رغبة في الزراعة يساعده أبناؤه (الشامي – العبيد – يوسف – أحمد المربي – عثمان).

والجدير بالذكر أن الفكي عمر- عمل بالزراعة واشترى الكثير من الأراضي الزراعية المطرية بمنطقة الجزيرة قبل قيام المشروع. كما سجل لمسيد والده ود بدر أراضي زراعية دعماً لوفرة الذرة للطلبة والضيوف والتكية بأم ضواً بان حتى أن إحدى الترع الرئيسة بالمشروع عرفت بترعة بدر، وحذا حذوه في دعم مسيرة المجتمع المحلي كل إخوانه. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ الطيب الشيخ العبيد:

مؤسس قرية أم مرحي الشيخ الطيب بولاية الجزيرة ريفي المعيلق. استقر فيها يساعده من أبنائه (عباس- كرار- إبراهيم - عبدالله - خالد على سبيل المثال). بعد قيام مشروع الجزيرة ١٩٣١م اقترح الشيخ الطيب على الإنجليز فكرة الحساب الفردي من أجل تنمية العمل الزراعي بالمشروع وتم تنفيذها على يد حفيده الطيب العبيد ١٩٨٤م.

يُعد صاحب إجراءات تسوية أراضي مشروع الجزيرة لفض النزاعات التي تحدث بين ملاك الأراضي بسبب الحيازة الطويلة وعند تعطيلها طالب الحاكم الإنجليزي بها قائلاً: (في شيخ طيب تسوية في- ما فيش شيخ طيب تسوية ما فيش) استطاع المزاوجة بين أدوار المسيد وأدوار الإدارة الأهلية بوصفه ناظر الخط الخامس من بتري إلى رفاعة.

تمثلت هذه المزاوجة بوضوح فيما يتمتع به من قبول اجتماعي لدى أهل المجتمع المحلي وبالتالي تمكن من حل مشكلاتهم دون اللجوء للقضاء بل دخولهم على القاضي وهم في حالة من الرضى وقبول الصلح.

و يأتي في المقام الثاني الإسهام المباشر لأسرة السيخ العبيد في إرساء القاعدة التربوية و التعليمية للطريقة البدرية ، فقد كان للكفاءة العلمية الكبيرة لأبناء الشيخ العبيد و المكتسبة في مسجد والدهم في النخيرة و أم ضواً بان و أيضاً مسجد كترانج و مدارس الحجاز أثره الكبير في إعانة هؤلاء الأبناء لوالدهم في تدريس القرآن على وجه الخصوص. فقد اشرف ثلاثة من أبنا الشيخ العبيد و هم على التوالي حاج الطيب و العباس و حسب الرسول على تدريس القرآن بمسجد أم ضواً بان قرابة الثلاثة عقود و نصف من الزمان و تخرج على أيدي الثلاثة ما ينوف على الألف من الحفظة بل بعض شيوخ الطريقة البدرية الأربعين.

وثالث إسهامات الأسرة البدرية ممثلة في أبناء الشيخ العبيد هو القدرة على قيادة الطريقة بعد وفاة والدهم و الوقوف بها في وجه مخاطر ماثلة هددتها بالزوال كقرار الثورة المهدية بإلغاء الطرق الصوفية. فقد استصدر أبناء الشيخ العبيد موافقة ضمنية من المهدى باستثناء الطريقة البدرية من هذا القرار.

ورابع الإسهامات كان الدور الكبير الذى لعبته الأسرة البدرية على مستويات عِدَّة في كسر العصبية القبيلة و توحيد المجتمع البدري ليكون متماسكاً و ملتفاً حول طريقته البدرية التى استبدلت عصبية القبيلة بأخوة الطريق. فقد دفع أبناء الشيخ ود بدر العديد من الديات للقتلى في الصراعات القبيلةً[1].

وخامس الإسهامات ليس على مستوى الطريقة البدرية فقط و إنما على مستوى السودان بأجمعه فقد شارك بعض أبناء الشيخ في إذكاء حركة المقاومة

(١) مقابلة الباحث للخليفة الطيب الشيخ الجد (الخليفة الحالي) ، أغسطس ٢٠١٩م.

للحكم الثنائي و لم يكن الخليفة حسب الرسول بمعزل عن ثورة ١٩٢٤م إذ تكفل بمصاريف أسر بعض الثوار الذين استشهدوا أو حبسوا[١].

سادس الإسهامات كان العطاء الفكري الثر لأبناء الشيخ العبيد إذ نظم حاج الطيب ابن الشيخ العبيد ديوان شعر ضخم (ليم الفرو)[٢] و مازالت أشعاره متداولة في الكثير من المساجد و قد تمت طباعة الديوان. و على غرار والده شجع الشيخ العباس بن الشيخ العبيد حركة التأليف و الاستنساخ و اختار بعضاً من تلاميذ و الده لإنشاء السيرة النبوية وقد أشار الشيخ تاج الدين الرازقي لذلك ذاكراً أن إنشاءه و نظمه لمولد الرسول صلى الله عليه و سلم كان بتكليف من الشيخ العباس[٣].

و احتضن الخليفة حسب الرسول في مطلع القرن العشرين الكثير من مبدعي السودان و المثقفين فتخرج على يديه منهم مشاهير عددا مثل الصحفي الأستاذ أحمد يوسف و الشاعر الكبير محمد ود الرضى ، وقد أنشأ الأخير بإيعاز من الخليفة حسب الرسول ديوان شعر في الحكم و المواعظ تم إصداره و طباعته[٤].

سابع إسهامات الأسرة البدرية في رسوخ ركائز الطريقة البدرية كانت الخطوة الأساسية و الرئيسية في إكمال شيوخ الطريقة البدرية إلى أربعين شيخاً- النصاب الذى ورد مأثوراً عن الشيخ العبيد إن مدار الطريقة عليه، نصب الشيخ العبيد منهم اثنين و عشرين من حيث الترتيب، و جاء بعده ابنه

(١) بخيت فضل الموجود ، الخليفة حسب الرسول ود بدر (شيخ الحيران) ،(اب غُرّة ١٢٨٢ه- ١٣٤٩ه) كتاب الخرطوم الجديدة ، يصدر عن هيئة الخرطوم للصحافة و النشر، إصدار رقم (١٠)، ط١، ٢٠٠٧م .

(٢) ديوان حاج الطيب الشيخ العبيد (ليم الفرو) ،إعداد إبراهيم الفكي خالد، ٢٠٠٨م تقديم الخليفة الطيب الشيخ الجد.

(٣) الشيخ تاج الدين الرازقى ، نيل المرام بذكر قصة خير الأنام ، الطبعة الأولى ، مطبعة التقدم العلمية، ١٣٢١هـ ص ٢-٣.

(٤) الطيب محمد الرضي، ديوان ود الرضى،(المواعظ و الحكم- تنبيه الغافلين)، ج ٢ ط ١، ١٩٨٤ م (د ن) ص ٣٣.

الخليفة أحمد ليتسمى الثمانية عشر شيخاً المتبقين[1].

ثامن الإسهامات و خاتمتها إسهامات الأسرة البدرية في مجال التنمية الاقتصادية و الاجتماعية خاصة في إقليم الجزيرة فقد أسهم كل من ابني الشيخ العبيد الفكي عمر و الشيخ الطيب في حركة العمران والنمو التى انتظمت الإقليم خاصة بعد قيام خزان سنار و مشروع الجزيرة ، إذ أنشأ الاثنان قرى ومراكز حضرية انتظمت الإقليم وكانت مثالاً يحتذى في الشكل و المضمون. فقد أنشأ الفكي عمر بدر قرية المحريبا[2] وكان تخطيطها و بناها مثالاً انتقل إلى قرى تلتها، بينما سمى الشيخ الطيب قريته التى أنشأها أم مرحي الشيخ الطيب تأسياً واقتداء بالشيخ أحمد الطيب البشير.

خاتمـــــــــة

لاريب أن التنمية ليست هدفاً أحادياً يتيماً و إنما هي مسألة كيفية يمكن تلخيصها في إنها (تحريك إمكانات الإنسان وتوجيهها نحو تحقيق ما يصبو إليه من قيم مادية و معنوية).

وبذلك فالتنمية أمر يتصل بالنمو الإنساني أكثر من اتصاله بتنمية الأشياء والتقانات وفى هذا الصدد استطاع المسيد أن يربط القيم المادية والمعنوية بتنمية المجتمع ، فنهض شيخ الطريقة البدرية و خلفائه من الأبناء و شيوخ طريقته بمراكزهم القرآنية برئاسة الطريقة بأم ضواً بان وفروعها الدينية بشرق النيل وفي وسط السودان القيام بأدوارهم المنوطة بهم بإعتبارهم منظمين

(١) انظر ملحق رقم (٢): الخليفة الطيب الدرر الوهبية ، ص ١٨ .

(٢) أنشأ الفكي عمر بن الشيخ العبيد نواة المحريبا الفكي عمر و هى من حواضر مركز المعيلق في بداية العشرينيات من القرن الماضي و استقر بها ابنه الشامي الفكى عمر و كان الأخير من رواد اتحاد مزارعي الجزيرة(هاشم عبدالرزاق، السيرة والطريقة البدرية، مرجع سابق ، ص٣٧).

اجتماعيين. ربط المسيد بالمجتمع المحلى متعاونين مع المواطنين والمسئولين بمركز الطريقة و فروعها. و نعني بذلك نمو و تطور مركز الشيخ العبيد ود بدر بأم ضواً بان عمرانياً و اجتماعياً و تنموياً ، و دوره في تنمية مجتمع أم ضواً بان في سياقه الاجتماعي الديني و الثقافي ، وقد خلصت الدراسة في خاتمتها إلى جملة من النتائج و التوصيات كانت على النحو الآتى:

أولاً: النتائج:

١- يعد الشيخ العبيد ود بدر من رواد الفكر الصوفي (الإسلامي) الحديث في السودان.

٢- أَثَّر الشيخ العبيد ود بدر من خلال مركزه الصوفى بأم ضواً بان و شيوخها في وجدان أهل السودان في كل المناحي الثقافية و الاجتماعية والتنموية والسياسية حيث أسهم في حصار الخرطوم مع الإمام المهدي.

٣- يعتبر مركز الطريقة البدرية بأم ضواً بان هو النواة الأولى لنشأة و قيام و تطور مدينة أم ضواً بان .

٤- نجحت الطريقة القادرية البدرية عبر مؤسستي المسيد و الخلوة في بث روح التدين و نشر الوعي الإسلامي في مجتمع أم ضواً بان المحلي.

٥- أسهم مشائخ و خلفاء الطريقة البدرية عبر تاريخها الممتد في تطوير أم ضواً بان وكان للخليفة يوسف الدور الأكبر في تحديث المدينة و إدخال الخدمات الاجتماعية الحديثة.

ثانيا: التوصيات:

١- أوصي بالعمل على الجمع بين التصوف الإسلامي و منهج العمل الاجتماعي في المجتمع المحلي في السودان.

٢- تعميم نموذج التنمية الإسلامية للطريقة البدرية وسط الطرق الصوفية في السودان تذليلاً للصعاب التى تواجه حركة التغيير و الإصلاح الاجتماعي في المجتمع المحلى.

٣- تعميم نموذج المكتبة الإسلامية للطريقة البدرية في كل مراكز الطرق الصوفية حتى تسهم بدورها في نشر الوعي بحقيقة التصوف الإسلامي و الاستفادة منه في دعم مسيرة إصلاح المجتمع المحلي.

٤- حشد وتنمية طاقات الفرد المسلم لإيجاد مؤسسات مالية "صناديق خيرية" حتى تستطيع الطريقة تمويل نشاطها الدعوي و التنموي بمراكزها في المجتمع المحلى

٥- إجراء دراسات متخصصة فى كيفية استخدام المنهج الصوفي كوسيلة من وسائل التنمية الاجتماعية المعاصرة.

٦- إنشاء مركز أو معهد لدراسات التصوف الإسلامي وذلك من أجل إبراز الدور الدعوي الذى تقوم به الطرق في المجتمع.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأحاديث النبوية.

الكتب و المراجع:

٣. إبراهيم عبد الرحمن رجب، مفاهيم و نماذج المجتمع المحلي المعاصر، القاهرة ، مؤسسة الشرق الأدنى ،١٩٨٨م.

٤. ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، معجم لسان العرب، ج٥ ، بيروت، دار صادر ،ط١ ،٢٠٠٠م.

٥. ابن عجيبة الحسنى: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية ، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود ، عالم الفكر .
٦. أحمد عبد الرسول سعد – سيد بقعة أم ضواً بان ، دار شهيرة للطباعة والنشر.
٧. أحمد مصطفى خاطر طريقة تنظيم المجتمع – مدخل تنمية المجتمع المحلي: المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية ١٩٨٤م.
٨. إسماعيل حسن البارى ، دور القيادات المحلية في تنمية المجتمع ، مقال بالكتاب السنوي لعلم الاجتماع ، العدد الثاني ، القاهرة ، دار المعارف،١٩٨١م.
٩. بخيت فضل الموجود ، الخليفة حسب الرسول ود بدر (شيخ الحيران)، (اب غُرّة ١٢٨٢هـ-١٣٤٩هـ) كتاب الخرطوم الجديدة ، يصدر عن هيئة الخرطوم للصحافة و النشر، إصدار رقم (١٠)، ط١، ٢٠٠٧م.
١٠. تاج الدين الرازقي ، نيل المرام بذكر قصة خير الأنام ، الطبعة الأولى ، مطبعة التقدم العلمية،١٣٢١ هـ .
١١. ديوان حاج الطيب الشيخ العبيد (ليم الفرو) ،إعداد إبراهيم الفكي خالد، ٢٠٠٨م تقديم الخليفة الطيب الشيخ الجد.
١٢. ديوان ود الرضى، (المواعظ و الحكم- تنبيه الغافلين)، إعداد وتقديم: الطيب الرضى ،مطبعة المروة ، ط٣، ٢٠١٨م .
١٣. الشيخ إبراهيم عبدالرازق، الشيخ العبيد ود بدر، ط٢ المطبعة الحكومية – ١٩٦٧م.

١٤. صديق محمد البادي، الشيخ الطيب ود السائح، (د ن) ١٩٨٢م.
١٥. صلاح العبد ، موجز التحديات و التنمية في البلدان النامية ، الكتاب السنوي الأول في التنمية الريفية.
١٦. عبد المطلب عبد المجيد، التمويل المحلي والتنمية المحلية. الإسكندرية، الدار الجامعية، ٢٠٠١م.
١٧. عمر العبيد صالح ، الشيخ العبيد ود بدر و الطريقة القادرية البدرية ، أم ضواً بان، المكتبة الإسلامية ،١٩٩٨م.
١٨. عمر العبيد صالح ، الشيخ العبيد ود بدر(الطريقة القادرية البدرية ام ضواً بان) ١٩٩٨م.
١٩. عمر العبيد صالح بدر ، الشيخ العبيد ود بدر، مسيده و آثاره ،١٨١٠-٢٠٠٨م ج١، (مطابع المجموعة الدولية)،٢٠٠٩م.
٢٠. الفاشاني، اصطلاحات الصوفية تحقيق محمد كمال جعفر ، الهيئة المصرية العامة ،١٩٨١م.
٢١. مجلس ريفي أم ضواً بان مستند رقم (٥٣ / A / ١).
٢٢. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٥٧٦.
٢٣. محمد عبد الحميد عبد الفتاح موسوعة الأديان و المذاهب و الفرق و الجماعات، كنوز للنشر، (د ت).
٢٤. محمد عقيل بن علي المهدلي ، دراسة في الطرق الصوفية القاهرة ، دار الحديث ، ط٢.
٢٥. معن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، دراسة تحليلية و نقدية، جامعة بغداد ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة، ط٢ ،١٩٩١م.

٢٦. منال طلعت محمود، التنمية و المجتمع ، مدخل نظري لدراسة المجتمعات المحلية، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠٠١م .
٢٧. منير البعلبكي ، المورد ، دار العلم للملايين ، ط٣٧ ، ٢٠٠٣م .

الرسائل الجامعية :

٢٨. إدريس سالم الحسن، الدين في المجتمع السوداني، نميري و الطرق الصوفية ١٩٧٢-١٩٨٠م ترجمة: محمد بكري الشريف، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، وحدة الترجمة و التعريب ٢٠٠٢م.
٢٩. شرف الدين الأمين عبد السلام ، كرامات الأولياء في سياقها الثقافي والاجتماعي، .جامعة الخرطوم ،مركز الدراسات الأفريقية و الأسيوية. دراسات في التراث الشعبي (٤٠)، ترجمة : يوسف حسن مدنى ، محمد المهدي البشرى ، رسالة دكتوراه منشورة ،٢٠٠٧ م
٣٠. نفيسة الحلو حمد، دور المؤسسات الدينية التقليدية في التنمية الريفية في السودان (حالة دراسة أم ضواً بان و الزريبة)، رسالة دكتوراه " غير منشورة" من جامعة الخرطوم كلية التربية قسم الجغرافيا في العام يونيو ٢٠٠٥م .
٣١. هاشم عبدالرزاق، السيرة والطريقة البدرية، رسالة ماجستير في التاريخ جامعة الخرطوم،١٩٩٥م.

المجلات و الدوريات:

٣٢. عمر العبيد صالح بدر، دور مشايخ الخلاوي في تربية تنمية المجتمع – ورقة عمل- المؤتمر العام الأول لهيئة علماء السودان – أكتوبر ١٩٩٨م.

٣٣. مجلة الفيض، تصدر عن المجلس الأعلى للذكر والذاكرين، العدد الأول ١٤١٨هـ.

المؤتمرات و أوراق العمل :

مواقع الإنترنت :

٣٤. /httpsar: / /.wikipedia.org /

المقابلات الشخصية :

٣٥. مقابلة الباحث للخليفة الطيب الشيخ الجد (الخليفة الحالي) ، أغسطس ٢٠١٩م.